

الكتاب الذي في
اليد

هو كتاب
الطب

الذي في
اليد

الذي في
اليد

الذي في
اليد



**Collection of Prof. Muhammad Iqbal Mujaddidi
Preserved in Punjab University Library.**

پروفیسر محمد اقبال مجددی کا مجموعہ
پنجاب یونیورسٹی لائبریری میں محفوظ شدہ

البيان المعتبر

في أخبار الأندلس والمغرب

لابن عذاري المراكشي



الجزء الثاني

تحقيق ومراجعة

ج. س. كولان

إ. ليشي بروفسال

حادي الشهادة

بيروت - لبنان

132039

الطبعة الثالثة

١٩٨٣

فهرس الأبواب والفصول

١	ذكر صفة الأندلس وأوايتها
٤	ذكر دخول المسلمين إلى الأندلس وانتزاعها من أيدي الكفار
٩	ذكر ما افتتح طارق بن زياد من بلاد الأندلس سنة ٩٢ من الهجرة
٩	فتح قرطبة
١١	فتح مالقة
١١	فتح إغرناطة قاعدة الجزيرة
١١	فتح مرسية
١٢	فتح طليطلة
١٣	فتح قرمونة
١٤	فتح إشبيلية
١٤	فتح ماردة
١٥	فتح إشبيلية ثانية
١٥	فتح لبلة
١٦	ذكر اجتماع الأمير أبي عبد الرحمن موسى بن نصير مع مولا طارق بن زياد على طليطلة
١٧	ذكر ما آفاه الله على فاتحي الأندلس
١٩	أخبار الأمير أبي عبد الرحمن موسى بن نصير
٢٣	ولاية عبد العزيز بن موسى بن نصير
٢٥	ذكر ولاية أيوب بن حبيب الأندلس
٢٥	ولاية المحرر بن عبد الرحمن الثقفي
٢٦	ولاية السرح بن مالك الغولاني
٢٦	ولاية عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي الأندلس
٢٧	ولاية عنبسة بن سحيم الكلبي

٢٧	ولاية يحيى بن سلمة الكلبي
٢٧	ولاية حذيفة بن الأحوص
٢٨	ولاية عثمان بن أبي نسعة
٢٨	ولاية الهيثم بن عبيد الكِناني
٢٨	ولاية محمد بن عبد الله الأُدجعي
٢٨	ولاية عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي ثانية
٢٨	ولاية عبد الملك بن قطن
٢٩	ولاية عُنبة بن الحجاج السلوي
٣٠	ولاية عبد الملك بن قطن الفِهري ثانية
٣١	ذكر ولاية بلج بن بشر الفُشيري الأندلس
٣٢	مقتل عبد الملك بن قطن الفِهري
٣٢	ولاية نعلبة بن سلامة العاملي الأندلس
٣٣	ذكر ولاية أبي الخطار الحُسام بن ضرار الكلبي الأندلس
٣٤	ذكر الصمبل بن حانم وسبب الفتنه
٣٥	ولاية يوسف بن عبد الرحمن الفِهري الأندلس
٣٦	مقتل أبي الخطار
٣٨	تسمية من ثار على يوسف بن عبد الرحمن الفِهري بالأندلس
٣٨	جامع أخبار بني أمية بالمشرق
٤٠	ذكر دخول عبد الرحمن بن معاوية بن هشام الى الأندلس ومُرويه من الشام
٤٧	خِلافة عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك
٥٨	ذكر بعض أخباره على الجُملة
٦١	خِلافة هشام الرضي بن عبد الرحمن الداخل
٦٥	ذكر بعض أخباره على الجُملة
٦٧	فِصَّة الكِناني مع هشام بن عبد الرحمن
٦٨	خِلافة الحَكَم بن هشام بن عبد الرحمن
٧١	مقتل أهل الرِّبض أولاً فقبل هَبِيجِ ثانية
٧٤	ذكر دخول الحَكَم طُلُبُطلة حين خالفت عليه
٧٥	ذكر هَبِيجِ أهل الرِّبض ثانية في سنة ٢٠٢

٧٨	بعض أخباره وسيره
٨٠	خِلافة عبد الرَّحْمَنِ بن العَكَّام بن هشام
٨٧	دُخُول المَجُوسِ إِشِيْلِيَّةَ فِي سنة ٢٢٠
٩٠	ذِكْر بعض أخباره على الجُمَّلة وسيره
٩٣	خِلافة مُحَمَّد بن عبد الرَّحْمَنِ بن المَحْكَم بن هشام
١٠٧	بعض أخباره وسيره
١١٢	خِلافة المُنْذِر بن مُحَمَّد بن عبد الرَّحْمَنِ بن المَحْكَم
١١٧	شأن عُمَر بن حَفْصُون فِي أَيَّام المُنْذِر - رحمه الله
١٢٠	بعض سيره وأخباره
١٢٠	خِلافة عبد الله بن مُحَمَّد بن عبد الرَّحْمَنِ بن المَحْكَم
١٢٥	ذِكْر ثَوْرَةَ بنِي حَبَّاج بِإِشِيْلِيَّة
١٣١	أخبار عُمَر بن حَفْصُون فِي أَيَّام الأمير عبد الله
١٣٢	جُمَّلة الثَّوَار ببلاد الأندلس فِي أَيَّام الأمير عبد الله، المَخْرَجِينَ عن الجماعة، المَضْرِبِينَ لِنار الفِتْنَةِ
١٥٠	شأن ابْنِي الأمير عبد الله، مُحَمَّدٍ ومُطَرِّفٍ
١٥٠	شأن القاسم، أَخِي الأمير عبد الله
١٥٢	بعض أخبار الأمير عبد الله بن مُحَمَّد على الجُمَّلة
١٥٦	خِلافة أمير المؤمنين عبد الرحمن بن مُحَمَّد الناصر لدين الله
١٧١	ذِكْر موت عُمَر بن حَفْصُون
١٧٢	غزوة مُطَوْنِيَّة
١٧٢	غزاة الناصر لدين الله إلى بَلْدَةِ
١٧٥	غزاة مُوَيْش
١٨٥	غزاة الناصر إلى بَنْبَلُونَةِ
١٩٢	ذِكْر قتل سليمان بن حفصون
١٩٥	ذِكْر افتتاح مدينة بَيْشْتَر
٢٠١	مُطالعة أمير المؤمنين الناصر لِبَيْشْتَر فِي الأثناء

٢٢٢	بعض أخبار الناصر على الجبل
٢٢٩	ذكر مسجد قرطبة الأعظم
٢٣١	ذكر بناء مدينة الزهراء بقرطبة
٢٣٢	خلافة المحكم بن عبد الرحمن المستنصر بالله
٢٥١	ذكر اتصال محمد بن أي عامر بعبد المحكم المستنصر
٢٥٢	خلافة هشام بن المحكم بن عبد الرحمن الناصر والنوالة العامرية
٢٥٦	بعض أخبار المنصور محمد بن أي عامر في ابتداءه
٢٦١	مقتل المغيرة بن عبد الرحمن الناصر
٢٦٢	بعض أخبار الصقالب مع ابن أي عامر
٢٦٤	غزوة محمد بن أي عامر الأولى
٢٦٥	ذكر نكبة الحاجب جعفر بن عثمان
٢٦٥	غزوة ابن أي عامر الثانية
٢٦٧	غزوة ابن أي عامر الثالثة
٢٧٢	استبداد ابن أي عامر بالملك وتغلبه عليه
٢٨٢	ذكر تدمير عبد الرحمن بن مطيرف مع عبد الله بن المنصور في القيام عليه
٢٨٤	ذكر مقتل عبد الله بن المنصور
٢٩٤	غزوة شنت يا قوب على سبيل الاختصار

الجزء الثاني من الكتاب، في أخبار الأندلس

ذكر صفة الأندلس وأوليتها

* أما صفة الأندلس، فإنها جزيرة مُرَكَّنة، ذات ثلاثة أركان، قريبة من P. 2 شكل المثلث: الركن الواحد منها عند صنم قاديس، والركن الثاني في بلاد جليقية، وهو مقابل لجزيرة برطانية¹⁾ حيث الصنم المشبه بصنم قاديس. والركن الثالث بناحية الشرق، بين مدينة أربونة ومدينة برذيل حيث هو قُرب البحر المحيط الغربي من البحر المتوسط الشامي، وكاد البحران هناك أن يجتمعا في ذلك الموضع، فتصير الأندلس في جزيرة أولا يسير ما بقي منها، وهو مسيرة يوم كامل، وفيه مدخل يقال له الأبواب، وفيه تنصل الأندلس بالأرض الكبيرة. فالأندلس كلها مُحَدَّقة بالبحر: البحر المحيط الغربي، والبحر المتوسط القبلي، ويصعد منه قليل إلى ناحية الشرق؛ فحدُّ الأندلس في الشرق والغرب وبعض الجوف البحر المحيط، وحدُّها في بعض القبلة والشرق البحر المتوسط، إلا أن الأندلس يتوسط الأرض كلها. وقيل²⁾ إنه في³⁾ آخر الأقاليم⁴⁾ السبعة.

وقيل إن أول من نزل الأندلس بعد الطوفان قومٌ يُعرفون بالأندلس (بشين * معجبة)؛ فسُميت بهم الأندلس (بالسين غير معجبة). وقيل إنهم كانوا P. 3 مجوساً؛ فأراد الله قلعهم⁵⁾ منها؛ فحبس المطر عنهم حتى غاضت مياههم وعيونهم وأنهارهم، وخرجوا منها، واقتربوا في البلاد؛ وأقامت خالية مائة سنة، من حدِّ إفرنجة إلى البحر؛ ثم دخلها بعد ذلك قومٌ من الأفارقة، أجلاهم صاحب

1) فرطاجنة B.

2) A. et B. لأته.

3-3) Manque dans A.

4) الإقليم A.

5) خلعهم B.

إفريقية من الجوع؛ فلما نزلوا الأندلس، وجدوا أنهارها قد جرت، فملكوها نحو
مائة وخمسين سنة. وعدد ملوكهم أحد عشر ملكاً. ودار منكم مدنة طالفة.
ثم غلبت عليهم الإشبانية، حتى أخرجوهم عن الملك. وصار الملك اليم؛ وهم
سميت إشبانية؛ فبنوها وسكوها؛ وخربت طالفة. وهجم عجم رومة، فكانوا
موكاً. حتى دخل البشترقات على الرومانيين. وقد بعث الله المسيح - عليه
السلام! - فبعث الخواريين إلى البلدان كلها. وظهر دين النصرانية وغلب. ثم
كان دخول البشترقات من رومة. وكانوا يملكون إفريقية. وبعثون عمالم إليها.
ودار منكم ماردة؛ فكانت عدة ملوكهم سبعة وعشرين ملكاً.

ثم ظهر بإشبانية إشبان؛ وكان رجلاً ضعيفاً حراً؛ فوقف به الخضر
- عليه السلام! - وهو يجرت؛ فقال له: «إذا غلبت على إيلياء، فأزفني بأولاد
الأنبياء!» فقال له: «كيف يكون هذا، وأنا ضعيف، من غير بيت ملك؟»
فقال له: «بقدر ذلك من قدر في عصاك ما قدر!» فلما نظر إلى عصاه. إذا
بها قد أفرقت؛ فزرع. وغاب عنه الخضر. ووقع ذلك بنس إشبان؛ فلم يزل
بصطنع الرجال حتى علا⁽²⁾ اسمه، وشاع⁽³⁾ ذكره. ونغلب على الأندلس؛ فخرج في
السفن إلى إيلياء؛ فغنها وهدمها⁽⁴⁾، وقتل فيها مائة ألف من اليهود، وباع
منهم مائة ألف؛ وانتقل رخامها إلى الأندلس. وكان ملكه نحو عشرين سنة؛
وبعد سنتين من ملكه. غزا إيلياء. ويقال إن إشبان اسمه إصبهان، لأنه ولد
بإصبهان؛ فسُمي بها، والله أعلم. فعدده ملوكهم خمسة وخمسون ملكاً.

ثم دخل القوط الأندلس، وقطع الله ملك رومة منها. وعدده ملوك
القوطيين سنة عشر ملكاً، آخرهم لذريق، الذي دخل عليه المسلمون. وجعلوا دار
ملكهم طليطلة. ووجدت في بعض كتب العجم أن آخر ملوك الأندلس
كان يسمى وخشندش⁽⁵⁾، ولم يكن في النصرانية أحكم منه ولا أحسن⁽⁶⁾ إصابة

1) A. ajoute منهم. 2) B. غلظ. 3) Manque dans A. 4) B. وملكه.

5) Vocalisation fournie par B. 6) B. أهد.

لِسُنَّتِهِمْ؛ وَعَلَى سُنَّتِهِ أَمْضَتْ ١١ النُّصْرَانِيَّةُ أَحْكَامَهَا، وَهِيَ الْأَرْبَعَةُ الْأَتَاخِيلُ، الَّتِي يَحْتَفُونَ بِهَا وَيَسْتَهِنُونَ إِلَى مَا فِيهَا. وَقَالُوا إِنَّ زُرَيْقَ، الَّذِي دَخَلَتْ عَلَيْهِ الْعَرَبُ وَالْبَرَبِرُ، وَثَبَّ عَلَى وَخَشَنَدَشَ هَذَا وَقَتْلَهُ، وَغَابَ عَلَى مُلْكِ الْأَنْدَلُسِ. وَدَانَتْ لَهُ طَلَيْطَلَةُ وَغَيْرُهَا.

وَفِي كُتُبِ الْعَجَمِ: إِنَّ زُرَيْقَ هَذَا لَمْ يَكُنْ مِنْ بَيْتِ الْمَمْلُوكَةِ. وَإِنَّمَا كَانَ زَيْبِيًّا؛ وَكَانَ مِنْ عُمَّالِ الْمَلِكِ بَقْرُطِيَّةَ؛ وَقَتَلَ وَخَشَنَدَشَ بَعْدَ مَا خَالَفَ ١٢ عَلَيْهِ. فَغَيَّرَ الْحُكْمَ، وَأَفْسَدَ سُنَنَ الْمَلِكِ. وَفَتَحَ الْبَيْتَ الَّذِي كَانَ فِيهِ النَّابُوتُ. وَكَانَ ١٣ إِذَا مَاتَ الْمَلِكُ مِنْهُمْ، بُوَكِّبَ اسْمُهُ، وَكُمَّ وَوَلِيَ، وَتُوضَعُ فِي ذَلِكَ الْبَيْتِ مَعَ نَاجِيهِ، وَلَا سَبِيلَ بَعْدُ عِنْدَهُمْ لِفَتْحِهِ. فَلَمَّا فَتَحَهُ زُرَيْقُ، أَنْكَرَتِ النُّصْرَانِيَّةُ ذَلِكَ عَلَيْهِ. وَجَعَلُوا لَهُ مِثْلَهُ ذَهَبًا وَفِضَّةً. وَلَا يَفْتَحُهُ؛ فَلَمْ يَقْبَلْ ذَلِكَ مِنْهُمْ. وَعَزِمَ عَلَى فَتْحِهِ؛ فَفَتَحَهُ، وَوَجَدَ فِي الْبَيْتِ نَبِيحَانَ الْمَلُوكِ وَنَابُوتًا فِيهِ صُورُ الْعَرَبِ مَتَنَكَّةً قَسِيحًا، وَفِي رُؤُوسِهَا عَمَائِمُهَا، وَعَلَيْهَا مَكْتُوبٌ: «إِذَا فُتِحَ هَذَا الْبَيْتُ، وَأُخْرِجَتْ هَذِهِ الصُّورُ. دَخَلَ الْأَنْدَلُسَ قَوْمٌ فِي صُورِهِمْ، فَغَلِبُوا ١٤ عَلَيْهِ!» فَلَمَّا دَخَلَتِ الْعَرَبُ وَالْبَرَبِرُ مَعَ طَارِقَ، وَالتَّقُوا بَزُرَيْقَ ١٥، أَسْلَمَتْهُ النُّصْرَانِيَّةُ، وَانْهَزَمَتْ عَنْهُ حَتَّى قُتِلَ. وَكَانَ دُخُولُ طَارِقَ بَعْدَ سَنَةٍ مِنْ وِلَايَةِ زُرَيْقَ؛ فَقَتَلَهُ طَارِقُ بَقْرُطَاجِنَةَ مِنْ كُورِ الْجَزِيرَةِ؛ وَافْتَتَحَ الْبِلَادَ حَتَّى انْتَهَى طَارِقُ إِلَى طَلَيْطَلَةَ؛ فَوَجَدَ فِيهَا مَائِدَةَ سَلِيمَانَ - عَلَى نَبِيئِنَا وَعَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ! - وَوَجَدَ فِيهَا ١٦ صُورَ الْعَرَبِ وَالْبَرَبِرِ عَلَى خَيْوَلِهِمْ، وَهِيَ الصُّورُ الَّتِي وَضِعَتْ عَلَى الْقَصْرِ بِقُرْطِيَّةَ. وَقِيلَ أَيْضًا إِنَّهَا طَلْسِمَاتٌ، كَانَتْ الْعَرَبُ قَدْ نَصَبَتْهَا عَلَى مَسَاجِدِ الْأَنْدَلُسِ؛ فَنَقَلَهَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ مُعَاوِيَةَ إِلَى الْقَصْرِ بِقُرْطِيَّةَ.

وَهَذَا الْقَدْرُ كَافٍ هُنَا مِنْ صِفَةِ الْأَنْدَلُسِ وَذِكْرِ مَلُوكِهَا الْأَوَّلِينَ.

1) Manque dans A. 2) B. ثار.

3) Tout le passage qui suit est corrompu dans A.

4) Manque dans A. 5) A. بالجزيرة.

ذكر دخول المسلمين إلى الأندلس وانتزاعها من أيدي الكفار

أما دخول المسلمين لها، فذكر فيه أربعة أقوال:

أحدها أن الأندلس، «أول من» دخلها عبد الله بن نافع بن عبد القيس، وعبد الله بن الحُصَيْن الفِهْرِيَانِ. من جهة البحر، في زمن عثمان - رضه - قال الطبري: أتوها من برّها وبحرها؛ ففتحها الله تعالى على المسلمين هي وإفريقية، وازداد في سلطان المسلمين مثل إفريقية؛ ولم ينزل أمر الأندلس لإفريقية، حتى كان زمن هشام بن عبد الملك؛ ففتح البربر أرضهم، وبقي من في الأندلس على حالهم. هذا نصّه^(١). وإن ذلك كان سنة ٢٧ من الهجرة الكريمة. وثانيها أن موسى بن نصير افتتحها عام ٩١. وهو قول الطبري أيضاً. فيظهر منه أنه جاز بنفسه، ونولى هذه الغزوة والفتح.

وثالثها أن طريفاً دخلها وفتحها في عام ٩١.

ورابعها أن طارقاً أول من دخلها، سنة ٩٤، ودخل موسى بعده سنة ٩٢.

فهذا الخلاف واقع في هؤلاء الأربعة مواضع: قيل إن أول من دخلها الفِهْرِيَانِ؛ ثم ابن نصير؛ ثم طريف؛ ثم طارق؛ فظهر من هذا أن الفهريين أثرا فيها في زمن عثمان - رضه - وغنا من جهة البحر، وطريفاً دخلها سنة ٩١ مغيراً ومخرباً، ونسب فعله إلى موسى بن نصير، نسبة فعل المأمور إلى الأمر؛ فصدق عليه إضافته لموسى، فيكون قول الطبري صادقاً؛ وصدق عليه أيضاً قول الرازي بأخرى وأولى، وطارق دخلها دخول المستفتح لها، الكافيح، سنة ٩٢،^(٢) وموسى دخلها بعد ذلك متبهماً للفتح^(٣).

وقال عريب: إن العليج يلبان، صاحب الجزيرة الخضراء، داخل موسى ابن نصير، صاحب إفريقية، عام ٩١، على يد طارق بن زياد عامل موسى على طنجة وما والاها؛ فراسل يلبان موسى، بزيت عند دخول الأندلس، وبقرّب

1-1) Manque dans A.

2) A. نصهم

3-3) Manque dans A.

له أمرها. وقيل: بل، سار اليه بنفسه في البحر، حتى اجتمع به في ذلك؛ فاستشار موسى الوليد بن عبد الملك، إما مراسلة (وهو الأكثر الأظهر¹) وإما بأن² نهض بنفسه اليه³؛ فأشار الوليد بأن يختبرها بالسرايا، ولا يفرّج بالمسلمين؛ فبعث موسى بن نصير عند ذلك رجلاً من البربر، يسمى طريفاً ويكنى أبا زُرعة، في مائة فارس وأربعمائة راجل؛ فجاز في أربعة مراكب، حتى نزل في ساحل البحر بالأندلس، فجا بجاذي طنجة، وهو المعروف اليوم بجزيرة طريف، سُميت باسمه لتزوله هنالك؛ فأغار منها على ما يليها إلى جهة الجزيرة الخضراء، وأصاب سياً ومالاً كثيراً، ورجع سالماً. وكانت إجازته في شهر رمضان من سنة ٩١.

وقد اتفق الجميع فيما يظهر على أن متولى كبر فتح الأندلس وجلبه ومعظمه طارق بن زياد. وقد اختلف في نَسبه؛ فالأكثر على أنه بربري من نَفزة، وأنه مولى لموسى بن نصير، من سبي البربر. وقال آخرون إنه فارسي. قال صالح بن أبي صالح: هو طارق بن زياد بن عبد الله بن رفه بن ورجوم بن بترغاس بن ولهاص بن يعطون بن نفاو؛ وكانهم أيضاً اتفقوا على أن طارقاً كان عاملاً لموسى، قبل محاولة الأندلس، على المغرب الأقصى، وتركه عند رهائن برابر المغرب في سنة ٨٦ من الهجرة. وقيل أيضاً إن طارقاً جاز إلى الأندلس * برهائن البربر سنة ٩٢.

P. Y

قال ابن القطان: فالأكثر يقولون: كان مستقره بطنجة، ومنهم من يقول بجلباسة، وإن سلاً وما وراءها من فاس وطنجة وسبتة كانت للنصارى؛ وكانت طنجة لبليان منهم؛ فكان طارق إذا نائباً عن موسى بن نصير واختلفوا أيضاً هنا هل إنما سار إلى الأندلس عن أمر موسى، أو سار إليها لأمر دهميه، لم يمكنه إلا إنفاذه. والنقول الأول هو المشهور المتفق عليه.

2) Le membre de phrase entre parenthèses manque dans A.

2) Manque dans A. 3) A. ajoute في ذلك

قال الرازي عن الواقدي: إن الوليد بن عبد الملك استعمل موسى بن نصير على إفريقية، واستعمل موسى بن نصير طارق بن زياد على طنجة، وكان سليمان مجاوراً له بالجزيرة الخضراء التي يلي طنجة؛ فدخله طارق حتى صار معه إلى الرضى، ووعد سليمان بإدخاله الأندلس هو وجنوده، وكان اجتمع لطارق اثنا عشر ألفاً من البربر؛ فأجمع طارق على غزو الأندلس، بعد أن أخذ إذن من نصير مولاه في ذلك؛ فكان سليمان يجتهد أصحاب طارق في مراكب التجار التي تخطف إلى الأندلس، ولا يشعر أهل الأندلس بذلك، ويظنون أن مراكب تخطف بالتجار، فحمل الناس فوجاً بعد فوج إلى الأندلس، فلما لم يبق إلا فوج واحد، ركب طارق ومن معه، حتى أجاز البحر إلى أصحابه وتخطف سليمان بالجزيرة الخضراء، ليكون أطيب لنفسه ونفس أصحابه، فنزل طارق حياً من جبال الأندلس، يوم الاثنين لحس ختون من رجب سنة ٩٢، كما تقدم ذكر ذلك، فسبح ذلك الحبل باسمه إلى اليوم.

وذكر عيسى بن محمد، من ولد أبي المهاجر، في كتابه السبب في دخول طارق الأندلس، وهو أن طارقاً كان والياً لموسى على طنجة؛ وكان يوماً جالساً، إذ نظر إلى مراكب قد طلعت في البحر، فلما أرست، خرجوا إليها، فترعوا أرجلها، وأرلوا أهلها؛ فقالوا: «البيكم جئنا عامدين!» وعظيهم معهم، فقال له سليمان: فقال طارق: «ما جاء بك؟» فقال له: «إن أبي مات، فوثب على منكبنا تطريقاً» فقال له لدرست؛ فأهانتني، وأذلتني؛ وبلغني أمركم؛ فحيث البيكم أدعوكم إلى الأندلس، وأكون دليلاً لكم؛ فأجابه طارق إلى ذلك، واستنفر اثني عشر ألفاً من البربر، فجمعهم سليمان في المراكب فوجاً بعد فوج، كما تقدم ذكره.

وذكر غير هؤلاء أن السبب في ذلك أن طنجة وسبتة والخضراء وتلك السواحي كانت في مملكة صاحب الأندلس، على نحو ما كانت السواحل كلها

بالعدوة وما قرب منها للزوم. يسكنونها، إذ كان البربر يرغبون عن سكنى
 المَدُن والقُرَى، وإنما بُغيتهم سُكْنَى الجبال والصحارى، إذ كانوا أصحاب إبل
 وسوائم. وكان النصارى في صلحهم. وكانت السنة في الأندلس في ملوك النصارى
 أن يستخدموا بنى بطارقتهم وكبار رجالهم؛ فالرجال منهم يخدمون خارجاً، والنساء
 جوارٍ يخدمن داخلاً. وما كذا سُتِّمَ إلى اليوم في الرجال خاصة، يخدمون صبياناً
 يتأدبون بأديهم، ويتعلمون سُتِّمَ؛ فإذا أدركوا وكبروا، أحنوهم برجالهم وأهلهم.
 وكان ملك الأندلس من القوطيين يُسمى رُذْرِيْق. قد مدَّ يده إلى ابنة نُلْيَان،
 وكانت عنده؛ فاغتصبها نفسها؛ فأرسلت إلى أبيها، ودست إليه. فلما بلغه ذلك،
 أحفظه، وكنهه، وأرصد به الأيام، ونصب له الغوائل، حتى كان من دخول
 العرب المغرب ما كان. وأرسل رُذْرِيْق إلى نُلْيَان في بُرْءة وطبور وغيرها؛
 فأرسل إليه: «لأوردن عليك طراً لم نسمع قطُ بثُلها»، وهو بنو الغدر؛
 فحينئذ دعا طارقاً إلى ما كان من جواز البحر.

واختلفت الروايات في قتال طارق أهل الأندلس. فقيل إن رُذْرِيْق
 رحف إلى طارق بجميع أهل القوة من أهل مملكته بنفسه، وهو على سريره
 مُتَّكئ على بَغْيَيْنٍ يَحْمَلَانِهِ، وعليه ناجه وجميع الحلية التي كانت تلبسها الملوك.
 حتى انتهوا إلى الجبل الذي فيه طارق. فخرج إليهم طارق بجميع أصحابه رجالةً.
 ليس فيهم راكبٌ إلا القليل؛ فاقتتلوا قتالاً شديداً حتى ظنوا أنه النباء، ثم
 صرف الله وجوه أعدائه؛ فانهزموا؛ وأدرك رُذْرِيْق؛ فقتل في وادي الطين.
 ومضى حتى دخل قُرْطُبَةَ. وفتح الله الأندلس على المسلمين. هاكذا ذكر عيسى
 في كتابه.

وذكر الواقدي أنهم اقتتلوا من حين طلعت الشمس إلى أن غربت؛
 فلم يكن قطُ بالمغرب مقتلةٌ أعظم منها. بنيت عظامهم في المعركة دهرًا طويلًا
 لم تذهب.

وذكر الواقدي أيضاً، عن عبد الحميد بن جعفر، عن أبيه، قال: سمعت

رجلاً من أهل الأندلس يُعَدِّث سعيد بن المسيَّب ويذكر له قصتهم. فقال: «لم يرفع المسلمون السيف عنهم ثلاثة أيام، حتى أوطئوهم غلّة.» ثم ارتحل المسلمون إلى قرطبة، وهي مدينة الأندلس التي كان بها رُذَينق؛ وبينها وبين الساحل مسيرة خمسة أيام. وكان سلطان رُذَينق إلى أربونة نغر الأندلس، وهي إذ ذاك أقصى مملكة الأندلس. مما يلي إفرنجة؛ ومن أربونة إلى قرطبة ألف ميل. وكان الذي أصابه طارق ومن معه من السبي في أول فتح لهم، عشرة آلاف رأس؛ وكان سُهْمَانُهُم من الذهب والفضة لكل واحد من الرجال مائتا دينار وخمسون ديناراً.

وذكر الرازي أنه، لما بلغ رُذَينق خبر طارق ومن معه، ومكانهم الذي هم فيه، بعث إليهم الجيوش جيشاً بعد جيش؛ وكان قد قوّد على أحدهم¹ ابن أخت² له يُسَمَّى بَنَج، وكان أكبر رجاله؛ فكانوا عند كل لقاء يهزمون ويقتلون؛ وقُتِلَ بَنَج، وهُزِمَ عسكره؛ فقوى المسلمون، وركب الرجالة الخيل. وانتشروا بإحيتهم التي جازوا بها؛ ثم زحف رُذَينق إليهم بجميع عساكره ورجاله وأهل مسكنه، وهو على سرير مملكة كما تقدّم. فلما انتهى إلى الموضع الذي فيه طارق، خرج إليه؛ فاقتلوا على وادي لَكُه³ من كورة شدونة يومهم ذلك. وهو يوم الأحد لليثين بقينا من رمضان، من حين بزغت الشمس إلى أن بارت بالحجاب؛ ثم أصبحوا يوم الاثنين على الحرب، حتى إلى المساء. ونمادت أيامهم كذلك إلى يوم الأحد الثاني؛ فتمت ثمانية أيام. وقتل الله رُذَينق ومن معه، وفتح للمسلمين الأندلس، ولم يُعرف لرُذَينق موضع، ولا وُجِدَتْ له جَنَّةٌ، وإنما وُجِدَ له خُفٌّ مَنصُصٌ؛ فقالوا إنه غرق. وقالوا إنه قتل؛ والله أعلم.

ثم تحرك طارق إلى مَضِيق الجزيرة؛ ثم نهض إلى مدينة إسنيجة؛ فوجد فيها فلّ العسكر؛ فقاتلوه قتالاً شديداً، حتى كثر القتل والجراح في المسلمين؛ ثم نصرهم الله، وقطع دعوة العُجبة، وفذف الله الرُعب في قلوب المشركين، إذ

نُفِخَ عَلَيْهِمُ عَالِيمُ الْبِلَادِ؛ فَهَرَبَ أَكْثَرُهُمْ إِلَى مَدِينَةِ طَلَبِطَلَّةَ، وَبَرَكُوا مَدَائِنَ الْأَنْدَلُسِ وَرَاءَهُمْ قَلِيلَةُ الْأَهْلِ.

وَقَدِمَ يُسْلِيَانُ عَلَى طَارِقٍ مِنَ الْخَضْرَاءِ مُسْتَقَرَّهُ؛ فَقَالَ لَهُ: «قَدْ فَتَحْتَ الْأَنْدَلُسَ؛ فَخُذْ مِنْ أَصْحَابِي أَدْلَاءً، فَفَرِّقْ مَعَهُمْ جِيُوشَكَ وَسِرُّ أُنْتَ إِلَى مَدِينَةِ طَلَبِطَلَّةَ!» فَفَرَّقَ جِيُوشَهُ مِنْ إِسْتِجْعَةٍ.

٥١١ ذكر ما أفتتح طارق بن زياد من بلاد الأندلس

سنة ٤٢ من الهجرة

أَوَّلُ فَتُوحَاتِهِ جَبَلُ الْفَتْحِ الْمَسْمِيُّ بِجَبَلِ طَارِقٍ، وَذَلِكَ لَمَّا جازَ الْمُسْلِمُونَ وَنَزَلُوا فِي الْمَرْسِيِّ، وَهُمْ عَرَبٌ وَبَرْبَرٌ، حَاولُوا الطَّلُوعَ فِي الْجَبَلِ، وَهُوَ حِجَارَةٌ حَرِشٌ؛ فَوَطَّؤُوا اللَّدَوَاتِ بِالْبَرَاذِعِ وَطَلَعُوا عَلَيْهَا؛ فَلَمَّا حَصَلُوا فِي الْجَبَلِ، سَبَّحُوا سُورًا عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِسَمَى سَورِ الْعَرَبِ. وَقِيلَ إِنَّهُمْ فَتَحُوا مِنْ حِينِهِمْ رِجْصُنَ قَرْطَاجِنَةَ، وَكَانَ فِي سَفْحِ هَذَا الْجَبَلِ مِنْ أَنْظَرِ الْجَزِيرَةِ الْخَضْرَاءِ. فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ مَبُوكَ الْأَنْدَلُسِ، نَفَرُوا إِلَى رُذْرِيْقٍ. وَكَانَ جَبَّارًا طَائِغِيَّةً؛ فَاسْتَنْفَرِ النَّصْرَانِيَّةَ. فَقِيلَ إِنَّهُ بَعَثَ إِلَى الْمُسْلِمِينَ الْجَيْشَ بَعْدَ بَعْدٍ؛ فَكَانُوا عَدَّ كُلِّ لِقَاءٍ يُزْمَرُونَ وَيُقْتَلُونَ. فَقَوِيَ الْمُسْلِمُونَ، وَرَكِبَ رِجَالُهُمْ. وَانْتَشَرُوا فِي الْبِلَادِ. وَبَعْدَ هَذَا زَاخَفَهُمْ رُذْرِيْقٌ بِنَفْسِهِ. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ زَاخَفَهُمْ لِأَوَّلِ مَرَّةٍ بِنَفْسِهِ. ثُمَّ اخْتَلَفُوا أَيْضًا كَمَا أَنَّ الْمُرَاحِمَةَ الَّتِي أَعْقَبَهَا الْفَتْحُ وَانْهَزَمَ آخَرُهَا رُذْرِيْقٌ؛ فَقِيلَ: يَوْمٌ كَامِلٌ، وَقِيلَ: يَوْمَانِ. وَقِيلَ: ثَلَاثَةٌ؛ وَقِيلَ: ثَمَانِيَّةٌ؛ وَاخْتَلَفُوا هَلْ ظَفِرَ بِرَأْسِ رُذْرِيْقٍ أَمْ لَا؛ فَقِيلَ: ظَفِرَ بِهِ. وَقِيلَ: مَاتَ غَرِيقًا.

فَتْحُ قَرْطَبَةَ

بَعَثَ طَارِقٌ مَغِيثًا، مَوْلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ، مِنْ إِسْتِجْعَةٍ إِلَى قَرْطَبَةَ فِي سَبْعِمِائَةِ فَارِسٍ؛ وَهِيَ مِنْ مَدُنِهِمُ الْعِظَامِ؛ وَلَمْ يَكُنْ مَعَهُ رَاغِلٌ إِذْ كَانَ الرَّجَالُ

قد ركبوا. فلما بلغ مُغِيثُ شَنْدَةَ وَقَرَّةَ طَرْسَيْلَ، وَهِيَ عَلَى ثَلَاثَةِ أَمْيَالٍ مِنْ
 قَرْطَبَةَ، بَعَثَ الْأَدْلَاءَ كَتَبَ يُلْفُونَ مَنْ عِنْدَ خَبْرٍ؛ فَأَلْفُوا رَاعِي غَنَمٍ؛ فَاتُوا بِهِ إِلَى
 مُغِيثٍ، وَهُوَ فِي الْغَيْضَةِ؛ فَسَأَلَهُ عَنِ قَرْطَبَةَ؛ فَقَالَ لَهُ: «اتَّقِلْ عَنْهَا عِظَاهُ
 أَهْلِهَا، وَلَمْ يَنْقُ فِيهَا إِلَّا بَطْرِيئُهَا فِي أَرْبَعَاءَةِ فَارِسٍ مِنْ حِمَاتِهِمْ مَعَ ضِعْفَاءِ أَهْلِهَا.»
 ثُمَّ سَأَلَهُ عَنِ حِصَانَةِ سُورِهَا؛ فَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ حَصِينٌ، إِلَّا أَنَّ فِيهِ ثَغْرَةً فَوْقَ بَابِ
 الصُّورَةِ، وَهُوَ بَابُ الْقَنْطَرَةِ، وَوَصَفَ لَهَا الثَّغْرَةَ (١).

فَلَمَّا جَنَّ اللَّيْلُ، تَحَرَّكَ مُغِيثٌ مَعَهُ، وَعَبَرُوا النَّهْرَ، وَقَابَلُوا السُّورَ، وَرَامُوا
 التَّعْنُقَ بِهِ؛ فَتَعَدَّرَ عَلَيْهِمْ؛ فَرَجَعُوا إِلَى الرَّاعِي، وَأَتُوا بِهِ مَعَهُمْ؛ فَدَلَّهُمْ عَلَى الثَّغْرَةِ؛
 فَرَامُوا التَّعْنُقَ بِهَا؛ فَصَعَبَ عَلَيْهِمْ، حَتَّى صَعِدَ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِي ذِرْوَتِهَا.
 وَزَعَّ مُغِيثٌ عَامَتَهُ. فَنَازَلَهُ طَرَفُهَا، وَارْتَفَعُوا بِهَا حَتَّى كَثُرُوا بِالسُّورِ؛ ثُمَّ جَاءَ مُغِيثٌ
 إِلَى بَابِ الْقَنْطَرَةِ، وَهِيَ بَوْمُئِدٌ مَهْدُومَةٌ، وَأَمْرَ أَصْحَابِهِ بِالْحَوْمِ عَلَى أَحْرَاسِ السُّورِ؛
 فَكَسَرُوا الْأَفْئَالَ، وَدَخَلَ مُغِيثٌ مَعَهُ. فَلَمَّا بَلَغَ الْمَلِكُ الَّذِي فِيهَا دُخُولَهُمْ.
 خَرَجَ فِي كُفَاةِ أَصْحَابِهِ، وَمِنْ نَحْوِ الْأَرْبَعَاءَةِ؛ فَدَخَلَهَا كَيْسَةَ نَعْرِي الْمَدِينَةِ؛ فَتَحَصَّنُوا
 فِيهَا؛ فَحَاصَرَهُمْ مُغِيثٌ، وَكَتَبَ إِلَى طَارِقِ الْفَتْحِ. وَتَمَادَى عَلَى حِصَارِ الْعُلُوجِ فِي
 الْكَيْسَةِ الْمَذْكُورَةِ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ. فَبَيْنَمَا هُوَ ذَاتَ يَوْمٍ جَالِسٌ. إِذْ قِيلَ لَهُ: «خَرَجَ
 الْعَلْجُ (أَيْ الْمَلِكُ) هَارِبًا وَخَذَهُ. وَهُوَ بَنُو النَّحْصَنِ فِي جَبَلِ قَرْطَبَةَ، لِيَلْحَقَ
 بِهِ أَصْحَابُهُ!» فَأَتَبَعَهُ مُغِيثٌ، وَحَدَّهُ دُونَ أَحَدٍ مِنْ أَصْحَابِهِ؛ فَلَمَّا بَرَّرَ لَهُ وَأَنْصَرَدَ
 هَارِبًا. وَتَحَنَّنَ فَرَسٌ أَصْفَرٌ، وَهُوَ تَبِعَهُ، خَرَجَ مِنْ طَرَبَتِهِ؛ فَأَتَى خَنْدَقًا؛ فَوَسَّ بِ
 بِهِ الْعَرَسَ، وَسَقَطَ فِي الْخَنْدَقِ، وَأَنْدَقَتْ عُنُقُهُ؛ فَأَقْبَلَ مُغِيثٌ، وَالْعَلْجُ جَالِسٌ عَلَى
 نَرْسِهِ مَسْتَأْسِرًا؛ فَأَسْرَهُ. وَلَمْ يَسُرَّ مِنْ مَلُوكِ الْأَنْدَلُسِ غَيْرُهُ، لِأَنَّ مِنْهُمْ مَنْ عَقَدَ
 لِنَفْسِهِ أَمَانًا، وَمِنْهُمْ مَنْ هَرَبَ إِلَى أَقَاصِي الْبِلَادِ مِثْلَ جَلِيفِيَّةَ وَغَيْرِهَا. وَرَجَعَ
 مُغِيثٌ إِلَى بَقِيَّةِ الْعُلُوجِ؛ فَاسْتَنْزَلَهُمْ أَسْرًا. وَضُرِبَتْ أَعْنَاقُهُمْ صَبْرًا؛ وَسَيِّبَتْ
 كَيْسَةَ الْأَسْرَى. وَأَبْنَى الْعَلْجُ صَاحِبَ قَرْطَبَةَ، لِيَقْدِمَ بِهِ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ.

فَتْحُ مَالِقَةَ

بعث اليها طارق من إسنجة جيشاً، وقوّد عليه قائداً، وجعل معه ودليلاً من رجال يُلَيِّنَانِ؛ فاستفتحها وجميع أعمال ربيّه. ولجأ علوجها الى جبال ربه الشامخة المبيعة.

فَتْحُ إِغْرَنَاطَةَ قَاعِدَةَ الْبَيْرَةِ

بعث اليها طارق الجيش من إسنجة؛ فحاصرها حتى افتتحها.

فَتْحُ مَرَسِيَةَ

ثمّ تقدّم هذا الجيش بعد فتح إغرناطة الى تدمير، وهي مرسية. وإسمها سِيَّتْ تدمير باسم العليج صاحبها؛ وكان اسمها أوزبولة، وهي كانت مدينتها القديمة. فقاتل العليج تدمير المسلمين قتالاً شديداً، وكان في قوّة. ثمّ انهزم في فحّص لا يستترهم شيء؛ فوضع المسلمون فيهم السلاح حتى أفنؤهم؛ ولجأ من بقى منهم الى مدينة أوزبولة. وكان تدمير بصيراً بأبواب الحرب؛ فلما رأى قوّة المسلمين معه من أصحابه، أمر النساء؛ فنشرن شعورهنّ، وأعطاهنّ النصب، ووقفن على سور المدينة، ووقف معهنّ بقية الرجال. ثمّ قصد بنفسه الى جيش المسلمين كهيئة الرسول، واستأمن؛ فأمن وانعقد له الصلح ولأهل بلده؛ فافتتحت مدينة تدمير صلحاً. فلما انعقد الصلح وتمّ، أبرز لهم نفسه وقال: «أنا تدمير صاحب المدينة.» ثمّ أدخلهم البلد؛ فلم يروا فيه أحداً عند مدفع؛ فندم المسلمون وأمضوا على ما أعطوه من الأمان؛ وكتبوا بالفتح الى الأمير طارق؛ وأقام بتدمير رجال من أهل العسكر، وصاروا مع أهلها؛ وتقدّم معظم الجيش الى طليطلة؛ فلحق بطارق، وهو عليها.

فَتَحَ طَلَيْطَلَةَ

وَأَلْفَى طَارِقَ طَلَيْطَلَةَ خَالِيَةً، لَيْسَ فِيهَا إِلَّا الْيَهُودَ فِي قَوْمِ قَلَّةٍ، وَفَرَّ عَلَّجُهَا
مَعَ أَصْحَابِهِ، وَلَحِقَ بِمَدِينَةِ خَلْفَ الْجَبَلِ. وَتَبِعَهُمْ طَارِقٌ، بَعْدَ أَنْ ضَمَّ الْيَهُودَ،
وَخَلَّى مَعَهُمْ بَعْضَ رِجَالِهِ وَأَصْحَابِهِ بِطَلَيْطَلَةَ؛ فَسَلَكَ إِلَى وَادِي الْحِجَارَةِ؛ ثُمَّ
اسْتَقْبَلَ الْجَبَلَ؛ فَقَطَعَهُ مِنْ فَجٍّ يُسَمَّى بِهِ إِلَى الْيَوْمِ؛ فَبَلَغَ مَدِينَةَ خَلْفَ الْجَبَلِ،
تُسَمَّى مَدِينَةَ الْمَائِدَةِ. P. 14

ثُمَّ فَتَحَ مَدِينَةَ الْمَائِدَةِ؛ فَوَجَدَ فِيهَا مَائِدَةَ سَلِيمَانَ بْنِ دَاوُدَ - عَلَيْهَا السَّلَامُ!
وَكَانَتْ مِنْ زَبْرَجَدَةَ خَضِرَاءَ، حَافَاتُهَا وَأَرْجُلُهَا مِنْهَا؛ وَأَصَابَ بِهَا مَالًا وَحَلِيًّا
كَبِيرًا؛ ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى طَلَيْطَلَةَ. هَاكذَا آثَرَ النَّاسِ هَذَا كَلَّهُ، عَلَى أَنَّ طَارِقًا
صَنَعَهُ. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلِ، أَقَامَ طَارِقٌ حَيْثُ كَانَتْ الْوَقْعَةُ، وَجَازَ إِلَيْهِ مُوسَى.
وَقِيلَ: بَلِ، وَجَدَهُ بِقَرْطَبَةَ.

وَفِي سَنَةِ ٩٢ مِنْ الْهَجْرَةِ، دَخَلَ مُوسَى بْنُ نُصَيْرٍ الْأَنْدَلُسَ فِي رَمَضَانَ، بَعْدَ
دُخُولِ طَارِقٍ بِسَنَةٍ، وَمَضَى غَازِيًا فِيهَا، مَفْتِنًا لِحَصُونِهَا هَذِهِ السَّنَةَ وَسَنَةَ أَرْبَعٍ
وَبَعْضَ سَنَةِ خَمْسٍ؛ فَافْتَتَحَ جَمِيعَ حَصُونِهَا، وَهَزَمَ جَمِيعَ مَنْ لَقِيَهِ مِنْ أَمْرَائِهَا؛ فَلَمْ
يَلْقَ كَيْدًا مِنْ أَحَدٍ، وَلَا انْهَزَمَتْ لَهُ رَايَةٌ، حَتَّى انْتَهَى إِلَى مَدِينَةِ مَدُنِ الْإِفْرَنْجِ،
يُقَالُ لَهَا لَوْطُونَ⁽¹⁾، وَقَدْ مَلَكَ مَا سِوَاهَا وَدُونَهَا إِلَى أَقْصَى بَرْشَلُونَةَ. فَلَمَّا انْتَهَى
إِلَى مَدِينَةِ لَوْطُونَ، ضَاقَ الْمُسْلِمُونَ، وَخَافُوا أَنْ يُعَاطَ⁽²⁾ بِهِمْ؛ فَكَلَّمُوهُ فِي ذَلِكَ؛
فَفَتَلَ بِهِمْ رَاجِعًا. قَالَ مُؤَلِّفُ «كِتَابِ بَهْجَةِ النَّفْسِ»: وَرَأَيْتُ فِي بَعْضِ كُتُبِ
الْعَجَمِ أَنَّ الْمُسْلِمِينَ انْتَهَلُوا إِلَى مَدِينَةِ لَوْطُونَ قَاعِدَةَ الْإِفْرَنْجِ، وَلَمْ يَسْتَقِ لِأَهْلِ
الْإِسْلَامِ شَيْءٌ لَمْ يَنْغَلِبُوا عَلَيْهِ مِمَّا وَرَاءَ ذَلِكَ، إِلَّا جِبَالَ قَرْقُوشَةَ⁽³⁾ وَجِبَالَ بَنْبَلُونَةَ
وَصَخْرَةَ جَلِيفِيَّةَ؛ فَأَمَّا الصَّخْرَةُ، فَلَمْ يَبْقَ فِيهَا مَعَ مَلِكِ جَلِيفِيَّةَ سِوَى ثَلَاثِمِائَةِ رَجُلٍ،

1) Vocalisation fournie par B. 2) بخاطر A.

3) Vocalisation dans B.: peut-être قرقوشة (Carcassonne).

تلفوا بالموت والمجوع والمحصار؛ فلما لم يبقَ منهم إلا ثلاثمائة رجل، ورأى ذلك المرتبون معهم على حصارهم، استغلّوم؛ فتركوم؛ فلم يزالوا يزدادون حتى كانوا سبب إخراج المسلمين من جليلية، وهي قشتالة. وأما قرطوشة، فذكر عبد الملك ابن حبيب أنها افتتحت في زمن هشام بن عبد الملك صلحاً. وكان الافتتاح P. ١٥ كما ذكرته في بقية سنة ٩٢ وبعض سنة ٩٣ من الهجرة.

وكان السبب في جواز موسى بن نصير إلى الأندلس أنه أغرى بطارق عبداً. وذكر له ما آفاه الله عليه؛ فكتب له موسى بأفصح السب، وأمره ألا يتجاوز قرطبة، حتى يقدم عليه. قال ابن القطان: قيل: إنما حمله على الجواز للأندلس تعدى طارق ما أمره به ألا يتعدى قرطبة، على قول، أو موضع هزيمة لذريق، على قول. وقيل أيضاً: إنما حمله على ذلك الحسد لطارق على ما أصاب من الفتح والغنائم. وقيل أيضاً: إنما جاز باستدعاء طارق آياه؛ فكان جوازه في رمضان، كما تقدم.

قال الرازي: وحدث الواقدى عن موسى بن علي بن رباح، عن أبيه، قال: خرج موسى بن نصير في عشرة آلاف من إفريقية، مفضياً على طارق، وتقدم يريد الأندلس؛ فدخلها، ونزل الجزيرة. فقيل له: «اسلك طريق طارق!» فقال: «لا، والله، أسلك طريقه!» فقال له الأدلاء من الأعلاج: «نحن ندلك على طريق هي أشرف من طريقه، وعلى مدائن هي أعظم خطراً من مدائنه، لم تفتح، يفتحها الله على يدك إن شاء الله!» فامتلاً موسى سروراً؛ فساروا به إلى مدينة شدونة؛ فافتتحها عنوة؛ وهي أول فتوحاته.

فتح قرمونة

ونهض موسى مع أدلائه من شدونة إلى قرمونة؛ ولم يكن بالأندلس أحصن منها ولا أبعد من أن تنال بحصار أو قتال. فسأل موسى عن أمرها؛ فقيل له: «لا تؤخذ إلا باللطف والمجمل!» فقدم إليها علوجاً كانوا من أصحاب ينيان

وغيرهم؛ فأنهم في هيئة المهزمين، ومعهم السلاح؛ فأدخلوهم المدينة؛ فلما علم موسى بدخولهم، بعث الخيل اليهم ليلاً؛ ففتحوا لهم باب المدينة. وهو الباب المعروف بباب قُرْطُبة؛ فوشوا على الأحرار؛ فقتلواهم. ودخل المسلمون المدينة عنوةً.

فَتَحَ إِشْبِيلِيَّةَ

لما فتح موسى قَرْمُونَةَ، تقدّم الى إِشْبِيلِيَّةَ، وهي من أعظم قواعد الأندلس شأنًا. وأقربها بنيانًا، وأكثرها آثارًا. وكانت دار مُلْك رُوم رُومَة فل غلبة النوطيين على الأندلس؛ فلما غلب القوطيون عليها، استوطنوا طَسْبُطَةَ، وأقربوا بها مُلْكُوم؛ وبني مدرسة إِشْبِيلِيَّةَ علماء أهل رُومَة وكتّابهم وروّسائهم. فاحتلّ بها موسى بن نصير، وحاصرها أشهرًا؛ ففتحها الله عليه، وهرب منها علوجها الى مدرسة سَاجِدَةَ.

فَتَحَ مَارِدَةَ

وتقدّم موسى الى مدينة مَارِدَةَ؛ وكانت دار مُلْك في سالف الأمان. وكانت فيها آثار عجيبة، وقنطرة، وقصور، وكنائس، بنوق وصف الناظرين؛ وهي إحدى القواعد الأربع بالأندلس التي انتهت أكتيبيان قَبَصَر. وهي قُرْطُبة، وإشْبِيلِيَّة، ومَارِدَةَ، وطَلَيْطَةَ. فخرج أهلها الى حربه نحو الجبل منها؛ فحاربهم حتى صرفهم الى المدينة. فلما انتهت الحرب، وكفّ عن القتال، طاف موسى بالمدينة؛ فرأى نقيباً كان لمقاطع الصخر؛ فكن فيه الرجال ليلاً. فلما أصبح، زحف اليهم؛ فخرجوا كروجهم في اليوم قبله؛ فخرج عليهم الكمين وزحف اليهم المسلمون؛ فركبهم؛ فقتلوا أبرح قتل. ولجأ من بقى منهم الى المدينة؛ فحاصروهم أشهرًا. حتى عمل دبابّة؛ فدبّ المسلمون تحتها الى بُرْج من أبراجها؛ ففتقوا صخرة؛ فلما نزعوها، أفضوا الى صخرة صماء نبت المعاول عنها وشسوا منها؛ فبيناهم يضربون عليها، إذ استثار العلوج عليهم؛ فاستشهد المسلمون تحت الدبابّة. فسُمّي ذلك البرج

بُرُجُ الشُّهَدَاءِ، وَبِهِ يُعْرَفُ إِلَى الْيَوْمِ؛ فَحَبِيتَ عِنْدَ ذَلِكَ نَفْسُ الْعُلُوجِ، وَثَابِتَ الْيَوْمِ أَنْفُسِهِمْ. ثُمَّ خَرَجْتَ إِلَيْهِمْ رُسُلًا، وَتَعَرَّضْتَ لِلصَّلَاحِ؛ فَسَارُوا إِلَى مُوسَى؛ فَرَأَوْا رَجُلًا أبيضَ الرَّأْسِ وَاللَّحْيَةِ؛ فَكَلَّمُوهُ بِمَا لَمْ يُوَافِقَهُمْ عَلَيْهِ وَلَمْ يَرْضَهُ؛ فَرَجَعُوا عَنْهُ، وَلَمْ يَعْتَدُوا شَيْئًا؛ ثُمَّ عَاودُوهُ يَوْمًا آخَرَ؛ فَالْتَمَسُوهُ قَدْ حَمَّرَ رَأْسَهُ ۱۷: ١١ وَلَحَيْتَهُ بِالْحِنَاءِ؛ فَعَجِبُوا مِنْهُ، وَرَاعَوْهُمْ مَا رَأَوْهُ؛ وَلَمْ يَتَمَّ لَهُمْ أَمْرٌ؛ ثُمَّ عَاودُوا إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ الثَّلَاثِ، وَذَلِكَ يَوْمَ عِيدِ الْفِطْرِ؛ فَالْتَمَسُوهُ قَدْ سَوَّدَ رَأْسَهُ وَلَحَيْتَهُ؛ فَرَجَعُوا إِلَى الْمَدِينَةِ، وَقَالُوا لِمَنْ فِيهَا: «وَبِحَاكِمِكُمْ! إِنَّمَا نَقَالُونَ أَنْبِيَاءَ نَنْسِيُونَ بَعْدَ الْمَشِيبِ! قَدْ عَادَ مَلِكُهُمْ حَدَثًا بَعْدَ أَنْ كَانَ شَيْخًا!» فَقَالُوا: «إِذْهَبُوا إِلَيْهِ وَأَعْطُوهُ مَا سَأَلَكُمْ!» فَوَصَلُوا إِلَيْهِ، وَصَالَحُوهُ؛ وَاعْتَدَ أَمْرَهُمْ عَلَى أَنْ يَجْمَعَ أَمْوَالَ الْقَتْلَى يَوْمَ الْكَمْبَيْنِ وَأَمْوَالَ الْغَائِبِينَ بِحَلِيفِيَّةٍ وَأَمْوَالَ الْكِنَائِسِ. ذَلِكَ كُلُّهُ لِلْمُسْلِمِينَ. ثُمَّ فَتَحُوا لَهُ الْبَابَ مِنْ يَوْمِهِمْ ذَلِكَ. وَهُوَ مُسْتَهْلٌ شَوَّالٍ مِنْ سَنَةِ ٩٤ مِنْ الْهَجْرَةِ.

فَتْحُ إِشْبِيلِيَّةٍ ثَانِيَةً

وَذَلِكَ، لَمَّا اشْتَغَلَ مُوسَى بْنُ نُصَيْرٍ بِحِصَارِ مَارِدَةَ، ثَارَ عَجَمٌ إِشْبِيلِيَّةً، وَارْتَدُّوا، وَقَامُوا عَلَى مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ. وَنَجَّالِبُ فُلُهِمُ الْيَوْمِ مِنْ مَدِينَتَيْ لَبْلَةَ وَبَاجَةَ؛ فَقَتَلُوا مِنَ الْمُسْلِمِينَ نَحْوَ ثَمَانِينَ رَجُلًا. وَبَلَغَ الْخَبْرَ بِذَلِكَ إِلَى مُوسَى بْنِ نُصَيْرٍ؛ فَلَمَّا اسْتَمَّ فَتَحَ مَارِدَةَ، بَعَثَ ابْنَهُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بِجَيْشٍ إِلَى إِشْبِيلِيَّةٍ؛ فَافْتَتَحَهَا، وَقَتَلَ أَهْلَهَا.

فَتْحُ لَبْلَةَ

لَمَّا اسْتَمَّ فَتَحَ إِشْبِيلِيَّةً، تَقَدَّمَ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ مُوسَى بِجَيْشِهِ إِلَى لَبْلَةَ؛ فَافْتَتَحَهَا، وَانصَرَفَ إِلَى إِشْبِيلِيَّةٍ؛ فَدَخَلَهَا أَيْضًا.

ذكر اجتماع الأمير أبي عبد الرحمن موسى
ابن نصير مع مولا طارق بن زياد على طليطلة

«اتفق الأثرون على أن النفاة ما كان على طليطلة». وذكر الطبري أنه كان على قرطبة. وذكر الرازي أن طارقاً خرج من طليطلة لما بلغه مسيره إليه؛ فلقه بمفرقة من طليطلة. وكان موسى. لما فرغ من أمر ماردة، نهض يريد طليطلة؛ فخرج إليه طارق معظماً له، ومبادراً بطاعته؛ فوجه موسى، وغضب عليه. وقيل إنه وضع السوط على رأسه؛ وقيل إنه ضربه أسواطاً كثيرة وحلق رأسه. ثم سار به إلى طليطلة. وقال له: «ابني» بما نصت وبالمائدة! «فأناه بها. وقد اقتلع رجلاً من أرجلها؛ فقال له: «أس الرجل؟» فقال له: «هاكذا وجدتها!» فأمر موسى؛ فعيل لها رجل من ذهب، وأدخلها في سبط. واختفت الروايات لِمَ فعل موسى مع طارق ما فعل من السخط عليه؛ فقيل: إنما فعل ذلك بغياً ونفاةً عليه؛ واستبدلوا على ذلك بادعائه إخصال طارق وأخذ المائدة عند الخليفة. ومنهم من عذره وقال: إنما فعل ذلك به لتقدمه دون رأيه، وهو مولا. وعلى بوغاه بالمسلمين، وتغريبه بهم. وأصل هذا في كتاب الرازي أن الوليد بعث إلى موسى رسولاً؛ فأخذ بعنان دابته، وأخرجه من الأندلس، ومعه طارق ومغيث. وخلف ابنه على الأندلس، وأبقى معه وزيراً حبيب بن أبي عبدة بن عتبة بن نافع.

ولما التقى موسى بطارق، وجرى له معه ما جرى، تقدم من طليطلة إلى سرقسطة؛ فافتتحها، وافتتح ما حولها من الحصون والمعاقل. وذكروا أن موسى خرج من طليطلة غازياً، بفتح المدائن، حتى دانت له الأندلس. وجاءه أهل جليقية يطلبون الصلح؛ فصالحهم. وفتح بلاد البشكنش، وأوغل في بلادهم حتى أتى قوماً كالبهايم. وغزا بلاد الإفرنج. ثم مال حتى انتهى إلى سرقسطة؛

فأصاب فيها ما لا يعرف قدره. وبين سَرَقُسطة وقرطبة مسيرة نحو شهر. وافتتح هنالك حصوناً كثيرة. ¹ وكانت أساقفة الروم تجد صفة موسى في كتبهم؛ فإذا رأوه. قالوا: «هو، والله!». فأعطوه المَعْقِل ². ولم يهزم له جمع قط. وقال يوسف بن هشام: انتهى موسى الى صنم؛ فوجد في صدره مكتوباً: «يا بني إسماعيل! فإلى هنا منتهاكم! وإن سألتهم الى ما ذا ترجعون، أخبرناكم: يرجعون الى اختلاف ذات بينكم، حتى يضرب بعضكم رقاب بعض، ³ وقد فعلتم». ¹⁹

قال الليث: ولقد جاء رجل الى موسى بن نصير؛ فقال له: «أبعث معي أدلك على كنز!» فبعث معه رجالاً؛ فوقف بهم على موضع؛ فقال: «اكتشفوا عن هذا!» فكشفوا؛ فإذا حوض مترع من الياقوت والجوهر والزبرجد ما لم تر عين مثله قط؛ فلما رأوا ذلك، بهتوا وأرسلوا الى موسى ليحضر.

ذكر ما أفاء الله على فاتحي الأندلس

من ذلك مائة سليمان - عليه السلام! - قيل إنها كانت من ذهب وفضة خلبطين، مطوقة بثلاثة أطواق: طوق لؤلؤ، وطوق ياقوت، وطوق زبرجد، وإيها حملت على بغل عظيم لا بغل أقوى منه؛ فابلى بها مرحلة حتى تفتحت فوائه؛ ومنها ياقوتة ذى القرنين وجدها باردة؛ ومنها البنان اللتان فتح في طليطلة، وجد في إحداهما أربعة وعشرون تاجاً عدد ملوكهم، لا يدري ما قيمة تاج منها، وعلى كل تاج اسم صاحبه ومبلغ سنه؛ وفيه وجدت المائدة؛ وكان السبب في حصولها بطليطلة أن ملك الروم، لما زحف الى بيت المقدس ليقابل نبي إسرائيل، أخذ بلادهم وسبي ما فيها، ووجد فيها مكارم الأنبياء - عليهم

1-1) A. dit simplement: وكان موسى تجده الأساقفة في كتبهم

2-2) Manque dans A.

3) Début d'une lacune de deux feuillets dans le ms. A.

السلام! - منها عصا آدم، والتابوت الذي فيه بقية مما ترك آل موسى وآل هارون، وعصا موسى ونعلاه، ومائدة سليمان، وهي من ذهب، قد كُتِلَ أعلاها وأسفلها بالدُرِّ والياقوت. فحمل جميع ذلك الى رومة. فلما مرَّ ملكُ الرومِ بِبِصْرَ، رغب اليه أهلها أن يجعلها عندهم يتبركون بها، وقالوا له: «رومة تبعد عنا!» وكانوا قد أمدوه، وقاتلوا معه بنى إسرائيل؛ فطلبوا منه شيئاً من تلك المكارم؛ فدفع لهم المائدة؛ فحملتها الأساقفة الى الإسكندرية. فلما غزا عمرو بن العاصي بِبِصْرَ، هربوا بها الى مدينة إيطرائس. فلما نزل عمرو بن العاصي بِرَقَّة، هربوا بها الى مدينة قرطاجنة. فلما دخل المسلمون طنجة، هربوا بها الى مدينة طليطلة، ولم يكن لهم أمنع منها؛ ولا وجدوا حيث يهربون بها بعدها.

قال أبو شبة الصدقي: لقد نظرتُ الى رجلين يحملان طنفسةً منسوجةً بالذهب والفضة واللؤلؤ؛ فلما ثقلت عليهما، أنزلاها؛ ثم حملا عليها الفأس؛ فقطعاها بنصفين؛ فأخذا نصفاً، وتركوا نصفاً. فلقد رأيتُ الناس يهرون على نصفها؛ فلا يلتفتون اليه اشتغالاً بما في أيديهم مما هو أرفع منها.

وحدث عبد الحميد عن أبيه، قال: قدمت الأندلس امرأة عطارة؛ فخرجت منها خمسمائة رأس من النبي؛ فأما ما خرجت به من الذهب والفضة والجوهر والآنية، فذلك ما لا يحاط بعلمه. قال: وقدم علينا شيخٌ من المدينة، جيدٌ التجربة واللسان؛ فجعل يحدثنا عن الأندلس؛ فقلتُ له: «كيف علمت هذا؟» قال: «لأنني، والله! كنتُ ممن اشترى بها بحبات فلفل أقل من الفضة ما يساوي عدداً.»

وأقام موسى بالأندلس سنتين وشهراً؛ ثم رجع الى إفريقية، ونحوه بغلٍ أشهبٍ يسمى الكوكب. ولما انصرف عن قرطبة متوجهاً نحو إفريقية، حوّل وجهه الى قرطبة؛ فقال: «واهاً لك! يا قرطبة! ما أطيب تربنتك، وأشرف بُعنتك، وأعجب أمرك! ولعنك الله بعد الثلاثمائة سنة!» ثم مضى حتى وصل الخضراء، وأمر بالعجل؛ فحملت الذهب والفضة والجوهر والمتاع وأصناف متاع

الأندلس. وكان دخول موسى الأندلس سنة ٩٢، وهو ابن ستين سنة؛ وأقام
والياً بإفريقية ست عشرة سنة، وقفل منها سنة ٩٥.

ومن أخبار الأمير أبي عبد الرحمن موسى بن نصير

- رحمه الله تعالى!

لما دخل موسى إفريقية، وجدها قد فحطت فحطاً شديداً؛ فأمر الناس
بالصيام والخروج إلى المصلى، الرجال على حدة، والنساء على حدة، والصبيان
على حدة، وكذلك جميع البهائم مع أصنافها. فاجتمعوا في موضع واحد، ودعا
الله تعالى، ودعا الناس معه، وبكى، وبكوا، وبكى الصبيان والنساء، وصاحت
البقر والعجل والغنم والخرفان وأهل الديمة. فأقاموا كذلك حتى انتصف النهار.
ثم خطب الناس؛ فلم يلبث أن سقوا سقوا شافياً.

وخرج موسى من إفريقية، واستخلف عليها عبد الله ابنه. وحمل موسى معه
من إفريقية من وجوه البربر مائة رجل وعشرين ملكاً من ملوك الروم؛ فخرجوا
معه بأصناف ما كان في كل بلد من طرائفها وذهبها وفضتها وجوهرها وياقوتها،
ما لا يحصى ولا سيع بمثله، حتى انتهى إلى مصر؛ فلم يبق بها شريف، ولا فقيه،
ولا عظيم، إلا ودفع إلى سليمان بن عبد الملك عشرة آلاف دينار. ثم خرج من
مصر؛ فتوجه إلى فلسطين؛ فتلقاه آل روح بن زباع الجذامي؛ فنزل بهم؛ فنحروا
خمسين جملاً. ثم خرج من عندهم، وترك بعض أصحابه وصغار ولدك عندهم،
وأفرغ على آل روح بن زباع كثيراً من الكسي والوصائف والوصفان، وغير
ذلك من الأموال.

وكان موسى، قبل خروجه من المغرب، قدم عليه ولده مروان من السوس
الأقصى، وهو يجر الدنيا جرّاً. ولما وصل رسوله إلى أبيه، يعلمه به وبما يأتي به
من السبي، خرج إليه في وجوه الناس يتلقاه؛ فلما التقيا، قال مروان بن موسى:
«مرؤا لكل من يلقاني مع أبي بوصيفة وصيفة!» فلما أمر بذلك، سمع موسى

صباح الناس وضحجهم. ورأى حركاتهم؛ فقال: «ما هذا؟» فقالوا: «ابنك مروان أمر الناس بوصيفة وصيفة!» فقال لهم: «مروا لهم انتم بوصيف وصيف!» فانصرفوا الناس كئيبين. ومع كل واحد منهم وصيف ووصيفة.

وكان الوليد بن عبد الملك مريضاً مريضاً الذي مات منه. وكتب الى موسى بأمره سند السيرة اليه ليدركه قبل الموت. وكتب اليه سليمان أن يبطؤ في سيره. فعمل موسى كتاب الوليد، ولم يعمل كتاب سليمان، وجد في سيره. فغضب عليه سليمان. وقال: «والله! لئن ظفرت به، لأصلبته!» وكان سبب أمر الوليد لموسى بالعجلة ليحرم سليمان ما جاء به؛ وكان أمر سليمان له بترك الاستعجال ليحرم الوليد ووالده ما جاء به. فقدم موسى قبل موت الوليد وأماه بالخرائب من الدر والياقوت والزبرجد، والوصفاء والوصائف، ومائدة سليمان، والنيجان المكننة للدر والياقوت. فاستغرب الوليد ذلك، وأمر بمائدة سليمان؛ فكسرت، وعمد الى أرفع ما كان فيها من الجواهر وكل ما كان في النيجان وغيرها؛ فجعله في بيت المال. ثم لم يلبث أن مات وأفضت الخلافة الى سليمان أخيه؛ فبعث في موسى؛ فعنفه بلسانه، وقال: «والله! لأقلدن غرَبَكَ! ولا فرقتن جمعك! ولا أصغرنا من قدرك!» فقال موسى: «أما قولك سفل من غربي ونحن من قدرى. فإن ذلك بيد الله، وإلى الله لا إليك! وبه أستعين عليك!» فأمر به سليمان؛ فوقف في يوم صائف شديد الحر؛ وكان موسى رجلاً ضحماً. بادياً، ذا نسمة؛ فوقف حتى سقط مغشياً عليه؛ فنظر سليمان الى عمر ابن عبد العزيز - رضه -؛ فقال له: «يا أبا حفص! ما أراي إلا وقد برزت في يميني وخرجت عنه!» فقال عمر: «أجل! يا أمير المؤمنين!» فقال سليمان: «من يضمه اليه؟» فقام يزيد بن المهلب؛ فقال «أنا يا أمير المؤمنين أضمه إلى!» قال: «فضمه إليك ولا تضيق عليه!» فانصرف يزيد، وقدم

1) Ici reprise du ms. A.

2) B. ونحو.

3) A. عطية.

4-4) Manque dans B.

اليه دابة؛ فركبها موسى، وأقام عنده أياماً حتى حسن ما بينه وبين سليمان.
 وافتدى منه موسى بمال كثير. قيل: ألف ألف دينار، وقيل غير ذلك. ثم إن
 يزيد بن المهلب سهر ليلة عند موسى؛ فقال له: «يا أبا عبد الرحمن! في كم
 كنت تعتد من مواليك وأهل بيتك؟» فقال له موسى: «في كثير!» فقال
 يزيد: «يكونون ألفاً؟» فقال له موسى: «ألف وألف وألف الى منقطع
 النفس!» فقال له يزيد: «كنت على ما وصفت، وأقيت بيدك الى التهلكة!
 أفلا أقمت في فرار عزك وموضع سلطانك، وامتنعت بما قدمت به؟ فإن أعطيت
 الرضى، وإلا كنت على عزك وسلطانك!» فقال له: «والله! لو أردت
 ذلك، لَمَا نالوا من أطرافي طرفاً! ولا كنتي آثر الله ورسوله! ولم أر الخروج
 عن الطاعة والجماعة!»

وذكر أن سليمان قال لموسى: «ما الذى كنت تفرع اليه عند حروك
 ومباشرة عدوك؟» قال: «كنت أفرع الى النضرع والدعاء والصبر عند
 اللناء!» قال: «فأئ الخيل رأيتها في تلك البلاد أَسَقِي؟» قال: «الشُقرا!»
 قال: «فأئ الأمم كانوا أشد فتالاً؟» قال: «هم أكثر من أن أصفهم!»
 قال: «أخبرنى عن الروم!» قال: «أُسد في حصونهم، عَفِيان على خيولهم،
 نساء في مواكهم، إن رأوا فرصة انتهبوها، وإن رأوا غلبة، فأوعال تذهب في
 الجبال، لا يرون الهزيمة عاراً.» قال: «فأخبرنى عن البربر!» قال: «هم أشبه
 العجم بالعرب لفاء ونجدة وصبراً وفروسية، غير أنهم أَعَدُّوا الناس، لا وفاء لهم
 ولا عهداً.» قال: «فأخبرنى عن الأندلس!» قال: «ملوك مترفون، وفُرسان
 لا يخيبون.» قال: «فأخبرنى عن الإفرنج!» قال: «هناك العَدَدُ والعُدَّة،
 والجَلَدُ والشِدَّة، والبأس والنجدة!» قال: «فأخبرنى كيف كانت الحرب
 بينك وبينهم: أكانت لك أو عليك؟» فقال: «أما هذا، فوالله! ما هُزِمْتُ
 لى راية قط، ولا بُدِدَ جمعى، ولا نُكِبَ المسلمون معى، منذ افتحمت الأربعين
 الى أن بلغت الثمانين!» فضحك سليمان، وعجب من قوله. ثم دعا سليمان بِطَسْتٍ

من ذهب؛ فجعل يردد بصره فيه؛ فقال له موسى: «إنيك لتعجب من غير عجب! والله! ما أحسب أن فيه عشرة الاف دينار! والله! لقد بعثت الى أخيك الواليد بتنور من زبرجد أخضر، كان يُصب فيه اللبن، فيخضر وترى فيه الشعرة البيضاء؛ ولقد قوم بمائة ألف مثقال، وإنه لمن أدنى ما بعثت به اليه! ولقد أصبت كذا وأصبت كذا!» وجعل يعدد ما أصاب من الدر والياقوت والزبرجد، حتى بهت سليمان من قوله.

P. ٢١
وخرج سليمان يوماً ينصيد، ومعه موسى بن نصير؛ فمر في منية له بدود غم يكون فيها نحو ألف شاة؛ فالتفت الى موسى، وقال له: «هل كان لك مثل هذا؟» فضحك موسى وقال: «والله! لقد رأيت لأذني موالى أضعاف هذا!» فقال سليمان: «لأذني مواليك؟» فقال: «نعم والله! نعم والله!» ورددها مراراً؛ (1) ثم قال (1): «وما هذا فيما أفاء الله علي! لقد كانت الألف شاة تُباع بعشرة دراهم، كل مائة يدبرهم! ولقد كان الناس يثرون باليفر والغنم؛ فلا يلتفتون اليها! ولقد رأيت الدود من الإبل بدينار! ولقد رأيت العالج الفاره وامرأته وأولاده يباعون بخمسين درهماً!» قال: فعجب سليمان.

ثم حجَّ سليمان، وخرج موسى معه؛ وكان موسى من أعلم الناس بالنجوم. فلما احتل بالمدينة، قال لبعض إخوانه: «ليمتن بعد غد رجل قد ملأ ذكره المشرق والمغرب!» (2) فظن الرجل أنه الخليفة (2)؛ فمات موسى في اليوم الثاني. وصلى عليه مسلمة بن عبد الملك. وكان مولد موسى سنة ١٩، في خلافة عمر بن الخطاب - رضه - . قيل إنه من لحم؛ وقيل: من بكر بن وائل.

وقال ابن بشكوال في «كتاب الصلة» له: إنه موسى بن نصير بن عبد الرحمن بن زيد. وقال غيره: كان نصير ولأه معاوية بن أبي سفيان على خيله؛ فلم يقاتل معه علياً؛ فقال له: «ما منعك من الخروج معي على علي؟» وبدي عليك، ولم تكافني عليها؟» فقال: «لم يمكنني أن أشرك بكفر من هو

1-1) Manque dans A.

2-2) Manque dans A.

أولى بشكركى! فقال: «ومن هو؟» فقال: «الله - عز وجل!» قال: فأطرق معاوية ملياً؛ ثم قال: «أستغفرُ الله!» وعفا عنه.

وقال الليث بن سعد: لما قدم موسى بن نصير إفريقية حين الفتح، أخرج ابناً له يُسمى عبد الله إلى بعض نواحيها؛ فأتاه بمائة ألف رأس من السبي، أكثرهن وجوة كالبدور؛ ثم وجّه ابناً له يُسمى مروان إلى ناحية أخرى؛ فأتاه كذلك؛ ثم خرج هو بنفسه؛ فأتى بنحو ذلك. قال الليث: فبلغ الخمس ستين ألفاً. قال: فلم يسمع بمثل سبايا موسى في الإسلام.

P. ٢٢

وفي سنة ٩٥، كان خروج موسى من الأندلس إلى الشام، واستخلف ابنه عبد العزيز عليها.

ولاية عبد العزيز بن موسى بن نصير

واستخلف موسى على الأندلس ابنه عبد العزيز، وترك معه حبيب بن أبي عبدة بن عتبة بن نافع وزيراً له، ومُعِيناً. وأقام معهما بالأندلس من أراد سكناها. فلما وصل موسى إلى إشبيلية، أقرّ فيها ولد؛ فارتضاها قاعدة ملكه؛ ونزّوج بعد خروج أبيه أمّ عاصم امرأة رُذريق (واسمها أيله) وسكن معها بإشبيلية. فلما دخل بها، قالت له: «إِنَّ الملوك، إذا لم يتوجّوا، فلا ملك لهم! فلو عمِلتُ لك ممّا بقى عندي من الجواهر والذهب تاجاً؟» فقال لها: «ليس ذلك في ديننا.» فقالت له: «ومن أين يعرف أهلُ دينك ما أنت فيه في خلوتك؟» فلم تنزل به حتى فعل. فبينما هو ذات يوم جالسٌ معها، والتاج على رأسه، إذ دخلت عليه امرأة كان قد تزوّجها زياد بن نايغة التميمي، من بنات ملوكهم؛ فعابته، والتاج على رأسه. فقالت لزياد: «إلا أعمل لك تاجاً؟» فقال لها: «ليس في ديننا استحلّال لباسه!» فقالت له: «ودين المسيح!

إنه على رأس ملككم وإمامكم!»، فأعلم بذلك زياد حبيب بن أبي عبدة؛ ثم تحدثنا بذلك حتى علمه خبار الجند؛ فلم يكن له هم إلا كشف ذلك، حتى رآوه عياناً. فقالوا «قد نصرنا!» ثم هجموا عليه. فقتلوه. «وأكثر الناس على أن دونه الحكمة لا تصح، وإنما قتلوه بأمر سليمان لهم بذلك إذ تكب والده¹.

وقال الواقدى: إن التي تكح بعد خروج أبيه هي ابنة رذريق؛ فجاءته من الدنيا بما لا يوصف. فلما دخلت عليه، قالت له: «ما لي لا أرى أهل مملكتك يعظمونك، ولا يسجدون لك. كما كان أهل مملكة أبي يفعلون له؟» فأمر بباب، فنقب في ناحية قصره، وجعله قصيراً؛ فكان يأذن للناس منه؛ فيدخل الداخل منكساً رأسه قبالة لفص الباب؛ وقد جعل لها مجلساً، تنظر منه إلى الناس إذا دخلوا عليه من حيث لا يرونها. فلما رأتهم على ذلك، ظنت أنهم يسجدون له. فقالت لعبد العزيز: «الآن قوی مملکت!» وبلغ الناس ما أراد بذلك الباب؛ فنار به حبيب بن أبي عبدة الفهري، وزياد بن عذرة البلوي، وزياد بن نايغة التميمي، ومن معهم من العاس؛ فقتلوه. وقيل أيضاً: إنما قتلوه لأنه خلع طاعة سليمان بن عبد الملك، إذ بلغه قتل أخيه وما صنع بأبيه. قال الرازي: لما قتل موسى بن نصير، استخلف ابنه عبد العزيز على الأندلس؛ فضبط سلطانها، وسد ثغورها، وافتتح مدائن كثيرة. وكان من خير الولاة، إلا أن مدته لم تطل، لوثوب الجند عليه وقتلهم له، لأشياء نفىها عليه. وكان قتله صدر رجب من سنة ٩٧، بمدينة إشبيلية، بمسجد ربيعة². ولما دخل المحراب، قرأ فاتحة الكتاب؛ ثم قرأ سورة الواقعة³؛ فعلاه من خلفه زياد ابن عذرة البلوي بالسيف؛ فقتله، وهو يقول: «قد حفت عليك يا ابن الناعلة!» فكانت ولايته سنة واحدة وعشرة أشهر.

وذكر أيضاً أن سليمان بعث إلى الجند يأمرهم بقتله، عند سخطه على أبيه، وأنهم، لما قتلوه، حزوا رأسه. وقدم به على سليمان حبيب بن أبي عبدة الفهري. P. ٢٤

1—1) Manque dans A.

2) ربيعة B.

3) الحاقة B.

فقبل إنَّه عرض الرأس على والدك، وهو في محبسه؛ فتجلد لحرِّ المصيبة، وقال: «هنيئاً له الشهادة¹⁾! قتلتم، والله! صَوَّاماً قَوَّاماً!» قال الرازي: فكانوا يعدُّون فعل سليمان هذا موسى وابنه من كبار زلَّاته التي لم نزل تُنقم عليه. ومكث أهل الأندلس شهوراً لا يجمعهم وال، حتى اجتمعوا على أيُّوب بن حبيب اللخمي، ابن أخت موسى بن نصير.

ذِكْرُ وِلايَةِ أَيُّوبَ بْنِ حَبِيبِ الأَنْدَلُسِ

ثم اجتمع أهل الأندلس على تقديم أيُّوب هذا، يومئذ لصلاحتهم؛ وكان رجلاً صالحاً. وأقاموا مدةً دون أمير، ونقلوا دار السلطان إلى قرطبة. فنقدم أيُّوب ابن حبيب، واحتلَّ بقصر قرطبة؛ وكان مُغيث قد اختطفه لنفسه. فذكر أن موسى ابن نصير، حين أقبله رسول الوليد، رجع في قفوله على طريق طارق ليختار الأندلس؛ فنزل قرطبة وقال لمُغيث: «إنَّ هذا القصر لا يصلح لك. وإنما يصلح للعامل الذي يكون بقرطبة.» فتجى عنه يومئذ. ونزله بعد ذلك أيُّوب ابن حبيب. فكانت ولايته سنةً أشهر.

وِلايَةُ الحُرِّ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الشَّقَفِيِّ

لما ولي سليمان بن عبد الملك محمد بن يزيد، مولى ابنة الحكم بن العاصي، إفريقية، كانت الأندلس وطنجة إلى صاحب إفريقية. فوجه محمد بن يزيد الحُرَّ ابن عبد الرحمن هذا عاملاً على الأندلس، في أربعمائة رجل من وجوه إفريقية. فبنى الحُرُّ والياً عليها ثلاث سنين؛ فنقل الحُرُّ هذا الإمارة من إشبيلية إلى P. ٢٥ قرطبة. وكان قدوم الحُرِّ الأندلس سنة ٩٩ من الهجرة.

1) B. الحجة

ولاية السَّمْح بن مالك الخولاني

ثمّ ولي أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز - رضه - السَّمْح بن مالك على الأندلس، وأمره أن يحمل الناس على طريق الحق، ولا يعدل بهم عن منهج الرفق، وأن يجتس ما غلب عليه من أرضها وعقارها، ويكتب إليه بصفة الأندلس رأبها. وكان رأيه نقل المسلمين منها وإخراجهم عنها، لانقطاعهم عن المسلمين واتصالهم بأعداء الله الكفار؛ فقبل له: «إن الناس قد كثروا بها، وانتشروا في أقطارها؛ فأضرب عن ذلك!» فقدم السَّمْح الأندلس، وامتل ما أمره به عمر - رضه - من القيام بالحق، وإتباع العدل والصدق؛ فانفرد السَّمْح بولايتها؛ وعزلها عمر عن ولاية إفريقية، اعتناء بأهلها، ونهماً بشأنها.

وكان المسلمون، إذ فتحوا قرطبة، وجدوا بها آثار فنطرة فوق نهرها، على حنايا وناق الأركان من تأسيس الأمم الدائرة، قد هدمها مدود النهر على مرّ الأزمان. فنتقدم إلى فضيلة النظر فيها عمر بن عبد العزيز - رضه - عند ما اتصل به خبرها؛ فأمر السَّمْح بابتنائها؛ فصنعت على أتم وأعظم مما بُني عليه جسر من حجارة سور المدينة.

وفي سنة ١٠١، ورد كتاب أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز على السَّمْح بن مالك بالأندلس، يأمره ببناء الفنطرة بصخر السور، وبناء السور باللبن، ويأمره بإخراج خمس قرطبة. فخرّج من الخمس البطحاء المعروفة بالربض. فأمر الخليفة عمر أن يتخذ بها مقبرة المسلمين؛ فتم ذلك.

وقتل السَّمْح - رحمه الله! - بطرسونة، وذلك أنه غزا الروم في سنة ١٠٢؛ فاستشهد - رحمه الله! - يوم عرفة؛ فكانت ولايته سنتين وأربعة أشهر. وقيل: ثمانية أشهر؛ وقيل: ثلاث سنين.

ولاية عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي الأندلسي

ثمّ قدم أهل الأندلس على أنفسهم عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي هذا؛ فدخلها في شهر ذي الحجة سنة ١٠٢.

ولاية عَنبَسَةَ بن سَحِيم الكَلْبِيِّ

ثم ولى يزيد بن أبي مسلم عامل إفريقية على الأندلس عَنبَسَةَ بن سَحِيم هذا؛ فدخلها في شهر صفر. فلما قُتل يزيد بن أبي مسلم، كان على إفريقية محمد بن يزيد، مولى الأنصار، على ما ذكره الطبري، بتقديم أهل إفريقية، وإقرار يزيد بن عبد الملك إياه.

وفي سنة ١٠٢، كان العامل على إفريقية من قبل يزيد بن عبد الملك بشر بن صفوان، أخو حنظلة؛ فأقر عَنبَسَةَ على الأندلس؛ فكانت ولاية عَنبَسَةَ كلها أربع سنين وثمانية أشهر؛ وقيل غير ذلك.

وفي سنة ١٠٥، خرج عَنبَسَةَ غازياً للروم بالأندلس، وأهلها يومئذ خيَّار، فضلاء، أهل نيّة في الجهاد وحسبة في الثواب؛ فألح على الروم في القتال والحصار، حتى صالحوه. وتوفي عَنبَسَةَ في شعبان سنة ١٠٧؛ فكانت ولايته كما ذكرنا.

ولاية يحيى بن سلمة الكَلْبِيِّ

وذلك أنه، لما توفي عَنبَسَةَ، قدم أهل الأندلس على أنفسهم رجلاً من العرب، يُقال له عذرة، إلى أن ورد بعد شهرين يحيى بن سلمة الكَلْبِيُّ والياً من عند أمير المؤمنين هشام بن عبد الملك*، في آخر سنة ١٠٩؛ فكانت ولايته P. ٢٧ ستين وستة أشهر.

ومات بشر بن صفوان بإفريقية؛ فولى هشام بن عبد الملك مكانه عبّدة ابن أبي الأعور السلمي.

ولاية حذيفة بن الأحوص

ثم ولى الأندلس حذيفة بن الأحوص الأشجعي؛ وقيل: القيسي؛ ولأه عليها عبّدة بن عبد الرحمن السلمي عامل إفريقية من قبل هشام بن عبد الملك، في سنة ١١٠؛ فكانت ولايته ستة أشهر.

ولاية عثمان بن أبي نسعة

ثم ولي عبيدة بن عبد الرحمن بن أبي الأعمور السلمى على الأندلس عثمان ابن أبي نسعة الحثعمي؛ فقدمها في شعبان سنة ١١٠؛ وكانت ولايته خمسة أشهر؛ وقيل: ستة أشهر؛ ثم عزل وانصرف إلى القيروان؛ فمات بها.

ولاية الهيثم بن عبيد الكِنَانِي

ثم ولي الأندلس الهيثم بن عبيد الكِنَانِي، في صدر سنة ١١١؛ وكانت ولايته عشرة أشهر؛ وقيل غير ذلك؛ وهو الذي غزا مئونة^١، وأقام والياً عشرة أشهر، كما ذكرنا؛ وقيل: سنة وشهرين؛ ثم توفي.

ولاية محمد بن عبد الله الأشجعي

ثم قدم أهل الأندلس على أنفسهم محمد بن عبد الله الأشجعي؛ فكانت ولايته شهرين؛ وقيل غير ذلك.

• ولاية عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي الثانية

P. ٢٨

ثم ولي الأندلس عبد الرحمن هذا ثانية؛ فكان دخوله إليها في صفر سنة ١١٢؛ فأقام والياً سنتين وسبعة أشهر؛ وقيل: وثمانية أشهر. واستشهد في أرض العدو في رمضان سنة ١١٤.

ولاية عبد الملك بن قطن

ثم ولي عبد الملك بن قطن بن نقيل بن عبد الله الفهري؛ فدخلها في شهر رمضان المذكور الذي توفي فيه عبد الرحمن الغافقي. فأنهاه قد استشهد. وقيل: دخلها في شوال من سنة ١١٤. وكانت ولايته سنتين؛ وقيل غير ذلك.

١) مئونة.

ولاية عقبة بن الحجاج السلولي

ثم ولي عقبة بن الحجاج السلولي في شوال سنة ١١٦. وقالوا: في ولايته كان عبيد الله بن الحجاج عاملاً بمصر وإفريقية؛ فقدم عليه عقبة بن الحجاج، وكان مولاه؛ فأكرمه، وبرّه، ورفع شأنه وقدره، وأبراه في مكانه، وخيره في ولاية ما شاء من سلطانه. وكان الحجاج أبو عقبة قد أعتق الحجاج أبا عبيد الله؛ فولى هشام بن عبد الملك عبيد الله بن الحجاج بمصر وإفريقية والأندلس؛ فكان له من العرش إلى طنجة إلى السوس الأقصى إلى الأندلس وما بين ذلك؛ وكان أحد بنيه بمصر، والثاني بالسوس وطنجة، والثالث بالأندلس؛ وكان عبيد الله بإفريقية. فلما شرف عبيد الله، وعلت منزلته. وانتشر ذكره، وقد عليه مولاه عقبة؛ فأجلسه معه على فراشه، وأدناه من نفسه، وقربه. حتى عظمت منزلته في الناس؛ فكان يفصده الطالبون وذوو الحاجات، يتوسلون به إلى عبيد الله. P ٢٩
فغصّ به يوم عبيد الله، وقالوا لوالدهم: «اصرفه عنا لئلا تكسر شرفنا!» فما زاده ذلك عند إلا تعظيماً ونكرباً. وخيره في ولاية ما شاء من سلطانه؛ فاختار الأندلس؛ فولاه عليها. وكان يجاهد المشركين في كل عام، ويفتح المدن. وهو الذي فتح مدينة أربونة. وافتتح جليقية ونبيلونة، وأسكنها المسلمين. وعمت فتوحاته جليقية كلها غير الصخرة؛ فإنه لجأ إليها ملك جليقية، وكان بها في ثلاثمائة راجل. فما زال المسلمون يضيقون عليهم، حتى صاروا ثلاثين رجلاً، وحتى فبيت أزودتهم. ولم يتفوتوا إلا بعسل يجذونه في خروق الصخرة. وأعجب المسلمين أمرهم؛ فتركوهم. وأقام عقبة بالأندلس بأحسن سيرة وأجملها، وأعظم طريفة وأعدلها، إلى أن غزا أرض إفريقية؛ فلقبته جيوش الأعداء؛ فقتل هو ومن معه ببلاط الشهداء. وذكر عنه أنه كان صاحب بأس ونجدة، ونكاية للعدو وشدة. وكان إذا أسر الأسير، لم يقتله حتى يعرض عليه دين الإسلام. ويفتح له عبادة الأصنام. فيذكر أنه أسلم على يديه بهذا الفعل ألف رجل. وكانت ولايته خمسة أعوام وشهرين.

وقيل إنَّ أهل الأندلس ثاروا على عُقْبَةَ بنِ الحَجَّاجِ وخلعوه. قال ابن
الْفَطَّان: وقيل إنَّ عُقْبَةَ بنِ الحَجَّاجِ، لما حانت وفاته، استخلف عبد الملك بن
قَطَن. قال: وأقام عُقْبَةَ على الأندلس والياً الى سنة ١٢١.

ولاية عبد الملك بن قطن الفهري ثانية

وفي سنة ١٢٢، ولي عبد الملك بن قطن ثانية، حتى كان من أمر البربر
P. ٢٠ وبلج بن بشر، ابن أخي كلثوم بن عباس عامل إفريقية، ما أذكره. قال ابن
الْفَطَّان: وذلك أنَّ هشام بن عبد الملك كان قد ندب كلثوماً لقتال البربر،
وولاه إفريقية، وبعث معه ثلاثين ألف فارس: عشرة آلاف من صلب بني أمية؛
وعشرين ألفاً من العرب؛ وعهد إليه في سد إفريقية وضبطها، إذ كانوا يجردون
في الروايات أنَّ ملكهم يزول، وأنَّ ملك بني العباس لا يجاوز الزاب. فتوهمته
بنو أمية زاب مصر، وإنما كان زاب إفريقية. فأمره بالجد في أمر إفريقية،
ليجئوا إليها إذا ذهب ملكهم؛ وعهد، إن حدث بكلثوم حدث، أن يكون
ابن أخيه بلج مكانه؛ فدارت بينه وبين البربر حروب عظيمة، هزموا في بعضها
كلثوماً وقتلوه. وصار أمر العرب بإفريقية الى بلج بالعهد المذكور.

ولجأ فلهم الى سبتة، حتى ضاق عليهم الأمر ضيقاً عظيماً؛ فكتب بلج
وأصحابه عبد الملك بن قطن صاحب الأندلس، وسأله إدخاله وإدخال من معه
من الجند. وذكروا له ما صاروا إليه من الجهد، وأنهم قد أكلوا دوابهم. فأبى
عبد الملك من إدخالهم، ولم يأمنهم، ومطلهم بالميرة والسمن. واتفق أن تطاولت
البربر أيضاً بالأندلس، وفاضحوا العرب، وظهروا على الساكنين منهم بجليقة
وغيرها؛ فقتلوه، وطردهم. فلما ورد فل العرب على عبد الملك بن قطن،
ورأى عادية البربر، اضطرَّ لأجل ذلك الى إدخال بلج وأصحابه؛ فكتبهم،
وشرط عليهم مقام سنة بالأندلس، ثم يخرجون عنها؛ فرضوا بذلك. فأخذ منهم
رهائن أنزلهم بجزيرة أم حكيم، وهي على الخضراء. ثم أدخل بلجاً وأصحابه عراً،

لا يُؤارِبهم إِلَّا دَوَابُّهم^١، وقد بلغ بهم الجَهْدُ غايته. وكانوا نحو عشرة آلاف من عَرَبِ الشَّامِ. فلما دخلوا، كسَاهم عَرَبُ الأندلس على قدر أقدارهم؛ فَرَبَّ رجل يكسو مائة رجل، وَاخْرُ عشرة، وَاخْرُ واحدًا، الى ما بين ذلك.

فلما حلُّوا * بالخضراء، اجتمع بهم عبد الملك بن قَطْن؛ وكان بشَدُونَة جمع P. ٢١ من البربر، عليهم رجل زَنَاتِي؛ فبدأ عبد الملك بِمَقَاتِلَتِهِمْ في وادي الفتح من شَدُونَة؛ فلم يكن للعرب فيهم إِلَّا نَهْضَةٌ، حتَّى آبادوهم، وأصابوا أَمْنَعَتَهُمْ ودَوَابَّهُمْ. فاكنت أصحابُ بَلْج، وانعشوا، وأصابوا الغنائم. ثمَّ نهضوا مع عبد الملك الى قُرْطُبَة؛ ثمَّ ساروا بأجمعهم الى جهة طَلَبُطْلَة، وقد اجتمع هنالك مُعْظَمُ البربر؛ فكانت هزيمتهم العظيمة هنالك بوادي سَابِط من حَوْزِ طَلَبُطْلَة، بعد أن زحف عبد الملك وبلج اليهم بعَرَبِ الأندلس، حاشا عَرَبِ سَرَقُسطَة وثغورها. وزحف البربر بأجمعهم؛ فهزمهم العرب، وقتلوا منهم في الهزيمة الآلاف.

ذِكْرُ ولاية بَلْج بنِ يَشْرِ القَشِيرِيِّ الأندلس

قال من له عناية بالأخبار: دخل بَلْج الأندلس سنة ١٢٣، في ذي القعدة منها، وملكها بعد ذلك؛ وذلك أَنَّهُ، لما آباد ابنُ قَطْن البربر بالأندلس، من كان معه من العرب، وبأصحاب بَلْج، قال لبَلْج وأصحابه: «اخرجوا من الأندلس على ما شُورِطْتُمْ عليه!» فقال بَلْج: «احمِلْنَا الى ساحلِ البيرة أو ساحلِ تَدْمِير!» فقال لهم عبد الملك: «ليست لنا مراكبُ إِلَّا بالجزيرة!» فقالوا له: «إنما نريد أن نردنا الى البربر ليقتلونا في بلادهم!» فلما أَلَحَّ عليهم في الخروج، نهضوا اليه؛ فأخرجوه من قصر قُرْطُبَة الى داره بالمدينة. ودخل بَلْج القصر عشية يوم الأربعاء في صدر ذي قعدة من السنة. وكان بَلْج، وقت جوازه عن سِنْتَة، قد أعطى رهائن لابن قَطْن، جعلهم ابنُ قَطْن بجزيرة أمِّ حَكِيم؛ فضاغوا مدة الفتنه بين بَلْج وابن قَطْن، والجزيرة المذكورة دون ماء؛ فمات رجلٌ من غَسَّان عطشاً، وكان من الرهائن، من أشرف * دِمَشق.

١) Sic dans A. et B. Dozy propose de lire: دوابهم [براذع].

مقتل عبد الملك بن قطن الفهري

لما ملك بلج الأندلس، واستولى عليها، طلب منه الجند أن يعطيهم ابن قطن في الغساني المذكور؛ فتوقف بلج؛ فألح الجند، ونارت اليمن كلها على كلمة واحدة. وكان ابن قطن شيخاً هريماً، قد بلغ التسعين؛ وكان قد حضر يوم الحرّة، ومنها فرّ إلى إفريقية؛ وكان يومئذٍ بداره بقرطبة؛ فأخرجه الجند منها، كأنه فرخ نعام من الكبر، وهم نادونه: «أفلت من سيوفنا يوم الحرّة؛ فطلبنا بثأرنا في أكل الدواب والجلود؛ ثم أردت إخراجنا إلى القتل!» ثم قتلوه، وصلبوه، وصلبوا خنزيراً عن يمينه، وتنبأ عن شماله.

ثم إن أمية وقطناً ابني عبد الملك بن قطن حشداً في جهة سرقسطة. وكانا قد هربا من قرطبة وقت إخراج أبيهما منها، وجاءا إلى بلج طالبين بثأرها، وهما في سيف على مائة ألف من العرب القدماء والحدث؛ فخرج إليهما بلج، وهو في أقل من خمس عددهما؛ فافتتلوا قتلاً شديداً. ثم انهزم ابن عبد الملك ومن معها هزيمة عظيمة؛ وانصرف أصحاب بلج ظافرين، وقد امتلأت أيديهم وأنفسهم غنماً وانصراً وسروراً، إلا أن بلجاً أميرهم وقيد من جراحه أصابته في المعركة، ومات بعد أيام. وكانت مدة إمارته اثني عشر شهراً. واختلف في ذلك. قال أبو عمر السالمي: إن تلك المعركة انجبت عن أحد عشر ألف قتيل، وإن عبد الرحمن بن علقمة فوق سبها إلى بلج؛ فأصاب مقتله. قال هذا في «كتاب دُرر القلائد وغرر النوائد»^١. وقال في «كتاب بهجة النفس»: إن عبد الرحمن ابن علقمة المذكور قتل بالسيوف، وإن ولاته ستة أشهر. والأول أصح.

* ولاية تعلبة بن سلامة العاملي الأندلس

P. ٢٢

وفي سنة ١٢٤، في شوال، ولي الأندلس تعلبة بن سلامة، ولأه أهل الشام؛ وذلك أن هشام بن عبد الملك كان قد عهد أن يتولى أمر الجيش، إذ جهزه

من الشام، كُنُثُومُ (١) بن عِيَاض (١)؛ فَإِن أُصِيبَ، فَإِن أَخِيهِ بَلَجٌ؛ فَإِن أُصِيبَ، فَتُعَلْبَةُ. فَأَقْعَدَ أَصْحَابُهُ تُعَلْبَةَ بن سَلَامَةَ بِمَا عَاهَدَ بِهِ هِشَامٌ إِلَيْهِمْ، وَبَايَعُوهُ. وَثَارَ مِنْ بَقِيٍّ مِنَ الْبَرَبْرِ بِمَارِدَةَ فِي أَيَّامِهِ؛ فَغَزَاهُمْ، وَقَتَلَ مِنْهُمْ خَلْقًا كَثِيرًا، وَأَسَرَ مِنْهُمْ نَحْوَ الْأَلْفِ؛ وَانصَرَفَ إِلَى قُرْطُبَةَ. فَسَارَ بِأَحْسَنِ سِيرَةٍ. وَكَانَتْ وِلَايَتُهُ عَشْرَةَ أَشْهُرًا. هَذَا مَسَاقُ ابْنِ النَّطَّانِ. وَمِنْ «دُرَرِ الْقَلَائِدِ»: كَانَ يَبِيعُ ذَرَارِيَّ أَهْلِ الْبَلَدِ، وَيَجْمَعُهُمْ أَسْرَى، وَيُرْهِقُهُمْ مِنْ أَمْرِهِمْ عُسْرًا. فَكَانَ تُعَلْبَةُ مَعَهُمْ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ، إِلَى أَنْ وَرَدَ أَبُو الْخَطَّارِ.

ذِكْرُ وِلَايَةِ أَبِي الْخَطَّارِ الْحُسَامِ بنِ خِرَارِ الْكَلْبِيِّ الْأَنْدَلُسِيِّ

وَفِي سَنَةِ ١٢٥، رَكِبَ أَبُو الْخَطَّارِ الْبَحْرَ مِنْ نَاحِيَةِ تُونِسَ فِي الْمَحْرَمِ، وَحَلَّ بِقُرْطُبَةَ؛ فَالْفَى تُعَلْبَةَ بن سَلَامَةَ بِالْمُصَارَاةِ، وَمَعَهُ الْأَسْرَى وَالسَّبْيُ مِنْ عَرَبِ قُرْطُبَةَ، فَدِ اشْتَبَكَ فِي الْحَبَالِ الْوَلَدُ بِالْوَالِدِ؛ فَأَمَرَ أَبُو الْخَطَّارِ بِإِطْلَاقِهِمْ، وَحَلَّاهُمْ مِنْ وَثَاقِهِمْ؛ وَجَمَعَ النَّاسَ بَعْدَ افْتِرَاقِهِمْ، وَصَرَفَهُمْ إِلَى مَعْهُودِ اتِّفَاقِهِمْ؛ فَدَانَتْ لَهُ جَمَاعَتُهُمْ، وَفَرَّقَ أَهْلَ الشَّامِ عَلَى الْكُورِ، وَنَظَرَ لِسَوَاهِمِ أَيْضًا بِأَحْسَنِ النَّظَرِ؛ فَأَنْزَلَ أَهْلَ دِمَشْقَ بِالْبَيْرَةِ، أَهْلَ الْأُرْدُنِّ بِرَبْيَةَ، وَأَهْلَ فِلَسْطِينَ بِشَدُّونَةَ، وَأَهْلَ حِمَصَ بِإِشْبِيلِيَةَ، وَأَهْلَ قَنْسَرِينَ بِحَيَّانَ، وَأَهْلَ مِصْرَ بِبَاجَةَ، وَبَعْضَهُمْ * بِتَدْمِيرَ. P. ٢٤

وَكَانَ إِنْزَالُهُمْ عَلَى أَمْوَالِ الْعَجَمِ مِنْ أَرْضِ وَنَعَمٍ. وَدَخَلَ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ الصُّبَيْلُ بن حَاتِمٍ - وَسَيَاتِي ذِكْرُهُ - وَتَعَصَّبَ الْمِصْرِيِّونَ مَعَهُ، وَأَتَوْا إِلَى قُرْطُبَةَ، حَيْثُ أَبُو الْخَطَّارِ؛ فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ دُونَ عِدَّةٍ؛ فَهَزَمَهُ الْقَوْمَ، وَقَبِضُوا عَلَيْهِ، وَأَنْقَلَبُوا بِالْحَدِيدِ رِجْلَيْهِ. ثُمَّ إِنَّهُ أَفَلَتْ مِنْ كَيْبَاهِ، وَمَدَّ مَا انْقَبَضَ مِنْ حَبْلِهِ (٢).

وَمِنْ «كِتَابِ بَهْجَةِ النَّفْسِ»، قَالَ: لَمَّا هَزَمَ تُعَلْبَةُ الْبَرَبْرَ، سَبَى ذَرَارِيَهُمْ، وَلَمْ يَكُنْ قَبْلُ بَلَجٌ وَلَا غَيْرُهُ يَنْعَرِّضُ لِلذُّرِّيَّةِ سِوَاهُ. فَأَقْبَلَ إِلَى قُرْطُبَةَ بَعْدَ مَنْ السَّبْيِ كَثِيرًا، حَتَّى نَزَلَ طَرَفَ الْمُصَارَاةِ مِنْ قُرْطُبَةَ، وَمَعَهُ الْأَسْرَى وَالسَّبْيُ مِنْ

1-1) Manque dans A.

2) A. رجليه.

عرب البلد والبزير، وهو يبيع السبي في النداء، ويعبث ويبيط؛ فكان يبيع الشيوخ والأشراف ممن ينقص، لا ممن يزيد؛ وكان فيهم علي بن الحُصَيْن، والحارث بن أسد من أهل المدينة؛ فابتدا المُنَادِي عليهما بعشرة دنانير؛ فلم يزل مُنَادِي: «من ينقص؟» حتى باع أحدهما بعُتُود¹، والآخر بكَلْب. فبينا هو على هذه الحال من العبث والبغى، وقد أوقف رجالهم، وأبرزهم للقتل، وذلك يوم جمعة، إذ قدم أبو الحَطَّار؛ فالتفاهم بهذه الحال. فأمر بإطلاقهم؛ فسُمِّي ذلك العَسْكَرُ عَسْكَرَ العَاقِبَةِ. وكان أهل الأندلس طلبوا من صاحب إفرينية حَنَظَلَةَ ابن صَنُوان عَمِيلاً يجمع كَلِبَتِهِمْ، إذ كانت الكَلِمَةُ مفترقةً، والقتل ذريعاً، ولا يأمنون تغلب العدو عليهم؛ فأرسل إليهم أبا الحَطَّار هذا. واجتمع على أبي الحَطَّار أهل الشام وعربُ البلد، ودانت له الأندلس. ثمَّ أنه آمن ابنى عبد الملك بن قَطَن، وأنزل أهل الشام في الكُور، وتعصَّب لليمانية، واعتزل قيساً؛ فكان ذلك سبب نوثب الصَّمِيل بن حاتم عليه مع مُضَرَ، بعد أن ولي ستينين؛ وقيل:
² تسعة أشهر؛ وقيل: ثلاث سنين.

• ذكر الصَّمِيل بن حاتم وسبب الفِتْنَةِ

P. ٢٥

قال في «كتاب بهجة النفس»: كان الصَّمِيل بن حاتم هذا جدَّه شير قاتلَ الحُسين - رضه - وهو من أهل الكوفة؛ فلما قتله، تمكَّن منه المُختار بن أبي عبيد؛ فقتله، وهدم داره؛ فارتحل مع ولده من الكوفة، وصاروا بالجزيرة؛ ثمَّ صاروا في جُندِ قِنَسْرِينَ. فرأس الصَّمِيلُ بالأندلس، وفاق بالنجدة والسخاء. فاغتمَّ أبو الحَطَّار به؛ فدخل عليه يوماً، وعنده المجد؛ فأحبَّ كثره؛ فأمر عليه؛ فشتمَّ، وليكزبه فخرج عنه مُغَضِباً، وأتى داره؛ ثمَّ بعث إلى خيار قومه؛ فشكا إليهم ما لقي؛ فقالوا: «نحن تبعك!» فقال: «والله! ما أحبُّ أن أعرضكم للنضاعية ولا لليمانية! ولاكني سأتلطف، وأدعو إلب³ مَرَج رَاهِط، وأدعو

1) بعود. B.

2) Le و manque dans A.

3) B. الفة.

لغماً وجُدَاماً، ونفدِم رجلاً يكون له الاسمُ ولنا المخطئ.» فكتبوا الى ثَوَابَةَ بنِ
سَلَامَةَ الجُدَامِيّ من أَهْلِ فِلَسْطِينِ؛ ثُمَّ وَفَدُوا عَلَيْهِ؛ فَأَجَابَهُمْ، وَأَجَابَتْهُمُ أَخْمُ
وَجُدَامُ. فَبَلَغَ ذَلِكَ أَبَا الْخَطَّارِ؛ فَغَزَاهُمْ؛ فَلَقِيَ ثَوَابَةَ؛ فَهَزَمَهُ ثَوَابَةَ، وَأَسْرَهُ. وَسَارَ
ثَوَابَةَ حَتَّى دَخَلَ قَصْرَ قُرْطُبَةَ، وَأَبُو الْخَطَّارِ مَعَهُ فِي قَيْودِهِ. ثُمَّ إِنَّهُ أَفْلَتَ،
كَمَا ذَكَرْنَا.

ثُمَّ وَلى ثَوَابَةَ سِتِّينَ. وَلَمَّا وَلى ثَوَابَةَ سَنَةَ ١٢٨، اسْتَجَاشَ أَبُو الْخَطَّارِ الْبِشَاطِيَّةَ،
وَدَعَا لِلنُّصْرَةِ عَلَى الْبُضْرِيَّةِ؛ فَاجْتَمَعَ لَهُ إِذْ ذَاكَ حِفْلٌ وَعَسْكَرٌ ضَخْمٌ، وَأَقْبَلَ
إِلَى قُرْطُبَةَ؛ فَخَرَجَ ثَوَابَةَ بنِ سَلَامَةَ إِلَى لِقَائِهِ. فَافْتَرَقَ النَّاسُ عَنِ أَبِي الْخَطَّارِ، P. ٢٦
وَنَفَرُوا عَنِ تَلْقَائِهِ. وَتَوَفَّى إِثْرَ ذَلِكَ ثَوَابَةَ فِي السَّنَةِ الْمَذْكُورَةِ؛ وَكَانَتْ وِلَايَتُهُ كَمَا
ذَكَرْنَا. فَلَمَّا تَوَفَّى ثَوَابَةَ، عَادَتِ الْحَرْبُ إِلَى مَا كَانَتْ عَلَيْهِ؛ فَأَرَادَتِ الْبِشَاطِيَّةُ أَنْ
تُعِيدَ أَبَا الْخَطَّارِ؛ فَأَبَتْ ذَلِكَ مُضَرُّ مَعَ الصَّمِيلِ؛ وَتَشَاكَسَ الْفَرِيقَانِ. وَأَقَامَتِ
الْأَنْدَلُسُ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ مِنْ غَيْرِ وَاِلٍ، إِلَّا أَنَّهُمْ قَدَّمُوا عَبْدَ الرَّحْمَنِ بنِ كَثِيرِ
الْخَمِيَّ لِلنَّظَرِ فِي الْأَحْكَامِ. وَصَارَ أَمْرُ الشَّامِ وَمُلُوكِهِ مَتَغَيِّرَ الْحَالِ؛ (فَقَتَلَ يَزِيدُ
الْوَلِيدَ، وَصَارَتْ إِلَيْهِ أحوالُ بَنِي مَرْوَانَ¹).

وَلَايَةُ يُوْسُفَ بنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْفِهْرِيِّ الْأَنْدَلُسِيِّ

لَمَّا تَفَاقَمَ الْأَمْرُ، وَكَثُرَ الْاِخْتِلَافُ بَيْنَ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ، تَرَاضَوْا وَأَتَّفَعُوا عَلَى
تَوَلِيَةِ يُوْسُفَ بنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْفِهْرِيِّ، وَعَلَى أَنْ يَدْعُوَ لِبِجِيِّ بنِ حُرَيْثِ كُورَةَ
رِيَّةَ؛ فَتَرَكْتُ لَهُ طَعْمَةً. وَقَدْ كَانَتْ قُضَاعَةُ اجْتَمَعَتْ قَبْلَ ذَلِكَ، وَقَدَّمُوا عَلَى
أَنْفُسِهِمْ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بنِ نَعِيمِ الْكَلْبِيِّ؛ فَجَمَعَ مَائَتِي رَاجِلٍ وَأَرْبَعِينَ فَارِسًا؛ فَبَيْتَ
الْقَصْرَ بِقُرْطُبَةَ، وَقَاتَلَ الْأَحْرَاسَ، وَهَجَمَ عَلَى السَّجْنِ؛ فَأَخْرَجَ أَبَا الْخَطَّارِ، وَهَرَبَ
بِهِ إِلَى لَبْلَةَ²؛ فَأَقَامَ فِي كَلْبٍ وَقِبَائِلٍ مِنْ حِمِصَ؛ فَاسْتَفْوَهُ وَمَنَعُوهُ، وَلَمْ يُجَدِّثْ
شَيْئًا حَتَّى اجْتَمَعَ النَّاسُ عَلَى يُوْسُفَ. فَلَمَّا اسْتَقَامَ لَهُ الْأَمْرُ، غَدَرَ بِيَجِيَّ بنَ

١) B. البلد، A. 1) بقتل الوليد بن يزيد وما صارت إليه أحوال بني مروان B. 1-1

حُرَيْث، وعزله عن كورة رية؛ فغضب ابن حُرَيْث، وكاتبَ أبا الحَطَّار حيناً. فقال أبو الحَطَّار: «أنا الأميرُ المخلوع! فأنا أقوم بالأمر!» وقال ابن حُرَيْث: «بل أنا أقوم به، لأنَّ قومي أكثر من قومك!» فلما رأت جُذام ما يدعو إليه ابن حُرَيْث، قدّموه وأجابوه؛ فأصفقت بين الأندلس وحميرها وكندتها على تقديمه والظوع له، وانحازت مضر * وربيعة إلى يوسف بقرطبة حضرة الملك. وأقبلا حتى نزلا شقنّدة. P. ٢٧

وكان الصَّمِيل مع يوسف الفهري، وهو الذي سأله الناس أن ينظر لهم في والي يكي عليهم، لشغل أمير المؤمنين مروان بن محمد بالشرق عنهم وبُعده عنهم. فاختر لهم يوسف بن عبد الرحمن بن حبيب بن أبي عبدة بن عتبة بن نافع الفهري؛ وكان يومئذٍ بالبيرة؛ فرضيه الناس كما ذكرنا. ووقع اختلاف بعد ذلك في أمره بين مضر واليمن؛ فانصوت اليمن إلى أبي الحَطَّار، من جميع البلاد والأقطار، وزحف بهم إلى يوسف الفهري بقرطبة؛ فكرة يوسف الفتنة، وخاف البغضاء والشحناء. فنزل الصَّمِيل بن حاتم بالمحلات، وشك السلاح والآلات؛ وأقبل أبو الحَطَّار بمن معه، ونزل موضعه؛ فالتفت بشقنّدة الفتنان، وتصادمت الفرتان؛ فلا تسع إلا صهيلاً وصليلاً، ولا ترى إلا قبلاً، حتى تكسرت الخطيئة ونفلك المشرفية، والتفت الساق بالساق، وانضمت الأعناق إلى الأعناق؛ فلم يُعهد حرباً مثلها في المسلمين، بعد حرب الجمل وصبين، إلى أن انهزمت اليمانية مع أبي الحَطَّار بعد حين. وهرب أبو الحَطَّار، وركب ظهر الفرار؛ واستتر في رحى للصَّمِيل هنالك؛ فظفر به وقتل إذ ذلك. فرأس الصَّمِيل بن حاتم في الناس، وشهر بالنجدة والبأس؛ وصرف يوسف الفهري إليه الأمور، وأوقف عليه الرياسة والتدبير. فكان ليوسف الاسم، وللصَّمِيل الرثم.

مقتل أبي الحَطَّار

ولما أخذ أبو الحَطَّار، وأرادوا قتله، قال: «ليس على قوت! ولاكن دونكم

ابن السّوداء ١» يُريد ابن حُرَيْث. فدَلَّ عليه، وفتلا جميعاً. وكان ابن حُرَيْث يقول: «لو أنّ دماء أهل الشام سُقيت، * لشرِبَتْها في قَدَحٍ!» فلما استُخْرِجَ P. ٢٨ من تحت الرّحَى ليُقتل، قال له أبو الخَطَّار: «يا ابن السّوداء! هل بقي في قَدَحِكَ شيء لم تشربه؟» ثمّ قُتِلَا. وأُتِيَ بالأسرى؛ ففعد لهم الصُّمَيْل، وضرب أعناقهم جميعاً.

ثمّ أتبع الله الأندلس بعد ذلك بالوباء والموت في السنة الثانية، حتّى كاد الخلق أن يفرض منها.

وولّى يوسف عن (١ رضى من ١) عامّة الجُند من مُضَرّ ويمن والشام؛ فصفت له الأندلس بعد يوم شقنّدة، وخلصت له القلوب والأنس. وعاد الصُّمَيْل بن حاتم قائده الأعلى، وقُدْحُه البعلّى، يقرب منه ما شاءه، ويدفع عنه ما ساءه، الى أن تمكّن بالدولة، وتملك رقاب تلك الجملة. فشرّق به يوسف وقلق، وخشى من جانبه وأرق (٢)؛ فرأى أن يبعده من مكّانه، ويولّيه بعض سلطانه؛ فولّاه سرقسطة وبلادها سنة ١٢٢؛ فكان فيها الى أن قام عليه فيها الحُباب بن رَواحة من بني زهرة بن كلاب؛ فحاصره مُدّة من سبعة أشهر. وقعد يوسف عن إغائنه، واعتذر بشدّة الأندلس في ذلك الوقت ومجاعتِه، رغبةً في تلافيه وهلاكه، وحرصاً على الراحة منه لاستعواذه واستهلاكه، الى أن اجتمع قومه بالبيرة وجيآن، وساروا الى نُصرتِه، وتفرج كرتِه.

وقيل إنّ الذى قام على يوسف بسرقسطة نعيم بن معبد الزُّهرى وعامر العبدريّ. فغزاها يوسف في سنة ١٢٨؛ فكان عليها، الى أن دخل عبد الرحمن الداخِل الى الأندلس.

وفي سنة ١٢٠، كانت وقعة شقنّدة، واجتمع على يوسف. وكان يوم ولايته ابن خمس وسبعين سنة؛ وملك تسع سنين. وكان قبل ولايته معزلاً في بادية من أهل الديانة والإظهار للخير.

1-1) Manque dans A.

2) Manque dans A.

وفي سنة ١٢١، أمّلت الأندلس، وعمّ المحلّ، ونمادى الى سنة ١٢٦. P. ٢٩ وذلك سنة محلّ وسنة غيبت. وأتصل المحلّ الشديد سنة ٠ أو اثنتين؛ ثمّ سفيّ الناس سنة ١٢٢، وعادت الى بعض الصّلاح.

وفي سنة ١٢٢، نار أهل جليبية، وتردّدت الغارات عليها. ثمّ استحكّم الجوع والفتح في سنة أربع وثلاثين وسنة خمس وبعض سنة ١٢٦؛ فخرج أكثر الناس الى طنجة وزويلة^١ وريف البحر في العدة؛ وكانت إجازتهم من وادي شدونة، وهو المعروف بيوادي برباط؛^٢ وبه سببت السنة^٢.

تسمية من نار على يوسف بن عبد الرحمن الفهري بالأندلس منهم: عبد الرحمن بن علقمة اللخمي، نار عليه بأرثونة؛ فخاربه، ولم يمكث في حربه إلا يسيراً حتى أمكنه الله منه ونار عليه عروة بياجة؛ فوجه اليه يوسف من هزمه وقتل أصحابه. ونار عليه تميم بن معبد سنة ١٢٦. وفي سنة ١٢٧، اجتمع تميم بن معبد وعامر بن عمرو بن وهب بسرّسطة؛ فتولى محاربتها الصّليل بن حاتم. وفي سنة ١٢٨، خرج يوسف بنفسه الى تميم بن معبد وعامر ابن عمرو بسرّسطة؛ فحاصرها؛ ثمّ ظفر بها وقتلها. وفي هذه السنة، انقضت أيام يوسف بن عبد الرحمن الفهري.

جامع أخبار بني أمية بالمشرق

وذلك أن جميع خلفائهم من لدن معاوية الى آخرهم أربعة عشر رجلاً. وكانت مدة دولتهم، منذ خالص الأمر الى معاوية الى أن قُتل مروان بن محمد، إحدى وتسعين سنة، وتسعة أشهر، وخمسة أيام، منها أيام ابن الزبير تسع سنين وإثنا عشر يوماً. ثمّ تفرقت بنو أمية في البلاد هرباً بأنفسهم. وهرب

1) Sic dans A. et B. Peut-être: وآزلة؟

2-2) Manque dans B.

عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك الى * الأندلس؛ فبايعه أهلها، P. ٤٠
 وتجددت لهم بها دولة استمرت الى بعد الأربع والعشرين والأربعمئة. والناس
 يعتقدون أن دولتهم كانت انقطعت من حين قتل مروان الى أن جددها عبد
 الرحمن الداخل سنة ١٢٦ أو نحوها؛ وقيل إنها كانت منصلة، لم تنقطع من
 زمن عثمان - رضه - الى زمن المعتد بالله بفزطية آخر خلفائهم سنة ٤٢٤.
 وهذا القول ينسب على ما قاله بعضهم إن عهد عبد الرحمن بن حبيب صاحب
 إفريقية من قبل بني أمية وصل الى يوسف بن عبد الرحمن الفيرزي المنغلب على
 الأندلس، الذي دخل عبد الرحمن بن معاوية وهو أميرها. فتأمل هذا؛ فإنه،
 إن صح، نكتة غريبة¹، وفائدة عجيبة.

قال أبو محمد بن حزم: وانقطعت دولة بني مروان بالمشرق بمروان بن
 محمد الجعدي². وكانت، على علانها، دولة عربية، لم يتخذ ملوكها قاعدة لأنفسهم،
 إنما كان سكنى كل أمير³ منهم في داره وضيعته الثان كأنسأ له قبل الخلافة،
 ولا أكثروا احجان الأموال، ولا بناء القصور، ولا طلبوا مخاطبة الناس لهم
 بالنهويل والعبودية والملك⁴، ولا تفيل أرض، ولا يد، ولا رجل؛ إنما كان
 غرضهم الطاعة الصحيحة والتولية والعزل في أقاص بلاد الدنيا؛ فكانوا يعزلون
 العمال، ويولون الأخر في السند والهند⁵، وفي خراسان، وفي أرمينية، وفي العراق،
 وفي اليمن، وفي المغرب الأدنى والأقصى وبلاد الشوس وبلاد الأندلس؛ ويعزلوا
 اليها الجيوش؛ وولوا منها من ارتضوا من العمال، وملكوا أكثر الدنيا. فلم
 يملك أحد من ملوك الدنيا ما ملكوه من الأرض، الى أن تغلب عليهم بنو
 العباس بالمشرق، وانقطع بها⁶ ملكهم. فسار منهم عبد الرحمن بن معاوية الى
 الأندلس، وملكها هو وبنوه، وقامت بها دولة بني أمية نحو الثلاثمئة سنة. فلم
 يك في كؤل الإسلام أنبل منها، ولا أكثر نصراً * على أهل الشرك، ولا أجمع P. ٤١
 لخلال الخير؛ وبهدمها انهدمت الأندلس الى الآن، وذهب بها الدنيا بدهاها.

1) Manque dans A.

2) Manque dans A.

3) B. امرئ.

4) Manque dans A.

5) B. والصين.

6) Manque dans A. Peut-être: بها؟

قال ابو محمد: وانتقل الأمرُ بالمشرق الى بنى العباس؛ فكانت دولتهم
 أُعجَبِيَّةً: سقطت فيها دواوينُ العَرَبِ، وغلبَ عَجَمُ خُرَاسَانَ على الأمرِ، وعاد
 الأمرُ مُلْكاً عَضُوضاً كَسْرُويًا، إِلَّا أَنَّهُمْ لَمْ يُعْلِنُوا بِسَبِّ أَحَدٍ مِنَ الصَّحَابَةِ
 - رَضَهُمْ - بخلاف ما كانوا عليه بنو أُمِيَّةٍ من استعمال ذلك في جانب عليّ
 - رَضَهُ -، وكفاهم ذلك فجعاً وباطلاً، حاشا عمر بن عبد العزيز - رَضَهُ -
 ويزيد بن الوليد؛ فإنَّهما لم يستجيزوا ذلك. وافتترقت في دولة بنى العباس كلمة
 المسلمين؛ فنغابت في البلاد طوائفُ من الخَوَارِجِ وشِيعَةِ وَمُعْتَزِلَاتِهِ، ومن ولدِ
 إدريس وسليمان ابني عبد الله بن الحسن بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب
 - رَضَهُمْ -؛ ومنهم من بنى أُمِيَّةً نَغْلِبُوا على الأندلس، وكثير من غيرهم. وفي
 خلال هذه الأمور من اختلاف الكلمة، تغلب الكفار على نحو نصف الأندلس،
 وعلى نحو نصف السند؛ فأما ما لم يملكه العباسيون، فهو ما وراء الزاب من بلاد
 المغرب وبلِيسَانَ وأَنْظَارَهَا، فولياها محمد بن سليمان الحسني، وفاس وأَنْظَارَهَا،
 كان فيها شِيعَةٌ، ثُمَّ آلَ مُلْكُهَا إلى إدريس؛ وَأَمَّا تَامَسْنَا، ففيها أولاد صالح بن
 طَرِيف على ضلالتهم؛ وَأَمَّا سِجْلِمَاسَةَ، فنزلها رئيس الصُّفَرِيَّةِ. هذه هي البلاد
 المتفق عليها، وَأَمَّا المَخْتَلَفُ فيها، فإفريقيَّة؛ قيل إنَّه كان فيها عبد الرحمن بن
 حبيب نائراً، وفي الأندلس يوسف بن عبد الرحمن الفهري.

ذِكْرُ دُخُولِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُعَاوِيَةَ بْنِ هِشَامٍ إِلَى الْأَنْدَلُسِ P. ٤٢
 وَهَرُوبِهِ مِنَ الشَّامِ

قال الرازي^(١): وفي سنة ١٢٦، ابتداء عبد الرحمن بن معاوية بمداخلة
 مَوَالِيهِ مِنَ الْأَمَوِيِّينَ بِالْأَنْدَلُسِ. وفي هذه السنة، تفرَّق ولدُ معاوية، وولدُ هشام،
 وكلُّ من فيه بقية من ولد مروان وأُمِيَّةٍ. فخرج عبد الرحمن بن معاوية مختفياً

(١) الرواة: A. D.

من موضع الى موضع، وهُمُهُ الأندلس، لما كان في نفسه من أمرها ومن الأثر المروى عنه فيها. فوصل الى مصر؛ ثم سار منها الى بركة؛ فبقي فيها مستتراً مدة. ثم رحل عنها؛ فأوغل في المغرب. قال بدر مولاة: «فأدركته في الطريق، وجهتني اليه أم الأصبغ أخته شفيقته بدنانير¹ وشيء من الجواهر يسعينُ بها على النفقة والوصول؛ فوصل الى إفريقية، وصاحبها عبد الرحمن بن حبيب، ومعه يهوديٌ قد خدم مسلمة بن عبد الملك؛ وسمعه يُحدِّث بخبر القرشي الذي يكون من بني أمية يتغلَّب على الأندلس، اسمه عبد الرحمن، ذو ضفيريَّين²؛ فنظر الى عبد الرحمن؛ فوجد بضميرين³؛ فقال لليهودي: «وَيْحَكَ! هذا هو المذكور، وأنا فاتئه!» فقال له اليهودي: «إِنْ يَكُ ذَلِكَ، لَمْ تَقْتُلْهُ!» ثم صار ابن حبيب يقتل الواصلين إليه من بني أمية، ويأخذ أموالهم. فهرب عبد الرحمن عن القيروان، ونجا يريد الأندلس، ويُسفل نفسه بها لما كان عنده من الروايات في علم الحدثنان من قبل مسلمة بن عبد الملك أخى جدِّه وغيره. فسار حتى أتى تادلاً⁴ من قبائل المغرب؛ فباله عندهم تضيق وأخبارٌ بطول ذكرها. ثم هرب من عندهم حتى أتى نفرة، وهم أخواؤه؛ فإنَّ أمه كانت من سبيهم. قال بدر: «فجُرْتُ • الى الأندلس، واجتمعتُ بعبيد الله بن عثمان بساحل البيرة، في آخر P. ٤٣ سنة ١٢٦؛ ثم انصرفتُ في سنة سبع بعدها، وأقيمتُ عنده مدة؛ ثم كررتُ منصرفاً الى الأندلس في موالى⁵ عبد الرحمن.

حدَّث عبد الرحمن، قال: «دخلتُ الأندلس، وأنا أضبطُ جليَّةَ مسلمة ابن عبد الملك؛ فإنه أتى جدِّي هشاماً يوماً؛ فوجدني عنده صبيّاً؛ فأمر جدِّي بتنجيتي عنه؛ فقال له مسلمة: «دَعَهُ يا أمير المؤمنين! فإنه صاحب بني أمية ومُحِبِّي دولتهم بعد زوالها!» فلم أزلُ أعرفُ لي مزيةً من جدِّي بعدُ.»

قال الرازي: وفي سنة ١٢٧، نار الحبَّاب بن رَواحة بجهة سرقسطة؛

بظيرتين B. بضميرتين A. 3) بظيرتين B. بضميرتين A. 2) بظيرتين B. بضميرتين A. 1) بدنانيرين.

بلاداً A. 4) موالى B. 5)

وتظافر معه على ذلك عامر بن عمرو العبدرثي من بني عبد الدار بن قصى؛ وكان قد هرب من قرطبة خوفاً من يوسف؛ وكان عامر هذا أحد رجال مضر،^(١) وقد فشا^(٢) بالأندلس نجدة وشرفاً وعلماً وأدباً؛ وكان يلي المغازي بالصوائف من قبل يوسف النهري؛ وكان سلطان النهري يومئذ قد ضعف لأجل المحل المتوالى بالأندلس. وكان الصمّيل قد لزم الثغر في تلك الأعوام، لأنه كان أشبه من غيره في الخصب؛ فلما خاف عامر هذا على نفسه من النهري والصمّيل، خرج فارتأ بنفسه، وقصد الحجاب بن رواحة، واستجاشا. فأجابها رجال من البمانية وناس من البربر؛ فحصر الصمّيل بسرقسطة حصاراً شديداً، حتى يس من الحياة، وهم بالالفاء بيده؛ وكتب الى يوسف يسأله الإمداد؛ فلم يجد في الناس منفضاً. فلما أبطأ عليه مدد يوسف، واشتد الحصار، كتب الى قومه من جند قنبرين ودمشق، بعظم عليهم الخطاب، ويناشدهم الرّحم؛ فقام له بذلك عبّيد بن علو الكلابي؛ وأكثر كلاب وهوّازن وغطّان والأزد تقدّم رجلاً وتوخر أخرى. ولم يكن لهم رأس يجمعهم. فلما نهض عبّيد بن علي ومضى داعياً في الجند الى نصر الصمّيل، تحركت جماعة كلاب ومخارب، إلا كعب بن عامر وعقبيل وقشير والحريش^(٣)؛ فإنهم كانوا منافسين لبني كلاب، لأنّ الرياسة يومئذ بالأندلس كانت فيهم؛ وكان بلج قشيراً؛ فضمهم^(٤) الصمّيل.

ولم يجتمع من هذه القبائل إلا نحو أربعمئة فارس؛ فاستنقلوا أنفسهم؛ صموا، وخفت معهم يومئذ قوم من بني أمية في نحو ثلاثين فارساً؛ وخر معهم أبو عثمان عبّيد الله بن عثمان مولاهم، وخرج أيضاً معهم عبد الله؛ خالد بن أبان بن أسلم، مولى عثمان بن عفان - رضه -؛ وكان عبد الله وعبّيد الله يتواليان حمل لواء بني أمية بالأندلس بعد، ويتعاقبان في ذلك وكان لهما ولبنى أمية في هذا المجتمع يومئذ بلاه معروف مشهور، وإنما أرا أن يقدّما بذلك بدأ عند الصمّيل، لما كانا بنيّاً عليه من اطلاع على أ

١-1) B. وقه بش. 2) A. et B. و. 3) A. فضمهم. 4) B. فضمهم.

عبد الرحمن بن معاوية؛ وكانا واثقين بالصَّمِيلِ، وأنه، إن لم يُجِبهما، كنتم عليهما؛ وكذلك فعل؛ فإنه كنتم عليهما كتبنا¹ عجبياً. فكان هذا² هو الذي² دعاهم إلى إمداد الصَّمِيلِ واستنفاذه لاعتداد اليد عليه؛ فخرجوا، ورأسوا على أنفسهم ابن شهاب استئلاً له؛ ومشى الجميع. فلما بلغوا وادي طَلَيْطَلَةَ، بلغهم أن الحصار اشتدَّ وأضرَّ بالصَّمِيلِ، وأنه على الملكة؛ فقدموا رسولا من قبلهم، وقالوا له: «ادخل في جملة الهارين للسور. فإذا قربت منه، ازمِ بهذه الأحجار!» وفي كل واحد منها بيتان، وهما [وافرا]:

أَلَا أَيْشِرُ بِالسَّلَامَةِ يَا جِدَارُ أَنْتَاكَ الْغَوْثُ وَانْقَطَعَ الْحِصَارُ
أَنْتَاكَ بِنَاتُ أَعْوَجَ مُلْجَمَاتٍ عَلَيْهَا الْأَكْرَمُونَ وَهُمْ زِنَارُ

ف فعل الرسول ذلك. فلما وقعت الحجارة، أتى بها الصَّمِيلُ أو ببعضها؛ ففرَّث عليه؛ وكان أُمِيًّا. فلما سمع ما فيها، قال: «أَيْشِرُوا يَا قَوْم! فقد جاءكم P. ٤٥ الغوث، وَرَبَّ الكَعْبَةَ!» ومضى القومُ بسنجيشون³ كلٌّ من استجاب لهم، ومعهم الأمويون، وفي جملتهم بدر رسول ابن معاوية. وكان عبد الرحمن قد بعث إليهم خاتمه ليكتبوا به عنه إلى كل من رجوا نصره؛ فكتبوا عنه للصَّمِيلِ، يذكرون له أيادي بني⁴ أمية عنده، ويعده، ويسنيه. فلما سمع العبدري والعُدْرِيُّ بالمدد الواصل إليه، ارتفعوا عنه، وانكشف وجه الصَّمِيلِ؛ فخرج، وتلقى القوم، ووصلهم على أقدارهم، وكسام، وقفل معهم بماله وحشبه. فلما زال الصَّمِيلُ عن سرقسطة، دخلها المحباب وملكها.

ثم أطلع الأمويون الصَّمِيلَ على قصة ابن معاوية، وعرضوا عليه بَدْرًا رسوله؛ فأحسن إليه وقال لهم: «أَرَوِي فِي أَمْرِهِ.» وأقبل فأفلاً حتى دخل قَرْطَبَةَ. وانصرف الأمويون إلى منازلهم، وبَدْرٌ معهم. وقد كان الصَّمِيلُ اتفق مع الأمويين على نُصرة ابن معاوية، وأن يزوجه من ابنته. ثم رجع في قوله، وقال:

1) A. كَمَا.

2-2) A. مِمَّا.

3) A. بَسَنْجِيشُونَ.

4) Manque dans B.

« تاملت الأمر؛ فوجدته صعب المرام؛ فبارك الله لكما في رأيكما ومولاكما! فإن أحب غير السلطان، فله عندي أن يواسيه يوسف، ويزوجه ويحبوه! انطلقا راشدين! » فانقطع رجاؤهم يومئذ من ربيعة ومضر، ورجعوا الى اليمن. قال بدر: فلم نهر بيبي إلا دعواناه؛ فوجدنا قوما قد غرت صدورهم، يننون سيلاً لطلب ثأرهم؛ ثم رجعنا الى جندنا؛ فابتعنا مركباً، ووجهنا فيه أحد عشر رجلاً مع بدر. قال: ومضى يوسف حتى أتى طليطلة، وأمضى بعثين الى جليقية والبشكنش، وأراد القبول الى قرطبة؛ فلم يبعد حتى أدركه الرسول بهزيمة الجيش وقتل عامته. فيينا هو ينظر في ذلك، إذ أتاه رجل من عند ولدك من قرطبة، يعلمه أن فتى من قریش، من ولد هشام بن عبد الملك، نزل بساحل المنكب؛ فاجتمع اليه موالى القوم والأموية؛ فانتشر الخبر في العسكر، وشبهت به الناس لما فعل بالقرشيين؛ فانفض الناس من العسكر، وتنادوا بشاعرهم، وندموا الى كورهم. فأصبح يوسف، وليس في عسكره غير قبس والصبيل؛ فقال للصبيل: « ما الرأي؟ » قال: « بادرة الساعة، قبل أن يستعجل أمره! » فساروا الى قرطبة؛ فكلما رجوا أن يجتمع لهم بين يخرجون لاستئصال شوكة ابن معاوية، لم تنجهم لم عمل.

وفي سنة ١٢٨. دخل عبد الرحمن بن معاوية الأندلس في غرة ربيع الأول؛ وهو أبو الملوك. وكان خروجه من المركب بموضع يعرف بالمنكب؛ ثم نزل بقرنة طرش^١ من كورة البيرة. فأقبل اليه جماعة من الأمويين، وقد أعد اللامير ما يصلحه من المركب والمنزل والملبس. فغاض أمر ابن معاوية، وأقبل الناس من كل مكان إليه. فكتب يوسف الفهرى الى جماعة الأمويين، يحذرهم ويحورفهم؛ فقالوا له: « إننا أقبل ابن معاوية إلينا وإلى جماعة مواليه، يريد المال. ايس فيا بطن الأمير - أصلحه الله! - ولا فيا رفع اليه. » واعتذروا له

١) طلش. B.

بما أمكنهم. وأقبل وجوه الناس الى ابن معاوية، وقالوا له: «خفتنا مكر الصَّمِيل، ولم نأمن غائلته؛ فعرفنا الفهرى بكذا وكذا.» وكان ابن معاوية يبيت في الجبال.

ومضى يوسف بن نُجْت الى جند الأزدن؛ فأخذ بيعة جميعهم؛ ومضى عبد الله بن خالد الى جند حصص؛ ومضى تمام بن علقمة الى أهل فلسطين؛ وأقبل الناس من كل مكان. فلما ضاقت الأحوال بالنهرى، ولم يأت من الأجناد إلا اليسير، أدار له الصَّمِيلُ الرأى، وأمره بالمر بباين معاوية والخادعة له، ورجا ذلك منه لحدائثة سنه، وقال له: «هو قريب عهد بزوال النعمة؛ فهو يغتنم ما تدعوه اليه؛ ثم أنت بعد ذلك منحكم فيه وفي الذين سعوا له بما تحب!» فأجمع رأيه على تأنيسه بأن يزوجه ابنته، ويسكنه في * أى الجندين شاء، من P. ٤٧ دمشق أو الأزدن، أو يسكن بينهما، ويصير إليه أمر الكورتين. وبعث اليه بكسوتين ومطبتين وخمسائة دينار، ووجه اليه كاتبه خالد بن يزيد، وقال له: «اعرف أمره وأى جند عنده، وتأمل أخباره وأخبار من معه!» فخرج في الليل مع أصحابه، وأصبحوا على ابن معاوية بالمال والكسوة والمطبتين. ووجه أيضاً الى بدر فرساً ومائة دينار وكسوة. فقبل ابن معاوية الهدية، وكرة التزويج؛ فتكلم خالد بكلام غليظ لابن معاوية إذ أبى التزويج؛ فأمر به؛ فضم الى وثاق، وردَّ غيره الى يوسف؛ ولم يرده عليه جواباً.

وكان يوسف قد كتب الى ابن معاوية كتاباً. وهذه بعض فصول منه: «أما بعد، فقد انتهى البنا نزولك بساحل المنكب، وتأبش من تأبش اليك ونزع نحوك من الشراق وأهل الحتر¹ والغدر ونقض الأيمان المؤكدة، التي كذبوا الله فيها وكذبونا! وبه - جل وعلا! - نستعين عليهم! ولقد كانوا معنا في ذرى كنف ورفاهية غيش، حتى غمصوا² ذلك، واستبدلوا بالأمن خوفاً، وجنحوا الى النفض! والله من ورائهم محيط! فإن كنت تريد المال وسعة الجناب،

1) B. الختل

2) B. غمطوا

فأنا أولى لك ممن لجأت إليه! أكنفك، وأصل رحمتك، وأترك معي إن أردت وبحيث تريد! ثم لك عهدُ الله وذيمنته في ألا أغدر بك، ولا أمكن منك ابن عمي صاحب إفريقية ولا غيره!» في كلام كثير.

قال ابن عيسى: فحدثني تمام بن علقمة أن عبد الرحمن، لما أتاه كتابُ الفهرى بما فيه وبتزويجه ابنته، أشار عليه كلُّ من أتاه من العرب والأمويين ألا يفعل ذلك منه، إلا أن يعتزل له عن الملك ويأبىه، وإلا حاكمه إلى الله؛ وقالوا له: «إنما يكر بك، ولا يفى لك بشيء، لأن وزيره ومالك أمره الصَّيْلُ، وهو غيرُ مأمون!»

قال: فلما انكشف أمرنا عند ما أظهرنا من الإباية ومحس كتابه خالد ابن يزيد، رأينا أن نشهر أمرنا. فخرجنا إلى جدار بن عمرو وإلى جند الأردن، واجتمعنا إليه؛ فأتينا في ثلاثمائة فارس من جماعة الأمويين، ومن أقبل إليه من وجوه العرب. ثم كاتبنا أهل قنشرين وفلسطين. فلما أقبلت إلينا رسلهم بما أردنا، نهضنا إليهم؛ وكنا قد وطنا على الموت، وعزمنا على أن نقل دونه، وعقدنا له لواء. وأقمنا معه سنة أشهر، نبرم له أموره، ونكاتب له الناس. وكنا خرجنا إليه في زى حسن عند خروجنا إليه بساحل البحر؛ ثم انتقل من البيرة إلى كورة رية، إلى شدونة، إلى موزور، إلى كورة إشبيلية، والناس يتلقونه بالبشر والترحيب، ويعطونه من الاتقياد والطاعة أوفى نصيب. قال تمام: فدخلنا رية في ستمائة فارس، وخرجنا منها في ألفي فارس؛ وخرجنا من إشبيلية إلى قرطبة في ثلاثة آلاف فارس. فلما اجتمعت لنا الجموع، وبلغنا ما يريد الفهرى من الخروج إلينا، كتب الأمير عبد الرحمن الكنايب، وعملاً الأجناد، وخرج إليه؛ ودعا برجل من الأنصار؛ فعقد لواءه؛ وارتحل في جنوده، حتى احتل بقرية على نهر قرطبة يوم الاثنين ليست خلون من ذى الحجة. وخرج الفهرى إلى البصرة. وأقاما ثلاثة أيام متناظرين، والنهر حاجر بينهما بحمله؛ ثم أصبح النهر يوم الخميس، وقد حسر ماؤه. فعياً الأمير عبد

الرحمن كنيته، وتنبأ للحرب؛ فندم على قبائل العرب أحداً من قواده، وعلى
البرزبر كذلك، وهو إبراهيم بن شجرة. وترجل حماة بني أمية؛ فحنوا بالأمير،
والأمير على فرسه متنكباً فوسه؛ فجاوز النهر، واقترب من المصاراة؛ فجاوز
العسكران، وتغارب المضطربان. وأقاما بقية يومهما في سكون وهدوء، والرسل
تختلف من قبل يوسف، يرجو عند الصلح. فلما أصبح يوم الجمعة، التقى P. ٤٩
الجمعان، واستحزرت الحرب والقتال. فمضى العلاء بن جابر العقيلي إلى الصبيل؛
فقال له: «يا أبا جوشن أتق الله! فوالله! ما أشبه هذا اليوم إلا بيوم المرج!
وإن عاره لباقي علينا إلى اليوم؛ فإن الأمور يهتدى لها بالأقران¹ والأمثال:
أموي وفهري، وقيس واليمن! وهذا يوم عيد، ويوم جمعة؛ ويوم المرج أيضاً
يوم جمعة! والأمر، والله؛ علينا، لا شك في ذلك! فأتق الله، واغتنم لنا الأمر
لنكون فيه أعزاء لا أتباعاً!» وكان العلاء هذا من وجوه قيس. ثم انهزم
الفهري وأصحابه، واستقبل النصر؛ فاعترض له عبد الأعلى بن عوجبة، وحال
بينه وبين دخوله، وردّه عنه؛ فولّى منهزماً إلى سفح جبل قرطبة. واستولى الأمير
عبد الرحمن يومه ذلك على الملك، ونسبت له بيعة العامة بقرطبة. ونمادى يوسف
الفهري في الفرار إلى البيرة.

خلافة عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك

نسبه: عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن
الحكم بن أبي العاص بن أمية. كنيته: أبو المطرف. أمة: بربرية من سبي
الغرب، تسمى راحاً أو رداحاً. وفي عبد شمس بن عبد مناف يلتقى نسبه
بنسب رسول الله - صلعم - . مولده: بموضع يعرف بدير حسينة² من دمشق
سنة ١١٢؛ مات أبوه وتركه صغير السن. وتوفي يوم الثلاثاء لست بقين من
ربيع الآخر؛ وقيل: لعشر خلون من جمادى الأولى سنة ١٧٢؛ ودفن بنصر

1) بالاشياء. B. 2) حسنة. B.

فرطبة؛ وقد بلغ تسعاً وخمسين سنة؛ وقيل: ستين سنة. فكانت مدة خلافته ثلاثاً وثلاثين سنة وأربعة أشهر ونصفاً؛ ودخل الأندلس وهو ابن خمس وعشرين سنة أو نحوها. بويغ له بفرطبة يوم الأضحى من سنة ١٢٨. P. ٥٠.

وَزَرَاوُهُ أَرْبَعَةٌ: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَثْمَانَ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ خَالِدٍ، وَيُوسُفُ بْنُ بُوَيْحَتٍ، وَحَسَّانُ بْنُ مَالِكٍ. حُجَابُهُ خَمْسَةٌ: تَمَّامُ بْنُ عَلَقَمَةَ، وَيُوسُفُ بْنُ بُوَيْحَتٍ، وَعَبْدُ الْكَرِيمِ بْنُ مَهْرَانَ، وَعَبْدُ الْحَمِيدِ بْنُ مُغِيثٍ، وَمَنْصُورُ فَتَاهُ. قُضَاؤُهُ خَمْسَةٌ: مَجْبِي بْنُ يَزِيدِ النَّجِيبِيِّ، وَمَعَاوِيَةُ بْنُ صَالِحٍ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ طَرِيفٍ، وَعَمْرُ بْنُ شَرَّاحِيلٍ، وَالْمُضْعَبُ بْنُ عِمْرَانَ. وَكَانَ لَهُ قَاضٍ خَامِسٌ فِي صَوَائِفِهِ يُسَمَّى جِدَّارَ ابْنِ مَسْلَمَةَ بْنِ عَمْرٍو الْمَدْحَجِيِّ. نَفَسُ خَاتَمِهِ: عَبْدُ الرَّحْمَنِ بِقِضَاءِ اللَّهِ رَاضِيًا. صِنْتُهُ: طَوِيلُ الْفَدَى، أَصْهَبٌ¹، أَعْوَرٌ، خَفِيفُ الْعَارِضِينَ، بُوْجْهَهُ خَالٍ، لَهُ صَفِيرَتَانِ. وَكَانَ يُسَمَّى صَفْرَ بَنِي أُمَيَّةَ. وَلَدُهُ الذَّكَورُ أَحَدُ عَشَرَ، وَالْإِنَاثُ تِسْعٌ.

وفي سنة ١٢٩، خرج الأمير عبد الرحمن طالباً للفهري والضميل. فلما اتصل بالفهري فصدّه إليه، لاذّ عنه، وزال عن إغرناطة؛ فافتنى الأمير عبد الرحمن أثره، حتى إذا أوفى عليه، عاد إلى إغرناطة منحصناً بها؛ ونزل الأمير عبد الرحمن عليه وحاصره. فلما نادى به المحصار، سأل الفهري الأمان، وأن يعطى ابنه رهناً؛ فأعطاه الأمير الأمان، وقبل منه ذلك، وكذلك الضميل. وانصرفا في جملة إلى قرطبة، على أن يسكن الفهري منزله بالمدينة، والضميل داره بالرّض. واستوسق الأمر الأمير عبد الرحمن، وأمر بلعن السوددة وقطع الدعاء لأبي جعفر المنصور. ودخل يوسف الفهري في عسكر الأمير كأحد رجاله؛ فأنزله على ماله، وأطلق له عياله.

وفي هذه السنة، وُلد هشام بن عبد الرحمن المُلقَّبُ بالرّضِي؛ وذلك لأربع خلون من شوال.

1) استقر. 2) طويل القواصص B. 1)

وفي سنة ١٤٠، تودّع الأمير عبد الرحمن بقرطبة؛ فلم تكن له فيها حركة. ودخل رجالاً من المشرق ومن بني أمية في هذه السنة؛ فأنزلهم الأمير، وأكرمهم، وأحسن جوائزهم.

وفي سنة ١٤١*، هرب الفهري من قرطبة، ناكثاً، ناقضاً للأيمان بعد P. ٥١
توكيدها؛ فاجتمع اليه الناس، وبلغ جمعه عشرين ألفاً من البربر وغيرهم. فلما رأى كثرة ما اجتمع له، تحرك من ماردة، يريد الأمير عبد الرحمن. فلما بلغ الأمير خبره، برز من القصر، وتقدم الى المدور. وكان عبد الملك بن عمر المرواني عاملاً بإشبيلية، وابنه بكورة مؤزور؛ فحشدا من كان قبيلهما من أهل الكورتين، وتوافى الحشدان؛ فبرز به. واتصل بالفهري خروج الأمير الى المدور وتوافى الحشود على عبد الملك؛ فتوقع الفهري التشبك بين العسكرين؛ فصرف رايته الى عبد الملك؛ فالتفيا، ووقعت بينهما حرب شديدة؛ فانهزم يوسف، وتفرق أصحابه عنه، وأتبعوا بالقتل. واتصل الفتح بعبد الرحمن، وهو بالمدور منتظراً لتوافى الحشود؛ فأغماه عاجل الفتح؛ وفر الفهري بنفسه مخفياً.

وفي سنة ١٤٢، كان هلاك يوسف الفهري ومقتله بناحية طليطلة؛ وكان قد نهض اليها، وتردد بناحيها شهوراً؛ فاغتاله بعض أصحابه، وقتله، واحتز رأسه، وتقدم به الى الأمير عبد الرحمن؛ فشكر الله على موته، وأمر بنصب رأسه على جسر قرطبة، وأمر بقتل ابنه المرتين، ونصب رأسه مع رأس أبيه. وتوفي الصمبل في الحبس؛ وقيل إنه خنق؛ وقيل إن الذي قتل الفهري عبد الله ابن عمرو الأنصاري، لقبه على أميال من طليطلة، بقرية من قرأها. فلما عرفه، قال لمن معه: «هذا الفهري! وفي قتله الراحة له ومنه!» فتقدم اليه؛ فقتله، واحتز رأسه، وتقدم به الى الأمير. فلما قرب من قرطبة، وأعلم الأمير بخبره، أمر أن يتوقف به دون الفنطرة، وأمر بقتل ابنه المرتين، وأخرج رأسه الى رأس أبيه؛ ووضعاً في قناتين، وتقدم بها الى باب القصر.

وَإِخْتُلِفَ فِي أَمْرِ يَوْسُفَ النَّهْرِيِّ؛ فَقَالَ بَعْضُهُمْ إِنَّهُ لَمْ يَنْكُثْ بَغِيًّا، وَإِنَّمَا خَوْفًا؛ فَمُخْرَجَ هَارِبًا؛ فَأَخْرَجَ الْأَمِيرُ الْخَيْلَ فِي طَلْبِهِ؛ فَأَدْرَكَهُ بِنَعْصِ الْبَلُوطِ؛ ثُمَّ أَفْلَتَ؛ وَحَشِدَ وَلَدَهُ الْبَرْبَرَ بِالشَّرْقِ كَيْلَهُ، وَأَقْبَلَ فِي جَمْعٍ عَظِيمٍ يَرِيدُ قُرْطَبَةَ؛ فَمُخْرَجَ إِلَيْهِ الْأَمِيرُ؛ فَالْتَفَعُوا بِمَخَاضَةِ الْفَتْحِ؛ فَكَانَ الْقِتَالُ بَيْنَهُمْ حَتَّى كَادَ الْأَمِيرُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ أَنْ يَنْهَزِمَ؛ وَقِيلَ إِنَّهُ انْهَزَمَ نَحْوَ الْمِيلِ؛ فَثَبَتَ ابْنَهُ سَلْيَانَ فِي آخِرِ النَّاسِ؛ ثُمَّ تَرَجَعَ الْأَمِيرُ حَتَّى انْهَزَمَ يَوْسُفَ، وَمَضَى فِي طَلْبِهِ إِلَى قَلْعَةِ رَبَاحٍ.

وَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّ يَوْسُفَ، لَمَّا هَرَبَ إِلَى طَلَيْبُطَةَ، قَبِضَ الْأَمِيرُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ عَلَى أَبِي الْأَسْوَدِ ابْنِهِ؛ فَسَجَنَهُ. وَقَامَ عَلَى يَوْسُفَ مَوَالٍ لَهُ؛ فَفَتَلَوْهُ، وَأَتَوْا بِهِ إِلَى الْأَمِيرِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ؛ فَقَالَ لَهُمْ: «عَرَفْتُمْ مَنْ هُوَ؟» قَالُوا: «نَعَمْ! هُوَ يَوْسُفُ النَّهْرِيُّ!» قَالَ: «أَنْتُمْ لَمْ تَحْفَظُوا مَوَالِيكُمْ؛ فَكَيْفَ تَحْفَظُونَنِي وَتَنْتَظِمُونَ فِي طَاعَتِي؟» فَأَمَرَ بِضَرْبِ أَعْنَاقِهِمْ؛ وَأَمَرَ بِأَبِي الْأَسْوَدِ إِلَى السِّجْنِ؛ وَكَانَ السِّجْنُ يَوْمَئِذٍ يُخْرِجُ النَّاسَ مِنْهُ إِلَى النَّهْرِ لِمَا يَكُونُ مِنَ الْحَاجَةِ مَعَ الْمُؤَكَّلِينَ بِهِمْ؛ فَأَدْعَى وَكَدَّ النَّهْرِيُّ الْعَيْ، وَفَشَا لَهُ ذَلِكَ؛ فَكَانَ يَقُولُ: «مَنْ يَفُودُ الْأَعْمَى؟ يَرْحَمُهُ اللَّهُ!» وَكَانَ يُخْتَابُ إِلَيْهِ مَوْلَى اسْمِهِ مُفَرِّجُ يَقْضَى حَوَائِجِهِ وَيُلْقَاهُ عَلَى النَّهْرِ نَحْتِ الْفَنْطَرَةِ. فَلَمَّا اطْمَأَنَّ إِلَيْهِ، وَلَمْ يُسْتَنَّكَ خُرُوجَهُ، وَشَاعَ عَلَيْهِ الْعَيْ، قَالَ لِمُفَرِّجِ مَوْلَاهُ: «أَبْتَعْ لِي فَرَسًا أَنْجُ عَلَيْهِ!» فَفَعَلَ وَأَعَدَّهُ لَهُ؛ فَهَرَبَ عَلَيْهِ، وَلَحِقَ بِطَلَيْبُطَةَ. فَغَزَاهُ الْأَمِيرُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ وَلَقِيَ مِرَارًا؛ فَكَانَ آخِرَ هَزِيمَتِهِ إِبَاهُ بِقَسْطَلُونَةَ؛ وَمَضَى إِلَى رِجْكَانَةَ، وَلَمْ يَزَلْ بِهَا حَتَّى مَاتَ. فَقَامَ الْقَاسِمُ بْنُ يَوْسُفَ، أَخُو أَبِي الْأَسْوَدِ؛ فَأَعْتَبَ عَلَى زَوْجَتِهِ، وَتَوَلَّى مَا كَانَ أَبُو الْأَسْوَدِ يَتَوَلَّاهُ؛ فَمُخْرَجَ إِلَيْهِ الْأَمِيرُ؛ فَأَجَابَهُ عَلَى أَنْ يَرُدَّ إِلَيْهِ أَمْوَالَهُ، وَيَسْتَوْثِقَ مِنْهُ بِالْعَهْدِ؛ فَفَعَلَ الْأَمِيرُ ذَلِكَ، وَانصَرَفَ مَعَهُ إِلَى قُرْطَبَةَ.

وَنَارَ عَلَى الْأَمِيرِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَبْدِ الْغَافِرِ الْبِمَانِيُّ بِإِسْبِيلِيَّةَ، وَتَغَلَّبَ عَلَى مَا جَاوَرَ قُرْطَبَةَ؛ فَمُخْرَجَ إِلَيْهِ الْأَمِيرُ؛ فَخَالَفَهُ عَبْدُ الْغَافِرِ وَنَهَضَ يَرِيدُ قُرْطَبَةَ، رَجَاءً أَنْ يَجِدَهَا خَالِيَةً، وَإِلِامًا عَبْدُ الرَّحْمَنِ فِي الثُّغْرِ بِسُدِّ خَلِّهِ، وَبِحِجْمِ عِلَّهِ؛ فَفَدِمَ

مسرعاً حين وإفاه المخبر، ولم يَلو على ما نَعَدَّر، ومخاتةُ عبد الغافر على وادي قَبَس¹، قد ملأت السهل والوعر. فداخل الإمام عبد الرحمن البربر، وكانوا العدد الوافر الأكبر؛ فترع الأكثر منهم إليه، وصاروا في حزبه ولديّه. ووقعت الهزيمة على عبد الغافر، وأخذ من معه في الفرار والنفار؛ فلم يرفع الإمام عنهم سيفاً، وقتل منهم ثلاثين ألفاً. وكانت هزيمة هي مدّ الدهر مذكورة، والمحفرة التي جمعت رؤوسهم بذلك المكان مشهورة. ومن «كتاب بهجة النفس» قال: لما كان في الليل، تسرع عبد الغافر الى ناحية لَقَنْت؛ وأسرع الأمير الفتل في جملته. ولم يذكر عدداً.

وثار على الأمير عبد الرحمن حَبِوة بن مُلَاس، وتغاب على إشييلية وإسنيجة وأكثر الغرب، وحشد جموعاً؛ فخرج إليه الأمير، وقاتله أياماً، حتى همَّ الأمير بالهزيمة. ثمَّ إنَّ حَبِوة انهزم ومضى الى ناحية فَرِيش، وكتب راغباً في العفو.

وفي سنة ١٤٦، ثار العلاء بن مُغِيث الجُدائي بِبَاجة، ودعا الى طاعة أبي جعفر المنصور،² ونشر الأعلام السود²؛ فأتبعه الأجناد، وتطلعه العباد، الى أن كادت دولة الأمير أن تنصرم، وخلافته أن تنخرم. فخرج إليه من قُرطبة، وصار بقرمونة؛ فتحصن بها مع مواليه وثقات رجاله؛ فنازله العلاء بن مُغِيث منازلةً شديدة، وحاصره بها أياماً عديدة؛ فلما طال المحصار هنالك، وتخلخل عسكر العلاء لذلك، وعلم عبد الرحمن ما هم عليه من الانزعاج، وأنهم قد هموا بالإلجام والإسراج، أمر بنار، فأوقدت، ثمَّ أمر بأغمدة سيوف أصحابه، فأحرقت؛ وقال لهم: «اخرجوا معي لهذا الجموع، خروجاً من لا يحدث نفسه P. ٥٤ بالرجوع!» وكانوا نحو سبعمائة من ذكور الرجال، ومشاهير الأبطال؛ فأخذوا معه سيوفهم بأيديهم، وخرجوا مُنحصبين الى أعاديتهم. فدارت الحرب بينهم طويلاً، الى أن صنع اللهُ جيلاً؛ وزلزل قوم العلاء وأصحابه، فولوا منهزمين، وصار أمرهم

1) B. يسر (sic).

2-2) Manque dans A.

آبَةَ الْعَالَمِينَ؛ وَقُتِلَ الْعَلَاءُ فَبَيْنَ قُتْلٍ مِنْ أَوْلَانِكَ الْأَقْوَامَ، وَطَيْفَ بَرَأْسِهِ فِي ذَلِكَ الْمَقَامِ.

وَقُتِلَ إِنَّ أبا جَعْفَرَ الْمَنْصُورَ كَانَ أُرْسِلَ إِلَى الْعَلَاءِ بْنِ مُعَيْبِ بْنِ بُولَايَةَ الْأَنْدَلُسِيِّ. فَشَرَّ الْأَعْلَامَ السُّودَ، وَقَامَ بِالِدَعْوَةِ الْعَنَاسِيَّةِ بِالْأَنْدَلُسِ؛ فَانْحَشَرَ إِلَيْهِ النَّاسُ. وَلَمَّا ظَهَرَ لِلْإِمَامِ عَلَى مَا نَفَّذَ، أَخَذَ رَأْسَهُ، وَفَرَّغَ وَحِشِيَّ مِلْحًا وَصَبْرًا، وَجَعَلَ مَعَهُ لَوَاهُ أَبِي جَعْفَرَ الْمَنْصُورِ، وَأُدْخِلَ فِي سَنَظٍ؛ وَبَعَثَهُ مَعَ رِجَالٍ، وَأَمَرَ أَنْ يُضَعُوا السَّنَظَ سَمَكَةً؛ فَوَافَقُوا الْمَنْصُورَ بِهَا حَاجًا فِي بَلَدِ الْبَلْبَلِ؛ فَجَعَلَ السَّنَظُ عِنْدَ بَابِ سُرَادِقِهِ. فَلَمَّا نَظَرَ إِلَى مَا فِيهِ، قَالَ: «إِنَّا لِلَّهِ! عَرَضْنَا بِهَذَا الْمَسْكِينِ لِنَقْتُلَ! الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ الْبَحْرَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ هَذَا الشَّيْطَانِ!» يَعْنِي عَبْدَ الرَّحْمَنِ. هَذَا مَسْرُوقُ السَّالِمِيِّ فِي «دُرَرِ الْفَلَائِدِ».

وَمِنْ «بَهْجَةِ الْمَسْ» قَالَ: وَكَانَتْ ثَوْرَةُ الْعَلَاءِ بِمَوْضِعٍ يُقَالُ لَهُ لَفَنْتُ مِنْ عَمَلِ نَاحَةٍ. فَأُظْهِرَ بِجِلِّ الْمَنْصُورِ وَلَوَاهُ، وَجَمَعَ إِلَى نَفْسِهِ مِنْ أَجَابِهِ، وَنَهَضَ إِلَى نَاحَةٍ؛ فَأَحْدَثَهَا. وَنَعَلَتْ مِنْهَا عَلَى جَمِيعِ الْغَرْبِ، وَخَرَجَ يَرِيدُ الْأَمِيرَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ؛ فَسَارَ حَتَّى أَتَى إِلَى الْمُدَوَّرِ. وَكَانَ الْأَمِيرُ بِوَمَثَلٍ قَدْ خَرَجَ غَازِبًا إِلَى شَرْقِ الْأَنْدَلُسِ؛ فَرَجَعَ إِذْ بَلَغَهُ أَمْرُ الْعَلَاءِ؛ فَلَمَّا دَنَا مِنْ قَرْطَبَةَ، أَمَرَ مَنْ كَانَ مَعَهُ مِنْ أَهْلِ إِسْبِيلِيَّةٍ أَنْ يَقْرَأُوا فِي الْمُدَوَّرِ، إِذْ كَانَ قَدْ أَتَاهُمْ لِمَبْلِ أَهْلِ إِسْبِيلِيَّةٍ إِلَى الْعَلَاءِ؛ ثُمَّ نَهَضَ، وَكَتَبَ سِرًّا إِلَى بَدْرِ مَوْلَاهُ، بِأَمْرِهِ يَقْتُلُهُمْ، كَانَ الظَّنُّ لَهُ أَوْ عَلَيْهِ. وَمَضَى الْعَلَاءُ؛ فَالْتَقَى مَعَهُ. فَكَانَتْ بَيْنَهُمَا حُرُوبٌ وَزَحُوفٌ. ثُمَّ قُتِلَ الْعَلَاءُ بِمَقْرَبَةٍ مِنْ قَرْمُونَةَ، وَفَضَّتْ جَمُوعُهُ. وَقُتِلَ مِنْ أَصْحَابِهِ نَحْوَ سِتَّةِ آلَافٍ. وَأَمَرَ الْأَمِيرُ بِحِزِّ رَأْسِ الْعَلَاءِ وَرُؤُوسِ أَشْرَافِ أَصْحَابِهِ؛ وَقُرِطَتْ فِيهَا صَكُوكٌ بِأَسْمَائِهِمْ، وَجُعِلَتْ فِي أَوْعِيَةٍ؛ وَنَدَبَ الْأَمِيرُ بِهَا قَوْمًا تَوَجَّهُوا بِهَا إِلَى الْفَيَّرَوَانِ؛ فَطَرَحُوهَا فِي اللَّيْلِ فِي الْأَسْوَاقِ. فَتَسَمَّعَ النَّاسُ أَمْرَهَا، وَاتَّصَلَ الْأَمْرُ بِأَبِي جَعْفَرَ؛ فَانْكَسَرَتْ حِدَّتُهُ. ^١ وَقِيلَ إِنَّ الَّذِي هَزَمَ الْعَلَاءَ بَدْرُ مَوْلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مَعَاوِيَةَ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وفي سنة ١٤٧، وجه الأمير عبد الرحمن بَدْرًا مولاة وسام بن علقمة في جيش كثيف الى طَلَبُطَّة، وبها هشام بن عروة^(١) (٢) نائز؛ فحاصراه^(٢) حتى سَمَّ أهل طَلَبُطَّة الحصار؛ فكاتبوا بَدْرًا وتساما، وسألوها الأمان على أن يُسلموا لها ابن عروة^(١)، وهشام^(٣) بن حمزة بن عبيد الله بن عمر بن الخطاب، وحيوة ابن الوليد؛ وكانوا يداً واحدة. فأسلموهم اليها، وخرج بهم نسام الى قُرْطُبَة؛ فلقبه عاصم بن مُسَلِّم؛ فقبض منه الأسرى، وعهد اليه عن الأمير أن يكرّ الى طَلَبُطَّة والبا عليها، ويُقِلَّ بَدْرًا الى قُرْطُبَة. وأقبل عاصم بالأسرى؛ فلما احتل بقرية حلزة، خرج اليه ابن الطنيل، ومعه حجام وجباب صوف وسلال؛ فخلق رؤوسهم ولحاهم، وألبسهم جباب الصوف، وأدخلهم في السلال، وحملهم على الحمر؛ فأتى بهم على تلك الحال الى خشب قد أُعدت لهم؛ فصلبوا فيها. وكتب الى البلدان بفتح طَلَبُطَّة.

وفي سنة ١٤٩، ثار سعيد البحصي المعروف بالمطري بكورة أسبلة؛ واجتمعت اليمانية اليه، ولادوا بحقونه. ثم سار الى إشبيلية، وتغلب عليها قسراً، ولم يجد أهلها في مدافعتهم نصراً. فكثرت عدده، وتأزر عضده؛ وعاد عسكره مهولاً، قد أخذ وعوراً وسهولاً. فسار اليه الأمير عبد الرحمن في جيوش عظيمة المدد، مجهولة العدد، حتى نزل عليه بقلعة زعواق؛ وكان المطري قد تحصن بها، ولاذ بجانبها؛ فحصره فيها حصراً، وأرهقه من أمره عسراً، حتى خرج متعريضاً P. ٥٦ للعرب في جماعة من فرسانه الأكابر، ومن اختصه من أولئك البرابر؛ فلم تنشب الحرب بينهم إلا قليلاً، وقُتِلَ المطري ومن معه تفتيلاً. وجيء برأسه الى الأمير عبد الرحمن؛ فأمر للحين برفعه^(٤) في طرف سنان.

وفيها، قتل الأمير عبد الرحمن أبا الصباح بن يحيى البحصي. وكان قد ولّاه إشبيلية، ثم عزله عنها؛ فجمع اليه أهل الخلاف وثار عليه؛ فوجه اليه الأمير مولاة تساماً مُلاطفاً له؛ فقدم معه قُرْطُبَة في أربعائة رجل على غير عهد؛

١) عزرة A. 2-2) Manque dans A. 3) وعثمان B. 4) ورفع في الوقت A.

فاوصله سَام اليه ؛ فمات به ؛ فأغظ له أبو الصباح في انجباب ؛ فأمر بقتله ؛ ثم أمر بإخراج رأسه والوثف عليه .

وفي سنة ۱۵۰ . هاجت فِتْنَةُ الْبَرْبَرِ بِسَنَتِ بَرِيَّةِ .

وفيها ، غزا بَدْرُ إِلَى الثَغْرِ ، وَنَقَدَ إِلَى أَلْبَةِ ؛ فحاربها ؛ فأذعت له ، وأدت اليه الخِزْيَةَ . وأمر بامتحان الرجال بتلك الناحية ، واختبار بصائرهم ؛ فاستفد منهم مَنْ أَصْلَحَ لَهُ عَلَى سِوَى سِرْبَرَةٍ وَشُبُهَةِ فِي الثَغْرِ .

وفي سنة ۱۵۲ . ناز رجلٌ مِنَ الْبَرْبَرِ ، ادَّعى أَنَّهُ مِنْ وَلَدِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ - رَضِيَ - ؛ وَكَانَ أَصْلَهُ مِنْ مَكْنَسَةِ الْعُدُوَّةِ ؛ وَكَانَتْ أُمُّهُ تُسَمَّى فَاطِمَةَ ؛ فَادَّعى أَنَّهُ فَاطِمِيُّ ؛ وَتَجَمَّعَ لَهُ الْفَوْغَاءُ ۱۱ . فخرج اليه الأمير من قُرْطُبَةَ ، وَخَلَفَ بِهَا أَسَـ مَتَانًا ؛ فَتَنَحَّمَ الْجَمَالَ أَمَامَهُ بِنِ كَان مَعَهُ ، وَانصَرَفَ الْأَمِيرُ إِلَى قُرْطُبَةَ . فَأَقْبَلَ النَّاضِئِيُّ ، وَقَتَلَ عَامِلَ سَنَتِ بَرِيَّةِ ؛ وَغَلَّظَ أَمْرَهُ . فَكَانَ الْأَمِيرُ يَرْسِلُ إِلَى قَتَالِهِ بَعْضَ الْفِيَالِقِ ؛ فَيَتَعَلَّقُ بِالْجَمَالَ الشَّوَارِقِ .

وفي سنة ۱۵۴ . خرج الأمير عبد الرحمن لغزو الداعي الفاطمي ؛ فهرب وركب الوعر ؛ فانصرف الأمير . فرجع الفاطمي ؛ فغزاه بَدْرٌ بِالصَّائِفَةِ ؛ فوجد بجهة شَطْرَانِ ؛ فَأَبْعَدَ رَجَاءً أَنْ يَدْرِكَهُ . فدخل المفاوز ، وانقطع أثره . ومضى هذا الداعي إلى مَدَائِنِ ؛ وَكَانَ عَامِلُهُ أَبُو زَعْبَلِ الصَّدْفُورِيُّ . فتبادت فتنه من ۱۱ سنة ۱۵۰ إلى سنة ۱۶۰ . إلى أن اغتاله بعض أصحابه ؛ فقتله ، وغنمه هناك وجدَّاه .

وفي سنة ۱۵۷ . هبَّ الإمام عبد الرحمن قُرْطُبَةَ . ولم يكن له بها حركة .

وفي سنة ۱۵۵ . خرج الإمام عبد الرحمن من قُرْطُبَةَ ؛ فَحَلَّ بِسَنَتِ بَرِيَّةِ . وقدم عليه هلالٌ من أساء المدثوني ؛ فكتب له عهداً على فومه ، وأقره على موضعه ؛

وكان راس البربر في شرق الأندلس. وقلد أمر الفاطمي المتقدم الذكر؛ فكان في ذلك الراحة منه، وتفرقت بفعله ذلك كلمة البربر، وانحلت عنده الفاطمي، وانصرف من شنت برية الى الجوف.

وفي سنة ١٥٦، ثار على الأمير عبد الرحمن عبد الغافر البعصي، وخلع طاعنه. وكان الأمير بناحية الشرق؛ فكتب اليه بدر من قرطبة؛ فطوى المراحل اليه؛ ثم تقدم الى إشبيلية؛ فوضع السيف فيه وفي أصحابه؛ فقتلوا قتلاً ذريعاً. وأفلت عبد الغافر؛ فركب البحر، ونجا الى المشرق.

وفي سنة ١٥٧، خرج الأمير عبد الرحمن الى ناحية الغرب، واحتل إشبيلية، وقتل بها خلقاً كثيراً ممن كان بسبيل عبد الغافر، وقطع آثارهم، ووطد الطاعة. ثم انصرف معجلاً، لأنه إنما قصد امتحان أهل إشبيلية ونحبصهم. (١) وقيل: كان ذلك سنة ١٥٨.

وفي سنة ١٥٩، غزا الإمام عبد الرحمن قورية، وقصد في طريقه ذلك البربر الذين غدروا بأبي زعبل ومكنوه من الفاطمي، فقتله؛ فدوخ بلد البربر، وقتل منهم خلقاً كثيراً وأذلهم. وأخذ^(٢) أبا مزكاة المصمودي، وهو عباس ابن قلعوش.

وفي سنة ١٦٠، أخرجت الصائفة الى الفاطمي؛ وكان في أحواز شنت برية؛ فعورض بالحيل، وقطعت عاديته.

وفي سنة ١٦١، وقيل سنة ١٦٢، دخل الى الأندلس عبد الرحمن بن حبيب * الفهرشي المعروف بالصفلي؛ فنزل كورة تدمير؛ فاستقر بها، ولم تبد منه في تلك السنة عادية؛ وإنما لقب بالصفلي لأنه كان طويلاً، أشقر، أزرق، أمعر.

1-1) Manque dans B.

2) Manque dans A.

وفيها، حمل نهر قُرْطَبَة حملاً عظيماً، حتى سدَّ حنايا القنطرة وهدم بعضها
وزلزلها؛ وفي كذلك يومين ١١.

وفي سنة ١٦٢، ثار عبد الرحمن بن حبيب الفهري، المتقدم الذكر في
السنة قبل هذه، في ناحية تدمير، فزاد الأمير عبد الرحمن؛ فهرب ابن حبيب
وتعلق بالوعر؛ فجال العسكر في كورة تدمير، وتقدم إلى كورة بلسية، بعد
أن أحرق المراكب بساحل البحر. ثم إنَّ مشكراً البربري قتل ابن حبيب
الصقلبي وقتله.

وفيها، ثار ابن شجرة سمورور؛ فخرج إليه بئر يوم الأضحى؛ فألقاه على
غزة، فقتله، وكتب إلى الإمام بالفتح. وقيل: بل كان ذلك في سنة ١٦٢.

وفي سنة ١٦٤، غزا الإمام عبد الرحمن الرماحيس بن عبد العزيز؛
وكان على شرط مروان بن محمد؛ فلقق بالأندلس؛ فولاه الإمام الجزيرة؛
فخلع طاعته؛ فخرج إليه وأحلَّ بالجزيرة؛ فوجد الرماحيس في الحمام؛ فلم يشعر
إلا وخيل الإمام نجومس الديار؛ فأعجل الرماحيس عن لبس نيابه، وخرج في
ملحنة مصبغة؛ فدخل في قارب، ونجا إلى العدو. ووجد الأمير عبد الرحمن
في سجنه جماعة من الأمويين؛ فأطلقهم.

وفي سنة ١٦٥، ثار على الأمير عبد الرحمن الحسين بن يحيى بن سعد بن
عبادة الأنصاري بسرقسطة؛ فسار إليه بالجماهير؛ والعسكر الشهير؛ فحاصره
بسرقسطة حصاراً، وقدم لقتاله أحزاباً وأنصاراً، إلى أن خرج طائفاً إليه،
مترامياً عليه؛ فقبل إنبته، ولم يُعْزِم إجابته. فلما عنا عنه، وأغضى عما كان
P. ٥١ منه، أبقاه بسرقسطة والياً. ونقل الأمير إلى قُرْطَبَة سمي اللواء، فامر الأعداء.
ثم إنَّ الحسين خسر الذئمة، وكثر النعمة، وأعلن بالتمام إعلاناً، وأرسل في

الشفاق عناناً؛ فسار إليه الإمام أيضاً، ونازله نزالاً، وأذاق سَرَقُسطة نكالاً، الى ان فتحها بنقُب سورها فتحاً شبيحاً، وقتل الحسين وأصحابه قتلاً ذريعاً. وولى عليهم عليّ بن حمزة، وقتل الى قُرطبة طاهر العزّة.

ومن «كتاب بهجة النفس» قال: وفي سنة ١٦٧، غزا الإمام سَرَقُسطة الى حُسين بن يحيى؛ فحاصره حتى أخذ المدينة عنوةً، وقتل حسيباً بالدمغة وجماعة معه؛ وأخرج أهل المدينة عنها الى قرية على ثلاثة أميال ليمين لزمته فيهم؛ ثم صرفهم اليها بعد أيام، وقتل الى قرطبة.

وفي سنة ١٦٨، أراد المغيرة بن الوليد بن معاوية القيام على الإمام؛ وكان وطنه يومئذ بالرصافة؛ فانكشف له يومئذ أمره من قبل بعض من تعاقد معه؛ فأحضرهم بين يديه، وأقرؤا؛ فأمر بقتلهم، واستبقى الناضح لهم. ونحوّل الإمام عبد الرحمن يومئذ من الرصافة الى قصر قُرطبة.

وفي سنة ١٦٩، ثار على الأمير عبد الرحمن محمد بن يوسف الفهري،^(١) الذي كان قد تعامى وهرب^(٢)؛ وكان قد تحرك من طليطلة وجهة الشرق بالحشود. وبلغ الإمام خبره؛ فأمر بجشد الكور، والتقى معه في مخاضة الفتح؛ فكان بينهم زحفٌ وقتالٌ أياماً؛ ثم انهزم محمد المذكور^(٢)؛ فقتل رجاله، وأفنى عدده.^(٣) وكانت هذه الواقعة يوم الأربعاء مستهل ربيع الأول من السنة^(٣). قال الرازي: قُتل فيها أربعة آلاف رجل، سوى من تردى في الوادي، وهلك في المهاوي. وهرب محمد بن يوسف هذا الى قورية.

وفي سنة ١٧٠، خرج الأمير عبد الرحمن الى محمد بن يوسف الفهري، حتى بلغ قورية. ففرّ أمامه، وأدركت الخيل عياله وأصحاباً له؛ فقتل من أدرك،

1-1) Manque dans A.

2) A. ajoute ici: الأعمى

3-3) Manque dans B.

وأحرقت دوره. وانقطع محمد بن يوسف وحده، وانحاش الى غياض. وأوقع
 1. 70. الأمير بربر نقزة؛ فأذلهم، وأذهب عاداتهم. ثم مات محمد بن يوسف
 11 نفرة ركانة من عمل طابطة.

وفي سنة 171، قام فاسم بن عبد الرحمن النهري، عم محمد بن يوسف
 أخو يوسف النهري¹¹، وخلع الطاعة؛ فلما تحرك أمره، وجه اليه الأمير عبد
 الرحمن الجيوش؛ فأذعن له بالطاعة.

وفي سنة 170 المتقدمة، أمر الأمير عبد الرحمن بتأسيس المسجد الجامع
 بحضرة قرطبة؛ وكانت بموضعه¹² كنيسة؛ فأنفق فيه مائة ألف بالوازنة.

وفي سنة 172، مات الإمام عبد الرحمن بن معاوية - رحمه الله! -
 وذلك يوم الثلاثاء. امت بقين من ربيع الآخر من السنة المذكورة.

ذِكْرُ بَعْضِ أَخْبَارِهِ عَلَى الْجُمْلَةِ

كان الإمام عبد الرحمن فصيحاً، بليغاً، حسن التوقيع، جيد النصول.
 مطبوع الشعر. مما أملاه على كاتبه الى سليمان بن الأعرابي: «أما بعد، فدعني
 بن معارض البعاذير، والنصف عن جادة الطريق! لتتبدن بدا الى الطاعة،
 والاعتصام بحبل الجماعة، أو لألفين¹³ سائباً على رخص المعصية تكالاً بما قدمت
 بذاك! وما الله بظالم للعبيد¹⁴»

وكتب عنه أمية بن زيد كتاباً الى بعض عماله، يستنصره فيما فرط من
 عمله؛ فأكثر وأطال الكتاب. فلما لحظه عبد الرحمن بن معاوية، أمر بنطعه،
 وكتب بخط يده: «أما بعد، فإن يكن التفسير لك مقدماً، فعدي الاكتفاء
 أن يكون لك مؤخراً. وقد علمت بما تقدمت؛ فاعتيد على أيها أحميت¹⁵!»

1-1) Leçon de B., plus précise que celle de A.

2) Manque dans A.

3) Cor., p. 36 (d'après Makkari, II, p. 27): لأزوين.

4) Cor. XLI, 40.

5) Voir Cor., p. 36-38.

وثار عليه نائزٌ؛ فغزاه وظفر به. فبينما هو في الطريق، إذ نظر الى النائر، وهو على بغل في كبوله، ونحت الأمير عبد الرحمن فرساً له؛ فلما لحقه، قنع رأسه بالقناة⁽¹⁾، وقال: «يا بغل! ما ذا تحمل من الشقاق والنفاق!» فقال النائر: «يا فرس! ما ذا تحمل من العفو والإشفاق!» فقال: «والله! لا ذقت موتاً على يدي!» فأطلقه.

ومن شعره البديع الرائع، ما كتب به الى بعض من طراً عليه من قریش؛ وكان قد استغل جرایته⁽²⁾، واستطال بقرابته، وسأله الزيادة له والتوسعة؛ فكتب اليه بهذه الأبيات [بسيط]:

سِيَّانٍ مَنْ قَامَ ذَا امْتِعَاضٍ	بِمَنْتَضَى الشَّفَرَتَيْنِ نَصَلًا
فَجَابَ قَفْرًا وَشَقَّ بَحْرًا	مُسَامِيًا لُجَّةً وَمَخْلًا
فَبَزَّ ⁽³⁾ مُلْكًا وَشَادَ عِزًّا	وَنَائِرًا لِلخِطَابِ فَضْلًا
وَجَنَّدَ الْجُنْدَ حِينَ أُوْدَى	وَمَصَّرَ الْمِصْرَ حِينَ أَجْلًا
ثُمَّ دَعَا أَهْلَهُ جَبِيْعًا	حَيْثُ اتَّوَلَوْا أَنْ هَلُمَّ أَهْلًا
فَجَاءَ هَذَا طَرِيْدَ جُوعٍ	شَرِيْدَ سَيْفٍ أُبِيْدَ قَتْلًا
فَنَالَ أَمْنًا وَنَالَ شَبْعًا	وَنَالَ مَالًا وَحَازَ أَهْلًا

وذكر أن أبا جعفر المنصور قال يوماً لبعض جلسائه: «أخبروني: من صفر قریش من الملوك؟» قالوا: «ذاك أمير المؤمنين الذي راض الملوك، وسكن الزلازل، وأباد الأعداء، وحسم الأدواء!» قال: «ما قلتم شيئاً!» قالوا: «فمعاوية؟» قال: «لا!» قالوا: «فعبد الملك بن مروان؟» قال: «ما قلتم شيئاً!» قالوا: «يا أمير المؤمنين! فمن هو؟» قال: «صفر قریش عبد الرحمن بن معاوية، الذي عبر البحر، وقطع القفر، ودخل بلاداً أعجيباً، منفرداً بنفسه؛ فمصر الأمصار، وجند الأجناد، ودون الدواوين، وأقام ملكاً عظيماً

1) Corr.: بالعباءة (d'après le 'Ikd, II, p. 358).

2) جزايته A. et B.

3) A. et B. فشد

بعد انقطاعه، (بجس تديره، وشدة شكيمته. إن معاوية نهض بتركب حمله عليه عمر وعثمان، وذالاً له صعبه، وعيد الملك ببيعة أبرم عندهما، وأمير المؤمنين بطلب عثره، واجتماع شيعته. وعبد الرحمن¹ منفرد بنفسه، مؤيد رآه، مستصحب لعزمه، وطد الخلافة بالأندلس، وافتتح الثغور، وقتل المارقين، وأذل الجبابرة الثائرين!) فقال الجميع: «صدقت، والله، يا أمير المؤمنين!» وكان الإمام عبد الرحمن من أهل العلم، وعلى سيرة جميلة من العدل. ومن قوله (2) - رحمه الله! - يتذكر وطنه (3) اخفيف:

أيها الراكب اليميم أرضي اقرأ بعض السلام عني لبعضي
 إن جسبي كما نراه بأرضي فسوادي ومالكه بأرضي
 قدر الدين بيننا فافترقنا وطوى الين عن جفوني غمض
 قد قضى الله بالبعاد علينا فغنى باقترابنا (3) سوف يقضى

وله من الشعر كثير مشهور. وذكر الرازي أن الإمام عبد الرحمن، أول نزوله بمينة الرصافة واتخاذها، نظر فيها إلى نخلة، فهاجت شجته. وتذكر وطنه، فقال على البيهية [طويل]:

سدت لنا وسط الرصافة نخلة نأمت بأرض الغرب عن سد النخل
 فقلت شبيهي في المغرب والنوى وطول التناهي عن نبي وعن فني
 نأمت بأرض أنت فيها غريبة فمثلك في الإقصاء والمتاي مثل
 سفاك غواصي المزن من صوبها الذي يسح ويستمرى السماكين بالوبل

وكان - رحمه الله! - قد عقد العهد لابنه هشام وسليمان. فولى هشام هشام، على ما أذكره.

1-1) Ce passage est donné en fin de phrase par B, qui renverse l'ordre de la proposition.

2-2) Manque dans A. 3) B. باجتاعنا.

خِلافة هِشام الرِّضَى بن عبد الرَّحْمَنِ الدَّاخِلِ

كُنْيَتُهُ: أَبُو الْوَلِيدِ. مَوْلَدُهُ: سنة ١٢٩. أُمُّهُ تُسَمَّى جَمَالاً. نَقَشَ خَاتَمَهُ: «بِاللَّهِ يَثِقُ عَبْدُهُ هِشَامٌ وَبِهِ يَعْصِمُ». صَاحِبُ شُرْطَتِهِ: عبد الغافر بن أبي عَبْدَةَ. وَزَرَائِفُهُ: ثمانية. كُتَّابُهُ: اثنان: فُطَيْسُ بن عيسى، وخطاب بن زيد. قاضيه: المصعب بن عمران. صِفَتُهُ: أبيض مُشْرَبٌ بِجُمْرَةٍ، بعينه * حَوْلٌ. حاجبه: عبد P. ٦٢ الرحمن بن مغيث. بنوه: الذكور ستة، والإناث خمس.

بُويِعَ يَوْمَ الْأَحَدِ مَسْنَهْلَ جُمَادَى الْأُولَى مِنَ السَّنَةِ. وَكَانَ عِنْدَ¹ مَوْتِ أَبِيهِ بِمَدِينَةِ مَارِدَةَ؛ فَوَافَاهُ الْخَبْرُ؛ فَطَرَقَ، وَوَصَلَ قُرْطُبَةَ بَعْدَ سِتَّةِ أَيَّامٍ. فَبَايَعَهُ الْخَاصَّةَ وَالْعَامَّةَ. وَكَانَ أَخُوهُ بَطْلَيْطَلَةَ؛² وَكَانَ أَكْبَرَ سِنًا مِنْهُ؛ فَلَمَّا اتَّصَلَ بِهِ خَبَرَ أَبِيهِ، حَشَدَ الْحَشُودَ، وَجَنَّدَ الْجُنُودَ، يَرِيدُ قُرْطُبَةَ، مَخَالِفًا لِأَخِيهِ. فَلَمَّا حَصَلَ بِجِيَّانَ، خَرَجَ إِلَيْهِ هِشَامٌ فِي أَجْنَادِهِ، وَالتَفَى مَعَهُ بِجَهَةِ بُلْجٍ؛ فَوَفَعَتْ بَيْنَهُمْ حَرْبٌ شَدِيدَةٌ؛ فَانْهَزَمَ سُلَيْمَانُ، وَأَسْلَمَ عَسْكَرُهُ، وَفَرَّ عَلَى وَجْهِهِ. وَقَتَلَ هِشَامٌ إِلَى قُرْطُبَةَ ظَافِرًا فِي أَجْنَادِهِ.

وَتُوُفِيَ هِشَامٌ لَيْلَةَ الْخَمِيسِ لثَلَاثِ خَلْوَنٍ مِنْ صَفَرِ سَنَةِ ١٨٠؛ فَكَانَ عُمُرُهُ أَرْبَعِينَ سَنَةً وَأَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَأَرْبَعَةَ أَيَّامٍ؛ فَكَانَتْ مَدَّةَ دَوْلَتِهِ وَخِلَافَتِهِ سَبْعَ سِنِينَ وَتِسْعَةَ أَشْهُرٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ.

وَقِيلَ إِنَّ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنَ مُعَاوِيَةَ - رَحِمَهُ اللَّهُ! - لَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ، وَابْنُهُ هِشَامٌ بِمَارِدَةَ، وَابْنُهُ الْآخِرُ سُلَيْمَانُ بَطْلَيْطَلَةَ، وَكُلُّ ابْنِهِ عَبْدِ اللَّهِ الْمَعْرُوفِ بِالْبَلَنْسِيِّ، وَقَالَ لَهُ: «مَنْ سَبَقَ إِلَيْكَ مِنْ أَخَوَيْكَ، فَأَزِمِ إِلَيْهِ بِالْخَاتَمِ وَالْأَمْرِ! فَإِنْ سَبَقَ إِلَيْكَ هِشَامٌ، فَلَهُ فَضْلُ دِينِهِ وَعَفَافِهِ وَاجْتِمَاعِ الْكَلِمَةِ عَلَيْهِ؛ وَإِنْ سَبَقَ إِلَيْكَ سُلَيْمَانُ، فَلَهُ فَضْلُ سِنِّهِ وَنَجْدَتِهِ وَحُبِّ الشَّامِيِّينَ إِلَيْهِ!» فَقَدِمَ هِشَامٌ مِنْ مَارِدَةَ قَبْلَ سُلَيْمَانَ؛ فَتَزَلَّ بِالرُّصَافَةِ، وَخَافَ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ أَخِيهِ، إِذْ صَارَ

1) A. et B. بعد؛ B. a en marge la correction قبل

2-2) Manque dans A.

مُمَكِّناً من قُرْطُبَةَ والنَّصْر والأموال، أن يدافع. فخرج إليه اخوه عبد الله،
وسلم عليه بالخلافة، ودفع إليه الخاتم، كما أوصاه أبوه، وأدخله النصر.

قال الرازي: ولما صار الأمر إلى هشام، واتصل ذلك بسليمان أخيه، أخذ
بيعة أهل طَلَبُطْلَةَ وما جاورها لنفسه، وغلب عليها. وشغلة أمر أخيه هشام.
فلما سعى به بن الحسين الأنصاري بساعتت من إقليم طَرَطُوثَةَ، وأقبل إلى
سَرَفُطْنَةَ، فأخرج منها وإليها، وضرب بين الناس، ودعا إلى نفسه وإلى السنة؛
فأرسلها مَصْرِيَّةً وسَمَانِيَّةً، وحشد موسى بن قُرْتُوبٍ إلى سَرَفُطْنَةَ؛ فأخذها؛ وكان
على دعوة المَصْرِيَّةِ؛ فالتقى مع البَصِيئِيِّينَ. وكانت بينهم حرب؛ فقتل منهم جماعة،
ودخل سَرَفُطْنَةَ، ثم لدم مطرُوح بن سليمان بن الأعرابي على دعوة أبيه من
بَرَشَلُونَةَ؛ فغلب على وشغلة وسَرَفُطْنَةَ والنفر كِه.

P. 71

وفي سنة ١٧٢، طمعت نفس عبد الله البَلَنْسِيُّ أخى هشام إلى الإمارة؛
وقد كانت في يده أولاً، ولم يرَضَ منه إلا بمُشَارَكته، وذلك بعد سبعة أشهر من
وفاة والدها. وكان هشام بيثه، ويتراضاه، ويفضله على الكثير من إخوته؛ فلم
يقتنع ذلك، وخرج يريد أخاه سليمان بَطَلَبُطْلَةَ. فلما بلغ الأمر إلى هشام،
أشفق من ذلك، وأخرج إليه من يُرْضِيهِ ويرُدُّه؛ فلم يدركه. ومضى حتى قدم
طَلَبُطْلَةَ.

وفي هذه السنة، خرج هشام إلى أخيه سليمان بَطَلَبُطْلَةَ. فلما نزل عليه، خرج
سليمان مستنجباً، وخلف أخاه عبد الله وأبنته داخل المدينة، ونهض يريد انتهاز
الفرصة؛ فطوى المراحل، حتى احتل بِنَسْقُنَةَ. فخرج أهل قُرْطُبَةَ مدافعين له.
وبلغ هشاماً خبره؛ فلم يكثر ذلك. ووجه ابنه عبد الملك يقفوا أثره؛ فلما
قرب منه، ولي سليمان منهزماً، وقطع إلى غير وجهة حتى خرج منصرفاً إلى ناحية
مَارِدَةَ؛ وكان عاملها حُدَيْرُ المعروف بالمدبوح؛ فخرج إليه؛ فهزمه. ونمادى
الأمير هشام في حصار طَلَبُطْلَةَ شهرين وأياماً؛ ثم قتل عنها.

وفي سنة ١٧٤، انصرف عبد الله البلنسي إلى أخيه هشام بلا عهد ولا أمان؛ فانزله الإمام هشام عند ابنه الحكم.

وفيها، أغزى هشام ابنه معاوية إلى تدمير، وقائداه شهيد بن عيسى ونمام ابن علقمة؛ فدواخوا تدمير (وهي مرسية)، وبلغوا البحر. وكان سليمان* (يعني P. ٦٥ أخا هشام) قد حصل في بعض ثغور تدمير؛ فطلب سليمان الأمان؛ فاشترط عليه الأمير هشام الخروج عن الأندلس، ويعطيه ستين ألف دينار؛ فركب سليمان البحر بأهله وولده، واحتل بلاد البربر. فكفاه الله أمر إخوته.

وفي سنة ١٧٥، أغزى هشام بن عبد الرحمن عبيد الله إلى سرقسطة. وبها يومئذ مطروح المذكور؛ فحاصرها عبيد الله؛ ثم احتل بمدينة طرسونة، وألح عليها بالمحاصرة، حتى ضاق ذرع أهل سرقسطة، وضجوا من نغادي المحصار؛ فخرج مطروح في بعض الأيام منصيداً، ومعه عمرو بن يوسف وابن صلتان؛ فلما أرسل باريه على طائر ونزل على الصيد، تغاوراه بسيوفهما حتى قتلاه، واحتز رأسه، وتقدما به إلى ابن عثمان، وهو بطرسونة؛ فتحرك إلى سرقسطة؛ فلم يمتنع عليه أحد من أهلها؛ ودخل المدينة؛ فنزلها، وبعث برأس مطروح إلى الأمير هشام.

وفي سنة ١٧٦، أغزى الإمام هشام أبا عثمان عبيد الله بن عثمان إلى آلة والفلاح؛ فلقى بها أعداء الله بمجموعهم متوافين؛ فهزمهم الله على يديه، وقتلوا في السهل والوعر؛ وانتهى ما حيز من رؤوسهم إلى تسعة آلاف رأس ونيف.

وفي هذه السنة، غزا يوسف بن بخت إلى جابقية؛ فالتقى بيزمود الكبير، وواضعه الحرب؛ فانهزم عدو الله، وانتهب المسلمون عسكره، وقتل فيهم مفئلة عظيمة، وحز من رؤوسهم عشرة آلاف، سوى من لم يتمكن منه ممن

قُتِلَ فِي الْوَعْرِ. وَأَتَى هَذَا الْفَتْحَ قَرْطَبَةَ^١ بَعْدَ فَتْحِ أَبِي عَثْمَانَ. ذَكَرَ ذَلِكَ الرَّازِيُّ وَغَيْرُهُ.

وَفِي سَنَةِ ١٧٧، أَغْرَى الْإِمَامُ هِشَامُ عَبْدَ الْمَلِكِ بْنِ عَبْدِ الْوَاحِدِ بْنِ مُغِيثٍ بِالصَّانِفَةِ إِلَى أَرْضِ الرُّومِ، وَهِيَ غَزْوَةٌ شَهِيرَةٌ الْمَخْبَرُ، جَلِيلَةٌ الْخَطَرُ، انْتَهَى فِيهَا إِلَى إِفْرَنْجَةَ، فَمَحَاصِرَهَا، وَتَلَّمَ بِالْمَجَانِينِ آسَافَهَا، وَأَشْرَفَ عَلَى بِلَادِ الْمَجُوسِ؛ وَجَالَ فِي بِلَادِ الْعَدَوِّ. وَبَنَى شَهْرًا بِحَرْقِ الْفَرَى وَبِحَرْبِ الْخَصُونِ. وَأَوْقَعَ بِمَدِينَةِ أَرْبُوتَةَ، وَكَانَ فَتْحًا عَظِيمًا، بَلَغَ فِيهِ خَيْسُ السَّبْيِ إِلَى خَمْسَةِ وَأَرْبَعِينَ أَلْفًا مِنَ الذَّهَبِ الْعَبِينِ.

وَفِي سَنَةِ ١٧٨، هَاجَتِ الْفِتْنَةُ بِتَاكُرْنَا، وَخَالَفَ بَرَبَرُهَا، وَغَارُوا عَلَى النَّاسِ، وَقَتَلُوا وَسَوَّأُوا. فَبِعَثَ الْإِمَامُ هِشَامُ إِلَيْهِمُ الْأَجْنَادَ بَعْدَ الْإِعْذَارِ إِلَيْهِمْ. فَقَتَلَ أَكْثَرَهُمْ، وَفَرَّ سَائِرُهُمْ إِلَى طَلَبِيَّةَ وَبَرْجِيلَةَ. وَأَقَامَتْ تَاكُرْنَا، وَهِيَ إِقْلِيمُ رُنْدَةَ، وَبِلَادُهَا خَالِبَةٌ قَدْرًا سَبْعَ سِنِينَ.

وَفِي سَنَةِ ١١٩. أَغْرَى الْإِمَامُ هِشَامُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَبْدَ الْكَرِيمِ بْنِ مُغِيثٍ بِالصَّانِفَةِ. حَتَّى انْتَهَى إِلَى مَدِينَةِ أَسْتُرْقَةَ دَاخِلِ جَلِيفِيَّةَ. فَبَلَغَهُ أَنَّ إِذْفُونَشَ قَدْ حَسَدَ بِلَادَهُ. وَاسْتَمَدَّ الْبَشَكِشَ وَأَهْلَ تَلِكِ النَّوَاحِي الَّتِي تَلِيهِ مِنَ الْمَجُوسِ وَغَيْرِهِمْ، وَأَنَّهُ عَسَاكَرَهُمْ مَا بَيْنَ حَيْزِ جَلِيفِيَّةَ وَالصَّخْرَةَ، وَأَنَّهُ أَذِنَ لِمَسْكَانِ السَّهْلِ بِالتَّنَرُوقِ فِي شَوَاقِقِ جِبَالِ السَّوَاخِلِ. فَتَقَدَّمَ عَبْدُ الْكَرِيمِ فَرَجُ بْنُ كِنَانَةَ فِي أَرْبَعَةِ آلَافِ فَارِسٍ؛ ثُمَّ رَدَلَ فِي إِثْرِهِ؛ فَالَى أَعْدَاءَ اللَّهِ؛ فَوَاضَعَهُمُ الْحَرْبَ حَتَّى هَزَمَهُمُ اللَّهُ؛ فَقَتَلَ حُمَاتِهِمْ، وَأَسَرَ جَمَاعَةً مِنْهُمْ؛ ثُمَّ أَمَرَ بَعْدَ انْحِلَالِ الْحَرْبِ بِقَتْلِهِمْ، وَبِتَّ الْخَيْلَ فِي الْفَرَى؛ فَانْتَسَفَتْ جَمِيعَ مَا أَلْتَهُ مِنْ زُرُوعِهِمْ، وَخَرَّبَتْ مَا مَرَّتْ عَلَيْهِ مِنْ عِمَارَتِهِمْ. وَتَقَدَّمَ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى وَادِ يُقَالُ لَهُ كُوَيْبَةَ^٢؛ فَلَقِيَ بِهِ غُنْدُمَارَهُ

1) Manque dans A.

2) Blo in A. et B.; mais voir Cbr., p. 39.

وهو في ثلاثة آلاف فارس فقاتله حتى انهزم عسكره، وأُخِذَ غَنْدُمَارَهُ (1) أسيراً، وقُتِلَ من أصحابه عددٌ كثيرٌ. وأصاب العسكر جميع ما في تلك الناحية. وتقدم مستنجيزاً (2) لإذفونش؛ فلما بلغه قصده اليه، تنحى عن الجبل الذي كان فيه منحازاً عنه الى حصن له، كان قد بناه وأتقنه على وادي نأون؛ فتقرب منه عبد الكريم مقتنياً لأثره، لا يمر بمزل فيها بينه وبينه إلا حرّقه، ولا يمال إلا أصابه، P. 77 حتى أطل على الحصن. فانتقل منه الى حصن مُلْك. واحتل عبد الكريم بالحصن الذي انتقل منه؛ فألقى فيه الأطعمة وضروب الذخّر، وبعث في اليوم الثاني من حلوله به فرج بن كنانة، في عشرة آلاف فارس، يفتوا أثره؛ فلما قرب منه، انهزم عنه وأسلم جميع ثدته وذخره؛ فغنم المسلمون جميع ذلك.

وفي سنة 18، توفى الإمام هشام بن عبد الرحمن - رحمة الله عليه! - ودُفن بقصر قرطبة؛ وصلى عليه ابنه الحكم؛ وذلك ليلة الخميس، كما تقدم ذكره. وباع الناس ابنه الحكم؛ وكان ابنه عبد الملك أسن منه.

ذَكَرَ بَعْضُ أَخْبَارِهِ عَلَى الْجَمَلَةِ (2)

كان - رحمه الله! (3) بسط البنان، فصيح اللسان (3)، وسبع الجنب، حاكماً بالسنة والكتاب؛ قبض الزكوات من طرفها، ووضعها في حقها؛ لم يأخذ في الله لوم، ولا تعلق به ظلم. ارتفع أخوه عن مبايعته، وامتنع عن طاعته، واستبد بطليطلة استبداداً، واستنفر للخلاف والفتن أجناداً؛ فما زال يشتغل بالفتنة بالآ، ويذيق الناس وبالآ؛ فد عظمت عليه به المحنة، وعُدِمَت منه الهدنة، حتى مات الأمير هشام، وحكمت بخلافة ابنه الحكم الأحكام؛ فحاربة في تلك الاقطار، الى أن اختطفته الأسنة والشفار؛ فأمن بعد ذلك الجنب، ولم يكن في ذلك التأريخ هنالك مجانب.

1) A. et B. غدشارة. 2) A. مستجيزاً. 3) A ajoute سنة دون تعيين سنة.

4-4) A. بسط اللسان، فسبح الجنبان.

وكان هشام يبعث الى الكور قوماً عدولاً يسألون الناس عن سير العمال، ثم ينصرفون اليه بما عندهم؛ فيقع نظره بهدم ما تكشفه المحنة له منهم. واعترض له يوماً منظمٌ من أحد عماله؛ فبدر الى الشاكي «من رجال العايل من رخصاه شقةً منه على العايل. فبعث الى الشاكي» وقال له: «أخيفت على كل ما ظلمك فيه؛ فان كان صربك، فاضربه؛ أو هنك لك ستر. فأفنتك ستره؛ أو أخذ لك مالاً، فخذ من ماله مثله، إلا أن يكون أصاب منك حدٌ من حدود الله!» فجعل الرجل لا يخلف على شيء إلا أقيد منه. فكان زجره هكذا لعماله. أبلغ فيهم من الكمال والأدب. وكان كريماً، عادلاً، فاضلاً. متواضعاً، عاقلاً، لم تعرف منه هفوةٌ في حديثه، ولا زلّةٌ في أيام صباه. «ومن كرمه أنه كان يصبر أموالاً في صرور، ويخرج بها بين المغرب والعشاء يتفقد المسجد؛ فإذا وجد واحداً يصلي في مسجد أو لا يصلي، وضع بين يديه صرة. حتى كثرت عمارة المساجد» وكان - رحمه الله! - قد نظر في بيان فطرة قرطبة، وأنتق في إصلاحها أموالاً عظيمة. وتولى بناءها بنفسه، وتُعطي الأجرة بين يديه. قال ابن وضاح: لما بنى هشام القنطرة، تكلم بعض الناس فيه، وقالوا: «إنا نأها لتعبه ونزّهته!» فحلف حين بلغه ذلك ألا يجوز عليها إلا لغزير أو مصلحة.

قال القاضي أبو معاوية: أدركتُ صدراً من الناس يحكون أن أيام هشام هذا كانت من الدعة والعافية والهدوء بحيث لم يُعلم لها مثل. وكان يحضر الجوائز، ويزارح فيها، كأنه أحد من الناس، تواضعاً. وكان لبعض رجال هشام خصومةٌ في دار عند القاضي مضعب بن عمران؛ فسجل عليه القاضي فيها وأخرجها منها؛ فنهض الرجل الى هشام، وقال له: «إن القاضي سجل علي في داري التي كنت أسكنها، وأخرجني عنها!» فقال له هشام: «وما ذا تريد مني؟ والله لو سجل علي القاضي في مقعدى هذا، لخرجتُ عنه!» انقياداً منه للعق -
رحمة الله عليه!

1-1) Omission par tautologie dans A.

2-2) Manque dans A.

قِصَّةُ الْكِنَانِيِّ مَعَ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ - رَحِمَهُ اللَّهُ

كان قبل خلافته يقعد في عِلْيَةِ مُطَلَّةٍ عَلَى النِّهْرِ، يَنْظُرُ مِنْهَا إِلَى الرَّبِضِ، وَتَفَعَّ عَيْنُهُ عَلَى مَنْ يَخْطُرُ. فَنَظَرَ يَوْمًا فِي الْهَاجِرَةِ إِلَى رَجُلٍ مِنْ بَنِي كِنَانَةَ؛ وَكَانَ مِنْ صَنَائِعِهِ، مَقْبَلًا مِنْ بَادِيَتِهِ بِجِيَّانٍ؛ وَكَانَ أَخُوهُ سَلْيَانَ وَالْيَأْ عَلَيْهِمَا؛ فَدَعَا فَتَى لَهُ وَقَالَ لَهُ: «أَرَى الْكِنَانِيَّ صَنِيعَنَا مَقْبَلًا فِي هَذِهِ الظُّهَيْرَةِ، وَمَا أَحْسِبُ¹ ذَلِكَ إِلَّا لَخَطْبِ أَقْلَقِهِ مِنْ أَبِي أَيُّوبِ أَخِي. فَإِذَا وَصَلْتَكَ، فَأَدْخِلْهُ عَلَيَّ كَمَا هُوَ.» فَفَعَلَ الْفَتَى مَا أَمَرَهُ. وَكَانَتْ مَعَ هِشَامِ جَارِيَةٌ لَهُ. فَلَمَّا دَنَا الْكِنَانِيُّ، رَفَعَ سِتْرًا كَانَ P. 79 أَمَامَهُ؛ فَدَخَلَتْ الْجَارِيَةُ خَلْفَهُ؛ ثُمَّ قَالَ لَهُ، بَعْدَ أَنْ سَلَّمَ عَلَيْهِ: «يَا كِنَانِيَّ، لَا أَحْسِبُكَ إِلَّا قَدْ دَهَمَكَ أَمْرٌ!» فَقَالَ لَهُ الْكِنَانِيُّ: «دَقَلْتُ رَجُلًا مِنْ بَنِي كِنَانَةَ رَجُلًا خَطَاءً؛ فَحَمَلْتُ الدِّيَةَ عَلَى الْعَاقِلَةِ؛ فَأَخَذْتُ بَنِي كِنَانَةَ عَامَّةً، وَحِيفَ عَلَيَّ مِنْ بَيْنِهِمْ خَاصَّةً، لَمَّا عَرَفَ أَبُو أَيُّوبِ مَكَانِي مِنْكَ. فَعُدْتُ بِكَ مِنْ ظِلَامَتِي!» فَقَالَ لَهُ: «يَا كِنَانِيَّ! لَيْفَرَّجْ رَوْعَكَ وَلَيْسَكَنَّ جَأَشُكَ لَا جَرَمَ قَدْ نَحَمَلْ هِشَامٌ عَنْكَ وَعَنْ قَوْمِكَ جَمِيعَ الدِّيَةِ!» ثُمَّ مَدَّ يَدَهُ إِلَى خَلْفِ السِتْرِ؛ فَأَخْرَجَ عِقْدًا كَانَ عَلَى الْجَارِيَةِ، ثَمَّةَ ثَلَاثَةِ آلَافِ دِينَارٍ؛ فَقَالَ لَهُ: «خُذْ هَذَا الْعَقْدَ؛ فَأَدِّ مِنْ ثَمَّتِهِ عَنْكَ وَعَنْ قَوْمِكَ، وَتَوَسَّعْ فِي الْبَاقِي!» فَقَالَ الْكِنَانِيُّ: «يَا سَيِّدِي! إِنَّهُ لَمْ أَنْتَبِخْ مُسْتَجِدًّا وَلَا ضَاقَ لِي مَالٌ عَنْ أَدَاءِ مَا حَمَلْتَهُ؛ وَلَا كُنْتُ أَتَيْتُكَ مُسْتَجِيرًا بِكَ لَمَّا أُصِيبْتُ بِالْعُدْوَانِ وَالظُّلْمِ؛ فَأَحْسِبْتُ أَنْ تَظْهَرَ عَلَيَّ مِنْ عِزِّ نَصْرِكَ!» قَالَ لَهُ: «فَمَا وَجْهُ نَصْرِكَ؟» قَالَ لَهُ: «أَنْ يَكْتُبَ الْأَمِيرُ - أَصْلَحَهُ اللَّهُ! - إِلَى أَبِي أَيُّوبِ فِي إِلْمَاسِكَ عَنْ أَخْذِي بِمَا لَمْ يَجِبْ عَلَيَّ، وَأَنْ يَجْعَلَنِي مَحْمَلًا عَامَّةً أَهْلِي!» فَقَالَ لَهُ هِشَامٌ: «خُذْ الْعَقْدَ لِأَهْلِكَ وَلِنَفْسِكَ، إِلَى أَنْ يَبْسُرَ اللَّهُ فِيمَا ذَهَبْتَ إِلَيْهِ مِنْ أَمْرِكَ!» ثُمَّ أَمَرَ هِشَامٌ بِإِسْرَاحِ دَابَّتِهِ مِنْ فُورِهِ، وَرَكِبَ إِلَى أَبِيهِ الْأَمِيرِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ. فَلَمَّا مَثَلَ بَيْنَ يَدَيْهِ، قَالَ لَهُ: «رَجُلٌ مِنْ بَنِي كِنَانَةَ، هُوَ لِي صَنِيعَةٌ،

1) Manque dans A.

عنا عليه أبو أُتوب مَحْيَانٌ فِي دِينِهِ حَمِلَتْ عَلَى الْعَاقِلَةِ! « قَالَ الْأَمِيرُ: « فَمَا نَحْبُ فِي أَمْرِهِ » قَالَ: « الْكُتَيْبُ إِلَيْهِ بِالْكَفِّ عَنْهُ، وَأَنْ لَا يُؤْخَذَ بَعِيرٌ مَا لَزِمَهُ! »
فَقَالَ الْأَمِيرُ: « أَوْ خَيْرٌ مِنْ ذَلِكَ! يُؤَدِّي الدِّنَةَ عَنْهُ وَعَنْ قَوْمِهِ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ،
إِذَا هُوَ مِنْكَ بِهَذِهِ الْمِرْلَذَةِ، وَإِذَا أَنْتَ لَهُ بِهَذِهِ الْعِنَانَةِ! » فَأَكْثَرَ هِشَامُ الشُّكْرَ لِرِوَالِدِهِ،
ثُمَّ أَمَرَ الْإِمَامَ بَارَاءَ الرَّبِيعِ مِنَ بَيْتِ الْمَالِ، وَبِالْكَتَيْبِ إِلَى أَبِي أُتُوبٍ بِتَرْكِ التَّعَرُّضِ
لِلذِّكَايَةِ. وَلَا حَارَ بُوَيْعُ الْكِنَانِيِّ هِشَامَ، قَالَ لَهُ: « يَا سَيِّدِي، إِنِّي قَدْ بَلَغْتُ
مَوَازِيئَ الْأُمَمِ، وَحَاطَرْتُ أَقْصَى عَالَمِ الْعِزِّ وَالنَّصْرَةِ! وَهَذَا الْعَقْدُ النَّبِيسُ قَدْ أَغْنَى
اللَّهِ عَنِّي » وَقَالَ لَهُ هِشَامُ: « يَا كِنَانِي، إِيَّاهُ لَا سَبِيلَ إِلَى رَدِّ شَيْءٍ قَدْ خَرَجَ عَنَّا.
وَعُدَّ مُسَارِكًا لَكَ فِيهِ! »

وهشام هذا هو الذي أكمل سفائف المسجد الجامع بقُرْطُبَةَ، ورفع مناره
القدية. وبنى الميضاة العجيبة، وعقد من الجسر ما كان ثمًّا بالسَّيْلِ - رحمه الله!

خِلاَفَةُ الْحَكَمِ بْنِ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ

كُنِيَّتُهُ: أَبُو الْعَاصِي. أُمُّهُ: زُخْرُفٌ. مَوْلَدُهُ: سَنَةَ ١٥٤. بُويعَ بَعْدَ مَوْتِ أَبِيهِ
بِلَيْلَةٍ، يَوْمَ الْخَمِيسِ لِثَمَانَ خَلَوْنَ مِنْ صَفَرِ سَنَةِ ١٨٠، وَهُوَ ابْنُ سِتِّ وَعِشْرِينَ
سَنَةً، فَكَانَتْ خِلاَفَتُهُ سِتًّا وَعِشْرِينَ سَنَةً، وَأَحَدَ عَشَرَ شَهْرًا. كُتَابُهُ: ثَلَاثَةٌ: فُطَيْسٌ،
وَخَطَّابُ بْنُ زَيْدٍ، وَحَجَّاجُ الْعُقَيْلِيُّ؛ حَاجِبُهُ: عَبْدِ الْكَرِيمِ بْنُ عَبْدِ الْوَاحِدِ بْنِ
مُعَيْتٍ؛ وَزُرَّارَةُ وَقُوَادَةُ: خَمْسَةٌ: إِسْحَاقُ بْنُ الْمُنْذِرِ، وَالْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ،
وَعَبْدُ الْكَرِيمِ بْنُ عَبْدِ الْوَاحِدِ الْمَذْكُورِ، وَقُطَيْسُ بْنُ سَلْيَانَ، وَسَعِيدُ بْنُ حَسَّانَ.
قُضَاؤُهُ: مُضْعَبُ بْنُ عِمْرَانَ، وَمُحَمَّدُ بْنُ بَشِيرٍ، وَالْفَرَّاجُ بْنُ كِنَانَةَ، وَبِشْرُ بْنُ
فَطْنٍ، وَعُمَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُوسَى، وَمُحَمَّدُ بْنُ تَلِيدٍ، وَحَامِدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ بَجْبِي. نَفْسُ
خَاتَمِهِ: « بِاللَّهِ يَثِيقُ الْحَكَمُ وَبِهِ يَعْصَمُ! صِنْتُهُ: آدَمُ، شَدِيدُ الْأَدَمَةِ، طَوِيلٌ، أَثْمٌ،
نَجِيفٌ، لَمْ يَخْضَبْ. بَنُوهُ الذُّكُورُ: تِسْعَةٌ عَشَرَ، وَالنِّبَاتُ: أَحَدِي وَعِشْرُونَ. تُوُفِّيَ
لِأَرْبَعِ بَقِيْنَ لَدَى الْحُجَّةِ سَنَةَ ٢٠٦؛ فَكَانَ عُمُرُهُ اثْنَانِ وَخَمْسُونَ سَنَةً.

ولما بلغ موت هشام الرضى الى سليمان وعبد الله ابني عبد الرحمن بن معاوية، وها بالعدوة، تقدم عبد الله؛ فجاز البحر الى ريف الأندلس.
ولما بويح الحكم بالخلافة، واستوسق له الأمر، وجه عبد الكريم بن عبد الواحد غازياً الى دار الحرب، في جيش عظيم؛ فاحتل عبد الكريم بالثغر؛ P. ٧١ وتوافت عليه الجيوش. ثم تقدم، فاحتل على شاطئ البحر، وقسم الجيش على ثلاثة أقسام، وقدم على كل قسم رئيساً، وأمر كل واحد منهم بأن يغير على الناحية التي قصدها ووجه إليها؛ فمضوا، وأغاروا، واستباحوا، وانصرفوا غانمين ظافرين. ثم عادوا ثانية الى الإغارة، وجاوزوا خلجاً كانت نمدً وتحصراً؛ وكان أهل تلك النواحي قد تحرّزوا بها، ونقلوا اليها العيال والماشية والأموال؛ فأغاروا عليها، واحتوا على جميع ما وجدوا فيها، وانصرفوا سالمين غانمين.

وفي سنة ١٨١، ثار على الأمير الحكمم بهلول بن مرزوق المعروف بأبي الحجاج في ناحية الثغر، ودخل سرقسطة، وملكها. وحلّ به عبد الله بن الأمير عبد الرحمن بن معاوية؛ وكانت وجهته الى إفريقية.
وفيها، ثار عبيدة بن حميد بطليطلة؛ فنصب الحكم عمرو بن يوسف لحره من طليطلة؛ فكان يتردد لحرهم؛ ثم إن عمرو كاتب رجلاً من أهل طليطلة، واستلطفهم حتى مالوا اليه؛ فدعاهم الى القيام على عبيدة، والفتك به؛ ووعدهم على ذلك بمشوية جليلة من الأمير؛ فبدروا اليه، وقتلوه، ونوجّهوا برأسه الى عمرو؛ فأنزلهم عند نفسه بطليطلة. فلما علم بهم بعض بربر طليطلة، وكانت بينهم يمارة، دخلوا عليهم تلك الليلة الدار؛ فقتلوه. فبعث عمرو برأس عبيدة وبرووس المذكورين، وهم بنو مخشى الى الحكمم بقرطبة، وكتب اليه بخبرهم. ثم إن عمرو عمل جهده في استجلاب أهل طليطلة بمكاتبتهم، حتى أدخلوه المدينة. فلما تمكن منها، بنى القصر على باب جسرهما؛ فأحكمه، وأقن أمره؛ ثم سعى في قتل رجال طليطلة، وقطع شرهم، وحسم دائم، توطيداً للمملكة. فأعد للكيد

P. ٧٢ صَنِيعاً، أَظْهَرَ أَنَّهُ يَذْبَحُ فِيهِ الْبَقْرَ، وَأَمْرٌ أَنْ يَكُونَ * دَخُولُ النَّاسِ عَلَى بَابِ،
وَخُرُوجُهُمْ عَلَى بَابِ. فَكَانَ كُلُّ مَنْ دَخَلَ وَتَجَاوَزَ الْبَابَ قُتِلَ، حَتَّى أَفْنَى مِنْ
أَشْرَافِهِمْ سَبْعًا مِائَةً.

وَفِي سَنَةِ ١٨٢، كَانَ السَّبِيلُ الْعَظِيمُ بِفَرْطُوبَةٍ، ذَهَبَ بِرَبِضِ الْفَنْطَرَةِ؛ وَلَمْ
يُنَقِ فِيهِ دَاراً إِلَّا هَدَمَهَا، حَاشَى غُرْفَةَ عَوْنِ الْعَصَّارِ. وَبَلَغَ السَّبِيلُ شَقْدَةً.
وَفِيهَا، دَخَلَ سَلِيمَانُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مَعَاوِيَةَ الْأَنْدَلُسِيِّ مِنَ الْعَدُوَّةِ،
وَتَنَدَّمَ مَتَعَرِّضاً لِلْحَرْبِ الْحَكَمِيِّ، فِي شَوَّالٍ مِنْهَا؛ فَانْهَزَمَ سَلِيمَانُ، بَعْدَ مَا دَارَتْ
بَيْنَهُمَا حَرْبٌ شَدِيدَةٌ. وَفِيهَا، عَادَ سَلِيمَانُ ثَانِياً لِلْقِتَالِ؛ وَالْتَفَى مَعَ الْحَكَمِيِّ أَيْضاً
بِبَنَاطِيئِهِ^١؛ فَانْهَزَمَ سَلِيمَانُ.

وَفِي سَنَةِ ١٨٣، خَرَجَ سَلِيمَانُ، وَمَعَهُ بَرَابِرُ اجْتَمَعُوا إِلَيْهِ، إِلَى نَاحِيَةِ إِسْتِجَّةِ^٢؛
فَغَزَاهُ الْحَكَمِيُّ، وَالْتَفَى بِمَقْرِبَةٍ مِنْ إِسْتِجَّةٍ؛ فَدَارَتْ بَيْنَهُمْ حَرْبٌ شَدِيدَةٌ أَيْضاً. ثُمَّ
انْهَزَمَ سَلِيمَانُ مِنْ كَانَ مَعَهُ. ثُمَّ التَفَى أَيْضاً فِي هَذَا الْعَامِ؛ فَانْهَزَمَ سَلِيمَانُ.

وَفِي سَنَةِ ١٨٤، حَشَدَ أَبُو أَيُّوبَ سَلِيمَانُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ مِنَ الشَّرْقِ؛
فَاحْتَلَّ بَجِيَّانَ، ثُمَّ بِالْبَيْرَةِ. فَابْتِغَى جَمَاعَةً مِنَ الْكُورَنِيِّينَ، وَالْتَفَى مَعَهُ الْحَكَمِيُّ؛ فَدَامَ
الْقِتَالُ بَيْنَهُمْ أَيَّاماً، حَتَّى هَمَّ الْحَكَمِيُّ بِالْوَهْزِيَّةِ. ثُمَّ انْهَزَمَ سَلِيمَانُ، وَأَقْلَتَ. وَقُتِلَ فِي
الْمَعْرَكَةِ بِشَرِّ كَثِيرٍ. وَبَعَثَ الْحَكَمِيُّ أَضْعَفَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ فِي طَلْبِهِ؛ فَلَحِقَهُ بِجَهَةِ مَارِدَةَ،
وَأَخَذَهُ أَسِيرًا، وَأَتَى بِهِ إِلَى الْحَكَمِيِّ؛ فَأَمَرَ بِقَتْلِهِ، وَبَعَثَ بِرَأْسِهِ إِلَى فَرْطُوبَةٍ.

وَفِي سَنَةِ ١٨٦، أَخْرَجَ الْحَكَمِيُّ إِلَى عَمِيهِ عَبْدِ اللَّهِ الْبَلَنْسِيِّ أَمَانًا؛ وَهُوَ أَوَّلُ
خُرُوجِ كَانَ إِلَيْهِ، وَأَوَّلُ مَكَاتِبَةٍ كَانَتْ بَيْنَ الْحَكَمِيِّ وَبَيْنَهُ بَعْدَ حُلُولِهِ بِبَلَنْسِيَّةِ.

وَفِي سَنَةِ ١٨٧، انْعَقَدَ أَمَانُ عَبْدِ اللَّهِ الْبَلَنْسِيِّ وَصُلِحَ بِأَجْزَاءِ الْأَرْزَاقِ عَلَيْهِ،
وَذَلِكَ أَلْفَ دِينَارٍ لِكُلِّ شَهْرٍ، وَبِأَجْزَاءِ الْمَعَارِفِ، وَذَلِكَ أَلْفَ دِينَارٍ لِكُلِّ عَامٍ.

١) Orthographe et vocalisation fournie par B.-A. : بيجيطة (?). 2) احنة. A.

وخرج اليه بهذا الأمان بجبي بن بجبي وابن أبي عامر؛ فعقد الصلح على ذلك وعلى أن يسكن عبد الله بالنسبة. وقدم بجبي وابن أبي عامر بولد عبد الله على P. ٧٢ الحكمم؛ فزوجه أخته شفيقته.

مقتل أهل الرِّبَضِ أَوَّلًا قَبْلَ هِجْرَةِ ثَانِيَةً

وفي سنة ١٨٩، صلب الإمام الحكمم اثنين وسبعين رجلاً بقرطبة، منهم أبو كعب بن عبد البر، وبجبي بن مضر، ومسرور الخادم. وكان السبب في ذلك أنهم أرادوا الغدر به، وهبوا بالخلاف عليه؛ وطلبوا رئيساً يقومون به. فوقع الخبر على محمد بن القاسم عم هشام بن حمزة، وأطلعوه على أمرهم، ودعوه للقيام معهم؛ فخذلهم، وأفشى سرهم، وتقرب إلى الحكمم بدمائهم. فنشبت الحكمم، وسأله تصحيح ما رفع إليه؛ فقال له: «هات أمانك!» فأخناهم عنده، ووجه عنهم لميعاده؛ ثم قال لهم: «هذا الذي ندعوني إليه لا أثنى من سميتم، دون أن أسمع منهم كما سمعت منكم؛ فتطيب نفسي، وأدخل في الأمر على قوة وبصيرة!» فأتوه، وسمع مقالهم، والأمان بجبي يزون ويسمعون. فلما صحَّ عند الحكمم أمرهم بشهادة الأمان عليهم، أخذهم وصلبهم جميعاً بردة واحدة. ثم ألقن سور قرطبة وخنر خندقها، وتوجه غازياً إلى بلاد المشركين.

ومن قوله [طويل]:

رَأَيْتُ صُدُوعَ الْأَرْضِ بِالسَّيْفِ رَافِعًا	وَقَدَمًا لَأَمَتِ الشَّعْبِ مَذْكُوتُ يَارِعًا
فَسَائِلُ نُغُورِي هَلْ بِهَا الْآنَ نُغْرَةٌ	أَبَادَرَهَا مَسْتَنْضِي السَّيْفِ دَارِعًا
وَشَافَهُ عَلَى الْأَرْضِ النُّضَاءِ جَمَاجِمًا	كَأَقْحَافِ شَرِيَانِ الْهَيْدِ أَلْوَامِعًا
تَسْبِيْكَ أَيْ لَمْ أَكُنْ عَنْ قِرَائِعِهِمْ	بِيَانٍ وَأَيْ كُنْتُ بِالسَّيْفِ قَارِعًا
فَأَيْ إِذَا حَادُوا جِزَاعًا عَنِ الرَّدَى	فَلَمْ أَلِكْ ذَا حَيْدٍ عَنِ الْمَوْتِ جَارِعًا
حَيْثُ ذِمَارِي وَانْتَهَيْتُ ذِمَارَهُمْ	وَمَنْ لَا يُجَاهِي ظِلَّ خَزْبَانِ ضَارِعًا

P. ١٤ • ولما تساقينا سجال حُرُوبِنَا سَدَبْتُهُمْ سَمًا مِنَ الْمَوْتِ نَافِعَا
 وهل زِدْتُ أَنْ وَفَيْتُهُمْ صَاعَ قَرَضِهِمْ فَوَافِقُوا مَنَايَا قُدِّرَتْ وَمَصَارِعَا
 فَوَاكَّ بِلَادِي إِنِّي قَدْ تَرَكْتُهَا مِهَادًا وَلَمْ أَشْرِكْ عَلَيْهَا مُنَازِعَا

وفي سنة ١٩٠، خرج الأمير الحَكَمَ غازياً الى مَارِدَة. فلما وصلها، احتلها وحاصرها (وكان بها أَصْبَغُ بن عبد الله بن وَأَسُوسُ نَائِرًا) وإذا بالخبر وصله أن سوادَ أهل قُرْطَبَة أعلنوا بالِنِّفَاقِ، وتداعوا الى صاحب السوق بالسلاح؛ وكتب الخنْفُونُ الى الحَكَمَ بما حدث معه وبما ظهر من ضائِر السَّفَلَة؛ فصدر قافلًا، وطوى المَرايِجِلَ، وفتح الطريق في ثلاثة أَيَّامٍ، ودخل القصر. فبدأ الناس، وسكنت الأحوال، وصار الناسُ في هدوءٍ وسكونٍ من سنة ١٩٠ الى سنة ٢٠٢، والتزموا الدعة اثني عشر سنة.

وبردَّت الغزوات سبعة أعوامٍ الى مَارِدَة، وبها أَصْبَغُ بن عبد الله نَائِرًا متمنعًا. وكان سببُ ثورته أن عدوًّا لأَصْبَغِ طالَبه عند الحَكَمَ وأغراه عليه. ثم مشى الى أَصْبَغِ بِشَلْ ذلك، ورؤعه منه؛ فتوقَّع العفوية والسطوة به. فكان ذلك سببَ دخوله مَارِدَة وقيامه بها. وتكررت الغارات عليه سبعة أعوامٍ؛ فافتحت في العام السابع بمحاولة انجالت عن طلب الأمان لأَصْبَغِ فَأَمِنَ، وخرج من مَارِدَة، وصار في مصف الحَكَمَ؛ فسكن قُرْطَبَة؛ ثم فسح له في الاختلاف الى ضياعه بمَارِدَة حتى الناث أمرها، واضطربت حالها.

وفي سنة ١٩٢، خرج رُذْرِيْقُ صاحب إفرنجية الى جهة طُرْطُوشَة؛ فأغرى الحَكَمَ ابنه عبد الرحمن في جيش كثيف، وكتب الى عَمْرُوسَ وَعَبْدُونِ عاملي الثغر بالغزو معه بجميع أهل الثغر. فتقدم عبد الرحمن بالجنود، وتوافت عليه P. ١٥ الحشود، وحنَّت به المَطْوَعَة. فالتوا * الطاغية خارجاً الى بلاد المسلمين. ودارت

1) Tout ce qui suit manque dans B, jusqu'à l'année 190.

بينهم حروبٌ شديدة، ثبت الله فيها أقدام المسلمين. فانهزم المشركون؛ وكانت فيهم مقتلة عظيمة؛ ففنى أكثرهم.

وفي سنة ١٩٤، غزا الحَكَمُ الى أرض الشرك. وكان السبب في هذه الغزاة أَنَّ عَبَّاسَ بن ناصح الشاعر كان بمدينة الفَرَج (وهي وادي الحِجَارَة). وكان العدو، بسبب اشتغال الحَكَمِ بباردة وتوجيه الصوائف اليها مدّة من سبعة أعوام، قد عظمت شوكتُه، وقوى أمرُه. فشنّ الغارات في أطراف الثغور، يسبي ويقتل. وسمع عَبَّاسُ بن ناصح امرأةً في ناحية وادي الحِجَارَة، وهي تقول: «واغوئاه يا حَكَمُ! قد ضيَعَتْنَا وَأَسْلَمَتْنَا واشتغلت عَنَّا، حتّى استأسد العدو علينا!» فلما وفد عَبَّاسُ على الحَكَمِ، رفع اليه شعراً يستصرخه فيه، ويذكر قول المرأة واستصراخها به؛ وأنهى اليه عَبَّاسُ ما هو عليه الثغر من الوهن والنيابث الحال. فرثى الحَكَمُ للمسلمين. وحي لنصر الدين. وأمر بالاستعداد لجهاد. وخرج غازياً الى أرض الشرك؛ فأوغل في بلادهم، وافتتح الحصون، وهدم المنازل، وقتل كثيراً، وأسر كذلك، وقفل على الناحية التي كانت فيها المرأة. وأمر لأهل تلك الناحية بمال من الغنائم. يصلحون به أحوالهم ويندون سبابهم؛ وخصّ المرأة وآثرها، وأعطاهم عدداً من الأسرى عونا. وأمر بضرب رقاب باقيهم، وقال لأهل تلك الناحية وللمرأة: «هل أغانكم الحَكَمُ؟» قالوا: «شفنا والله الصدور، ونكى في العدو، وما غفل عَنَّا إذ بلغه أمرنا! فأغاثه الله وأعزّ نصره!»

وفي سنة ١٩٦، غزا الحَكَمُ الى بلاد المشركين، وأوغل فيها، وأوقع بهم، وقفل. وفيها، مات تَهَامُ بن علقمة الثَّقَفِيُّ.

¹⁾ وفي سنة ١٩٩، كانت المجاعة التي عمّت الأندلس؛ ومات أكثر المخلوق جهداً.

وفي هذه السنة، أغرى • الحكيم • عبد الله المنسي الغزوة الشيعية المشهورة، وكانت بـيرشلونة: ألقى المشركين قد حُلوا بها يوم احتلاله، وكان يوم الخميس؛ فأراد من معه مُناشئة الحرب، ونشؤوا للقتال؛ فمَنَعُوهم حتى إذا كان في اليوم الثاني، وهو يوم الجمعة وقت الزوال، أمر بتعبئة الكتاب، وأنصب الرُدود؛ وقام، فصلى ركعتين؛ ثم نادى في الناس، وركب هو ومن معه، ونافض أهل الشرك. وما أحسبه فعل ذلك إلا ففهاً وعِلماً وناسياً بحديث النبي صلعم حيث أمر بالقتال في تلك الساعة: فإن فيها تهبُّ الأرواح، وتُفَتَّح أبواب الجنة، وتُسْتَجَاب الدعوات. فمَنَعُوهم الله أكتاف المشركين، وانهمزوا. وقتل عامتهم، وفرَّق جمعهم. فلما أُقْبِع عن القتال وانجبت الحرب، نصب قناة طوية. فالتفت في الأرض؛ وأمر بالرووس؛ فجمعت وطرحت حوائجها حتى غابت النفاة فيها (١) ولم يظهر (١).

ذِكْرُ دُخُولِ الْحَكَمِ طَلَبِطُنَّةَ حِينَ خَافَتْ عَلَيْهِ

وذلك أنه ظهر الغزو إلى بلاد المشركين، وقصد نُدْمِيرَ، وهو سرد في نفسه طَلَبِطُنَّةَ. فنزل نُدْمِيرَ، واضطرب فيها، ونازل بعض حصونها. وكتب إلى عمال الشجر بنزوله فيها وحره لها؛ فأمن أهل طَلَبِطُنَّةَ، وانتشروا في أساطنهم، وانظروا في زروعهم، وله عليهم عيون. فلما صحَّ عنه أساطنهم، جعل يتغرب من أحواز نُدْمِيرَ، وأخبار طَلَبِطُنَّةَ برِدُ عليه. فلما أمكته الرُحمة فيها، جدد السير إليها، وطوى المراحل؛ فوصل إليها ليلاً، وسبق بنطبع من الكشم. فدخل طَلَبِطُنَّةَ ليلاً. ولم يعلم بدخوله، وأقنأها في غفلة، وأبوابها منتحة. وبتاع العسكر عليه بفقد رِقْوَةٍ كُلِّ أَحَدٍ. فملكها، وحال بين أهلها وبينها، وقطع الخروج عن كان بها إلى من كان بخارجها. فاستوسق له ملكها دون مؤنة ولا قتال.

1-1) Manque dans A.

فاستنزل أهلها من الجبال الى السهل، وحرَّق ديارها، وسكَّتهم في الصحراء.
ثم ردم اليها.

وفي سنة ٢٠٠، أغزى * الحكم وزير عبد الكريم بن مغيث الى بلاد P. ٧٧
المشركين؛ فدخلها، وتوسَّطها، وأهلك معائشها ومرافقها، وحطم زروعها،
وهدم مساكنها وحصونها، حتى استوفى جميع قرى وادي أرون. فمُحِدت اليه
الطاغية - دمرها الله! - وانجلبت^١ النصرانية من كل مكان، وأقبلت الجموع،
ونزلت بعدوة نهر أرون؛ وصار النهر حاجزاً بينهم وبين المسلمين. فلما أصبح،
نهض عبد الكريم بن معه الى مخاض الوادي؛ ونهض أعداء الله اليهم؛ فقاتلوهم
على كل مخاضة منها؛ فجالدهم المسلمون عليها مجالدة الصابرين المحنسين. واقتم
أعداء الله النهر اليهم؛ فافتتلوا على مخاضته. ثم حمل المسلمون عليهم حملة صادقة،
فأضغطوهم في المضائق، وأدخلوهم على غير طريق؛ فأخذتهم السيوف والطنن
بالرماح^٢ والغرق في المياه^٢؛ فقتل من المشركين عددٌ عظيم لا يحصى كثرة.
ومات أكثرهم بالتردي ودرس بعضهم بعضاً، وصاروا بعد البطاعة والمجاندة
بالرماح والسيوف الى القذف بالحجارة؛ وأكثروا الحراس بالمخاض، ووعروها
بالحشب، وحفروا الخناير، وخندقوا الخنادق. ونزلت الأمطار؛ وكان قد فرغ
ما كان لأعداء الله من المرافق؛ وضافت الحمال أيضاً بالمسلمين؛ فقتل عبد
الكريم ظافراً لسبع خاون من ذى القعدة.

ولم يكن في سنة ٢٠١ صائفة ولا حركة مشهورة.

ذِكْرُ هَيْجِ أَهْلِ الرَّبِضِ ثَانِيَةً فِي سَنَةِ ٢٠٢

كان من أهل ربض قرطبة في هذه السنة ما نستعيد بالله من الخذلان في مشه.
وذهاب التوفيق. وقد اختلفت الروايات في سبب قيام الناس وهيجهم؛ فمنهم

١) انجلبت. A.

2-2) Manque dans A.

من يقول إنَّ ذلك اليبيج كان أصله الأشر والبطر، إذ لم تكن ثمَّ ضرورة من إححاف في مال، ولا انتهاك لعزْمة، ولا تعسف في ملكة، والحال تدلُّ على صحة ذلك؛ فإنه لم يكن على الناس وظائف، ولا مغاريم، ولا سُخر، ولا شيء يكون سبباً لخروجهم على السلطان، بل كان ذلك أشراً وطرّاً، وملاًاً للعافية. وطبعاً جافياً، وعقلاً غيبياً، وسعياً في هلاك أنفسهم - أعادنا الله من الضلال والخذلان، وأسباب البوار والخسران!

ولما اجتاجوا وقاموا على السلطان، ناصبهم الحكم القتال، وواضعهم الحرب. وانحاش إليه حاشيته وجنده، وبألب من كل وجه رجاله. وقامت الحرب بين الجند وعامة قُرطبة على ساق. ثمَّ تكاثرت العامة، وهاجت الدهاء السوداء؛ فنه يزدوا على أن ظهروا في ذلك الحين ظهوراً لم يبلغهم إلى أمل فلما اشتغلوا بالقتال. احتيل عليهم بمثل حيلة يوم الحرة، وهم لا يشعرون لاشتغالهم بالقتال؛ فخرج عسيد الله بن عبد الله السلسي المعروف بصاحب الصوائف، وإسحاق بن المنذر القرشي إلى باب الحيسر. مع من أمكنهما من الفرسان والرجالة، وانفقوا مع العامة، وجالدوهم حتى أراجوهم وأدخلوهم الحيسر؛ وفتح باب المدينة عند الحيسر. ودخل الدين سمينا¹ على باب الحديد؛ ثمَّ افتحموا على الزفاق الكبير، وخرجوا على الرملة إلى مخاضة هناك، وجازوا النهر، واجتمعوا مع من ساقى عليهم من حشود الكور، إذ كانوا قد أُندروا قبل ذلك بما كان بدا منهم، وظهر من علاماتهم. فلما اجتمعوا، أقبل بعضهم من وراء الرأض، وشرع بعض في طرح النار في الدور، ودسوا من أخير العامة بما نزل بهم في دورهم وذراريهم وعيالهم؛ فلم يبق أحد منهم دون أهله ومنزله، وانصرفوا راجعين نحوها. فأخذتهم السيوف من أمامهم وورائهم؛ فقتلوا قتلاً ذريعاً، وتبعوا في الأرقعة والطرق، يُقتلون؛ ونجا منهم من تأخر أجله، ففر، فلم يَأو على

1) A. ajoute ودخلوا.

أهل ولا ولد. وأخذ منهم ثلاثمائة رجل؛ فصأبوا على الوادي، صنًا واحداً من
المرج الى المصارة.

وكان الحكم قد عزم على تنبيعهم بالانداس، وقتلهم حيث وجدوا؛ فكسر
عليه بعض أصحابه، وذكره صنع الله * له فيهم؛ فازعوى وكف. فخرجوا أفواجاً ^{٢٩}
بأهاليهم وأولادهم، ولم يعرض لأحد منهم في شيء من بلاد الانداس، وهي طاعته
وملكه، ولا نالهم ضرر بعد وقت المعركة وغلبان الحال، كرماً وعتواً من الأمير
الحكم - رحمه الله! - وعف الحكم عن الأموال والحرم. وتترق أهل الرأض
في جميع أقطار الانداس؛ ومنهم من جاز البحر الى العدو بالأهل والولد؛
فاحتلوا بعدوة فاس، فهم عدوة الانداس منها؛ فصبروها مدينة. ومنهم أهل
جزيرة إقريطش؛ فذكر أنه لم يخرج منهم طائفة بناحية من نواحي الدنيا إلا
وتغابوا عليها، واستوطنوها على فهر من أهلها. وأكثر من هرب من أهل العلم
والخير ممن اتهم أو خاف على نفسه الى ناحية طليطلة، ثم آمنهم الحكم، وكتب
لهم أماناً على الأنفس والأموال، وأباح لهم النسخ في البلدان حيثما أحبوا من
أقطار مملكته، حاشى قرطبة أو ما قرب منها.

وفي سنة ٢٠٦، اشتد مرض الحكم بن هشام؛ فأخذ البيعة لابنه عبد الرحمن،
ثم للمغيرة من بعده. وانعدت البيعة يوم الأربعاء لحدى عشرة ليلة خلت
من ذى الحجة من السنة. فبويح له ذلك اليوم في القصر؛ واختلف الناس بعد
ذلك اليوم الى دار عبد الرحمن بن الحكم يباعونه؛ ويباعوا المغيرة في دار
أخيه عبد الرحمن أيضاً؛ ثم ركب المغيرة الى الجامع، ونزل فيه يوماً بعد يوم
لمبايعة الناس له؛ وكانوا يباعونه عند المنبر؛ ثم باعوه في داره. ولما انقضت
البيعة لعبد الرحمن والمغيرة بعده، أمر الحكم بن هشام بهدم التندق الذي كان
بالرأض؛ وكان متقبلاً من أهل الإضرار والفسق؛ فهدم. وتوفي الأمير الحكم
يوم الخميس لأربع بقين من ذى الحجة من السنة؛ وصلى عليه ابنه عبد الرحمن؛
ودفن بالنصر.

بعض أخباره وسيره

P. 80

كان الحكم - رحمه الله! - شديد الحزم، ماضى العزم، ذا صواة تقى. وكان حسن التدبير في سلطانه، وتولية أهل الفضل والعدل في رعيته؛ وكان مبسوط اليد. وكان له قاضي كفاء بورعه وعلمه وزهده؛ فمريض مرضاً شديداً؛ فاغتم الحكم لمرضه؛ فذكر بعض خاصته أنه أرق ليلة أرقاً شديداً، وجعل يتملل على فراشه؛ فقبل له: «أصلح الله الأمير! ما الذي عرض؟» فقال: «وبعكم! إني سمعت في هذه الليلة نادية، وقاضينا مريضاً، وما أراد إلا وقد قضى نعبه. فأين لي بمنه، ومن يقوم بالرعية مقامه؟» فأت الفاضل في تلك الليلة، وهو المصعب بن عمران قاضي أبيه. فولى بعد محمد بن بشير.

فكان أفصد الناس إلى حق، وأبعدهم من جور، وأبندهم بحكم. ورفع إليه رجل من أهل كورة جيان أن عاملاً للحكم اغتصبه جارئة، وصيرها إلى الحكم؛ فوفعت من قلب الحكم كل موقع؛ فأثت الرجل أمره عند الفاضل، وأناه بيته تشهد على معرفة ما تظن منه وسألكه لجارئة وبمرفتهم بها. فأوجبت السنة أن تخضر الجارئة؛ فاستأذن الفاضل على الحكم؛ فأذن له؛ فلما دخل عليه، قال له: «يها الأمير! إنه لا يتم عدل في العامة دون إقامته في الخاصة!» وحكى له أمر الجارئة، وخيره بين إرازها للبيعة لبشهد على عينها، أو عزله. فقال له الحكم: «أولا أدعوك إلى خير من ذلك؛ تتناع الجارئة من صاحبها بأبلغ ما يطلب فيها.» فقال الفاضل: «إن الشهود قد شهدوا من كورة جيان، وأتى الرجل يطلب الحق في مظاته؛ فلما صار ببابك، تصرفه دون إنفاذ الحق له؛ وأعل قائلاً يقول: باع ما لا يملك بيع مفور!» فلما رأى عزه على ذلك، أمر بإخراج الجارئة من قصره؛ فشهد الشهود عند على عينها، وقضى بها لصاحبها. وكان هذا الفاضل محمد بن بشير، إذا خرج المسجد، وجلس للأحكام،

P. 81

1) ب. غلاماً.

جلس في رداء مُعَصَفَر، وشعر مَفَرَّق؛ فإذا طُلِبَ ما عنده، وَجِدَ أَفْضَلَ النَّاسِ وَأَوْرَعَهُمْ.

وكان الحَكَم يقول: «ما تحلى الخلفاء بمثل العدل!» وكانت فيه بظالة، إلا أنه كان شجاع النفس، باسط الكف، عظيم العفو. وكان يُسَاطِ قُضائِهِ وَحُكْمَهُ عَلَى نَفْسِهِ، فَضْلاً عَنْ وَادِهِ وَخَاصَّتِهِ. وكانت للحَكَم ألف فرس مربوطة بباب قصره على جانب النهر، عليها عشرة من العُرَفَاء، تحت يَدِ كُلِّ عَرَفٍ مِائَةٌ فَرَسٌ؛ فَإِذَا بَلَغَهُ عَنْ ثَائِرِ ثَائِرٍ فِي أَطْرَافِهِ، عَاجَلَهُ قَبْلَ اسْتِحْكَامِ أَمْرِهِ؛ فَلَا يَسْتَعْرِ حَتَّى يُجَاطَ بِهِ. وجاءه الخبر يوماً أَنَّ جَايِرَ بْنَ لَيْدٍ مُخَاصِرٌ لِحَيَّانَ، وَهُوَ يَلْعَبُ بِالصَّوْلُجَانِ فِي النَّصْرِ؛ فَدَعَا بَعْرِيفَ مِنْ أَوْلَادِكَ الْعُرَفَاءِ، وَأَسْرَأَ إِلَيْهِ أَنْ يَجْرَحَ مِنْ تَحْتِ يَدِهِ إِلَى جَايِرِ بْنِ لَيْدٍ؛ ثُمَّ فَعَلَ كَذَلِكَ مَعَ أَصْحَابِهِ مِنَ الْعُرَفَاءِ. فَلَمَّ يَشْعُرُ ابْنُ لَيْدٍ حَتَّى نَسَافَطُوا عَلَيْهِ مُسْرَبِلِينَ فِي الْحَدِيدِ؛ فَلَمَّا رَأَى الْعَدُوَّ ذَلِكَ، سَقَطَ فِي يَدِهِ، وَظَنَّ أَنَّ الدُّنْيَا قَدْ حُشِرَتْ إِلَيْهِ؛ فَوَلَّى مِنْ مَعَهُ مَهْزُماً.

وكان الحَكَم فصيحاً بليغاً شاعراً مجيداً. فمن شعره - رحمه الله! - نُنزَلُ، وَذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ لَهُ خَمْسُ جَوَارِيٍّ قَدْ اسْتَخْلَصْنَ لِنَفْسِهِ وَمَلَكَهُنَّ أَمْرَهُ؛ فَذَهَبَ يَوْمًا إِلَى الدَّخُولِ عَلَيْهِنَ؛ فَأَبَيْنَ عَلَيْهِ، وَأَعْرَضْنَ عَنْهُ. وَكَانَ لَا يَصْبِرُ عَنْهُنَّ. فقال [البسيط]:

قُضِبَ مِنَ الْبَارِ مَا سَتَ فَوْقَ كُثْبَانِ
أَعْرَضْنَ عَنِّي وَقَدْ أَرَمَعْنَ هِجْرَانِي
نَاشِدُهُنَّ بِحَقِّي فَأَعْتَزَمْنَ عَلَى
الهِجْرَانِ حَتَّى خَلَا مِنْهُنَّ هَيْمَانِي
مَلَكَتْنِي مُلْكٌ مَنْ ذَلَّتْ عَزِيمَتُهُ
لِلْحَبِّ ذُلٌّ أَسِيرٍ مَوْتَقِي عَانِي
مَنْ لِي سَغَنَاتِ الرُّوحِ مِنْ بَدَنِي
غَصِبَنِي فِي الْهَوَى عَزِي وَسُلْطَانِي

* ثُمَّ إِنَّهُنَّ عُدْنَ عَلَيْهِ بِالْوَصْلِ؛ فَقَالَ [خفيف]:

نِلْتُ كُلَّ الْوَصَالِ بَعْدَ الْبِعَادِ
فَكَأَنِّي مَلَكَتُ كُلَّ الْعِبَادِ
وَتَأَهَى السُّرُورُ إِذْ نِلْتُ مَا لَمْ
يُغْنِ فِيهِ تَكَاثُفُ الْأَجْنَادِ

ومن ملبح قوله فيهن - رحمه الله! - [خفيف]:

ظَلَّ مِنْ فَرَطٍ حُبِّهِ مَمْلُوكًا وَلَقَدْ كَانَ قَبْلَ ذَلِكَ مَلِيكًا
 إِنْ بَكَى أَوْ شَكَا الْهَوَى زَيْدًا ظَلَمًا وَبِعَادًا يُدْنِي حِمَامًا وَشِيكًا
 تَرَكَتْهُ جَاذِرُ الْفَضْرِ صَبًا مُسْتَهَامًا عَلَى الصَّعِيدِ تَرِيكًا
 يَجْعَلُ الْخَدَّ مَائِلًا فَوْقَ تَرْبٍ وَهَوَا لَا يَرْضَى الْحَرِيرَ أَرِيكًا
 هَاكِنًا يَحْسُنُ النَّذْلُ لِلْحُرِّ إِذَا كَانَ فِي الْهَوَى مَمْلُوكًا

وله - رحمه الله! - أشعار كثيرة في الرّاضيين الفائزين عليه، لا يجاريه فيها حدّ. وقد تقدّم منها ما يستدلّ به على فضله. ولما دنت وفاته، عتب نفسه فيما تقدّم منه عتاباً، وتاب الى الله متاباً، ورجع الى الطريقة البشلى، وقال: إن الآخرة هي الأبقى¹ والأولى؛ فترنّ بالنفوس، واعنصم بالعروة الوثقى؛ وأقرّ بذنوبه واعترف، وأنس الى موله تعالى إن يتنّهوا يغفر لهم ما قد سلف². وكان من عباد الله المنّين، الى أن أتاه من ربه اليقين. فتوفى - رحمه الله! - سنة ٢٠٦.

خِلافة عبد الرّحمن بن الحكّم بن هشام

كُنْيَتُهُ: أَبُو الْمُطَرِّفِ. أُمُّهُ: تُسَمَّى حَلَاوَةَ. مَوْلِدُهُ: سَنَةَ ٧٦. حَاجِبُهُ: عَبْدُ الْكَرِيمِ بْنِ عَبْدِ الْوَاحِدِ. وَزَرَّأُوهُ: تِسْعَةٌ؛ رِزْقُ كُلِّ وَاحِدٍ ثَلَاثُمِائَةِ دِينَارٍ. كُتَابُهُ: P. ٨٣ ثَلَاثَةٌ: عَبْدُ الْكَرِيمِ الْمَذْكُورُ، وَسُفْيَانُ بْنُ عَبْدِ رَبِّهِ، وَعَيْسَى بْنُ شُهَيْدٍ. قُضَاةُ: أَحَدُ عَشَرَ؛ مِنْهُمْ: بَجْبِي بْنُ مَعْمَرٍ، وَقَبْلَهُ مَسْرُورُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ بَشِيرٍ، ثُمَّ سَعِيدُ ابْنِ مُحَمَّدِ بْنِ بَشِيرٍ، ثُمَّ بَجْبِي الْمُنْتَدِمُ الذِّكْرُ، وَغَيْرُ هَؤُلَاءِ؛ وَإِنَّمَا كَثُرَ الْقُضَاةُ فِي آيَاتِهِ لِأَنَّ الْمَشَاوِرَ فِي عَزْلِهِمْ وَوَلَايَتِهِمْ بَجْبِي بْنُ بَجْبِي اللَّيْثِيُّ؛ فَكَانَ لَا يُولِي رَجُلًا إِلَّا بِرَأْيِهِ؛ فَكَانَ بَجْبِي بْنُ بَجْبِي؛ إِذَا أَنْكَرَ مِنَ الْفَاضِي شَيْئًا، قَالَ لَهُ: «اسْتَعْفْ وَإِلَّا رَفَعْتُ بَعْرَاكَ!» فَكَانَ يَسْتَعْفِي أَوْ يُشِيرُ بِجَبِي بَعْرَاهُ، فَيُعْزَلُ.

1) Manque dans A.

2) Cor., VIII, 38.

نَقَشُ خَاتَمِهِ: «عَبْدُ الرَّحْمَنِ بِفَضَاءِ اللَّهِ رَاضِي». وَكَانَ لَهُ قَبْلَ ذَلِكَ خَاتَمٌ بِاسْمِهِ؛ فَتَلَفَ؛ وَأَمَرَ بِطَلْبِهِ، فَلَمْ يَوْجَدْ؛ فَأَعَادَ نَقَشَ خَاتَمَ جَدِّهِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، بَعْدَ أَنْ خَرَجَ نَصْرُ الْفَتْحِيِّ مِنْ عِنْدِ الْأَمِيرِ هَذَا بِالْخَاتَمِ لِلنَّقْشِ، وَبَعَثَ فِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الشَّيْبِ السَّاعِرَ، وَقَالَ لَهُ: «إِنَّ الْأَمِيرَ أَمَرَ بِنَقْشِ هَذَا الْخَاتَمِ؛ فَقُلْ مَا يُنْقَشُ فِيهِ!» فَقَالَ [رَمَلًا]:

خَاتَمٌ لِلْمُلْكِ أَضْحَى حُكْمُهُ فِي النَّاسِ مَاضِي
عَبْدُ الرَّحْمَنِ فِيهِ بِفَضَاءِ اللَّهِ رَاضِي

فَاسْتَحْسَنَ ذَلِكَ الْأَمِيرُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، وَأَمَرَ بِنَقْشِهَا فِي الْخَاتَمِ. صِنْتُهُ: طَوِيلٌ، أَسْمَرٌ، أَقْنَى، أُعْيِنَ، أَكْحَجَلٌ، عَظِيمُ اللَّحْيَةِ يَخْضِبُ بِالْحِجَاءِ وَالْكَثْمِ. بُويعَ بَعْدَ مَوْتِ أَبِيهِ يَوْمَ وَاحِدٍ، وَذَلِكَ يَوْمَ الْخَمِيسِ لثَلَاثَ بَقِيْنَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ سَنَةِ ٢٠٦، وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ سَنَةً وَتِسْعَةَ أَشْهُرٍ. وَنَوَقِيَ لِبَيْتِ الْخَمِيسِ لثَلَاثَ خَلَوْنَ مِنْ شَهْرِ رَبِيعِ الْآخِرِ سَنَةِ ٢٢٨. عُمُرُهُ: اثْنَانِ وَسِتُّونَ سَنَةً. خَلَاْفَتُهُ: أَحَدِي وَثَلَاثُونَ سَنَةً وَثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ وَسِتَّةَ أَيَّامٍ. بَنُوهُ الذَّكَوْرُ: خَمْسَةٌ وَأَرْبَعُونَ، وَبَنَاتُهُ: اثْنَانِ وَأَرْبَعُونَ.

وَفِي سَنَةِ ٢٠٧، ثَارَتْ بِتُدْمِيرِ فِتْنَةٍ بَيْنَ مُضَرَ وَسَمَنَ، وَدَامَتْ سَبْعَ سِنِينَ؛ فَأَغْزَى الْيَهُودِيُّ الْأَمِيرُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ فِي هَذَا الْعَامِ بِجَبِيِّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَلْفٍ؛ ثُمَّ كَانَ يَبْعَثُ الْيَهُودِيَّ الْمَرَّةَ بَعْدَ الْمَرَّةِ بِالْقُوَادِ؛ فَيَفْتَرِقُونَ؛ فَإِذَا قَتَلُوا، عَادُوا إِلَى الْفِتْنَةِ. وَكَانَتْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ جَبِيِّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ وَقَبِيْعَةٌ تُعْرَفُ بِوَقْعَةِ * الْبُصَاْرَةِ P. ٨٢ بَلُوْرَقَةَ، انْتَهَى مَبْلَغُ الْقَتْلِ فِيهِمْ إِلَى ثَلَاثَةِ آلَافٍ. وَفِيهَا كَانَ بِالْأَنْدَلُسِ جَوْعٌ شَدِيدٌ، مَاتَ بِهِ كَثِيرٌ مِنَ الْخَلْقِ.

وَفِي سَنَةِ ٢٠٨، كَانَتْ الْغَزَاةُ الْمَعْرُوفَةُ بِغَزَاةِ الْبَيْتِ وَالْفِلَاحِ، غَزَاهَا عَبْدُ الْكَرِيمِ ابْنُ عَبْدِ الْوَاحِدِ بِالصَّائِفَةِ، وَاحْتَلَّ بِالنُّغْرَةِ؛ وَتَوَافَتَ عَلَيْهِ عَسَاكِرُ الْإِسْلَامِ، وَاخْتَلَفُوا فِي الدَّخُولِ عَلَى أَيِّ بَابٍ يَكُونُ إِلَى دَارِ الشَّرْكِ؛ ثُمَّ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَكُونَ

من باب أَلَبَّة، إذ كان ذلك الباب أنكى للعدو وأحسم لدائه؛ فافتحوا من فج يُقال له جَرِيْبِي؛ وكان وراءه بسبب للعدو، فيه خزائنه وذخره. فوقع أهل العسكر على تلك البساط، فاستنصتوها، وعلى ذخر تلك الخزائن، فانتهبوها؛ واستوعبوا خراب كل ما مرؤا عليه من العمران والنُرسى، وأقنروها. وانصرف المسلمون غامين ظافرين. والحمد لله!

وفي سنة ٢٠٩، توفى عبد الكريم بن عبد الواحد؛ وكان قد أخذ في الحركة إلى أرض العدو؛ فاعتل. وعوض منه الأمير عبد الرحمن بن الحكم أمية ابن معاوية بن هشام. فغزا بالصائفة إلى أوريط؛ فاحتل بها، وهي يومئذ للإسلام؛ فأخذ أهل الذنوب والريب، وعفا عن الباقيين؛ ثم تقدم إلى شنت بربة وتدمير. وكان أبو السماخ رئيس اليمانية يقوم بدعوة الأميين¹ على المضربية. وكانت بينهم وقعة بمرسية كوقعة يوم المصارة بأورقة، ففيها من المسلمين أتم. وكان انبعاث هذه الفتنة وسببها بين المضربية واليمانية على ورقة دالية أخذها مضربى من جنان يمانى؛ فقتله اليماني؛ فكان ذلك سبب الحروب التي دارت بين الفريقين؛ وأصلت أعواماً؛ وكانت الدوائر تدور أكثرها على اليمانية والفتلى منهم، وذلك أحد عجائب الدهر.

وفي سنة ٢١٠، أمر الأمير عبد الرحمن ببنان الجامع بمدينة جيان. وفيها،
P. ٨٥ كتب إلى عامل تدمير أن يتزل بمرسية ويتخذها موطناً؛ فكانت حشد موضع نزولهم وموضع فرارهم؛ وأمر بهدم مدينة أله من تدمير، ومنها ثارت الفتنة أولاً وفيها، افتتح فرج بن مسرة² في أرض العدو حصن القلعة؛ وكان مسرة² عامل جيان.

وفي سنة ٢١١، ثار طويريل بتاكرنا؛ فأخرج إليه الأمير عبد الرحمن معاوية ابن غانم في حشد؛ فظفر به، وقطع عاديته.

1) الأميين B. 2) ميسرة B.

وفي سنة ٢١٢، غزا عبيد الله بن عبد الله البَلَنْسِيُّ بالصائفة الى دار الحرب؛ فجال في أرض العدو حتى بلغ بَرَشَاوَنَةَ، وتردد في تدويجها وانتسافها ستين يوماً.

وفي سنة ٢١٣، انقطعت الفتنة بئدُمير، واستنزل أبو الشماخ وغيره من الفلاح، وانقطعت عاديتهم؛ وصار أبو الشماخ من ولاة الأمير عبد الرحمن ومن ثقاته.

وفي سنة ٢١٤، نار الضَّرَابِ بَطَلَيْطَلَةَ؛ واسمه هاشم؛ وسُمِّيَ الضَّرَابِ لِأَنَّهُ لما أحرق الحَكَمُ طَلَيْطَلَةَ، وأنزل أهلها منها الى السَّهْلِ، أخذ رهائهم. فدخل حينئذٍ هاشم الضَّرَابِ قَرْطَبَةَ، وصار يضرب بالبعول في الحدادين أجيراً؛ فعرف بالضَّرَابِ. ثم خرج من قَرْطَبَةَ الى طَلَيْطَلَةَ؛ فاستدعى أهل الشر والفساد، وأبهم؛ فنأب إليه منهم نفرٌ؛ فخرجوا يغيرون على العرب والبربر. وتسامع أهل الشر به؛ فقطعوا اليه، حتى اجتمع له منهم جمعٌ عظيمٌ وخلقٌ كثيرٌ؛ فعلا ذكره، وانتشر صيته. وأوقع بالبربر بشنت برية، ودارت له عليهم دوائر. فأخرج الأمير عبد الرحمن اليه محمد بن رُستُم^١، وأمره بحربه؛ فحاربه في هذه السنة.

وفي سنة ٢١٦، توافقت الجنود لمحمد بن رُستُم عامل الثغر؛ فناهض هاشماً الضَّرَابِ. وكان قد تغلب على جانب الثغر. وكان عبد الرحمن قد استنصر محمد ابن رُستُم في حقه، وكتب اليه يعينه؛ فقدم ابن رُستُم، والتقى مع * هاشم الضَّرَابِ؛ P. ٨٦ فوفعت بينهم حربٌ شديدةٌ أياماً؛ ثم انهزم هاشم، وقُتل هو ومن كان معه؛ وكانوا آلافاً.

وفي سنة ٢١٧، حوصرت ماردة وضيق عليها، حتى فر عنها خلقٌ كثيرٌ، وقُتل منهم كثيرٌ.

وفي سنة ٢١٨، كان الكسوف العظيم، الذي توارت معه الشمس، وبدا

1) A. et B. وسيم: de même plus loin.

الإظلام؛ وكان ذلك قبل زوال الشمس، في أواخر رمضان. وفيها، استوزر الأمير عبد الرحمن ابن شهيد واستحجبه. وفيها، قامت الزيادة في المسجد الجامع بقرطبة من الأرجل التي بين السواري الى القبلة.

وفي سنة ٢١٩، غزا بالصائفة أمية بن الحکم الى طليطلة وحاصرها؛ ثم قتل العسكر بعد أن أنف زروعهم وقطع ثارهم. وأبقى بقلعة رباح ميسرة التي لحاصرة طليطلة؛ فخرج جمع عظيم من طليطلة يريدون قلعة رباح؛ فبلغه خبرهم؛ فجمع الجموع، وكمن الكائن. فلما قربوا منها، وفرقوا¹¹ خيلهم في الغارة، خرجت عليهم الكائن؛ فقتلوا، وحزرت رؤوسهم؛ فجمعت بين يدي ميسرة؛ واجتمع منها جمعة عظيمة. فلما رأى ذلك، ارباع وداخله الندم؛ فلم يلبث بعد ذلك إلا يسيراً حتى مات ندماً وأسفاً.

وفي سنة ٢٢٠، غزا الأمير عبد الرحمن؛ فجعل صدر وجهته على طليطلة، وولى أبا السماخ قلعة رباح، وأبقى عنده خيلاً كثيفة ورجلاً كثيرة لماهضة طليطلة، ونفدّم هو الى كور الغرب. وكان سليمان بن مرثين قد تحيل عليه بجبي الماردى؛ فأخرجه من ماردة؛ فكان في قن الجبال حيناً؛ فحلّ عليه الأمير في هذه الغزاة، وحاصره حتى ضاق سليمان بن مرثين في الحصن؛ فخرج ليلاً؛ فيينا هو يمشى، إذ وافق صخرة ملساء على وجه الأرض؛ فزلق به الفرس؛ فسقط، ومات. ووجه رجل؛ فأحتر رأسه، وأدعى قتله؛ ثم عرف أمره. P. ٨٧

وفي سنة ٢٢١، افتتحت طليطلة. وكان السيب في ذلك أن ابن مهاجر خرج عنها، ونزع الى قلعة رباح، واستدعى القواد؛ فخرجوا اليه. فنهض بهم الى أبواب المدينة، وقطع عنهم مراقيهم. فكان ذلك أقوى الأسباب في افتتاحها. وكان عبد الواحد الإسكندراني بعثه الأمير اليهم؛ فوجدهم قد بلغ بهم الجهد.

¹¹ وفرقوا. A.

ثمَّ أُطْلِعَ عَلَيْهِمُ الْأَمِيرُ؛ فَافْتَتَحَهَا فَهَرَأَ، وَدَخَلَهَا عَلَى حُكْمِهِ، وَأَمَرَ بِتَجْدِيدِ الْفَصْرِ
الَّذِي كَانَ بِنَاءَ عَمْرُوسَ فِي أَيَّامِ الْحَكَمِ عَلَى بَابِ الْحِمْزِ. وَقِيلَ إِنَّ الَّذِي افْتَتَحَ
طَبَّاطَنَةَ الْوَلِيدِ بْنِ الْحَكَمِ، وَجَّهَهُ إِلَيْهَا أَخُوهُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ.

وَفِي سَنَةِ ٢٢٢، افْتَتَحَهَا عُدْوَةً، وَدَخَلَهَا فِي شَهْرِ رَجَبٍ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ
عَلَى حُكْمِهِ.

وَفِي سَنَةِ ٢٢٣، أُغْزِيَ الْأَمِيرُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَكَمِ أَخَاهُ الْوَلِيدَ بْنِ الْحَكَمِ
إِلَى جَبْتِيَّةٍ؛ فَدَخَلَ مِنْ بَابِ الْغَرْبِ مَعَ قَطِيعٍ مِنَ الْعَسْكَرِ؛ فَدَوَّخَهَا. وَكَانَتْ
لَهُ فِتْوَاحَاتٌ كَثِيرَةٌ.

وَفِي سَنَةِ ٢٢٤، أُغْزِيَ الْإِمَامُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ابْنَهُ الْحَكَمَ إِلَى دَارِ الْحَرْبِ،
وَأَمَرَ بِالنَّجْوَلِ فِي جِهَاتِ الْأَنْغُورِ، لِيَتَعَرَّفَ أَخْبَارَهَا وَمَصَالِحَهَا. وَأَمَرَ بِإِصْلَاحِ
قَنْظَرَةَ سَرَقُطَّةَ. وَدَخَلَ الْحَكَمُ بِالصَّائِفَةِ إِلَى دَارِ الْحَرْبِ؛ فَدَوَّخَهَا. وَقَتَلَ مِنْ
الْمُشْرِكِينَ مَا لَا يُحْصَى. وَاجْتَمَعَ مِنْ رُؤُوسِهِمْ أَكْدَسُ كَالْجِبَالِ، حَتَّى كَانَ الْفَارِسُ
يَقِفُ مِنْ نَاحِيَةٍ؛ فَلَا يَرَى صَاحِبَهُ مِنْ نَاحِيَةٍ أُخْرَى مِنْ عِظَمِهَا.
وَفِيهَا. كَانَتْ رُجُومٌ بِالنُّجُومِ. فِي جَمَادَى الْآخِرَةِ؛ وَسَائِرُ الْكَوَاكِبِ مِنْ
قِبَلِهَا إِلَى جَوْفٍ، وَمِنْ شَرْقٍ إِلَى غَرْبٍ؛ بِجَزِيرَةِ الْأَنْدَلُسِ.

وَفِي سَنَةِ ٢٢٥ غَزَا الْإِمَامُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بِنَفْسِهِ أَرْضَ جَبْتِيَّةٍ. فَفَتَحَ
حَصُونَهَا، وَجَالَ فِي أَرْضِهَا. وَطَالَتْ غَزَاؤُهُ، وَتَعَبَ كَثِيرًا؛ فَأَرِقَ فِي بَعْضِ
الليالي؛ فَلَمَّا كَانَ فِي بَعْضِ اللَّيْلِ، حَضَرَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الشَّيْبَرِ الشَّاعِرُ؛ فَوَصَفَ
لَهُ أَرْقَهُ، وَأَنَّهُ * تَذَكَّرَ بَعْضَ مَنْ حَنَّ إِلَيْهِ؛ فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الشَّيْبَرِ P. ٨٨
[مَنْتَارِب]:

عَدَائِي عَنكَ مَزَارُ الْعِدَى وَقَوْدِي إِلَيْهِمْ أُهَاماً مَهِيَباً
وَكَمْ قَدْ تَعَفَّتْ مِنْ سَبَبٍ وَجَاوَزَتْ بَعْدَ دُرُوبِ دُرُوباً⁽¹⁾
وَأَدْرِغُ النَّفْعَ حَتَّى لَيْسَتْ مِنْ بَعْدِ نَضْرَةٍ وَجَهِي شُحُوناً
أَلَا فَي بَوَجْهِي سُومَ الْهَجِيرِ وَقَدْ كَادَ مِنْهُ الْخَصَى أَنْ يَذُوباً
أَنَا ابْنُ الْهَشَامِيِّنَ مِنْ غَالِبٍ أَشْبُ حُرُوباً وَأَطْفَى حُرُوباً⁽²⁾
وَبِي أَدْرَكَ اللَّهُ دِينَ الْهُدَى فَأَحْيَيْتُهُ وَأَضْلَمْتَ الصَّلِيبَا
سَوَّيْتُ إِلَى الشِّرْكِ فِي جَحْفَلٍ مَلَأْتُ الْحُزُونَ بِهِ وَالسُّهُوبَا

وفي سنة ٢٢٦، غزاً بالصائفة إلى جليقية من بلاد العدو مطرف بن عبد
الرحمن؛ فتوسط بسبطهم، وذهب بنعمتهم؛ وكان القائد عبد الواحد بن يزيد
الإسكندراني.

وفي سنة ٢٢٧، خرج عميد الله بن عبد الله صاحب الصوائف؛ فلما
حصل بين أربونة وسرطانية، تجالبت الأعداء من كل ناحية، وأحاطوا بالعسكر
ليلاً؛ فقاتلهم المسلمون الليل كله؛ فلما انبج الضوء، أيد الله المسلمين، وهزم
الأعداء.

وفي سنة ٢٢٨، خرج الأمير عبد الرحمن بنفسه إلى أرض العدو، وخائف
في النصر ولك المنذر، وجعل على ميمته ولك محمداً وعلى الميسرة ولك المطرف.
فلقى جيشاً كبيراً من المشركين؛ فناشبههم المحرب؛ فأنزل الله نصره على المسلمين،
وهزموا المشركين، وأثخنوا فيهم القتل. وأفاء الله على المسلمين من ذراري أهل
بنبلونة وخیلهم وأساحمتهم ما عظم به من الله سبحانه المن. وقفل غزيراً في
منتصف شوال. وكان خروجه من قرطبة لتسع بقين من شعبان.

1) ولاقيت بعد ذوب ذوباً. 2) كروبا.

وفي سنة ٢٢٩، خرج الأمير عبد الرحمن لمحاصرة موسى بن موسى بن بطيعة؛ فذوّخ بلاده، ثمّ صالحه. ثمّ تقدّم الى بنبْلونة؛ فكانت له بها وقعة عظيمة على المشركين، ففى فيها أعداء الله؛ وكان معهم موسى بن موسى؛ فنالهم ورجاله ما نالهم.

وفىها، ورد كتاب وهب الله بن حزم عامل الأشبونة، بذكر أنه حلّ بالساحل قبله أربعة وخمسون مركباً من مراكب المَجُوس، معها أربعة وخمسون قارباً؛ فكتب اليه الأمير عبد الرحمن وإلى عمال السواحل بالتحفظ.

دخول المَجُوسِ إِشْبِيلِيَّةَ فى سنة ٢٣٠

فخرج المَجُوسُ فى نحو ثمانين مركباً، كأنها ملأت البحر طيراً جُونا؛ كما ملأت القلوب شجواً وشجونا. فحلّوا بأشبونة؛ ثمّ أقبلوا الى قادس، الى شدونة؛ ثمّ قدموا على إِشْبِيلِيَّةَ؛ فاحتلّوا بها احتلالاً، ونازلوها نزالاً، الى أن دخلوها قسراً، واستأصلوا أهلها قتلاً وأسرّاً. فقتلوا بها سبعة أيام، يسقون أهلها كأس الحِمَامِ. واتصل الخبر بالأمير عبد الرحمن؛ فقدم على الخيل عيسى بن شهيد الحاجب، واتصل المسلمون به اتصال العين بالحاجب. وتوجه بالخيل عبد الله ابن كليب وان رستم¹ وغيرها من الفُؤاد واحتلّ بالشرف. وكتب الى عمال الكُور فى استنفار الناس؛ فحلّوا بقرطبة، ونفر بهم نصر الفتى. وتوافت المَجُوسُ مراكبُ على مراكب، وجعلوا يقتلون الرجال، ويسبون النساء، ويأخذون الصبيان، وذلك بِأول ثلاثة عشر يوماً. ذكر ذلك فى «بهجة النفس». وفى كتاب «دُرر القلائد»: «سبعة أيام، كما تقدّم. وكانت بينهم وبين المسلمين ملاحم. ثمّ نهضوا الى قِبْطِيلِ؛ فأقاموا بها ثلاثة أيام، ودخلوا قُورَةَ، على اثنى عشر P. ٩٠ ميلاً من إِشْبِيلِيَّةَ؛ فقتلوا من المسلمين عدداً كثيراً؛ ثمّ دخلوا الى طلياطة، على مياين من إِشْبِيلِيَّةَ؛ فنزلوها ليلاً، وظهروا بالغداة بموضع يُعرف بالبخارين؛ ثمّ

1) A. et B. وسيم (sic) et toujours de même ensuite.

مضوا بمراكبهم، واعتركوا مع المسلمين. فانهزم المسلمون، وقُتل منهم ما لا يُحصى. ثم عادوا الى مراكبهم. ثم نهضوا الى شَدُونَةَ، ومنها الى قَادِس، وذلك بعد أن وجه الأمير عبد الرحمن قُوَادِه؛ فدافعهم ودافعوه؛ ونصبت المجانيق عليهم، وتوافقت الأمداد من قُرْطَبَةَ اليهم. فانهزم المَجُوس وقُتل منهم نحو من خمسمائة عُلج؛ وأُصِيبَتْ لَمْ أَرْبَعَةَ مَرَاكِبَ بِمَا فِيهَا؛ فَأَمْرُ ابْنِ رُسْتَمِ بِأَحْرَاقِهَا وَبِيعَ مَا فِيهَا مِنَ النَّيِّءِ. ثُمَّ كَانَتْ الْوَقْعَةُ عَلَيْهِمْ بِقَرْيَةِ طَلْبِيَاظَةَ يَوْمَ الثَّلَاثَاءِ لِحَمْسِ بَقِيْنَ مِنْ صَفْرِ مِنَ السَّنَةِ، قُتِلَ فِيهَا مِنْهُمْ خَلْقٌ كَثِيرٌ، وَأَحْرَقَ مِنْ مَرَاكِبِهِمْ ثَلَاثُونَ مَرَكَبًا. وَعُتِقَ مِنَ الْمَجُوسِ بِإِشْبِيلِيَّةِ عَدَدٌ كَثِيرٌ، وَرُفِعَ مِنْهُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ الَّتِي كَانَتْ بِهَا. وَرَكِبَ سَائِرُهُمْ مَرَاكِبَهُمْ، وَسَارُوا إِلَى لَبْلَةِ؛ ثُمَّ نَوَّجَهُوا مِنْهَا إِلَى الْأَشْبُونَةِ؛ فَانْفَطَعَ خَبْرُهُمْ.

1) وكان احتلالهم بإشبيلية يوم الأربعاء لأربع عشرة ليلة خلت من المحرم من سنة 122. وكان بين دخولهم الى إشبيلية وخروج من بني منهم وانقطاعهم اثنان وأربعون يوماً؛ فقتلهم الله وأبادهم، وبدد عددهم وأعدادهم؛ وقُتل أميرهم نعمة من الله وعذاباً، وجزاء بما كسبوا وعقاباً. ولما قتل الله أميرهم، وأفنى عددهم، وفتح فيهم، خرجت الكتب الى الآفاق بخبرهم. وكتب الأمير عبد الرحمن الى من بطانة من صنهاجة، يُعلمهم بما كان من صنع الله في المَجُوسِ، وبما أنزل فيهم من النعمة والهلكة؛ وبعث إليهم برأس أميرهم وبمائتي رأس من أنجادهم. P. 91

وفي سنة 221، غزا بالصائفة جليقية محمد ابن الأمير عبد الرحمن؛ فحصرها، وحصر مدينة ليون، ورمها بالمجانيق. فلما أيقنوا بالهلاك، خرجوا ليلاً، ولجؤوا الى الجبال والقباض؛ فأحرق ما فيها، وأراد هتم سورها؛ فوجد سعة² ثمان عشرة ذراعاً؛ فتركه؛ وأمعن في بلاد الشرك فتلاً وسياً.

1-1) Manque dans B.

2) فوجده سبع أو A.

وفي سنة ٢٢٢، فحطت الأندلس فحطاً شديداً، وكانت فيها مجاعة عظيمة، حتى هلكت المواشي، واحترقت الكروم، وكثر الجراد.

وفي سنة ٢٢٤، أمر الأمير بتوجيه العساكر الى أهل جزيرة ميورقة، لنكايتهم، وإذلالهم، ومجاهرتهم^١ بتنظيم العهد، وإضرارهم بمن مرّ عليهم من مرّآكب المسلمين. فغزتهم ثلاثمائة مرّكب؛ فصنع الله للمسلمين جيلاً، وأظفرهم بهم، وفتحوا أكثر جزائرهم.

وفي سنة ٢٤ المذكورة، توفى بجي بن بجي؛ فاستراح القضاة من همه^٢.

وفي سنة ٢٢٥، ورد كتاب أهل ميورقة وميورقة الى الأمير عبد الرحمن، يذكرون ما نالهم من نكاية المسلمين لهم؛ فكتب اليهم كتاباً أذكرُ هنا فصلاً منه، وهو: أما بعد، فقد بلغنا كتابكم، تذكرون فيه أمركم، وإغارة المسلمين الذين وجهناهم اليكم لجهادكم، وإصابتهم ما أصابوه منكم من ذراريكم وأموالكم، والمبلغ الذي بلغوه منكم، وما أشنيتُم عليه من الهلاك. وسألتمُ التدارك لأمركم، وقبول الجزية منكم، وتجديد عهدكم على الملازمة للطاعة، والنصيحة للمسلمين، والكف عن مكروهمهم، والوفاء بما وتحمّلونَه عن أنفسكم. ورجونا أن يكون فيما عوّفتهم به صلاحكم، وقمّعكم عن العود الى مثل الذي كنتم عليه. وقد أعطيناكم عهداً الله وذيّمته!»

وفيها، كان سيلٌ عظيمٌ بجزيرة الأندلس، حمل وادي شيل، وخرّب فوسين من حنايا قنطرة * إسنيجة، وخرّب الأسداد^٣ والأرجاء. وذهب السيل P. ٩٢ بست عشرة قرية من قرى إشبيلية على النهر الأعظم. وحمل وادي تاجه؛ فأذهب ثمان عشرة قرية؛ وصار عرضُه ثلاثين ميلاً.

وفي سنة ٢٢٦، نار رجلٌ من البربر، يُقال له حبيب البرنسي، بجبال

1) Ainsi dans A. et B. Peut-être faut-il lire مجاهدتكم. 2) A. سه.

3) A. et B. الداد (sic).

الجزيرة؛ وتأبش إليه جماعة من أهل الشر والفساد؛ فأخرج إليه عبد الرحمن الأجداد. فلما وصلوا إليه، ألقوا البربر قد قصدوا حبيباً ومن تأبش إليه؛ فتغلبوا على المعقل الذي كان انصوى إليه، وأخرجوه عنه، وقتلوا عدة كثيرة من أصحابه. وافترق بقية بهم عنه، ودخل حبيب في غمار الناس. فكذب الأمير عبد الرحمن إلى عمال الكور بالبحث عنه.

وفي سنة ٢٢٧، قام رجل من المعلين بشرق الأندلس؛ فادعى النبوة، وأول القرآن على غير تأويله؛ فأبغته جماعة من الفوغاه، وقام معه خلق كثير. وكان من بعض شرائعه النبي عن قص الشعر ونقلم الأظفار، ويقول: «لا تغيير لخلق الله!» فبعث إليه يحيى بن خالد؛ فأتى به. فلما دخل عليه، كان أول ما خاطبه به أن دعاة إلى اتباعه والأخذ بما شرع؛ فشاوَرَ فيه أهل العلم؛ فأشاروا بأن يستتاب فإن تاب، وإلا قتل. فقال: «كيف أتوب من الحق الصحيح!» فأمر بصلبه. فلما رُفع في الخشبة، قال: «أنتلون رجلاً أن يقول: ربي الله!» فصلى. وكتب إلى الأمير بخبره.

وفي سنة ٢٢٨، توفي الأمير عبد الرحمن بن الحكم - رحمه الله! - ليلة الخميس ثلاث خون من ربيع الآخر من السنة. وما زال يقنن المائر. وسنى المكارة والمناخر، حتى قبضته شعوب، وزداه مردي القبائل والشعوب.

ذكر بعض أخباره على الجملة وسيره

لما ولي الأمير عبد الرحمن، بعث في إخوته وأهله ووزرائه؛ فبايعوه، وبايعته العامة. ثم صلى على أبيه الحكم. فلما قضى صلاته وواراه، جلس بالأرض منطاطماً، ليس تحته وطاء، وجلس من كان معه. ثم افتتح القول؛ فقال: «الحمد لله، الذي جعل الموت حتماً من فضائه، وعزماً من أمره، وأجرى الأمور على مشيئته؛ فاستأثر بالملكوت والبقاء، وأذل خلفه بالفناء؛ تبارك

اسمُهُ وَتَعَالَى جَدُّهُ⁽¹⁾ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ نَبِيِّهِ وَرَسُولِهِ، وَسَامَ تَسْلِيمًا! وَكَانَ مُصَانِنًا
بِالإِمَامِ - رَحِمَهُ اللهُ - مِمَّا جَاءَتْ بِهِ البُصِيْبَةُ، وَعَظُمَتْ بِهِ الرِّزْيَةُ؛ فَعِنْدَ اللهِ
نَحْنُسِبُهُ، وَإِيَّاهُ نَسْأَلُ إِلهَامَ الصَّبْرِ، وَإِلَيْهِ نَرْغَبُ فِي كِمَالِ الأَجْرِ وَالدَّخْرِ! وَعَهْدَ
البِنَا فِيكُمْ بِمَا فِيهِ صِلَاحٌ أَحْوَالِكُمْ وَلِسْنَا مِنْ بِخَالِفِ عَهْدِكُمْ، بَلْ لَكُمْ لَدِينَا المَزِيدُ
إِنْ شَاءَ اللهُ! « ثُمَّ قَامَ عَنْهُمْ، وَخَرَجَتْ لَهُمُ الأَمْوَالُ وَالكَسَى عَلَى قَدَرِ أَقْدَارِهِمْ.
وَكَانَ شَاعِرًا، أَدِيبًا، ذَا هِمَّةٍ عَالِيَةٍ. وَكَانَتْ لَهُ غَزَوَاتٌ كَثِيرَةٌ، وَفَتْوحَاتٌ
فِي دَارِ العَدُوِّ شَهِيرَةٌ، يُخْرِجُ إِلَيْهَا فِي العَدَدِ الجَمَّ، وَالعَسْكَرَ الضَّخْمَ، يُخْرِبُ
دِيَارَهُمْ، وَيُعْفِي آثَارَهُمْ، وَيَقْفَلُ ظَاهِرَ العِتْلَاءِ، قَاهِرَ العَدَاءِ. لَمْ يَلْتَقِ المُسْلِمُونَ
مَعَهُ بَوْسًا، وَلَمْ يَرَوْا فِي مُدَّتِهِ يَوْمًا عُبُوسًا. وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ جَرَى عَلَى سَنَنِ الخُلَفَاءِ
فِي الزِينَةِ وَالشَّكْلِ، وَتَرْتِيبِ الخِدْمَةِ. وَكَسَى الخِلَافَةَ أُبُهَةَ الجَلَالَةِ؛ فَشَيَّدَ القُصُورَ،
وَجَلَبَ إِلَيْهَا المِيَاهَ، وَبَنَى الرَّصِيفَ،⁽²⁾ وَعَمِلَ عَلَيْهِ السَّقَائِفَ؛ وَبَنَى المَسَاجِدَ
الجَوَامِعَ بِالأَنْدَاسِ؛ وَعَمِلَ السَّقَايَةَ عَلَى الرَّصِيفِ⁽³⁾، وَأَحْدَثَ الطُّرُزَ، وَاسْتَنْبَطَ
عَمَلَهَا؛ وَاتَّخَذَ السِّكَّةَ بِقُرْطُبَةَ. وَفَحِمَ مُلْكُهُ. وَفِي أَيَّامِهِ دَخَلَ الأَنْدَاسَ نَفِيسَ
الوِطَاءِ وَغَرَائِبُ الأَشْيَاءِ؛ وَسَبَقَ ذَلِكَ إِلَيْهِ مِنْ بَعْدَادٍ وَغَيْرِهَا. وَعِنْدَمَا قُتِلَ
مُحَمَّدُ الأَمِينُ، ابْنُ هَارُونَ الرَّشِيدِ، وَانْتَهَبَ مُلْكُهُ، سَبَقَ إِلَى الأَنْدَاسِ كُلُّ نَفِيسٍ
غَرِيبٍ مِنْ جَوْهَرٍ وَمَتَاعٍ. وَقُصِدَ بِالعِقْدِ المَعْرُوفِ بِالعِقْدِ الشِّفَاءِ⁽³⁾؛ وَكَانَ لِزَيْدَةَ
أُمِّ جَعْفَرٍ.

* وَمِنْ مَآثِرِهِ أَنَّهُ كَانَ وَرَدَ عَلَيْهِ يَوْمًا أَمْوَالٌ مِنْ بِلَادِهِ. لَعَطِيَّاتُ أَجْنَادِهِ؛⁽¹⁾ فَدَخَلَتْ إِلَيْهِ، وَجَعَلَتْ الخِرَاطِطَ بَيْنَ يَدَيْهِ. وَكَانَ بَعَثَ فِتْيَانَهُ؛ فَخَلَا مَجْلِسُهُ إِذْ
ذَلِكَ، وَلَمْ يَبْقَ أَحَدٌ هُنَاكَ، حَاشِيَ فَتَى كَانَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَاقِفًا، وَعَلَى خِدْمَتِهِ الخَاصَّةِ
عَاكِفًا؛ فَغَشِيَتْ الأَمِيرَ عِبْدَ الرَّحْمَنِ نَعْسَةٌ، ظَنَّتْهَا الفَتَى مَهْرَةً وَخُاسَةً؛ فَنَهَضَ عَلَى
خَرِيطَةٍ مِنْ ذَلِكَ المَالِ، وَأَسْدَلَ عَلَيْهَا كُمَّهَ أَسْبَعِ إِسْدَالٍ، وَالأَمِيرُ يَلَاحِظُهُ
بِطَرَفِ خُفْيٍ، وَيَصْمَتُ عَنْهُ صَمْتًا بَرًّا حَفِيًّا؛ فَفَازَ الفَتَى بِمَالِهِ، وَنَاطَ بِهِ أَسْبَابَ

1) Allusion à *Cor.* LXXII, 3. 2-2) Manque dans B. 3) A. et B. الشيا (sic).

مكة. وما رجع نبي. أمره الأمير عبد الرحمن برفع تلك الخراط المسوطة،
فوجدوا نصوصك الخريصة، فتدفعون فيها إذ ذك. كل بقول لصاحبه:
« أنت خدم من هك! » فقال له الأمير: « استكنوا عن هذا! فقد أخذها من
لا يرددها. وعاء من لا يرددها! » فكان هذا مما عر من كرمه وفضله.

وكانت له جارية نسبي عروب، كان بها ذم، فصلى عنه يوماً، وأنت
محرمة، فأرس فيها، فامتنعت عليه، وأغفلت على نبي، وأمر بيان أناب
الخراط من التمر، والشراب، والنعيم، والوضوء، وما فتحت كتاب،
فأضحت الخراط من كل جانب، فأخبرهم، وأضحت فيها نحو من عشرين كتاباً،
وأمره، عند قبضته عشرة آلاف دينار، ففعل بعض من حضر من ورثه بعضهم
بأمره، فقال له الأمير عبد الرحمن: « إن لاسه أس من حضر ورفع
فأمره، وأضحت رقي من هذا الخصة منظره، ورصف في أس حوهره، ففقد
من خذ حوهر بعض الأعمار، وبذهب الألب، وهو على وجه
الأرس من راجده، وشرب حوهره، فترهين، وأجمع برين، من وجر كمل
منه، فحين وشركه، وألقى عليه نكس من حقه، » ثم قال بعد من
شبهه شاعر وك حصر: « من يخضرك شى لا فى معنى؟ » وأنت [حوس]:

مفتر حقدك يوم قبيل وشرب
من فداك وقت ففقدك من خذ
فأمره من علفه من حوهر

وأضحت الأمير الألبت وعرب، طرف شديد، وأنت الأمير مر جلاً [حوس]:
فربطت من شرب على شرب
من شرب الألبت الذى شرب
فمن شرب الرحمن من كل ما شرب
نرى بورد فوق اليبسين بخذها
فمن شرب من شرب وساطرى

وجل عن الأوهام ونهين والفكر
والتب يداء فجل عن شرب
فربيعين من شرب كبر
كما فوق الرؤس شرب
نظامتهما منها على شرب والنحر

ثم أمر لابن الشير ببدرة فيها خمسمائة دينار؛ فخرج مع الوصيف يحملها له تحت إبطه. فلما توارياً عن الأمير، قال له الوصيف: «أين لذات العهر، يا ابن الشير؟» فقال: «تحت إبطك يا سيدي!»

ودخل عليه الغزال الشاعر يوماً؛ فقال الأمير [كامل]:

جاء الغزال بحسنه وجماله

فقال له الوزير: أجزء ما بدأ به الأمير! فقال الغزال [كامل]:

قال الأمير مداعباً بمقاله
أين الجمال من أمري؟ أربى على
• وهل الجمال له؟ الجمال من أمري •
وأعادته من بعد جدته بلى
وهي طويلة.

جاء الغزال بحسنه وجماله
متعدد السبعين من أخواله
ألفاء ريب الدهر في أغلاله
وأحال رونق وجهه عن حاله

ومن قول الإمام عبد الرحمن - رحمه الله! - يصف حال المعزول.

فأبدع [طويل]:

أرى البرء بعد العزل يرجع عقله
فقلبه جهم الوجه ما كان وإلياً
وكتب إليه بعض عماله يسأله عملاً رفيعاً ليس من شاكلته؛ فوقع له في أسفل كتابه: «من لم يصب وجهه مطلبه، كان الحرمان أولى به!» ومثل هذا كثير مما يدل على فضله.

خلافة محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام

كنيته: أبو عبد الله. أمه: بهير. مولده: في شهر ذي القعدة سنة ٢٠٧.
وزراؤه وقواده: اثنا عشر. حجاب: اثنان، ابن شهيد وابن أبي عبدة. كتابه:

1) Hémistiche de lecture douteuse dans A. et B.

ثلاثة، عبد الملك بن أمية، وحامد بن محمد الزجالي، وموسى بن ابان. قضائه: أحمد بن زياد، ثم عمرو بن عبد الله المعروف بالقبعة، ثم سليمان بن أسود الغافقي. نقش خاتمه: بالله يثق محمد وبه يعتصم. صفته: أبيض، مشرب بحمرة: ربة، أوقص، وافر اللحية يخصب بالحناء والكتم. بنوه: ثلاثة وثلاثون. بناته: إحدى وعشرون. بويج يوم الخميس لأربع خلون أربيع الآخر سنة ٢٢٨، وهو ابن ثلاثين سنة وخمسة أشهر. وتوفي يوم الخميس ليلة بقيت من شهر صفر سنة ٢٧٢. عمره: خمس وستون سنة وأربعة أشهر. وكانت خلافته أربعاً وثلاثين سنة وعشرة أشهر وعشرين يوماً.

وفي سنة ولايته، نار عليه أهل طليطلة، وحبسوا العارل عندهم، حتى أطلقت رهائنهم من قرطبة، وحينئذ أطلقوه. P. ٩٧

وفي سنة ٢٢٩، خرج الحكم ابن الأمير عبد الرحمن إلى طليطلة بالصائفة. وكانت قلعة رباح قد أقيمت، خوفاً من أهل طليطلة. فاحتلها الحكم، وأمر بنيان سورها، واسترجاع من فر من أهلها إليها.

وفيها أخرج الأمير محمد إلى شدلة قاسم بن العباس وتسام بن أبي العطف صاحب الخيل، ومعهما الحشم. فلما حلاً بأندوجر، خرجت عليهم كائن أهل طليطلة، ووقعت الحرب، وكثر القتل؛ فانهزم قاسم وتسام، وأصيب ما في العسكر. وفي ذلك يقول صفوان بن العباس أخو قاسم المذكور [رمل]:

ضَرَطَ الفَاسِمُ يَومًا ضَرَطَ في القَرَمِيطِ
مَاتَ مِنهَا كُلُّ حُوتٍ كَانَ في البَحْرِ المَحِيطِ

وكانت هذه الواقعة في شوال.

وفي سنة ٢٤٠، خرج الأمير محمد بنفسه إلى طليطلة في المحرم. فلما اتصل بأهلها ذلك، أرسلوا إلى أردن بن إذفوش صاحب جليقية، يعلمونه بحركته

ويستمدون به. فبعث اليهم أخاه غثون¹ في جمع عظيم من النصارى. فلما اتصل ذلك بالأمير محمد، وقد كان فاربَ طليطلة، أعمل الحيلة والكيد، واستشعر الحزم؛ فعبا الجيوش، وكمن الكائن باحبة وادي سايط؛ ثم نصب الرذود، وطلع في أوائل العسكر في قلة من العدد. فلما رأى ذلك أهل طليطلة، أعلموا العالج بما عينوه من قلة المسلمين؛ فتحرك العالج فرحاً، وقد طمع في الظفر والغنيمة وانتهاز الفرصة. فلما التقى الجمعان، خرجت الكائن عن بين وشمال، وتوارت الخيل أرسالاً على أرسال، حتى غشي الأعداء منهم ظلل كالجبال؛ فانهزم المشركون وأهل طليطلة، وأخذتهم السلاح، هذاً بالسيوف، وطعناً بالرماح؛ فقتل الله عامتهم، وأباد جماعتهم. وحيز من رؤوسهم مما كان في المعركة وحواليها ثمانية P. ٩٥
الآف رأس، وجيعت ورصعت؛ فصار منها جبل علاه المسلمون، يكبرون ويهللون ويحمدون ربهم ويشكرون. وبعث الأمير محمد بأكثرها إلى قرطبة، وإلى سواحل البحر، وإلى العدو. وانتهى عدد من فقد منهم في هذه الواقعة إلى عشرين ألفاً. وكانت في شهر محرم من السنة.

وفي سنة ٢٤١، شن الأمير محمد قلعة رباح وطلية بالبحشم. ورب فيها الفرسان؛ وترك فيها عاملاً حارث بن بزيع. وفيها، جدد الأمير محمد طرز² الجامع بقرطبة وأنفق نفوسه. وفيها، حشد الأمير محمد، ودخل إلى آية والقلاع، وبلغ إلى أقصاها، وافتتح كثيراً من حصون المشركين.

وفي سنة ٢٤٢، كتب الأمير محمد إلى موسى بن موسى بجشد الثغور والدخول إلى برشلونة؛ فغزا إليها، واحتل بها، وافتتح في هذه الغزاة حصن طراجة³، وهي من آخر أحواز برشلونة؛ ومن خمس ذلك الحصن زبدت

1) B. غثون (Gaston). 2) Sic dans A. et B. Peut-être faut-il lire طرز.

3) A. طراحة; B. طراخة.

الزوائد في المسجد الجامع بسرقطة؛ وكان الذي أسسه ونصب مجرأه حنّ الصنعاني - رضه - وهو من التابعين.

وفيها وجه الأمير محمد ابنه المنذر بالجيوش الى طليطلة؛ فحاصرها، وأقام عليها ينسف معاشها.

وفي سنة ٢٤٢، كانت وقعة عظيمة في أهل طليطلة، وذلك أنهم خرجوا الى طليطلة؛ فخرج اليهم قائدها مسعود بن عبد الله العريف، بعد أن كمن لهم الكائن؛ فقتلهم قتلاً ذريعاً، وبعث الى قرطبة بسبعائة رأس من رؤوس أكابرهم.

وفي سنة ٢٤٤، خرج الأمير محمد بن نفسه الى طليطلة، وعددهم قد قل، وحدهم قد قل، بتواتر الوقائع عليهم، ونزول المصائب بهم؛ فلم تكن لهم حرب إلا بالقتلة. ثم أمر الأمير بقطع القنطرة، وجمع العرفاء من البنائين والمهندسين،

وأداروا الحيلة من حيث لا يشعروا أهل طليطلة. ثم نزلوا¹⁾ عنها؛ فبينما هم مجتمعون بها، إذ اندقت بهم، وتهدمت نواحيها، وانكفأت بين كان عليها من الحماة والكهاة؛ فغرفوا في النهر عن آخرهم؛ فكان ذلك من أعظم صنع الله فيهم.

وفي سنة ٢٤٠، دعا أهل طليطلة الى الأمان؛ فعقد الأمير لهم؛ وهو الأمان الأول.

وفيها، خرج المَجُوس أيضاً الى ساحل البحر بالغرب، في اثني وستين مركباً؛ فوجدوا البحر محروساً، ومراكب المسلمين معدة، تجرى من حائط إفرنجية الى حائط جليقية في الغرب الأقصى. فتقدم مركبان من مراكب المَجُوس؛ فتلاقت بهم المراكب المعدة؛ فوافقوا هذين المركبين في بعض كور باجة؛ فأخذوها بما كان فيها من الذهب والنضة والسي والعدة. ومرت سائر مراكب المَجُوس في الرنف حتى انتهت الى مصب نهر إشبيلية في البحر؛ فأخرج الأمير الجيوش، ونفر الناس من كل أوب؛ وكان قائدهم عيسى بن الحسن الحاجب.

أخذتوني: B. ajoute: ٢١. نولوا: Peut-être: A. 1)

وتقدّمت المراكب من مصب نهر إشييلية حتى حلّت بالجزيرة الخضراء؛ فتغلبوا عليها، وأحرقوا المسجد الجامع بها؛ ثمّ جازوا إلى العُدوة؛ فاستباحوا أربابها؛ ثمّ عادوا إلى ريف الأندلس، وتوافوا بساحل نُدْمِير؛ ثمّ اتّهبوا إلى حصن أوربولة؛ ثمّ تقدّموا إلى إفرنجة؛ فقتلوا بها، وأصابوا بها الذراري والأموال، وتغلبوا بها على مدينة سكوها، فهي منسوبة إليهم إلى اليوم، حتى انصرفوا إلى ريف بحر الأندلس، وقد ذهب من مراكبهم أكثر من أربعين مركباً. ولقبهم مراكب الأمير محمد؛ فأصابوا منها مركبتين بريف شدونة، فيها الأموال العظيمة. ومضت بقية مراكب الجوس.

وفي سنة ٢٤٦، أغزى الأمير محمد بن عبد الرحمن إلى أرض بَسَلُونَة أحدَ قوادِه؛ فخرج في هذه الغزوة خروجا لم يخرج قبائِه مثلهُ جمعا وكثرة، وبأل عدّة، وظهور هبة. وكان غزويةً إذ ذاك منظاراً مع أردون * صاحب P. 100 جَيْفِيَّة؛ فأقام هذا القائد بدوخ أرض بَسَلُونَة، متردداً فيها اثنين وثلاثين يوماً، بحرب المنازل، وينسف الثمار، ويفتح القرى والحصون. وافتتح في الحملة حصن قَشْتِيل، وأخذ فيه قُرُون بن غزوية المعروف بالأنقر، وقدم به إلى قُرْطُبَة؛ فأقام بها محبوساً نحواً من عشرين سنة؛ ثمّ رده الأمير إلى بلده، وعُمر قُرُون مائة وست وعشرون سنة.

وفي سنة ٢٤٧، قال الرازي: غزا محمد بن السيم أرض الحرب، وعامل الثغر إذ ذاك عبد الله بن يحيى. وكان كتب موسى بن موسى يذكر ما ناله ونال أهل بلده في إداختهم أرض الجليفيين، وما وصل إليهم من النصب، وسأل أن يكون دخول العسكر على غير ناحيته؛ فأسعف في ذلك، ودخلت العساكر على غير بلده.

وفي سنة ٢٤٨، تقدّم موسى بن موسى لمفانلة ابن سالم في وادي الحجارة؛ فنالته جراح منعتة الركوب بعدها؛ وكانت سبباً لهلاكه؛ فتوفي في هذه السنة.

وفي سنة ٢٤٩، خرج عبد الرحمن ابن الأمير محمد إلى حصون ألبنة والفلاح؛ وكان القائد عبد الملك بن العباس؛ فافتتحها، وقتل الرجال، وهدم البيان؛ وانتقل في بساطها من موضع إلى موضع يحطم الزروع، ويقطع الثمار. وأخرج أردون بن إذفونش أخاه إلى ماضيق النج ليقطع بالمسلمين، ويتعرضهم فيه؛ فتقدم عبد الملك؛ فقاتلهم على المضيق، حتى هزمهم وقتلهم وبددهم؛ ثم وافتهم بقية العساكر. وأظنتهم الخيل من كل الجهات؛ فصبر أعداء الله صبراً عظيماً؛ ثم انهزموا. ومنح الله المسلمين أكتافهم؛ فقتلوا قتلاً ذريعاً؛ وقتل لهم تسعة عشر قوماً من كبار قوادهم.

وفي سنة ٢٥٠، كملت مقصورة المسجد الجامع بقراطية؛ وبني فيها الأمير محمد بيانياً كثيراً في القصر الكبير والسنة الخارجة عنه. ولم تكن في هذه السنة صائفة، استغنى بالغزوة المتقدمة، وأرجح العسكر فيها.

وفي سنة ٢٥١، كانت غزوة ألبنة والفلاح أيضاً (هزيمة المراكيز - أخراه الله ١١-)؛ خرج إلى هذه الغزاة عبد الرحمن بن محمد، وتقدم حتى حل على نهر دوير. وتوالت عليه العساكر من كل ناحية، فرتبها. ثم تقدم؛ فاحتل بفتح بردش^١؛ وكانت عليه أربعة حصون؛ فغلب العسكر عليها، وغنم المسلمون جميع ما فيها وخرّبوها؛ ثم انتقل من موضع إلى موضع، لا يمر بسكن إلا خربه، ولا موضع إلا حرقه، حتى اتصل ذلك في جميع بلادهم. ولم يبق لرذريق صاحب الفلاح، ولا لرديمير^٢ صاحب توفة، ولا لغندشلب صاحب برجية، ولا لغوميس صاحب مسانقة، حصن من حصونهم إلا وعمه الخراب. ثم قصد الملاحه، وكانت من أجل أعمال رذريق؛ فحطم ما حوالها وعفا آثارها. ثم تقدم يوم الخروج على فتح المراكيز؛ فصدد العسكر عنه، وتقدم رذريق بحشوده وعسكره؛ فحل على الخندق المجاور للمراكيز. وكان رذريق قد عانى

1) Sic dans A. et B.

2) A et B. بردش.

3) Manque dans A.

تَوَعِيرَهُ أَعْوَامًا، وَخَرَّ فِيهِ أَهْلَ مَمْلَكَتِهِ، وَقَطَعَهُ مِنْ جَانِبِ الْهَضْبَةِ؛ فَارْتَفَعَ جُرْفُهُ، وَانْفَطَعَ مَسَلِكُهُ؛ فَنَزَلَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ ابْنُ الْأَمِيرِ مُحَمَّدٌ عَلَى وَادِي إِبْرَةَ بِالْعَسْكَرِ، وَعَمَّا الْفَائِدُ عَبْدُ الْمَلِكِ لِلْفِتَالِ؛ وَعَمَّا الْمُشْرِكُونَ، وَجَعَلُوا الْكَاثِنَ عَلَى مِيْمَةِ الدَّرْبِ وَمَيْسَرَتِهِ. وَنَاهَضَ الْمُسْلِمُونَ جَمُوعَ الْمُشْرِكِينَ بِصُدُورِهِمْ؛ فَوَقَعَ بَيْنَهُمْ جَلَادٌ شَدِيدٌ. وَصَدَقَ الْمُسْلِمُونَ الْفِتَاءَ؛ فَانْكَشَفَ الْأَعْدَاءُ عَنِ الْخَنْدَقِ، وَانْحَازُوا إِلَى هَضْبَةٍ كَانَتْ تَلِيهِ. ثُمَّ نَزَلَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ ابْنُ الْأَمِيرِ مُحَمَّدٌ، وَنَصَبَ فُسْطَاطَهُ، وَأَمَرَ النَّاسَ بِالنُّزُولِ وَضَرْبِ أَسْبِيَّتِهِمْ؛ فَأَقَامَتِ الْحَلَّةُ. ثُمَّ نَهَضَ الْمُسْلِمُونَ إِلَيْهِمْ؛ فَصَدَقُوهُمْ الْفِتَالِ، وَضَرَبَ اللَّهُ فِي وُجُوهِ الْمُشْرِكِينَ، وَمُنِحَ P. 102 الْمُسْلِمِينَ أَكْنَافَهُمْ؛ فَفُتِلُوا أَبْرَحَ قَتْلًا؛ وَأُسِرَ مِنْهُمْ جَمُوعٌ. وَاسْتَبْرَأُوا فِي الْهَزِيمَةِ إِلَى نَاحِيَةِ الْأَهْزُونِ، وَاقْتَحَمُوا نَهْرَ إِبْرَةَ بِالْإِضْطِرَارِ فِي غَيْرِ مَخَاضَةٍ؛ فَمَاتَ مِنْهُمْ خَلْقٌ كَثِيرٌ غَرَفًا. وَكَانَ الْقَتْلُ وَالْأَسْرُ فِيهِمْ مِنْ ضَحَى يَوْمِ الْخَمِيسِ لِاثْنَتَيْ عَشْرَةَ لَيْلَةً خَلَّتْ مِنْ رَجَبٍ إِلَى وَقْتِ الظُّهْرِ. وَسَلَّمَ اللَّهُ الْمُسْلِمِينَ وَانصَرَّهُمْ عَلَى الْمُشْرِكِينَ. وَكَانَ قَدْ لَجَأَ مِنْهُمْ إِلَى الْوَعْرِ وَالْغِيَاضِ، عِنْدَمَا أَخَذَتْهُمُ السِّيُوفُ، جَمُوعٌ؛ فَتَتَبَعُوا وَقْتَلُوا؛ ثُمَّ هَتِكَ الْخَنْدَقُ وَسُوِيَ حَتَّى سَهَلَّ، وَسَلَكَهُ الْمُسْلِمُونَ غَيْرَ خَائِفِينَ وَلَا مُضْغَطِينَ. وَأَعْظَمَ اللَّهُ الْبَيْتَةَ الْمُسْلِمِينَ بِالصُّنْعِ الْجَمِيلِ، وَالْفَتْحِ الْجَلِيلِ. وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. وَكَانَ مَبْلَغُ مَا حِيزَ مِنْ رُؤُوسِ الْأَعْدَاءِ فِي تِلْكَ الْوَقِيعَةِ عَشْرِينَ أَلْفَ رَأْسٍ وَأَرْبَعِينَ رَأْسًا وَاثْنِينَ وَسَبْعِينَ رَأْسًا.

وَفِي سَنَةِ ٢٥٢، خَرَجَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ ابْنُ الْأَمِيرِ مُحَمَّدٌ غَازِيًا إِلَى آلِيَةِ وَالْفِلَاحِ؛ فَحَارَبَ أَهْلَهَا، وَأَفْسَدَ زُرُوعَهَا، وَغَادَرَهَا هَشِيمًا. وَكَانَ أَهْلُ هَذَا الْجَانِبِ فِي ضَعْفٍ وَوَهْنٍ شَدِيدٍ أَجَاهُمْ إِلَى الْمَنَعِ مِنَ التَّجَمُّعِ وَالِاحْتِشَادِ، لِإِمَا نَالَهُمْ فِي الْعَامِ الْفَارِطِ مِنَ النَّهْبِ وَالْقَتْلِ الذَّرِيعِ.

وَفِي سَنَةِ ٢٥٢، خَرَجَ الْحَكَمُ ابْنُ الْأَمِيرِ مُحَمَّدٍ غَازِيًا إِلَى جَرْنِيْقِ؛ فَجَالَ فِي أَرْضِ الْأَعْدَاءِ، وَحَلَّ عَلَى حِصْنِ جَرْنِيْقِ، وَحَاصَرَهُ حَتَّى فَتَحَهُ عِنُودًا.

وفيها كانت بالاندلس مجاعة عظيمة متوالية.

وفي سنة ٢٥٤، خرج الأمير محمد الى ماردة، وأظهر أن استعداده لطأبطلته. وكان ماردة قوم من المستترين. فلما فصل من قرطبة، وتقدم بالمحلات الى طريق طلبطلته، نكب الى ماردة؛ فاحتل بهم، وهم في أمن وعلى غفلة. فتحصنوا في المدينة أياماً. ثم ناهض القنطرة؛ فوقع القتال، واشتد الحرب حتى غلبوا عليها؛ فأمر الأمير بنخرب رجل منها؛ فكان ذلك سبباً لإذعان أهل ماردة؛ فطاعوا على أن يخرج فرسانهم، وهم يومئذ عبد الرحمن بن مروان، وابن شاكر، ومكحول، وغير هؤلاء؛ وكانوا أهل بأس ونجدة وسالمة مشهورة. فخرج المذكورون ومن هو مثلهم الى قرطبة بعيالهم وذرائعهم. وولى عليها سعيد ابن عماس القرشي، وأمر بهدم سورها؛ ولم يبق إلا قصبتها لمن يرد من العمال.

وفي سنة ٢٥٥، خرج الحكم ابن الأمير محمد، وقصد مدينة سرتة. وكان قد تغلب بها سليمان بن عبدوس، وخالف فيها؛ فبادرته الصائفة، وحلت به العساكر، وأحذقت بالمدينة، ورُميت بالمجانيق، حتى هتكت أسوارها. فقام أهلها على سليمان بن عبدوس؛ فطاع، ونزل؛ فقدم به قرطبة؛ فسكنها.

وفي سنة ٢٥٦، غدر عمرو بن عامر وشقة وملكها، وظهرت عاديته في الثغر؛ فأخرج الأمير اليه فطبعاً من الحشم والعدة، وقصد بها لاردة ابن مجاهد المعروف بالندميري؛ فلزمها. وحشد عبد الوهاب بن مغيث الحشود، وقدم عليهم عبد الأعلى العريف، وبعثه الى وشقة. فلما بلغ عمرو بن خبزه، خرج عن وشقة، وأسر بها لب بن زكرياء بن عمرو بن وكان أحد قتل عامر السلطان بها موسى بن غلند^١؛ فقتل لب وعاقب من السور.

١) A. et B. غلند.

وفي سنة ٢٥٧، خرج الى الثغر عبد الغافر بن عبد العزيز؛ وكان نطيطة. فقبض على زكرياء بن عمروس وعلى أولاده وجماعة من أهل بيته، وورل بهم على باب مدينة سرقسطة، وقتلهم بها. وقفل الى قرطبة بالرووس.

وفي سنة ٢٥٨، كانت في الثغر ثورات وحركات، منها أن مطرفاً وإسماعيل ابني لب، ويونس بن زباط غدروا بعبد الوهاب بن مغيث، عامل نطيطة، وابنه محمد عامل سرقسطة. فقبضوا عليهما، وملكوا في هذا العام الثغر. وكان توفي مطرف في صفر، ودخل إسماعيل سرقسطة في ربيع الأول.

وفي سنة ٢٥٩، خرج الأمير محمد بن نفسه الى الثغر، وحل في وجهته بطليطة، ١٠٤. وأخذ رهائهم، وعقد أمانهم، وقاطعهم على قطع من العشور يودونه في كل عام، وهو الأمان الثاني. واختلفت أهواؤهم في عمالمهم؛ فطلب قوم منهم تولية مطرف بن عبد الرحمن، وطلب آخرون تولية طريشة^١؛ فولى كل واحد منهما جانباً، ونفسها المدينة وأقاليمها على حدود مفهومة معلومة؛ ثم تنازعا، وأراد كل واحد منهما الانفراد بملك طليطة. ثم غلب الداعون الى تقديم طريشة^١ ابن ماسوية، وتأخير مطرف المذكور. وكان الأمير محمد تلقاه في وجهته هذه، في الارتحال والاحتلال، طلائع الظفر، وبوادر التيج والتصر. وتحوّل في الثغر محاصراً لبني موسى، ومضيقاً عليهم. ثم تقدم الى بسبلونة؛ فوطى أرضها، وأذل أهلها، وخرّبها؛ ثم قفل؛ فحل بقرطبة، ومعه جماعة من الثوار الناكثين المفسدين. فلما أخذ راحته، أمر بقتل مطرف بن موسى وبنيه، وأمر بإطلاق كاسيم، وكان لا ذنب له. فلما أخرج مطرف وبنوه القتل، وأخرج كاسيم للإطلاق، وكان يعرف بالأصبحي، قال: «لا خير في العيش بعد هؤلاء!» فقدم القتل قبّاهم، ورُفعت رؤوسهم.

١) A. et B. طريشة.

وفي سنة ٢٦٠، خرج المنذر بن الأمير محمد إلى سرقسطة وبنبلونة؛ وكان القائد هاشم بن عبد العزيز. فاحتل سرقسطة، وانهب زروعها، وأذهب ثمارها وأشجارها، ونقل أطعمتها إلى وشفة، ونقدم إلى بنبلونة؛ فجال في أرضها، وألف معايش أهلها.

وفيها، كانت المجاعة التي عمّت الأندلس؛ ومات فيها أكثر الخلق.

وفي سنة ٢٦١، هرب ابن مروان الجليفي من قرطبة مع رجال ماردة المنزليين^١ منها، واستقروا بقلعة الحنش. فغزاه الأمير محمد، وحاصره حصاراً قطعته وضيق عليه مدة من ثلاثة أشهر، ألجأه فيها إلى أكل الدواب؛ وقطع عنه الماء، ورماه بالمجانيق، حتى أذعن، وطلب الأمان، وشكى ثقل الظهر وضيق الحال؛ فأباح له الأمير محمد الرحيل إلى بطليوس والحلول بها؛ وهي يومئذ قرية؛ فخرج إليها، وقفل عنه.

وفي سنة ٢٦٢، خرج المنذر بن الأمير محمد إلى ابن مروان؛ وكان القائد هاشم بن عبد العزيز؛ وهو الذي كان سبب هروب ابن مروان، لأنه قال له من بين الوزراء: «الكأب خير منك!» وأمر بصنع فناء، واستبلغ في خزيه؛ فهرب مع أصحابه، وذلك في خير طويل. وكان ابن مروان قد ابني بطليوس حصناً، وجعله موطناً، وأدخل فيه أهل ماردة وغيرهم من أهل المكائفة له على الشر. فلما انتهى إلى ابن مروان تحرك العسكر إليه، تنقل عن بطليوس، وحل بحصن كركي^٢؛ واجتمع أهل ماردة إليه؛ فقتل العسكر بمقرية من الحصن. وكان هاشم قد بعث إلى منبث شلوط خيلاً ورجلاً لضبطه. وكان سعدون الرماري^٣ قد دخل^٤ إلى بلاد الشرك مستمداً؛ فجاء^٤ بمدد من المشركين، وأظهر أنه في قلة؛ فكتب بذلك^٥ عامل حصن منبث شلوط إلى

١) B. المنزليين. ٢) A. et B. كركر. ٣) B. الرماري.

٤-٤) Lacune dans A. ٥) B. وهرب.

هاشم؛ فرأى هاشم أن ذلك فرصة في سعدون؛ فبادر بالخروج من العسكر على غير تعبئة ولا أهبة، في خيل قليلة. وأحص هاشم، وجاوز الوعر، وأبعد عن العسكر؛ فأخذت المضائق عليه، وناشوه القتال؛ فأخذته جراح، وقُتل من أصحابه جماعة؛ وأسر هاشم المذكور. ولما اتصل خبر هاشم بالأمير محمد، وقع في جانبه، وقال: «هذا أمر جناه على نفسه بطيشه وعجلته!» ثم ردّ ولده عوضاً منه. وحصل هاشم أسيراً بيد ابن مروان الذي صنعه في أسره في قرطبة؛ فبرّه ابن مروان، وأكرمه، وأحسن إليه، ولم يعاقبه بما فعل معه.

وفي سنة ٢٦٢، خرج المنذر بن الأمير محمد، وجعل طريقه على ماردة. فلما انتهى ذلك إلى ابن مروان، زال عن بطليوس؛ واحتل بها قائد المنذر P. ١٠٦ الوليد بن غانم؛ فحرب ديارها. وتقدم ابن مروان إلى بلاد العدو.

وفي سنة ٢٦٤، حارب المنذر سرقسطة، وأفسد ما ألقى من زروعها؛ ثم تقدم إلى تطينة والمواقع التي صار فيها بنو موسى؛ فانتسفها، وأجال العسكر عليها.

وفيها، دخل البراء بن مالك من باب قلسيرية إلى جليقية بحشود الغرب، وتردد هنالك حتى أذهب نعيمهم. وفيها، انطلق هاشم من الأسر.

وفي سنة ٢٦٥، ظهرت الفتنة وظهر الشر في جانب كورة رية والجزيرة وتاكرنا؛ وظهر بجبي المعروف بالجزيري؛ فغزاه هاشم؛ فأذعن له، وقدم به إلى قرطبة.

وفي سنة ٢٦٦، خرج عبد الله بن الأمير محمد إلى كورة رية ونواحي الجزيرة، وبني حصوناً في تلك النواحي؛ ثم قتل. وفيها، أمر الأمير محمد بإنشاء المدايك بقرطبة ليتوجه بها إلى البحر

المُحِيطُ عَبْدُ الْحَمِيدِ الرَّعْبِيُّ¹ المعروف بابن مُغِيثٍ ؛ وكان قد رفع اليه رافع
أَنَّ حَلِيبِيَّةً من ناحية البحر المُحِيطِ لا سَورَ لها ، وأنَّ أهلها لا يمتنعون من
جيش إن غَشِيَهُم من تلك الناحية . فلما كملت المَرَاكِبُ بالإنشاء ، قُدِّمَ عبد
الحَمِيدِ بن مُغِيثٍ عليها . فلما دخل البحر ، تَطَّعت المراكب كلها وتفرقت ،
ولم يجتمع بعضها الى بعض . ونجا ابن مُغِيثِ .

وفي سنة ٢٦٧ ، التانت الحصونُ المتناة بِرَبِيَّةٍ وناكُرْنَا وجهه الجزيرة .
وفيها ، ابتداء شَرِّ اللَّعِينِ² عُمَرُ بن حَفْصُونِ ، الذي أعيا الخلفاء أمره ، وطالت
في الدنيا فتنه ، وعظم شره ؛ فقام في هذه السنة على الأمير محمد بناحية رَبة .
فتقدم اليه عامر بن عامر ؛ فانهزم عامر وأسلم قبته ؛ فأخذها ابن حَفْصُونِ ، وهو
أول رِواقِ ضَرَبِهِ ؛ فاستكن اليه أهل الشر . وعزل الأمير عامراً عن كورة رَبة ،
ولأها عبد العزيز بن عباس ؛ فهادته ابن حَفْصُونِ ، وسكت الحال بينهما .
ثم عزل عبد العزيز ، ونحرك ابن حَفْصُونِ ، وعاد الى ما كان عليه من الشر .
وخرج هاشم بن عبد العزيز الى كورة رَبة يطلب كل من كشف وجهه في
الفتنة وأظهر الخلاف ، وأخذ رهائن أهل ناكُرْنَا على إعطاء الطاعة .

ومن العجائب في هذا العام ، ما ذكره الرّازي وغيره . قالوا³ : زلزلت الأرض
بقرطبة زلزلاً شديداً ، وهاجت ريحٌ عند صلاة المغرب ؛ فأنارت سحاباً فيه
ظلمات ورعد وبرق ؛ فصعق سنة نفر ، وانقلبوا على ظهورهم ، مات إثنان ؛
وخرَّ جميع الناس سُجداً إلا الإمام ، فإنه ثبت قائماً ؛ وكان الرجلان اللذان ماتا
أقرب الناس الى الإمام ؛ فاحترق شعر أحدهما وأسود وجهه وشفته الأيسر ؛
والآخر ظهر بشفته الأيمن سواداً ؛ والأربعة الصرعى مكنول حتى فرغ الإمام ؛
فسئلوا عما أحسوا ؛ فقالوا : «أحسنا ناراً كأنها الموج الثقيل⁴ .» ووجد أهل
المسجد رائحة النار ، ولم يوجد للصاعفة أثرٌ في سفن ولا حائط . واهتزت لهذا

1) الوعكي . B . 2) Manque dans A . 3) قالوا . B . 4) لوح ثقيل . B .

الزلازل الفصور والجبال، وهرب الناس^١ الى الصحارى، ضارعين الى الله تعالى. وعمّ هذا الزلزال من البحر الشامي الى آخر الجوف وإلى آخر أرض الشرك، لم يختلف في ذلك مُخْتَلِفٌ.

وفي سنة ٢٦٨، خرج المُنْدِر ابن الأمير محمد، والفائد هاشم بن عبد العزيز؛ فقصد الثغر الأقصى، وحطم سَرْقُطَةَ، وافتح حصن رُوْطَةَ؛ ثمّ تقدّم الى آلَبَةِ وَالْفِلاَعِ، وافتتح حصوناً كثيرةً^٢، وأخلى حصوناً كثيرةً^٣، خوفاً من معرّة العسكر، ونوقعاً من تغلبه.

وفيها، فسد ما بين المُنْدِر وبين الوزير هاشم بن عبد العزيز.

وفي سنة ٢٦٩، قال الرّازي: وفي سنة ٢٦٩، غزا محمد بن أمية بن شهيد إلى كورة رية وكورة البيرة. وكانوا بجبال نوحش ونفار؛ فسكن أحوال أهلها، وهدن الناس بها، ونظر في استئزال رجال بجبال رية وغيرها من بني ١٠٨ رِفاعَة وغيرهم.

وفي سنة ٢٧٠، استتمّ محمد بن أمية بن شهيد استئزال بني رِفاعَة. وأناه في هذه الغزاة كتابُ الأمير محمد بتولية عبد العزيز بن العباس كورة البيرة؛ فولاه، وقفل.

وفيها، غزا هاشم كورة رية، واستئزل عُمر بن حَفْصُون من جبل بَرَبَشْتَر وقُليم به قُرْطَبَة؛ فأنزله الإمام، وأوسع له في الإكرام.

وفي سنة ٢٧١، هرب عمر بن حَفْصُون من قُرْطَبَة، ولجأ الى جبل بَرَبَشْتَر؛ فانتدب الأمير محمد الى حربه؛ وحوَصِر في السنة الآتية.

وفي سنة ٢٧٢، خرج عبد الله ابن الأمير محمد، والفائد هاشم بن عبد العزيز. وقصد الغرب الى ابن مروان، وهو بجبل اشْبَرِغَزَّة^٣؛ فنازله وحاربه.

1) A. ajoute الفصور. 2-2) Manque dans B. 3) A. شرعية; B. الشبرغرة.

قال حَيَّان بن خَلْف في عُمَر بن حَفْصُون: هو كبير الثَّوَار بالأندلس ونَسَبُهُ: عُمَر بن حَفْص، المعروف بِحَفْصُون، بن عُمَر بن جَعْفَر بن شَتِيم بن ذِيان ابن فَرغَاوَش¹ بن إِذْفُونَش، من مَسَالِمَةِ الدِّمَّة، من كورة تَاكْرُنَا من عَمَل رُنْدَة. وكان الذي أسلم منهم جَعْفَر بن شَتِيم؛ فَنشَأ نَسْلُهُ في الإسلام. وكان له من الولد الذكور عُمَر وعبد الرحمن؛ فوَالِدَ عُمَر بن جَعْفَر حَفْصَاً. وولد حَفْصُون هذا عُمَر هذا الثَّائِر الملعون؛ فَعُمَرُ هذا هو الذي ثَار على الأمير مُحَمَّدٍ أَوَّلًا، ثمَّ بَلَغَ بعد ذلك في الشَّفَاقِ وَالْفِتَنِ مَبْلَغًا لم يبلِغهُ ثَائِرٌ بالأندلس. واستوطن لأوَّل نفاقه حِصْنَ بَرَشْتَرِ قَاعِدَة وَحَضْرَة، وهي أَمْنَعُ فِلاَحِ الأندلسِ فَاطِبَة، وذلك في هذه السَّنَةِ، وهو تَارِيخُ صَعُودِهِ الأخر إليها الذي توطَّدَ له مُلْكُهُ فيه، وخالف على السلطان حتَّى رَضِيَ عنه بالمُتَارِكَة. واتَّصَلت أَيَّامُهُ في ظُهُورِ وَعِزَّةٍ حتَّى قَدِمَ فيها ثَلَاثَةٌ من خُلَفَاءِ المروانيين أئِمَّةِ الجَمَاعَةِ بالأندلس - رَحِمَهُمُ اللهُ! - أُوَاهِمُ هذا الأمير مُحَمَّدٌ؛ وتَخَفَّ بعدهم إلى أن هلك على يدِ الرَّابِعِ منهم، وهو عبد الرحمن النَّاصِر، على ما يَأْتِي مَفْسَّرًا.

وفي سنة ٢٧٢، خرج المُنْدِرُ بن الأمير مُحَمَّدٍ إلى كورة رِيَّة، والفائِدُ مُحَمَّدُ ابن جَهْوَر. ففصد مدينة الحامَّة، وفيها حارث بن حَمْدُون من بني رِفَاعَة؛ وكان مظاهرًا لعُمَر بن حَفْصُون، وكانا قد اجتمعوا بالحامَّة. فبَارَزَهُم، وناهَضَهُم، وأحْدَقَ بهم من كلِّ نَاحِيَةٍ؛ وأقام محاصرًا لهم شهرين. فلجأ وصل إليهم الضَّبِقُ، برزوا إلى باب المدينة خارجًا، مستقبِلين للحرب. وقام بها؛ فبَاتَتْ جِرَاحٌ، وشَلَّتْ يده؛ ثمَّ انهزم هو وأصحابه، وصاروا بين قبيل وفيل. ودخل باقِيهم في الحامَّة. فبينما المُنْدِرُ في هذه الحال من السرور، إذ آتاه الخَبَرُ بموت أبيه الأمير مُحَمَّدِ بن عبد الرحمن، ليلة الخميس ليلة بقيت من شهر صَفَرٍ من السنة؛ ودُفِنَ في القصر. وأذَرَكَ المُنْدِرُ قبل مَوَارِيثِهِ وصَلَّى عليه.

1) Vocalisé dans B.

بعض أخباره وسيره

كان الأمير محمد - رحمه الله! - فصيحاً، بليغاً، عظيم الإناة، متزهاً عن الفبيح، بوثير الحق وأهله، لا يسمع من باغٍ، ولا يلتفت إلى قول زائع. وكان عاقلاً، على أخلاق حميلة ومكارم حميدة، ذا بديهة وروية، يرى كل من باشره وحدته أن له الفضل المستبين في إدراكه، وفهمه، ودقة ذهنه، ولطيف فطنته، وجزالة رأيه. وكان أعلم الناس بالحساب وطرق الخدمة. وكان متى أغضل منها شيئاً، رجع إليه فيه، وإذا أخل أحد من خزائنه وأهل خدمة الحساب بشيء من ذلك، لم يجز عليه بأدنى لحظة أو نظرة. ولقد استدرك على بعض خزائنه في صكٍ يشتمل على مائة ألف دينار خمس درهم، فرد الصك، وأمر بنصحيته، فجمع الخدمة والكتاب عليه، فلم يفعلوا على ذلك التفتان لدقته وخفائه، فرجعوا إليه معترفين بالتقصير، وأعلموا الرسول، فرد الصك إليه وأعلمه باعترافهم، فعلم لم على موضع الخطاء، فإذا هو خمس درهم. P. 110

وقال هاشم بن عبد العزيز: كان الأمير محمد - رحمه الله! - أصح الناس عقلاً، وأحسنهم تمييزاً، وأبصرهم بوجه الرأي. وكان يستشيرنا، فنجتهد ونقول ونعصّل، فإن أصبنا، أمضى ذلك، وإن كان في الرأي خلل، قام فيه بالحجة، وأبانه بما تعجز الأوهام عنه تنفيحاً وتهذيباً.

ومما يحفظ عنه أنه قال لهاشم في شيء أنكره عليه من دمم الثبت: «يا هاشم! من أثر السرعة أنضت به إلى الهفوة. ولو أنا أضغينا إلى محور زلائك، وأصغنا إلى هفوانك، أكننا شركاءك في الزلّة، وقسماءك في العجلة! فهلاً عليك، ورويداً بك! فإياك إن بعجل بعجل لك!» وكان، مع شتته وأبانه، وإقباً لمواليه في أنفسهم وأعقابهم، لا يكدر عنده كادح في شيء عن أحدهم، فيسبه أو يسبه.

ولقد رأى الكتابة عبد الملك بن عبد الله بن أمية اصطفاً له، وعائدة

عليه ؛ فردّ عليه يوماً جواباً يقول فيه : «قد فهمنا عنك ، ولم نأت ما أتيناك
 عن جهل بك ، لكن اصطناعاً لك ، وعائدة عليك . وقد آبعنا لك الاستعانة
 بأهل البفظة من الكُتّاب . فتخيّر منهم من نثقُ به ونعتمدُ عليه . ونحن نُعينك
 على أمرك بتفقد كُتُبك والإصلاح عليك ، الى أن تركب الطريقة وتُبصر الخدمة
 إن شاء الله تعالى ! » فحمدك على الخطة اشرفها من رأى نفسه أولى بها لاستكمال
 أدواتها ؛ فطوّبَ عليها . وكان أشدّ الناس في ذلك هاشمُ بن عبد العزيز ،
 نير سقّاطيه ، وتتبع هدّوايه ، ويُستنَع عليه ؛ والأمير محمد بنفطته يتغافل له .
 فلما طال عليه الصبر . دعا هاشماً ، وقال له : «قد أكثر أهلُ خدمتنا وأكثرت
 في هذا الكُتّاب : نذكرون جهله وقدامته ، وقد ضمّنا إليه من الكُتّاب من
 يستعين به ، ويستظهر على خدمته بمكانه ؛ وإنما تقفوا بخدمتنا ، ونسلكُ بمراتبنا
 طريق من ابتدأها وأسّسها ووضع أهلها فيها . وإذا كنّا لا نُخفِ آباءكم بكم ،
 ولا نُخلفكم بأبنائكم ، فعند من تصنع إحساننا ونربُّ أبادنا ؟ أعد آباء الفرّانين
 أو الحزّارين أو أمثالهم من المُستهيّبين⁽¹⁾ ؟ وأنت كنت أحقّ بالخصّ على هذا ،
 وتصوب الرأي فيه ، لما يرجو من مثله في أولادك وعفك ! » فرجع هاشم
 الى الشكر له وتقبل بك ورجله .

وكان - رحمه الله ! - مأمولاً محبوباً في جميع البُلدان . وكان محمد بن أفلح
 صاحبُ باهرت لا يُقدّم ولا يؤخّر في أموره ومُعْضلاته إلا عن رأيه وأمره ؛
 وكذلك بنو مدرّار بسجلماسة . وكان قرولش⁽²⁾ ملك إفرنجة يسترجع عقله ؛
 فيهداه وسنجه ؛ وهو (أعنى قرولش⁽²⁾) الذي عمل صورة عيسى من ثلاثمائة
 رطل من ذهب خالص ، وصفها بالياقوت والزّبرجد ، وجعل لها كُرسياً من ذهب
 خالص منقّص بالياقوت والزّبرجد أيضاً ؛ فلما اكمل ذلك ، سجد له وأسجد له
 جميع أهل إفرنجة في ذلك التاريخ ؛ ثمّ دفعه الى صاحب كيسة الذهب برومة .

1) Manque dans A. 2) Leçon proposée (Carolus [Charles le Chauve]) à la
 place de la leçon فرذلد (Ferdinand) offerte par A. et B.

وكان الأمير محمد - رحمه الله! - مهتلاً بأمور رعيتته، مراقباً لمصالحها. ووضع عن أهل قُرْطُبَةَ ضَرْبَةَ المحشود والبعوث. وقال ابن حَيَّان: كانت عِدَّة الفرسان المستنفرين لغزو الصائفة المجردة الى جَلِيفِيَّة في مدة الأمير محمد مع الوالد عبد الرحمن ابنه على هذه التسمية المنصّلة: من ذلك كورة البيرة: ألفان وتسعمائة؛ جَيَّان: ألفان ومائتان؛ قَبْرَة: ألف وثمانمائة؛ باغُه: تسعمائة؛ نَاكُرْنَا: مائتان وتسعة وتسعون؛ الجزيرة: مائتان وتسعون؛ إِسْتِجَّة: ألف ومائتان؛ قَرْمُونَة: مائة وخمسة وثمانون؛ شَدُونَة: ستة آلاف وسبعمائة وتسعون؛ رِيَّة: ألفان وستمائة؛ فَحَص البَاوُط: أربعمائة؛ مَوْرُور: ألف وأربعمائة؛ تَدْمِير: مائة وستة وخمسون؛ رُبَيْبَة: مائة وستة؛ قَلْعَة رَبَاح وأوريط: ثلاثمائة وسبعة وثمانون. قال: ونُفِرَ من أهل قُرْطُبَةَ لهذه الغزوة عِدَّة لم يوقَفَ على قدره. وكان هذا العِدَّة الذي غزا به بعد أن رفع * الضَّرْبَةَ التي كانت على ١١٢ أهل قُرْطُبَةَ وأقاليمها وغيرها من البلاد؛ وقطع عنهم المحشود التي كانوا يؤخذون بتجديدها في كل سنة للصوائف الغازية لدار الحرب، وأسفلها منهم ووكّلهم الى اختيار أنفسهم في الطواعية للجهاد من غير بعث^١. فحَسُنَ مَوْقِعُ ذلك منهم، وتَضَاعَفَ حَمْدُهُم له وشُكْرُهُم واغْتِيَابُهُم بدولته.

وذكر جماعة من المؤرّخين، عن بَقِيّ بن مَخْلَد، أَنَّهُ قال: ما كَلَّمْتُ أَحَدًا من ملوك الدنيا أَكْبَلَ عَفْلًا ولا أَبْلَغَ فَضْلًا من الأمير محمد. دخلتُ عليه يوماً في مجلس خلافته؛ فافتتح الكلام بحمد الله والثناء عليه والصلاة على النبي صلّم؛ ثم ذكر الخلفاء خليفة خليفة؛ فحلى كل واحد منهم بتخلّيته، ووصفه بصيته، وذكر مآثره ومناقبه بأفصح لسان وأبلغ بيان، حتى انتهى الى نفسه؛ فسكّت. وفي صدر دولته سَعِيَ بَقِيّ بن مَخْلَد الى الأمير محمد؛ وذلك أنه لما قدم بَقِيّ بن مَخْلَد من المشرق عن رحلته الطويلة بما جمع من العلوم الواسعة والروايات العالية والاختلافات الفقهية، أغاظَ ذلك فقهاء قُرْطُبَةَ أصحاب الرأي والتقليد،

١) بحث B.

الزاهدين في الحديث، الفارسين عن علوم التحقيق، المقصرين عن التوسع في المعرفة، فحسدوه، ووضعوا فيه القول القبيح عند الأمير، حتى ألزموه الدعة، وشنقوا¹⁾ إلى العامة. ونحطى كثير منهم برؤيته إلى الإلحاد والزندقة، وتشاهدوا عليه تغليظ الشهادة، داعين إلى سنك دمه؛ وخطبوا الأمير محمداً في شأنه، يعرفونه بأمره، ويكثرون عليه بكل ما يرجون به الوصول إلى سنك دمه، ويسألونه تعجيل الحكم فيه. فاشتد خوف بقي بن مخلد جداً، واستر خوفاً على دمه، وعمل على الفرار عن الأندلس إن أمكنه ذلك. فأرشد الله إلى التعنى بحبل هاشم بن عبد العزيز، وسؤاله الأخذ بيدك، وكتب إلى الأمير محمد، نشد الله في دمه، ويسأله التثبت في أمره، والجمع بينه وبين خصومه، وسرع حجتهم، فبأني في ذلك بما يوقه الله له. فالتقى الله في نفس هاشم الإصغاء إلى شكواه، والاعتناء بأمره؛ فشر له عن ساعده، وأوصل كتابه إلى الأمير محمد بشرح حاله؛ فعطف عليه، وأنهم الساعين به إليه؛ فأمر بتأمين بقي بن مخلد، وإحضاره مع الضالين له؛ فتناظروا بين يديه؛ فأدلى بقي بحجته، وظهر على خصومه؛ واستبان الأمير محمد حجتهم إياه لتقصيرهم عن مداه. فدفعهم عنه. وقدم إليه طائفة قدمه، ونشر عله. وأمر بإيصاله إليه في زمرة من الفقهاء. وأرفع من منزلته؛ فاعتلى ذروة العلم. ولم يزل القدر عند الناس وعند الأمير محمد إلى أن مات - رحمه الله!

وفي صدر دولته. توفي عالم الأندلس عبد الملك بن حبيب، وذلك في رمضان سنة ۲۴۹. وهو عبد الملك بن سليمان بن مروان بن جيهانة بن عباس ابن مرزاس السلمي، سكنى أبا هارون؛ أولة من كورة إبيرة، ونقله الأمير محمد إلى قرطبة، بل نقله أبوه عبد الرحمن بن الحكم. وكان محمد بن عمر بن لبيبة يقول: عالم الأندلس عبد الملك بن حبيب، وعقلها يحيى بن يحيى، وقيدها عيسى بن دينار. قال ابن وضاح وغيره: لم يقدم الأندلس أحد أفقه

1) وبعضه. B. 1)

من سَحْنُون، إِلَّا أَنَّهُ قَدِمَ عَلَيْنَا مِنْ هُوَ أَطْوَلُ لِسَانًا مِنْهُ، يَعْنِي ابْنَ حَبِيبٍ.
وَكَانَ ابْنُ حَبِيبٍ أَدِيبًا، نَحْوِيًّا، حَافِظًا، شَاعِرًا، مُنْصَرِّفًا فِي فُنُونِ الْعِلْمِ مِنْ
الْأَخْبَارِ وَالْأَنْسَابِ وَالْأَشْعَارِ. وَهُوَ مُؤَلَّفَاتٍ حَسَنَاتٍ فِي الْفِقْهِ وَالْأَدَبِ وَالنَّوَارِخِ
كَثِيرَةً. (1) قَالَ ابْنُ الْعَرَبِيِّ: بَضَاعَتُهُ فِي الْحَدِيثِ مُزْجَاةٌ (2). وَكَانَتْ عِلَّتُهُ الَّتِي مَاتَ
مِنْهَا الْحَصَى. وَتُوُفِّيَ وَسِنُهُ أَرْبَعٌ وَسِتُّونَ سَنَةً. وَكُتِبَ إِلَى الْأَمِيرِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ
الْحَكَمِ فِي لَيْلَةِ عَاشُورَاءَ [بَسِيطُ]:

لَا تَنْسَ، لَا يَنْسَكَ الرَّحْمَنُ، عَاشُورًا وَأَذْكُرُهُ لَا زَلَّتْ فِي الْأَخْبَارِ مَذْكُورًا
مَنْ بَاتَ فِي أَيْمَلِ عَاشُورَاءَ ذَا سَعَةٍ يَكُنْ بِعَيْشَتِهِ فِي الْحَوْلِ مَحْبُورًا
فَارْغَبْ، فَدَيْتُكَ، فِيمَا فِيهِ رَغْبِنَا خَيْرُ الْوَرَى كُلِّهِمْ حَيًّا وَمَقْبُورًا

وخرج الأمير محمد بن عبد الرحمن إلى الرضافة يوماً مُتَسَرِّحًا، ومعه هاشم
ابن عبد العزيز؛ فكان بها صدرَ نهاره على لذته؛ فلما أمسى، واختلط الظلام،
انصرف إلى القصر، وبه اخلاطٌ. فأخبر من سَمِعَهُ وهاشمٌ يقول له: «يا ابن
المخلائف! ما أطيب الدنيا لولا الموت!» فقال له الأمير: «يا ابن اللخناء!
لحنت في كلامك! وهل ملكنا هذا الملك الذي نحن فيه إلا بالموت؟
فلولا الموت، ما ملكناه أبدًا!»

وكان الأمير محمد - رحمه الله! - غزاه لأهل الشرك والاختلاف. وربها
أوغل في بلاد العدو السنة الأشهر والأكثر، بحرق وينسف. وله وقعة وادي
سليط، وهي من أمهات الوقائع؛ ولم يعرف بالأندلس قبلها مثلها. وفيها يقول
عباس بن فراس، وشعره يكفيننا من صفتها؛ وهو [طويل]:

وَمُخْتَلَفِ الْأَصْوَاتِ مُؤَلَّفِ الرَّحْفِ (2) أَلْهُومِ الْفَلَاعِيلِ الْفَنَائِلِ (3) مُلْتَفِ
إِذَا أَوْضَتْ فِيهِ الصَّوَارِمُ خِلْتَهَا بُرُوقًا تَرَأَى فِي الْجَهَامِ (4) وَتَسْتَخْفِي

1-1) Manque dans A. 2) A. et B. مختلف الزحف.

3) A. التبايل. 4) B. الظلام.

كَانَ ذُرَى الْأَعْلَامِ فِي مَبَالِغِهِ
وَأِنْ طَحَنَتْ أَرْحَاؤُهَا ۱) كَانَ فُطْبُهَا
سَعِيًّا خِتَامِ الْأَنْبِيَاءِ مُحَمَّدٌ
فَمِنْ أَجْلِهِ يَوْمَ الثَّلَاثَاءِ غُدُوًّا
بَكَى جَبَلًا وَادِي سَلْبِطٍ فَأَعْوَلَا
دَعَاهُمْ صَرِيخُ الْحَيْنِ فَاجْتَمَعُوا لَهُ
• فَمَا كَانَ إِلَّا أَنْ رَمَاهُمْ بَعْضُهَا
كَانَ مَسَاعِيرَ الْمَوَالِمِ عَلَيْهِمْ
بِنَفْسِي سَنَابِينَ الْوَعْيِ حِينَ صَبَّتُ ۳)
بِقَوْلِ ابْنِ بُولَيْشٍ ۴) لِمُوسَى وَقَدْ وَتَى ۵):
فَقَتَلْنَا لَهُمُ الْفَأَ وَالنَّاءَ وَمِثْلَهَا
سِوَى مَنْ طَوَّاهُ النَّهْرُ فِي مُسَاجِيهِ

قال أبو عمر السالحي: كانت أول غزوانه إلى بلد العدو، وقد حشد لها
وجند، وصوب كيف شاء وصعد. إلى العدو وقد ضاق بخيله النضاء الواسع،
والمكان الدني والشاسع، وهو متأهب لبقائه! متوجه إلى تلقائه. فخامر الأمير
محمدًا الخزع، وشانه الروع والنزع. وظن أن لا منجاة من الكفار، وأن المسلمين
هناك طعن الشفار؛ فرأى من الحزم الأوكد، والنظر الأحمد الأرشد، الرجوع
عن تلك الحركة، لقوله تعالى: وَلَا تُسْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ۶)؛ فقام رجل؛
فقال: «أبها الأمير! قال الله سارك ونعالى: الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ
قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ الْآيَةُ ۷)». فقال له الأمير محمد: «والله! ما جئنت ۸)
نفسى، إلا أنه لا رأى لمن لا يطاع، وأسئ أسطيع أن أجاهد وحدي!» فقال
له العتي: «والله! ما أراه قذف بها على لسانه إلا ملك! فاستخبر الله في ليلك

1) B. أركانها. 2) A. B. حلى. 3) A. جمعت. 4) B. برليس. 5) B. نكأ.

6) Cor., II, 191. 7) Cor., III, 167-168. 8) A. حذرت.

هذا وفي يومك!» فأراه الله في مُقابلة العدو الرّشاد، وألهمه التوفيق والسداد. فندب الناس الى لقاء أعداء الله وأنصر دينه، وأن يكون كل على حسن ظنه من الظفر ويتبينه. فلما انعقدت راياتهم، وتأكدت على المفارعة نياتهم. قدّم عليهم الأمير محمد ابنه المُنذر، إذ كان مشهوراً بالبأس، محبوباً في الناس. فسار المسلمون الى أن التقى الجمعان، والتفت الفرقتان؛ فأعقب الله لأوليائه P. 117 ظفراً ونصراً، وجعل بعد عُسْرٍ يُسرّاً. قال: ولم يؤذّن مؤذّن الظُّهر إلا ومن رؤوس الأعداء جملة آلافٍ مقطوعة لأعداء الله؛ وذلك من فضل الله. وفي هذا الفتح يقول العنبي، بمدح الأمير محمداً في قصيد طويل أذكر هنا بعضه، وهو [كامل]:

سَائِلٌ عَنِ الثَّغْرِ الصَّوَارِمِ تَصْدُقِ	وَاسْتَنْطِقِ السُّنَرَ الْعَوَالِي تَنْطِقِ
تَرَكَتْ وَقَائِعَ فِي الثُّغُورِ وَقَدْ غَدَتْ	مَثَلًا بِكُلِّ مُغْرَبٍ وَمُشْرِقِ
وَأَدَاخَ أَرْضِ الْمُشْرِكِينَ بِوَقْعَةٍ	تَرَكَتْهُمْ مِثْلَ الْأَشْيَاءِ الْمُحْرَقِ
جَادَتْ عَلَيْهِمْ حَرْبُهُ بِصَوَاعِقِ	تَرَكَتْهُمْ مِثْلَ الرَّمَادِ الْأَزْرَقِ

خِلاَفَةُ الْمَنْذِرِ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَكَمِ

كُنْيَتُهُ: أَبُو الْحَكَمِ. مَوْلِدُهُ: سَنَةَ ٢٢٩. أُمُّهُ: تُسَمَّى أُنْثَى^١، وَلَدَتْهُ لِسَبْعَةِ أَشْهُرٍ. وَزَرَائِئُهُ: أَحَدُ عَشَرَ. كُتِبَتْهُ: اثْنَانُ: سَعِيدُ بْنُ مَبِشَّرٍ، وَعَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أُمَيَّةَ بْنِ شُهَيْدٍ. حَاجِبُهُ: عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أُمَيَّةَ بْنِ شُهَيْدٍ. قَوَادُهُ: سَبْعَةٌ. قَاضِيهِ: أَبُو مُعَاوِيَةَ عَامِرُ بْنُ مُعَاوِيَةَ اللَّخْمِيُّ. نَفْسُ خَاتَمِهِ: الْمَنْذِرُ بِفِضَاءِ اللَّهِ رَاضٍ. صِفَتُهُ: أَسْمَرٌ، جَعْدُ الشَّعْرِ، بِوَجْهِهِ أَثَرُ جُدْرِيٍّ، يُخِضَّبُ بِالْحِنَاءِ وَالكَتَمِ. أَوْلَادُهُ الذَّكَورُ: خَمْسَةٌ، وَالْإِنَاثُ: ثَمَانٌ. يُوْبَعُ يَوْمَ الْأَحَدِ لثَمَانِ خَلْوَانَ مِنْ رِبْعِ الْأَوَّلِ سَنَةَ ٢٧٣، وَهُوَ ابْنُ أَرْبَعٍ وَأَرْبَعِينَ سَنَةً، وَسَبْعَةَ عَشَرَ يَوْمًا؛ وَتُوُفِّيَ فِي

غزاة له على برّيشتر يوم السبت للنصف من صفر سنة ۲۷۵. عمرة: سنة وأربعون سنة. خلافته: ستان إلا سبعة عشر يوماً. ودفن بنصر قرطبة، وصلى عليه أخوه عبد الله، جد الناصر.

وأصل به موت أبيه، وهو على حصن الحامة يُقاتل المرند اللعين عمر ابن حفصون؛ فقتل إلى قرطبة. ونسبت له البيعة في اليوم الثاني من وصوله؛ ففرق العطاء في الجند، ونحّب إلى أهل قرطبة والرعايا بأن أسقط عنهم عشر العام وما يلزمهم من جميع المقرم.

P. 117

وكانت أكثر حصون ربة قد حصلت في طوع ابن حفصون؛ فبعث إليها الإمام المنذر الأجناد؛ فانصرفت إلى الطاعة.

ولما بلغ ابن حفصون موت الأمير محمد، وانصرف عنه المنذر على ما تقدم، نهض من فوره؛ فرائل الحصون التي بينه وبين الساحل كلها؛ فأجأته وطاعت له. ونهض إلى باغته وجبل شيبه؛ فأخذ من الأموال ما لا يوصف، كل ذلك منه بلا قوة، ولا كثرة من مال، ولا عدد؛ ولكنه كان عذاباً من الله ونقمة انتقم بها من عبده. وانفق له زمان هرج وقلب فاسية فاسدة ونفوس خبيثة، متطلعة إلى الشر، مشرّبة إلى الفتنة. فلما ثار، وجد من الناس انقيادا وقبولاً للمشاكلة والموافقة؛ فتألبت له الدنيا، ودخل إلى الناس من جهة الألفة، وقال: «طال ما عنف عليكم السلطان، وانتزع أموالكم، وحبلكم فوق طانكم، وأذنتكم العرب، واستعبدتكم! وإنما أريد أن أقوم بشاركم، وأخرجكم من عبوديتكم!» فكان ابن حفصون لا يُورد هذا على أحد إلا أجابه وشكره. فكانت طاعة أهل الحصون بهذا الوجه. وكان أتباعه شطّار الناس وشرارهم. فكان بينهم بفتح البلاد، وغنائم الأموال. وكان مع ذلك منجيباً لأصحابه، متواضعاً للألفة. وكان، مع شره وفسفه، شديد الغيرة، حافظاً للحرمة؛ فكان ذلك مما يُبيل النفوس إليه. ولقد كانت المرأة في أيامه تجرى بالمال والمتاع من بلد إلى بلد منفردة، لا يعترضها أحد من خلق الله. وكانت عقوبته السيف، يُصدّق المرأة

والرجل والصبي أو من كان على من كان، لا يطلب على ذلك شاهداً أكثر P. 118
من الشكوى. وكان يأخذ الحق من ابنه، ويبرئ الرجال، ويكرم الشجعان؛ وإذا
قدر عليهم، عفا عنهم. وكان يسورهم بأسورة الذهب إذا اختصلوا. فكانت هذه
الأشياء كلها عوناً له. وانتهى ابن حنصون بعبادته¹ إلى قبرة وما أمامها إلى
قرية الجالية، وأغار على القديق من البيرة، وعلى أحواز جبان، وأسر عبد الله
ابن سماعه عامل بأغه.

وكان اجتمع إلى حصن آشر من حوز رية وبقرية من قبرة جمع الشر من
أصحاب ابن حفصون. فراع أهل قبرة أمرهم وهأبؤهم. وأتصل بالأمير المنذر
خبرهم؛ فأرسل أضحغ بن فطيس في خيل كثيفة إلى حصن آشر؛ فحاصروهم حتى
افتتحه، وقتل من كان فيه. وأخرج الأمير المنذر عبد الله بن محمد بن مضر
وأبدون² الفتى بجبل إلى ناحية لجانة من قبرة؛ وكان بها مسلحة لابن حفصون؛
فنازلوهم وقتلوهم حتى أفنؤهم.

قال الرازي: وفي سنة ولاية الإمام المنذر، غزا محمد بن لب إلى ألبنة
والفلاع ومعه جموع المسلمين؛ ففتح الله للمسلمين، وقتلوا المشركين قتلاً ذريعاً.
وفي هذه السنة، أعني سنة ٢٧٢، في جمادى الأولى. أمر الأمير المنذر
بسجن هاشم بن عبد العزيز وزير أبيه وخاصته، وأمر بقتله في جمادى الأولى؛
وسبب ذلك أن هاشماً كان يجسد لمكانه من الأمير محمد وخاصته به؛ فكانوا
يسعون به عند المنذر، ويكررون ذلك عليه، حتى تنافرت النفوس. فلما
مات الأمير محمد، وولى المنذر، أراد أن يعفى له ويتبع فيه فعل أبيه؛ فولاه
الحجابه. ثم تمالؤوا عليه، وأكثروا، وحرّفوا³ عليه الكلام، وتأولوا عليه أفتح
التأويل، حتى نفذ قضاء الله فيه. وكان مما تأولوا عليه أن هاشماً أنشد عند
مؤارة الأمير محمد - رحمه الله! - [وافر]:

1) وصرفوا A. 2) وأبدون A. 3) بعبادته A.

أَعَزَى يَا مُحَمَّدُ عَنْكَ نَفْسِي آمِينَ اللَّهُ ذَا الْبَيْنِ الْحِجَامِ
فَهَلَّا مَاتَ قَوْمٌ لَمْ يَمُوتُوا وَدُفِعَ عَنْكَ لِي كَأْسُ الْحِجَامِ

فتأولوا أنه يريد بقوله «لَمْ يَمُوتُوا» المنذر. وكتب هاشم بن حنبله الى
جاريته عَاج [طويل]:

وَإِنِّي عَدَانِي أَنْ أُرْزُوكَ مَطْبَقُ وَبَابٌ مَبِيعٌ بِالْحَزِيدِ مُضَبُّ
فَإِنْ تَعَجَّبِي يَا عَاجُ مِمَّا أَصَابَنِي فَنِي رَيْبِ هَذَا الدَّهْرِ مَا يَنْعَجِبُ
تَرَكْتُ رِشَادَ الْأَمْرِ إِذْ كُنْتُ قَادِرًا عَلَيْهِ فَلَاقَيْتُ الَّذِي كُنْتُ أَرْهَبُ
وَكَمْ قَائِلٍ قَالَ: أَنْجِ وَبِحُكِّ سَالِمًا فَنِي الْأَرْضِ عَنْهُمْ مَسْتَرَادٌ وَمَذْهَبُ
فَقَاتُ لَهُ: إِنَّ الْفِرَارَ مَدَلَّةٌ وَنَفْسِي عَلَى الْأَسْوَاءِ أَهْلِي وَأَطِيبُ
سَأَرْضِي بِحُكْمِ اللَّهِ فِيمَا يَنْوِي وَمَا مِنْ قَضَاءِ اللَّهِ لِلْمَرْءِ مَهْرَبُ
فَمَنْ يَكُ أَمْسَى شَامِنًا بِي فَإِنَّهُ سَبَّهَلُ فِي كَاسِي وَشَبِكَا وَيَشْرَبُ

ثم بعث فيه الأمير لبلاب، فقتله، ووجن أولاده وحاشيته، وانتهب ماله،
وهدم داره، وألقى أولاده في السجن، وألزمهم غُرْمَ مائتي ألف دينار؛ فلم يزلوا
في السجن والغُرْمِ الى موت المنذر وولاية أخيه عبد الله؛ ثم أطلقهم عبد الله،
وصرف عليهم ضياعهم، وولى أحدهم الوزارة والقيادة.
وفيها، كانت الوقعة على أهل طَلْبِطَلَّةَ؛ وكانوا قد جيشوا البربر المنفيين من
تَرْجِيبِهِ، فقتل منهم ألف.

وفي سنة ٢٧٤، خرج الأمير المنذر بجيشه الى عمر بن حفصون؛ فافتتح
حصونه بريية، والحصون التي بجبهة قبرة؛ ثم توجه الى حضرته بريشتر؛ فحاصره
فيها، وأفسد ما حوالاه، وضيق عليه؛ ثم انتقل عنه الى أرجدونة، وبها عيشون؛
فأقام عليها محاصراً لها ومُضَيِّقاً على أهلها، الى أن نبدوا عيشوناً وأهلكه،
P. 117 وأسلمو بدنيه؛ فدخلها الأمير المنذر، وقبض على عيشون وأصحابه. وظنر أيضاً
بني مطروح، وم: حَرْبٌ، وَعَوْنٌ، وَطَالُوتٌ، وافتتح حصونهم بجبل بانه، وأتى بهم

الى الأمير أسارى؛ فبعث بنى مطروح الى قرطبة، وأمر بقتلهم وصلبهم؛ وكانوا
 اثنين وعشرين رجلاً؛ فصلبوا بأجمعهم؛ وصلب مع عيشون في الحنبة خنزير
 وكلب. وكان السبب في ذلك أن عيشوناً كان يقول: «إذا ظفرت بي، فليصلبني
 وليصنّب عن يميني خنزيراً وعن يساري كلباً!» وكان يثق بنفسه في القتال ثقة
 شديدة، ويأمن من أن يؤخذ لشدة وشجاعته. فلما يش الأمير منه، دس الى
 بعض أهل أرجذونة بأن يتحيل في أخذ عيشون؛ فأجابه، ووعده بأخذه. فلما
 كان في بعض الأيام، دخل بيت أحدهم بغير سلاح، وقد استعد له بكبل؛
 فأوثق به وبعث به الى الأمير المنذر.

شأن عمر بن حفصون في أيام المنذر - رحمه الله!

ولما كان في العام الثاني من ولايته وهي هذه السنة المورخة، خرج في عديده
 الأكثر، وقصد برشتر. فحلّ عليها أحفل احتلال، وقابل ابن حفصون بها أشد
 قتال؛ وانتشرت خيله في تلك الأقطار، واستولت على السهول والأوعار. ثم
 عطف الأمير الى مدينة أرجذونة لبيتها شيراً، ويولي أهلها يوماً عبوساً
 قبطيراً، لدخولهم في طاعة ابن حفصون، ونزوعهم الى ما نزع إليه أهل تلك
 الحصون؛ فخرجت رسلهم الى الأمير؛ فتلقتهم بالسمع والطاعة والدخول في جمهور
 الجماعة؛ فتقبل نزوعهم، وأأس جميعهم. وتغلب على القصة إثر ذلك؛ وأسر
 عامل ابن حفصون هنالك. واستمرّ اللعين ابن حفصون على ضلالته وغيته، ولم
 يثن عناناً عن عادته وبعيه. فخرج اليه الأمير ثانية وحاصره حصاراً، وقد
 E. 121
 عدم ابن حفصون أعواناً وأنصاراً. فلما رأى الأمير أخذ يخفّه، وسدّ أفواه
 طرفه، أعمل سوانح الفكر، في الخديعة والمكر، ليعتصم بذلك من تلك الحبال
 المنصوبة، والأشراك المعترضة المضروبة؛ فأظهر الإنابة الى الطاعة، وشهر النصيحة
 جهداً الاستطاعة، على أن يكون عند الأمير من خاصة جنده، ويسكن قرطبة
 بأهله وولده، وأن يلحق أبناءه في الموالى، ويتابع الإحسان قبلة ويوالى. فأجابه

الأمير الى مطلبه بأكد الأيمان؛ وكتب له بذلك مبادراً عقداً أمان، وقطع لأولاده أرفع الثياب؛ وأوقرت لهم الدواب، بالأموال والأسباب، إسباغاً عليهم بالإفضال، وتوزيعاً لهم في الأماني والآمال. وسأل اللعين¹ مائة بغل يحمل عليها جملة مناه وعباله، وجعل طلبها قوة لمكره واحتياله. فأمر الأمير بالبغال أن تحمل إليه، وتوضع بين يديه؛ وقد جعل عليها عشرة من العرفاء بمائة وخمسين فارساً إنماماً للإكرام، وإنعاماً على إنعام. فأرسل عمر بن حفصون جميعهم الى برّشتر حيث أهله ووالده، وطريقه من المال ومثله. وانحلّ العسكر عن الحصن إذ ذاك. وقفل القاضي والفقيه عن تمام الصلح من هناك، وظنهم قد غلب أن لا كذب ولا مین، وأن قد نبيل من الراحة من شغبه أملاً وقرة عين. فلما انفضّ جمع ذلك العسكر، وانتفض ذلك المعسكر، ودخل الليل، وامتدّ للنايك الذئب، هرب عمر بن حفصون من ذلك الحصن، وسار الى برّشتر في ظلّ الأمان. فلقى العرفاء؛ فناصرهم القتال، وأخذ تلك البغال، وعاد الى سيرته الأولى، وقال لشيعته: «أنا رشم الأعلى!» فأقسم الأمير المنذر أن يقصدك ويحلّ عليه، ولا يقبل منه أو يلقى يده إليه؛ فأعمل الغزو الى برّشتر، وجمع لها الجمع الأكبر. فلما احتلّ عليها، أمر أن يحدق بها، ويحاط بجوانبها، وإن يعتمز لقتالها اعتزاماً، وبلتزم محاصرته التزاماً.

P. 127

فظهر من حزم الأمير المنذر وعزمه ما يئس معه ابن حفصون، من البقاء في تلك الحصون. فبقى الأمير على حصن برّشتر، يرومه رَوْماً، مدة من ثلاثة وأربعين يوماً. وكان قد أصابته علة² أكرثت نفسه، وكدرت أنسه²؛ فبعث في أخيه عبد الله لينوب منابه، ويتدب في تلك الحال ابتدابه. فلما وصل إليه، وحصل في الميظلة لديه، خرجت في الحين روحه، وبكاه من كان يغدوه وبرووجه. فوقع الخرم في العسكر إثر موته، وتفرق الناس عند قوته. ولم يقدر اخوه عبد الله على ضبطهم، وعقد ما انحلّ من رنطهم. واستطال عمر بن حفصون

1) Manque dans A. 2-2) B. أكرثت نفسه وكدمت شمه.

في المحلة، وانتهبها بالجملة. وحمل الأمير المنذر على جمل^١ الى قرطبة؛ فدفن مع أجداده هنالك، وصار عند الناس أهون مفقود وأيسر هالك، إذ كان قد اضطرهم في ذلك المقام، وندبهم الى الثبات هنالك والمقام.

وفي هذه السنة، كان القحط الشديد بالأندلس؛ فاستسقى الناس. فنزل نلج كثير في أول يوم من يئير، ولم ينزل غيث. ثم استسقوا مراراً؛ فلم يهطروا؛ فحامر الناس القنط. فلما دخل من فيبرر بعض أيام، سقى الناس، وارتفع الابس؛ فاستبشروا بفضل الله، وأعلنوا بشكره. فقال العكي في ذلك، يمدح الأمير المنذر [كامل]:

نَزَلَ الْحَيَا الْمُحْيِي وَطَابَتْ أَنْفُسُ إِذْ كَانَ سُوءَ الظَّنِّ فِيهَا يَهْجِسُ
أَحْبَى إِلَآءِ عِبَادَهُ مِنْ بَعْدِ مَا كَانَتْ مِنَ الْفَنَطِ النَّفُوسُ نُوسِسُ
مُتَلَا فِيهَا فِيهِ بَعَادِ رَحْمَةٍ لَوْلَا عَوَائِدُهَا طَوَّنَا الْأَبُوسُ
مَلِكُ الْمَلُوكِ نَقَدَسَتْ أَسْمَاؤُهُ... حُسْنِي وَعَزَّ جَلَالُهُ الْمُتَقَدِّسُ

ومنها:

• بِالْمُنْذِرِ الْبَيْهُونِ طَابَ زَمَانُنَا وَبَطِيبِ دَوَانِيهِ تَطِيبُ الْأَنْفُسُ

P ١٢٢

الى قوله:

خُذْهَا أَمِينَ اللَّهِ وَأَبْنَ أَمِينِهِ مِنْ شَاكِرِي فِي الشُّكْرِ لَيْسَ يُدَلِّسُ

وفي سنة ٢٧٥، توفى الأمير المنذر - رحمه الله! - وقد ذكر موته على حصن برشتر محاصراً للخبيث ابن حفصون. وكانت وفاته منتصف شهر صفر من السنة المذكورة، وهو ابن ست وأربعين سنة. وملك سنتين إلا أياماً.

1) Manque dans B, qui donne à la place: رحمه الله.

بعض سيره وأخباره

كان الأمير المنذر - رحمه الله! - يحب إخوته، ويكرمهم، ويُدني مجالسهم، ويصليهم، ويحضرهم مجالس أسه. وكان يُجزل العطاء للشعراء؛ فيُنشدونه غزياً وراجعاً. وكان من شعرائه أحمد بن عبد ربه، والعيكي، وغيرها. ولم يكن أحد من الخلفاء قبله مثله شجاعة وصرامة وعزماً وحزماً. ولقد بلغ في سنة بذلك ما لم يبلغه غيره في الدهر. ولقد كان أبطال الرجال وأنجادهم من أهل الفتنة يُدعون إليه دون محنة، ويُسلون إليه بالطاعة قبل أن يطلبها. وإن الخبر المستفيض عن الشيوخ أنه، لو عاش المنذر عادياً واحداً زائداً، لم يبق برية منافق؛ وأخباره تدل على ذلك. وأول أخباره الدالة على ذلك أنه، لما أتاه موت أبيه، لم ينعه ذلك من التعرّج عن القصد واختصار الطريق، ولا شغله أمر مهم ولا أمر جليل عن آخر؛ فجعل طريقه على رية؛ فهذب أمورها، وولى عليها سليمان بن عبد الملك بن أخطل، وعبد الرحمن بن حريش، وأدخل معها أهل المعارف من العرب والحكم. ثم جمع في يوم واحد مابعته، وإعطاء الجند، والنظر فيما أسقط من الأزيمة عن الرعية، وما فعله من الاستحسان إلى أهل قرطبة بإسقاط العشور عنهم، والنظر في النذب وإخراج الفائت. وهاكذا كان فعله في جميع أسبابه؛ وبحسب ذلك كان انقياد الأشياء له.

• خلافة عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم

P 124

كنيته: أبو محمد. مولده: في النصف من ربيع الآخر سنة ٢٢٩. أمه: تسمى بهار وقيل: عشار^١. حجابها: اثنان: عبد الرحمن بن شهيد وابن السليم. وزراؤه: ستة وعشرون. كتابه: ثلاثة: عبد الله بن محمد الزجالي، وعبد الله بن محمد بن أبي عبدة، وموسى بن زياد. صفته: أبيض، مشرب

١) عبار. B.

بَحْرَةَ، أَصْهَبَ، أَرْزَقَ، أَقْنَى الْأَنْفَ، رُبْعَةً، يُخَضَّبُ بِالسَّوَادِ. بَنُوهُ: أَحَدُ عَشَرَ، أَحَدُهُمْ مُحَمَّدُ الْمُفْتُولُ، وَالِدُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ النَّاصِرِ. بَنَاتُهُ: ثَلَاثُ عَشْرَةَ. بُويعَ فِي الْيَوْمِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ أَخُوهُ الْمُنْدِرِيُّ فِي الْحَلَّةِ عَلَى بَرَبَشْتَرٍ، وَذَلِكَ يَوْمَ السَّبْتِ فِي النِّصْفِ مِنْ شَهْرِ صَفَرٍ سَنَةِ ۲۷۵. ثُمَّ قَفَلَ إِلَى قَرْطَبَةَ بِأَخِيهِ الْمُنْدِرِيِّ مَيْتًا؛ فَاسْتَمَّ الْبَيْعَةَ بِقَرْطَبَةَ، وَدَفِنَ أَخَاهُ بَعْدَهَا. وَتُوُفِيَ عَبْدُ اللَّهِ سَنَةَ ۳۰۰، وَهُوَ ابْنُ اثْنَيْنِ وَسَبْعِينَ سَنَةً؛ فَكَانَتْ خِلَافَتُهُ خَمْسًا وَعِشْرِينَ سَنَةً، وَخَمْسَةَ عَشَرَ يَوْمًا. وَمِنْ قَوْلِ ابْنِ عَبْدِ رَبِّهِ فِيهِ [طَوِيلٌ]:

خِلَافَةُ عَبْدِ اللَّهِ حَجَّ عَلَى الْوَرَى فَلَا رَفَتْ فِي عَصْرِهِ وَفُسُوقُ
تَجَلَّتْ دِيَاغِي الْحَيْفِ عَنْ نُورِ عَدَايِهِ كَمَا ذَرَّ فِي جَنَحِ الظَّلَامِ شُرُوقُ
وَتَفَّتْ سَهْمَ الدِّينِ بِالْعَدْلِ وَالنَّفَى فَهَذَا لَهُ أَصْلٌ وَذَلِكَ فُوقُ
وَأَعْلَنَ أَسْبَابَ الْهُدَى بِضَمِيرِهِ فَاتَّيَسَّرَ لَهُ إِلَّا بِهِنَّ عُلُوقُ
وَمَا عَاقَبَهُ عَنْهَا عَوَائِقُ مُلْكِهِ وَأَمْشَلَهَا عَنْ مِثْلِهِنَّ تَعُوقُ

وَأَفْضَتِ الْخِلَافَةَ إِلَيْهِ، وَقَدْ تَحَيَّفَهَا النَّكْتُ، وَمَرَّفَهَا الشَّقَاقُ، وَحَلَّ عُرَاهَا النَّفَاقُ؛ وَالْفِتْنَةُ مَسْتَوْلِيَةٌ، وَالذُّجُنَّةُ مَتَكَائِفَةٌ، وَالْقُلُوبُ مُخْتَلِفَةٌ، وَعَصَى الْجَمَاعَةُ مُنْصَدِعَةٌ، وَالْبَاطِلُ قَدْ أُعْلِنَ، وَالشَّرُّ قَدْ اسْتَهَرَ؛ وَقَدْ * تَمَّالًا عَلَى أَهْلِ الْإِيمَانِ P. ۱۲۵
حِزْبُ الشَّيْطَانِ؛ وَصَارَ النَّاسُ مِنْ ذَلِكَ فِي ظُلْمَاءِ لَيْلٍ دَاجٍ، لَا إِشْرَاقَ لَصَبَاحِهِ، وَلَا أَقْوَلَ لِنَجْوَمِهِ. وَنَأْتَبَ عَلَى أَهْلِ الْإِسْلَامِ أَهْلُ الشَّرِكِ وَمَنْ ضَاهَاهُمْ مِنْ أَهْلِ الْفِتْنَةِ، الَّذِينَ جَرَدُوا سِيوفَهُمْ عَلَى أَهْلِ الْإِسْلَامِ؛ فَصَارَ أَهْلُ الْإِسْلَامِ بَيْنَ قَبِيلٍ وَمَحْرُوبٍ وَمَحْصُورٍ، بَعِثَ مَجْهُودًا، وَبَمُوتِ هَزَلًا؛ قَدْ انْفَطَعَ الْحَرْتُ، وَكَادَ يَنْفَطِعُ النَّسْلُ. فَنَاضَلَ الْأَمِيرُ بِجَهْدِهِ، وَحَمَى بِجِدِّهِ، وَجَاهَدَ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّهُ. وَانْفَطَعَ الْجِهَادُ إِلَى دَارِ الْحَرْبِ، وَصَارَتْ بِلَادُ الْإِسْلَامِ بِالْأَنْدَلُسِ هِيَ الشَّعْرُ الْمَخُوفُ؛ فَكَانَ قِتَالُ الْمُنَافِقِينَ وَأَشْبَاهِهِمْ أَوْكَدَ بِالسُّنَّةِ، وَالزَّمَّ بِالضَّرُورَةِ.
فَأَوَّلُ مَا تَنَاوَلَهُ، وَنَظَرَ فِيهِ، أَنْ وَجَّهَ إِبْرَاهِيمَ بْنَ خَيْبَرَ لِأَخْذِ بَيْعَةِ ابْنِ حَنْصُونٍ وَبَيْعَةِ مَنْ قَبْلَهُ. فَفَصَدَّ إِبْرَاهِيمَ إِلَيْهِ، وَطَلَبَ طَاعَتَهُ؛ فَظَهَرَ مِنْهُ حُسْنُ

مَذْهَبٍ؛ فَأَخَذَ بَيْعَتَهُ، وَصَدَرَ عَنْهُ؛ وَقَدِمَ مَعَهُ حَنْصُ ابْنِهِ وَجَمَاعَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ؛ فَأَخَذَتْ عَلَيْهِمُ الْبَيْعَةَ، وَرَدَّهُمُ الْأَمِيرُ مَحْبُورِينَ بِالْكَرَامَةِ وَالرَّعَايَةِ. فَبَقِيَ ابْنُ حَنْصُونَ سَامِعًا مُطِيعًا مُتَّهِبًا عَمَّا نُهِيَ عَنْهُ، وَاقْفَاءً عِنْدَ مَا أُمِرَ بِهِ. ثُمَّ تَعَدَّى بَعْدَ ذَلِكَ حَدَّهُ. وَمَدَّ يَدَهُ إِلَى مَا نُهِيَ عَنْهُ؛ فَلَمْ يَدَعْ مَالًا عِنْدَ مَنْ أَمَكَنَهُ، وَاسْتَحْوَذَ عَلَى أَهْلِ الْكُورِ فِي أَمْوَالِهِمْ، وَأَمْضَى نَفْسَهُ عَلَى عَادَتِهِ الذَّمِيَّةِ مِنَ الْفَسَادِ وَقَطَعَ السَّبِيلَ، وَذَلِكَ فِي سَنَةِ وِلَايَةِ الْأَمِيرِ عَبْدِ اللَّهِ.

وَفِي سَنَةِ ۲۷۶، خَرَجَ الْأَمِيرُ عَبْدِ اللَّهِ بِنَفْسِهِ إِلَى بَرْثَشْتَرٍ وَحَصُونِ رَيْتَةَ؛ فَاتَسَفَّ مَعَايِشَهَا، وَقَتَلَ عَنْهَا، وَقَدْ شَدَّ نَبْكَ النَّاحِيَةِ؛ وَأَبْقَى بِحَاضِرَةِ رَيْتَةَ مُحَمَّدَ بْنَ دَيْنٍ^۱ مِنْ أَهْلِ قَرْطَبَةَ؛ فَخَرَجَ ابْنُ حَنْصُونَ فِي إِثْرِهِ، وَبَالَغَ إِلَيْهِ الْمَسَدُونَ؛ فَأَسْلَمُوا إِلَى إِسْنِجَةَ، فَاحْتَلَوْهَا، ثُمَّ إِلَى حِصْنِ إِسْتَبَةَ، فَأَخَذُوهُ؛ فَأَخْرَجَ إِلَيْهِمُ الْأَمِيرُ جَيْشًا؛ فَتَزَلَّ ابْنُ حَنْصُونَ، وَاعْتَرَفَ بِذَنْبِهِ؛ فَعَفَدَ لَهُ الْأَمِيرُ أَمَانًا. وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ، وَلى مُحَمَّدُ ابْنُ الْأَمِيرِ عَبْدِ اللَّهِ كُورَةَ إِسْطِيلِيَّةَ؛ فَخَرَجَ فِي

۱) A. دَيْنٍ B. دَفِين. إِلَى قَرْمُونَةَ؛ فَضَبَطُوهَا.

وَفِيهَا، تَارَ [أَوْ بَجِي] مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ التَّجِيبِيِّ الْمَعْرُوفِ بِالْأَنْفَرِ.

وَفِيهَا، نَقَضَ ابْنُ حَنْصُونَ وَقَصَدَ بَيَانَةَ؛ فَحَارَبَ أَهْلَهَا. ثُمَّ أَعْطَاهُمُ الْعَهْدَ؛ فَلَمَّا تَزَلُّوا إِلَيْهِ، غَدَرَهُمْ. وَقَتَلَهُمْ، وَأَخَذَ أَمْوَالَهُمْ، وَسَبَى ذُرَارِيَهُمْ. وَفِيهَا، انْتَفَضَ أَهْلُ حَيَّانَ، وَأَخْرَجُوا عَامِلَهَا عَنَاسَ بْنَ لَقِيْطَ، وَمَلَكَهَا ابْنُ شَاكِرٍ.

وَفِي سَنَةِ ۲۷۷، وُلِدَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ النَّاصِرِ.

وَفِيهَا، غَزَا الْفَائِدُ ابْنُ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ إِلَى حَيَّانَ، وَفِيهَا ابْنُ شَاكِرٍ مُخَالِفًا؛ فَحَارَبَهُ، وَحَاصَرَهُ، وَقَتَلَ جَمَاعَةً مِنْ أَصْحَابِهِ، وَأَحْرَقَ كَثِيرًا مِنْ دُورِ حَيَّانَ.

1) A. دَيْنٍ B. دَفِين.

وفيها، خرج حنص بن الحرّة الى سوار، وكمن له الكائن، واغار عليه؛ فلما خرج سوار في طلبه، خرجت عليه الكائن؛ فقتل.

وفيها، قتل ابن شاكر النائر بجيان. وسبب قتله أنّ ابن حفصون أراد أن يراجع طاعة الأمير، وأن يتقرب اليه بقتل ابن شاكر؛ فبعث اليه خيلاً يريه أن يده على عدوه؛ فأقبل المدد اليه؛ فلما خرج اليهم، فتكوا به وقتلوه، وبعثوا برأسه الى ابن حفصون؛ فبعث به الى الأمير عبد الله. وعند ذلك توجه ابن حفصون الى جيان؛ فأغرم أهلها الأموال الجسيمة. وأقامت جيان وإلييرة مدة دون عامل من الأمير.

وفي سنة ٢٧٨، خرج الأمير عبد الله الى بلادي من عمل قبرة، وبها عدو الله ابن حفصون مع جماعة كبيرة من أصحابه أهل الفساد والارتداد. وكانوا قد أضروا بأقاليم قرطبة، وضيقوا عليهم حتى أغاروا على أغنام قرطبة. فخرج اليهم الأمير مسهلاً صرّاً، واحتلّ به؛ فانهضه وصادقه القتال؛ فانهزم هو ومن معه، ولجأ الى حصنه مع ملا من أصحابه، وعوجل عشيرته عن الدخول معه، وأتبعوا؛ فلم يخلص منهم أحد. فبات الأمير قرير عيب، والمسلمون كذلك، وقد أخذوا عليه ناك الليلة الباب وجاء أن يأتي الصباح، فبوخذ داخل P. ١٢٧ الحصن. ثم خرج منه مع بعض أصحابه، ونجا ونجوا. ولما أصبح، أعلم السلطان بخبره؛ فأرسل الخيل في أثره؛ فلم يعلم له خبر. ودخل الأمير الحصن يوماً آخر؛ فوجد مترعاً بالذخر، ملآن من العدد؛ وكان عدد عسكر الأمير ثمانية عشر ألف فارس. وقيل إن ابن حفصون ألّب أهل حصون الأندلس كلها. وأقبل إليه في ثلاثين ألفاً. ووقعت الحرب بينهم؛ فانهزم عدو الله، وقتل أكثر من كان معه. ودخلت جملة منهم في محلة الأمير؛ فأمر بالتقاطهم؛ فأتى بألف رجل منهم؛ فقتلوا صبراً بين يديه. هاكذا ذكر في «بهجة النفس».

ثم قصد الأمير إستجة؛ فنارلم، وحاربهم، وقتل لهم عدداً كثيراً. فلما أخذهم

الجهد، رفعوا الأبطال على الأيدي في الأسوار، مستصرخين، ضارعين، راغبين
في العفو؛ فعفا عنهم.

وفي سنة ٢٧٩، غدر أهل أَرْجِدُونَة بأحمد بن هاشم. ونقض ابنُ حنصون
ما كان انعقد من السلم والطوع.

وفي سنة ٢٨٠، توجه المَطْرَف بن الأمير عبد الله بالجيش الى ابن حنصون
ببَرْبَشْتَر؛ فحاصرها، وهتك جميع ما حوالبها.
وفيها، أمر الأمير عبد الله ببنيان حصن لَوْثَة، وأبقى عليه إدريس بن
عبيد الله.

وفيها، دخل إِذْفُونَس بن أَرْدُون مدينة سَمُورَة وبنائها؛ وكانت من بنيان
عَجَم طَلَبِطَلَة.

وفي سنة ٢٨١، أغزى الأمير عبد الله عبد الملك بن أمية؛ فنتقم الى حصون
ابن مَسْتَنَة، ونازل حصن آسَر، وحاربه، وقتل من أهله عدداً كبيراً، وهدم
حصن السَّهْلَة. ثم قتل الى قَرْطَبَة.

وفي سنة ٢٨٢، غزا بالصائفة المَطْرَف ابن الأمير عبد الله. وفاد الصائفة
عبد الملك بن أمية. فلما كان بمقرية من إشبيلية، قبض على القائد عبد الملك،
وقتل، * وقتم على قيادة العسكر أحمد بن هاشم. وأقام العسكر في الموضع أربعة
أيام، وكتب أماناً لأهل إشبيلية، وأماناً لأهل شذونة؛ فدانت له، وقبض
جبايتها، ودوخ تلك البلاد. ثم رحل الى إشبيلية؛ فناشهم الحرب؛ فانهمز أهل
إشبيلية، ووقع فيهم القتل الى سور المدينة. ثم أجاز الوادي؛ فنتبع القرى
بالنسف والتغيير.

وفي هذه السنة، ضمَّ المَطْرَف ابن الأمير عبد الله إبراهيم بن حجاج وابن

خَلْدُونُ وَابْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ الشُّدُونِيُّ إِلَى السِّجْنِ، وَأَوْثَقَهُمْ فِي الْحَدِيدِ. وَقَطَعَ لِسَانَ
مَحْمُونِ الْكَاتِبِ، وَضَرَبَ ظَهْرَهُ.
وَفِيهَا، أَنْتَ جَبَايَةَ إِشْبِيلِيَّةَ. وَعِنْدَ مَا أَنْتَ، أَطْلُقُ ابْنَ حَجَّاجِ بْنِ خَلْدُونِ
وَالشُّدُونِيَّ مِنْ سِجْنِ قَرْطَبَةَ.

ذِكْرُ ثَوْرَةِ بَنِي حَجَّاجٍ بِإِشْبِيلِيَّةَ

وَذَلِكَ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ بْنَ حَجَّاجٍ تَرَكَ وَآدَهُ رَهِينَةً بِقَرْطَبَةَ، وَرَجَعَ إِلَى بَلَدِ
إِشْبِيلِيَّةَ؛ فَتَوَزَّعَ كُورَتَهَا عَلَى بَصْفَيْنِ: خَرَجَ إِبْرَاهِيمُ بِالنِّصْفِ، وَابْنُ خَلْدُونِ
بِالنِّصْفِ. وَبَقِيَ كَذَلِكَ أَعْوَامًا. وَكَانَ الْأَمِيرُ عَبْدِ اللَّهِ قَدْ أَخَذَ فِي الضَّرْبِ بَيْنَهُمَا،
وَيَكْتَسِبُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا بِمَا يَرَاهُ مِنْ صَاحِبِهِ. فَلَمَّا كَانَ فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ، كَتَبَ
إِبْرَاهِيمُ بْنُ حَجَّاجٍ وَكُرَيْبُ بْنُ خَلْدُونِ إِلَى الْأَمِيرِ عَبْدِ اللَّهِ فِي مَصَالِحِهِمَا؛ وَكَتَبَ
مَعَهُمَا خَالِدُ بْنُ خَلْدُونِ أَخُو كُرَيْبٍ كِتَابًا يُغْرِي فِيهِ بِإِبْرَاهِيمِ بْنِ حَجَّاجِ عِنْدَ
الْأَمِيرِ، وَيَقُولُ إِنَّهُ فِي قَبْضَتِهِمْ. فَكَتَبَ لَهُ جَوَابَهُ عَلَى نَصِّ كِتَابِهِ. وَخَرَجَ الْحَامِلُ
بِالْكِتَابِ إِلَيْهِمْ؛ فَسَمِعَ لَهُ كِتَابَ خَالِدِ الَّذِي كَانَ بَعَثَ الْأَمِيرَ؛ فَأَخَذَهُ بَعْضُ
بَنِيانِ الْقَصْرِ؛ فَقَرَأَهُ وَعَلِمَ مَا فِيهِ؛ فَدَفَعَهُ لِرَسُولِ إِبْرَاهِيمِ بْنِ حَجَّاجٍ، وَقَالَ لَهُ:
«اسْتَقْبِلْ بِهِ مَوْلَاكَ!» فَلَمَّا وَصَلَ الرَّسُولُ وَالْكِتَابُ إِلَى إِبْرَاهِيمَ، عَلِمَ حَقِيقَةَ مَا
يَحْتَوِي عَلَيْهِ ابْنُ خَلْدُونِ مِنْ سُوءِ الْبَاطِنِ. وَكَانَ هَذَا فِي سَنَةِ ٢٨٦. فَعِنْدَ
ذَلِكَ، تَلَطَّفَ إِبْرَاهِيمُ فِي طَعَامِ، وَدَعَا ابْنَ خَلْدُونِ؛ فَوَصَّلَا إِلَيْهِ. فَلَمَّا اسْتَقَرَّ
الْمَجْلِسُ بِهِمْ، أَخَذَ إِبْرَاهِيمُ فِي عِتَابِ كُرَيْبٍ وَأَخِيهِ خَالِدِ، وَأَخْرَجَ الْكِتَابَ الَّذِي
بَعَثَ بِهِ الْأَمِيرُ إِلَيْهِمَا، وَأَوْقَفَهُمَا عَلَيْهِ، وَأَبْلَغَ فِي عِتَابِهِمَا، وَأَكْثَرَ فِي ذَلِكَ
عَلَيْهِمَا. فَأَخْرَجَ خَالِدٌ سِكِّينًا كَانَتْ فِي كَيْبِهِ؛ فَضَرَبَ بِهَا رَأْسَ إِبْرَاهِيمِ بْنِ
حَجَّاجٍ؛ فَزَقَ فَلَنَسُوتهُ، وَضَرَبَهُ فِي وَجْهِهِ. فَلَمَّا صَدَرَ مِنْ ذَلِكَ، نَهَضَ إِبْرَاهِيمُ،
وَدَعَا مِنْ حَضْرَةِ مَنْ رَجُلَهُ؛ فَعَلَوْهُمَا بِالسِّيفِ، حَتَّى قَتَلُوهُمَا. وَأَلْقَى رَأْسَيْهِمَا إِلَى
أَصْحَابِهِمَا وَرَجُلَيْهِمَا؛ فَتَفَرَّقُوا. وَتَتَبَعَهُمْ إِبْرَاهِيمُ بِالْقَتْلِ وَالنَّهْبِ، وَدَفَنَ جَسَدِي ابْنِ

خَلَدُونَ؛ وانقاد له جميع أهل الكُور الملاصقة لإشبيلية. وخطب عند ذلك
الأمير عبد الله، يتبرأ له من دمه، ويقول إنهما كانا يَحْمِلَانِهِ عَلَى النَّكْتِ،
وَأَبَسَ الْآنَ عَلَى الطَّاعَةِ؛ وطلب منه ولاية إشبيلية. فأجابهُ الأمير الى ذلك.
وانفرد إبراهيم بولاية إشبيلية؛ فاجتبي الأموال، واصطنع الرجال، وارنقى في
الأحوال، وامنتت لنفسائه الآمال. وكان له حميد آثار، وجميل أخبار، فاق بها
أهل عصره. وحسن في الآفاق طيب ذكره.

ولم يزل بعد ذلك إبراهيم بن حجاج يشنط^١ على الأمير عبد الله، الى أن
سأه إطلاق ولد عبد الرحمن الرهين عنده. فلم يسعنه الأمير عبد الله في ذلك.
فبذ إبراهيم الطاعة عند ذلك، وظاهر أن حَفْصُونَ، وأمدّه بالمال والرجال،
نكايةً للأمير عبد الله. فقويت شوكة ابن حنصون، وازداد به طاعة؛ وفي
خلال ذلك، لم يزل إبراهيم يدسّس ويرسل من يُشير على الأمير بإطلاق ولد،
وينصمّن له عودته الى الطاعة، حتى وافق السلطان على ذلك؛ فأطلق عبد الرحمن
ابن إبراهيم، وأعظم الإحسان اليه، وجدّد له التسجيل على بلده إشبيلية. فعاد
إبراهيم الى ما كان أولاً عليه من الطمعة، واستقامت أحوال تلك النواحي
على يديه. P. 130

قال حيّان بن خائف: لما ملك إبراهيم بن حجاج إشبيلية وقرمونة وما
والها، ارتفع ذكره، وتعدّ صيته، واتخذ لنفسه جنّداً، ورتب لهم الأرزاق كنعيل
السلطان؛ فكمل في مصافه خمسمائة فارس. وكان لإبراهيم بن حجاج في بساط
السلطان بقرطبة قوم يقفون في حقه، ويعلمونه بما عند السلطان من حاله،
وينصحونه في أمره. فعند ذلك، أقلع عما كان عليه من موافقة ابن حنصون،
واعترف بحق أمير الجماعة؛ فعامله الأمير بما شهّر له من الفضل. وكانت منزلته
عنده أعلى منزلة، الى أن توفّي - رحمه الله!

وذكر حيّان أيضاً قال: كان لإبراهيم بن حجاج في بلده إشبيلية قاضي يقوم

بالحكم، وصاحب مدينة يقيم الحدود، جرى في ذلك كله مجرى السلطان في حضرته. قال: وكان فظاً على أهل الرّيب، فامعاً لأهل الشّر؛ وكان مُتَجَمَعاً على البرّ والبحر، منصوداً بالغرائب والطرف. وكانت له بإشبيلية طُرُزٌ يُطَرِّزُ فيها على اسم كنعل السلطان إذ ذاك؛ وكانت قرْمُونَة تحت مملكته؛ وهو الذي حصنها وحسن بنيان سورها؛ وفيها كان مرْتَبُ خيله المنخّذة لركوبه؛ وبينها وبين إشبيلية كان تردّاده سائر أوقاته. وكان جواداً، ممدّحاً، سراح للثناء، ويُعطى الشعراء، ويضاهى في فعله كبار الأمراء، ويتنقّد أهل البيوت والشرف بالعطاء¹. وكان أدلّ قرطبة منعرّضين لسيّبه، فيكرمهم ويصّأهم. وقد اتجعه شاعرهم الأكبر أبو عمر أحمد بن عبد ربّه من بين جميع ثوار ذلك الوقت بالأندلس؛ فعرف قدره، وأفضل عليه.

ومن قوله فيه، يَصِفَ تَنَقُّلَهُ مِنْ إِشْبِيلِيَّةِ إِلَى قَرْمُونَةَ [طويل]:

الآن إبراهيم لجة ساحل
فإشبيلية الزهراء نزهى بجديه
إذا ما تجلت نيك من نور وجهه
وإن حل هذى فهو يوحش هذيه
من الجود أُرست فوق أجة ساحل
وقرمونة الغراء ذات النضائل
عَدت هذه للناس في زى عاقل
فنهدي برسل نحوّه ورَسَائِلِ

وهي طويلة. ومن قوله أيضاً من قصيد طويل [وافر]:

كتاب الشوق يطويه النواد
نخط يد البكاء به سطوراً
وكيف وبى فواد مسنطير
أمن يمن يكون الجود خلواً
زيارته لمن يأتيه حج
وما لي في النخف عنه عذر
ومن قبض الدموع له مدد
على كبدى وبلها السهاد
لمن لا يستطير له فواد
وإبراهيم حاسمها الجواد
ومدحته رباط أو جهاد
ولى في الأرض راحلة وزاد

1) Tout ce qui suit manque dans B jusqu'à la fin de la seconde citation

١) ولأحمد بن عبد ربه في إبراهيم بن حجاج أشعار كثيرة، ولغيره من الشعراء. وذكر ابن أبي النياض أن محمد بن يحيى الفلنطاط الشاعر القرظبي قصد الأمير إبراهيم بن حجاج يدحه بنصيدة نونية، أولها [خفيف]:

أَزِفَتْ رِحْلَتِي فَأَهَمَّتْ جُفُونًا

ثم أخذ في هجاء عشيرته أهل قرظبة، وكبرائها، وعظماء دولتها، فأفحش عليهم. فلما أنشد النصيدة لإبراهيم بن حجاج، زها به، وحرمه وأساء ذكره؛ فانصرف خائباً من نواله، جانباً ثمرة فعاله ومقاله. فلما وصل قرظبة، أخذ يهجو إبراهيم بن حجاج بنصيدة أولها [كامل]:

لَا تُسْكِرِي لِلدَّيْنِ طَوْلَ بُكَاءِي

فلما بلغت إبراهيم، أغضبته؛ فأوصى من قال له عنه مغلظة: «إنه إن عاد لما وقع فيه، لا أمرن بأخذ رأسه بقرظبة على فراشه!» فارتاع الفلنطاط المذكور لذلك، وكف. (٢) فكان هذا الفعل لإبراهيم في حق أهل قرظبة أجل مكرمه، وعد في جملة فضائله. ولأجل هذا ساقه الفاضل ابن أبي النياض - رحمه الله (٢)! - وقد قصه العذري من الحجاز؛ فراعى حقه، وأكرم مثواه، وأنا له جزيل خيره. ورفع الناس ذكره.

وقد ذكر أبو عامر السالمي في كتابه المسبى بـ«دُرر الفلاذ وغرر الفوائد» أن الأمير الرئيس الهمام الجواد الحبيب أبا إسحاق إبراهيم بن حجاج سمع بجمارية بغدادية أسبها قمر؛ فوجه بأموال عظيمة إلى المشرق في اتباع هذه الجمارية، إلى أن استقرت بدار مملكته إشبيلية؛ وكانت كالبدر المنير، ذات بيان وفصاحة ومعرفة بالألحان والغناء؛ فوجدها قمرًا عند أسبها؛ وكان لها شعرٌ يستعلى ويستحسن. فمن قولها ترد على من عاذلها [بسيط]:

قَالُوا أَأَنْتَ قَمْرٌ فِي زِيِّ أَطْمَارٍ مِنْ بَعْدِ مَا هَتَكْتَ قَلْبًا بِأَشْفَارِ
تُسَيِّ ٣) عَلَى وَحَلِّ تَغْدُو عَلَى سُلِّ تَشُقُّ أَمْصَارَ أَرْضٍ بَعْدَ أَمْصَارِ

1) Reprise du ms. B.

2-2) Manque dans B.

3) A. B. نسي.

لا حرّةٌ هي من احرارٍ موضعيها ولا لها غير ترسيلٍ وأشعارٍ
 لو يعقلون لها عابوا غريبتهم لله من أمّة تزرى بأحرارٍ
 ما لابن آدم فخرٌ غير هيمته بعد الديانة والإخلاص للباري
 دعني من الجهل لا أرضى بصاحبه لا بخلص الجهل من سبٍ ومن عارٍ
 لو لم تكن جنة إلا للجاهل رضى من حكم ربّ الناس بالنار

ولم تنزل مدة إبراهيم تتمشى على أحسن حال وأجزله، وأهدب زى وأكله،
 تفصت زينا لعصره، وفخرآ له بها على أهل عصره، لم يلحقه في ذلك أحد في
 وقته، ولا قدر على نيل مرتبته، الى أن وافته منيته فجأة، وذلك عام ٢٨٨.
 وولى ابنه عبد الرحمن بن إبراهيم بن حجاج بعد أبيه، وطالت مدته ثلاث
 عشرة سنة، وتوفي سنة ٢٠١. وكان أخوه محمد بن إبراهيم بن حجاج - رحمه
 الله - صاحب قرمونة في حياة أبيه وبعد موته الى أن مات أخوه، ولم ١٢٢ P.
 يستقر بإشبيلية، ولا حكمها. وقيل إنه دس على أخيه عبد الرحمن جارية سمته،
 فمات من ذلك.

قال ابن أبي الفياض: كان محمد بن إبراهيم بن حجاج صاحب قرمونة بعد
 موت أبيه، وكانت له بها دولة حسنة وأيامٌ صالحة، شهر في الفضل ذكره،
 وانبسط على ألسنة الناس شكره، فصد من الأقطار، ومدح مجيد الأشعار، فأنال
 القاصدين، ومنع المادحين. ولما توفي أبوه، ولى إشبيلية أخوه عبد الرحمن، إذ
 كان كبيره. وكان محمد يزيد على عبد الرحمن بأشياء من المحامد، خص بها في
 وقته فحيد، وظهر أثر الإمارة في فعاله فشكر وحسد. وكانت دولته بقرمونة
 أضخم من دولة أخيه بإشبيلية وأطول، وذلك أربع عشرة سنة بعد موت أبيه.
 وتوفي عام ٢٠٢.

قال الرازي: افتتح الناصر لدين الله إشبيلية سنة ٢٠١. وكان سبب ذلك
 موت عبد الرحمن بن إبراهيم بن حجاج المنتزى فيها بعد والده، واجتماع أهلها
 من بعد على تقديم أحمد بن مسلمة، ودفعهم لأخي عبد الرحمن محمد بن إبراهيم

صاحب قَرْمُونَةَ، ومخالفة محمد ومن معه قَرْمُونَةَ، وليأذنه بسلطان الجماعة. فبعث
الناصرُ عسكرياً إلى إشبيلية؛ فجرت بينهم حروبٌ عظيمةٌ. ثم بعث الأمير عبد
الرحمن الناصر إلى محمد بن إبراهيم بن حجاج، وأمره بالتصديق على أهل إشبيلية،
وعقد له على ذلك، وأشرك معه فيه قاسم بن الوليد صاحب شُرطته في ذلك
الوقت؛ وكان بينه وبين محمد صداقة. فخرجوا معاً من قُرطبة إلى قَرْمُونَةَ، ومنها
دَنَوْا إلى إشبيلية. فتردد محمد وقاسم بالجموع على إشبيلية، ومَلَكَا أَقَالِيمَ الشَّرَفِ،
وأقاليم طَالِقَةَ، وإقليم البَرِّ وغيرها، وأخذوا بِمَخْنِقِ ابْنِ مَسْلَمَةَ صاحب إشبيلية؛
P. 134 فاستجاش ابن مَسْلَمَةَ برأس النفاق اللعين ابن حَنْصُونَ؛ فأناه بنفسه، وخرج
معه من مدينة إشبيلية، وجاز النهر؛ وكان الجيش بحصن قَبْرَةَ، وفيه محمد بن
إبراهيم بن حجاج، وقاسم بن وليد؛ فخرجوا إليهما من معهما من حشم السلطان؛
فانهزم ابن حَنْصُونَ، وفرَّ على وجهه، حتى لَحِقَ بِقَلْعَتِهِ. فتأمل ابن مَسْلَمَةَ مُنْتَشِبَهُ
مع ابن عمه محمد بن حجاج، ودخوله معه في وراثة أبيه، وأنه لا طاقة له به.
فأخذ في إصلاح ما بينه وبين السلطان الناصر؛ فراسله بأن يُعْطِيَهُ إشبيلية.
فَوَصَلَهُ الْحَاجِبُ بَدْرٌ، وتملك السلطان إشبيلية دون إراقة دم ولا قتال. فلما
استقرَّ الحَاجِبُ بِإِشْبِيلِيَّةِ، أحضر أهلها، ووعدهم عن السلطان بكل جميل، وأن
يُجْرِيَ عليهم عوائدهم مع بني حجاج وزيادةً على ذلك؛ فرضى القوم، وتمَّ الأمر
للحَاجِبِ وابن مَسْلَمَةَ. وأخذ الحَاجِبُ في مخاطبة محمد بن حجاج، يُعْرِفُهُ بِتَمَلُّكِ
السلطان إشبيلية، وأنَّ السلطان أمره بالكف عن حصارها. فعند وقوف محمد
على الكتاب، ساءه ذلك، وتغير له، وخرج من حصن قَبْرَةَ الذي كان به مع
قاسم بن وليد ناكثاً للطاعة؛ وسرى ليلته مع جموعه فاصداً بلك قَرْمُونَةَ؛ فلقى في
طريقه أغناماً لأهل قُرطبة؛ فأغار عليها، وحملها معه إلى قَرْمُونَةَ؛ فدخلها،
وأظهر التمتع بها. فأخرج إليه الناصر لدين الله صاحب الحشم؛ فلما وصله
وخاطبه بما أمره به السلطان، ردَّ عليه الأغنام بجهلها.
ولما رجع صاحب الحشم إلى قُرطبة، خرج محمد بن حجاج من قَرْمُونَةَ

بجيشه؛ فوصل إشبيلية عند الصباح؛ فهجم عليها. وكان بعض سورها مهدماً؛ فطبع فيها؛ فخرج إليه العامِلُ عليها من قِبَلِ السلطان؛ فهزمه عنها؛ فرجع إلى قرْمُونَة. فلما علم الناصر بذلك، وجّه عسكرياً إلى عامِلِ إشبيلية تقويةً له؛ فحَصَّنَ البلد على نفسه، وأرَبَنَ من عادية محمد بن حجاج. ولما طال على الناصر تَمَادَى محمد بن حجاج على العناد، بعث إليه صديقه ابن ولِيد، طالباً منه العودة إلى ١٤٥. الطاعة؛ فلم يزل به حتى أظهر الإنابة له؛ فأنفذ محمد بن حجاج خاصته إلى الناصر؛ فوصل إليه؛ فألحقه الناصرُ بنفسه؛ وشافهه بما ألقاه إليه محمد، وأعلمه أَنَّهُ يَنْعَزِلُ عن قرْمُونَة ويسكن قُرْطُبَة. على أن يترك بها نائبه. فأجاب الناصر لذلك كله. ووعده بتسليم أغراضه. فلما وصل الرسول إلى محمد بما ألقاه إليه الأمير الناصر، خرج من قرْمُونَة في شهر رمضان المعظم من عام ٢٠١. ووصل قُرْطُبَة مع وجوه قومه وعدة من رجاله. فأمر لهم الناصر بالكسَى ووصلهم على أقدارهم ومنازلهم عند محمد، وأجزل لهم الصلّة، وأعطى محمداً العطاء الجزل. وقرّبه من نفسه، وولّاه من حينه خُطّة الوزارة، مُنَوِّهاً، مُرَفِّعَ الذِّكْرِ. ثم خرج الناصر لدين الله غازياً؛ فاغزاه معه وزيراً.

وكان حبيب بن عمر الوالي على قرْمُونَة من قِبَلِ السلطان قد امتنع بقرْمُونَة. فحاصر الناصر قرْمُونَة، ومحمد بن حجاج معه وزيراً؛ فسعى به عند السلطان مَنْ كان بِحَسْبِهِ، وقال له: «إِنَّمَا نَأْفِقُ ابْنَ عُمَرَ مع محمد وبأمره!» فعزله عن الوزارة، وحبس معه ابن ولِيدَ صَاحِبَ الشَّرِيطَة. ثم أُطْلِفَا بعد ذلك. فلم يلبث محمد بن حجاج بعد ذلك إلا يسيراً، وتوفي في شوال سنة ٢٠٢.

ومن أخبار عمر بن حفصون في أيام الأمير عبد الله

وعند ما ولي عبد الله الخلافة، ووافته الكُتُبُ من البلاد؛ واجتمعت على طاعته جميع العباد، رأى عمر بن حفصون على قرط عِنَادِهِ، وَعُتُوَّهُ في الأرض وفساده، أن يدخل في جماعته، ويلتزم بفروض طاعته. فأرسل ابنه حفصاً

الى قُرْطَبَةَ مع جماعة من اصحابه، على أن يعقد وامع الأمير سلماً منتظماً، وصلحاً
مُبرماً، لا يُجِله حال، ولا يلحقه مُحال، على أن يستقرَّ عمر بن حفصون ببريشتر
P. ١٢٦ على الطوع، وينفيم * بها على الطاعة والسبع. فقبل الأمير نزاعه، وسمع بإيقانه
هنالك، وأصدر ابنه ورُسُلَه إصداراً جميلاً؛ ومنحهم براً جزيلاً، ووجه معهم
عبد الوهَّاب بن عبد الرُّوف والياً على كورة رَية، ومشاركاً لابن حفصون في
عقدِه وحِلِّه، ومُساهماً له في توليته وعزله. فمكنا شريكين في الأمر والنهي، الى
أن غلب ابنُ حفصون على عبد الوهَّاب، وأخرجه من الكورة مُنبت الأسباب.
واشدت معرفته، وتأكدت عاديته ومضرته، حتى همت الفرى بالخلاء، والناس
بالجلاء. ولم يبقَ بالقبانية قرية إلا غشيتها الخيل، وعمتها الذلَّة والويل، قد
ملك اللعين إسنجة وأرجذونة، وأجادهما ثقافاً، وصير فيها من الآلات أصنافاً.
فلما رأى الأمير عبد الله ما أحاط بقرطبة من ابن حفصون، ودار عليها
من الحرب الزبون، أمر بإخراج السرايق الى فحص الرَبَض بشقندة. فلما
اشدَّت أطناؤه، ومدت حباله وأسأبه، بعث ابن حفصون خيلاً تروى على
شقندة لعلها تأخذ السرايق السلطاني وتوزعه، وتهجم على البلد وتحيط بجانبه.
فخرجت لم الخيلُ إسرَ ذلك، وطردتهم طرداً من هنالك، ووصلت الى ابن
حفصون؛ فدفعته عن الجهة، ومنعته من تلك الوجهة، وأوى الى حصن بُلَى
بقبرة؛ فجمع له الأمير أهل قرطبة، وسار إليه في نحو أربعة عشر ألفاً. وحشد
ابن حفصون نحو ثلاثين ألفاً؛ فصدمه الأمير من معه؛ فشر عقده وفرق جمعه؛
فعملت السيوف في رقابهم، وتبعث سبيل أعقابهم، حتى رويت الأرض من
دمائهم. ودخل الأمير عبد الله القلاع النائرة عليه؛ وصارت يومئذ في يديه.

وفي ذلك يقول ابن عبد ربه [كامل]:

رَامَ ابْنُ حَفْصُونَ النِّجَاةَ فَلَمْ يَسِرْ وَالسَّيْفُ طَالِبُهُ فَلَيْسَ بِسَاجِ
* فِي لَيْلَةٍ أَسْرَتِ بِهِ فَكَأَنَّمَا خِيلَتْ نَفِيضَةً لَيْلَةُ الْمِعْرَاجِ
P. ١٢٧ مَا زَالَ يُلْفِحُ كُلَّ حَرْبٍ حَامِلٍ فَالآنَ أَنْجَحَهَا بِشَرِّ سَاجِ

رَكِبُوا الْفِرَارَ بَعْضُهُمْ قَدْ جَرَّبُوا غِبَّ السُّرَى وَعَوَاقِبِ الْإِذْلَاجِ
وَإِذَا سَأَلْتَهُمْ مَوَالِي مَنْ هُمْ قَالُوا: مَوَالِي كُلِّ لَيْلٍ دَاجٍ

وأما رجح ابن حنصون الى بربشتر، حشد أعوانه، وجدد للعرض ديوانه، وخرج بجمعه الى البيرة، وأدار بها حرباً مبيرة، الى أن تغلب عليها بأيده، وقبض على عاملها بكيد. فأخرج الأمير عبد الله العسكر إليه، وقدم ابن أبي عبدة عليه. فلما تدانى الفريقان، وتراءى الجمعان، هجمت خيل ابن أبي عبدة على خيل ابن حنصون؛ فعكستهم عكسا، وطست آثارهم طسا؛ وأثقل ابن حنصون بالجراح، وآب من النصر صفراً الراح، قد ركب الأوعار، واحتمل الحزى والعار؛ وبلغ حصن بربشتر مفلولاً، خاسراً ذليلاً. ثم عاد الى عاده، وسيل بغيه وفساده. وفي كل ذلك كان الأمير عبد الله يهزم جيشه، ويروع بأسه جأشه، حتى خمدت نيرانه، وملت أنصاره وأعوانه. فلما توفى الأمير عبد الله، وولى الناصر لدين الله، بادر الى الطاعة، والدخول في الجماعة. ثم نكت وغان، حتى هلكته الأزمان.

جُمْلَةُ الثُّوَارِ بِلَادِ الْأَنْدَلُسِ فِي أَيَّامِ الْأَمِيرِ عَبْدِ اللَّهِ،
الْمُخَارِجِينَ عَنِ الْجَمَاعَةِ، الْمُضْرِمِينَ لِنَارِ الْفِتْنَةِ

أولم ابن حنصون؛ وقد تقدم ذكره. وتأتى بقية أخباره بحسب السنين. وثار سوار بن حمدون بحصن من شافر؛ فقام الى جعد عامل البيرة بهن معه؛ فهزم جمعه، وأخذه أسيراً، وأراه يوماً عسيراً. ثم أطلقه من عقاله، وبعه بإفضاله، * وانصرف الى البيرة بلك، ومقر أهله وولده. وسار سوار الى غرناطة، P. ١٢٨ وأغار على حصون ابن حنصون؛ فاجتمع أهل البيرة في نحو ثلاثة وعشرين ألفاً؛ فلقبهم سوار في عدد قليل؛ فلاذوا بالفرار والنفور، وصاروا كالهباء المشور؛ ونبطت بهم الحتوف كسفاً، وقتل منهم على ما ذكر اثنا عشر ألفاً، وذلك

في سنة ٢٧٦. وكانت بين سوار هذا وابن حفصون ملاقاته انقلب فيها ابن حفصون مهزوماً، وتولى ملوماً مدموماً، قد أثقل بالجراح، وقُتِلَ قُوَادُهُ في ذلك الكفاح. وكان جعد الثائر بالديرة منقفاً مع ابن حفصون على النفاق، منقفاً معه على الفساد في ملك الآفاق؛ فأعمل جعد الحيلة في الغدر بسوار جهده، وأظهر في ذلك نصبه وجهده؛ فأغار على جهته يوماً، وقد أكن هنالك قوماً. وخرج هو نفسه في نهر يسير؛ فاكسح وأغار، وأنجد في الجهة وغار. وظن سوار أن ليس وراءه أجناد تُجِدُه، ولا أمداد تُبِدُه؛ فبرز إليه بأهل المكان، وقد آمن بالظفر والإمكان. فلما انبسط من هنالك كالفرخ الأشرف، ثارت الكمان عليه كالجراد المنتشر، وأحدثت الخيل بسوار؛ فقتل نقتيلاً، وعاد عسكره مهزوماً مفلولاً. وأرسل جعد صاحب البيرة الى ابن حفصون برأس سوار، وأعلمه بالكبت الشامل لأعدائهم والموار.

ونار سعيد بن جودي في ذلك التارخ بالعرب، وعارض ابن حفصون بالحرب والحرب، حتى أغصه بريفه، وضايقه في سبيله هناك وطريقه؛ فرجع ابن حفصون الى الحيلة فيه والكيد، إذ عجز عنه بالقوة والأيد، حتى قبض عليه، وصار أسيراً لديه، وأقام عنده بسبب شهرته مكبولاً، الى أن قبل فيه ابن حفصون مالا جزلاً قبولاً؛ فأطلقه من وثاقه؛ فجد في خلافه على أمير عبد الله وشقيقه، الى أن مكر به مكرًا، وقتل في دار عشيقه له يهودية غدرًا. وتولى أمر العرب بجانب البيرة محمد بن أضحى؛ فأمر على طاعة الأمير عبد الله وأضحى؛ فداعب ابن حفصون الحرب، وعارضه بالطعن والضرب، الى أن ظفر به ابن حفصون في تلك المسالك، وصار عنده أسيراً هنالك؛ ففداه العرب منه بمال جسيم، ومشى من طاعة الأمير على منهاج قويم.

ونار العرب بإشيلية ثورة، وقبضوا على عاملها عنوة، وانتهوا طارقه ومثله، ولم يتركوا إلا أهله وولده، وقتلوا كثيراً من أعوانه، وعاثوا ما شأوا في سلطانه؛ فاجتمعت العساكر من قرمونة وسائر الأقطار، وأحاطت بإشيلية إحاطة

النَّيْلِكَ الدَّوَّارِ؛ فغلبوا على الفائزين فيها. وقتلوا منهم فرقة؛ فكانت الواقعة المعروفة بالدَّعْفَة.

ونغلب إبراهيم بن حجاج على إشبيلية تغلباً، ونصب لأحواز قُرْطُبَةَ منها حرباً وحرباً؛ وارتبط مع ابن حفصون على العبث التام، والاحتلال بقُرْطُبَةَ في ذلك العام. وتغلباً على الحصون والقلاع، وجداً في الكفاح والفراع، إلى أن انتفض ما بينهما من السلم المنظم، والعهد المحكم المنبرم. وصالح ابن حجاج الأمير عبد الله؛ فأقره بإشبيلية. وصرف إليه زمامها، وأوقف عليه أعمالها وأحكامها.

وثار دَيْسَم بن إسحاق، وغلب على مدينتي أَوْرَقَة ومُرْسِيَّة، وما يليهما من كورة نُدمِير. وكان مودوداً من طبقات الناس، رفيقاً برعيته، جواداً، منتجعاً، له إفضال على الشعراء والأدباء.

وثار عبيد الله بن أمية، وملك كورة جيان، ودخل حصن ابن عُمر⁽¹⁾ وغيره. ومنهم، عبد الرحمن بن مروان المعروف بالجليقي، افتعد مدنتي بَطْلَيْوُس^{P. 140} ومَارِدَة؛ فنارق الجماعة، وجاور أهل الشُّرْك، والاهم على أهل القبلة. ومنهم، عبد الملك بن أبي الجواد، افتعد مدينة باجة وماكها، وتحصن بحصن مازنلة، وله حظ من المنعة تشبيداً وعدة. وكان معارفاً لابن مروان. صاحب بَطْلَيْوُس في هذا التاريخ، وابن بكر صاحب أکشونية؛ فكانوا متآلبين على من خالفهم.

وثار ابن السليم، وهو مُنْدِر بن إبراهيم بن محمد بن السليم، بمدينة ابن السليم، المنسوبة إلى جده، من كورة شدونة؛ فاقصد في سيرته. ولم يظهر له الطاعة. إلى أن قتله منوك⁽²⁾ له يسمى غانده. وخلفه وليد بن وليد، وصار إلى الطاعة عند هبوب ريجها بالخليفة عبد الرحمن الناصر.

B: ودخل حصن وغيره (A). 1) Rétabli d'après *Muhtabib*, éd. Antuna, p. 9.

غلام B. 2) : ودخل حصن كذا وغيره.

ومنهم، محمد بن عبد الكريم بن إلياس، امتنع بقلعة وزد من كورة شدونة، وسعى للفتنة سعيه، ونمادى، حتى استنزله الناصر فيمن استنزل من الثوار. ومات بقرطبة.

وثار خير بن شاكر بحصن شوذر من كورة جيان، وظاهر زعيم الثوار عمر ابن حفصون؛ ففتك بخير المذكور، وأرسل برأسه الى الأمير عبد الله. ومنهم، عمر بن مضمم الهنزوني¹ المعروف بالملاحى؛ وكان جندياً مندوياً عند العامل بحضرتها؛ فوثب عليه؛ فغدره، وضبط النصبه.

² ومنهم، سعيد بن هذيل. كانت ثورته بحصن المثلون من كورة جيان؛ فبنى قصبه، وحصنها، وأعلن بالخلاف، حتى استنزله الناصر؛ فلحق بقرطبة الى أن مات².

وثار سعيد بن مسننة بكورة باغه، واقعد حصونها؛ فاستنحل أمره وشره، وعمّ أذاه، واصطفى من حصونها التي ظهر عليها أربعة لا مثيل لها في الحصانة والمنعة.

وثار بنو هابل الأربعة: أكبرهم منير بن حريز بن هابل، وأخوه أبو كرامة P. 141 هابل بن حريز، وأخوه عامر، وأخوه عمر؛ ثاروا ببعض حصون جيان في أيام الأمير عبد الله، وخلعوا طاعته، وأطلقوا الغارة، وأطلعوا أهل النساد. ثم استنزلوا؛ فنزلوا على حكم الأمان؛ فحسنت طاعتهم وخدمتهم.

³ وثار إسحاق بن إبراهيم بن عطاق العنيلي بحصن متبشة؛ فبناه وحصنه وامتنع به، الى أن استنزله الخليفة الناصر الى قرطبة؛ وبها توفي³.

ومنهم، سعيد بن سليمان بن جودي؛ أمرته عرب إغرتاظة وإبيرة؛ فضبط أمرهم، حتى دبّر عليه كبيران منهم بحيلة؛ فقتلاه بها. فلم ينظم للعرب هناك أمر بعد.

1) الهنزوني B.؛ البنزوني A.

(2-2) Manque dans B.

(3-3) Manque dans B.

وثار محمد بن أضحى بن عبد اللطيف الهمداني، من أكابر أبناء العرب بكورة البيرة، إلى أن هلك الأمير عبد الله؛ فاستنزله الناصر لدين الله عن حصنه، فبين استنزاله من الثوار. وكان ابن أضحى هذا مع رجولته أديباً بليغاً، يفوم بين أيدي الأمراء في المحافل، فيحسن القول، ويطيب الشاء. وله أخبار معروفة.

وثار بكر بن بجي بن بكر، واقعد مدينة شنت مريّة من كورة أكشونبة، وبنها حصناً اتخذ عليها أبواب حديد. وكان له ترتيب وأهبة، ورجال شجعان، وعدة موفورة. وكان ينسبه - بزعمه - في سلطانه بإبراهيم بن حجّاج. وكان له أصحاب للرأي وكتاب للعمل. وكان له عهد مؤكّد إلى جميع من في طاعته بإضافة أبناء السيل، وقراء التزبل. وحفظ المجتازين؛ فكان السالك بناحيته كالسالك بين أهله وأقاربه.

وثار ابنا مهلب، من وجوه قبائل البربر بكورة البيرة؛ وها خليل وسعيد؛ ثارا ثورة نظرائهما بجهنهما؛ فأقاما على سبيلهما إلى أن استنزل الناصر أولادها بعد وفاتهما.

وثار سليمان بن محمد بن عبد الملك الشذوني بشريش شذونة؛ وهو الذي بنى تبريشة وحصنها.

(1) وثار ابنا جرج بحصن بكور؛ ففسدت سيرتهما؛ فأخرجا عن الحصن.

فات * عبد الوهاب، ولحق محمد بن عبد الرحمن بن جرج بابن الشالية؛ P. ١٤٢
وكان مصافياً له؛ فتنبله، واستخدمه، وبنى له حصن مورينة من كورة جيان؛ فأقام فيه إلى أن استنزله الناصر ونقله إلى قرطبة (1).

وثار أبو بجي النجبي المعروف بالأنقر بمدينة سرقسطة وأعمالها، وقتل أحمد ابن البراء الفرشي عامل الأمير على سرقسطة، واستولى عليها؛ وأظهر التمسك

بطاعة الأمير عبد الله، وخاطبه، وهو ينسب ابن البراء الى الخلفاء. فأظهر الأمير نصديقه، وسجل له على سرقسطة. فثبت بها قدمه.

وفي سنة ٢٨٢، أخرج الأمير عبد الله على العسكر هشام بن عبد الرحمن ابن الحكم الى كورة نُدْمِير، في أواخر ربيع الأول. وكان القائد معه على الجيش أحمد بن أبي عبدة. ولما احتل بوادي بلون، تقدم فطبع من الخيل؛ فافتتح هنالك حصناً، وغنم ما كان فيه. وتوافقت على العسكر حتمود أهل الكور. ثم انتقل وطوى المراحل حتى حلَّ بِرُسِيَّة. ثم انتقل الى لوزقة. فخرج اليه ديسم بن إسحاق؛ فحاربته؛ فهزيم ديسم؛ ورجع الى لوزقة وأقام محاصراً حتى قتل عنه العسكر. ثم خرج ديسم بن معه؛ فضرب في الساقة؛ فرجع إليه؛ فهزيم وأُتبع حتى استغاث^١ بالوعر ونجا راجلاً، وأخذ فرسه. وقتل العسكر سالماً. وفقد في هذه الغزاة الماء، ومات فيها اثنان وثلاثون رجلاً عطشاً، وهلكت دواب كثيرة.

وفي سنة ٢٨٤، أخرج الأمير عبد الله ابنه أبان الى لبلنة. وكان ابن خصيب بحصن مُنت ميور، وكان قد ثار به؛ فحاصره، ونصب عليه المجانيق، ورماهم بها حتى ضُربوا ودَعَوْا الى الطاعة؛ وانعقد أمانهم. وفي خلال ذلك دخل ابن حفصون إسنيجة الدخلة الثانية؛ فورد كتاب الأمير باستعجال التناول بسبب إسنيجة؛ فقتل العسكر. وكانت مدة هذه الحركة شهرين ونصفاً، وهي أول حركة أبان. P. ١٤٢

وفي سنة ٢٨٥، غزا أبان ابن الأمير عبد الله الى ابن حفصون، والثائد ابن أبي عبدة.

وفيها ايضاً، غزا عباس بن عبد العزيز الى حصن كركي وجبل البرانس؛ وقتل ابن يامين وابن موجل. وأخذ حصونهما.

١) رجوع الى B.

وفيها، تقدم أبو بن محمد من طليطلة إلى حيز جيان، ونازل حصن قسطلونة؛ وكان فيها نصارى مجاربون عبيد الله بن أمية المعروف بابن الشالية؛ فأخذ الحصن، وقتل العجم. ووفاه فيه قتل أبيه محمد بن لب في محاصرته لسرقطة.

وفيها، كانت المجاعة الشديدة التي سميت السنة بها «سنة أم أظن».

وفي سنة ٢٨٦، أظهر ابن حفصون النصرانية؛ وكان قبل ذلك يسرها؛ وانفد مع أهل الشرك وباطنهم^(١)، ونفر عن أهل الإسلام، ونابذهم؛ فتنبراً منه خلق كثير. وناذره عوسجة بن الخلبع، وبنى حصن قنيط، وصار فيه موالياً للامير عبد الله، محارباً لابن حفصون. وأتصت عليه المغازي من ذلك الوقت، ورأى جميع المسلمين أن حربه جهاد؛ فتنابت عليه الغزوات بالصوائف والشواتي، ولا يبي القواد عنه في الحل والترحال. وفي ذلك قال ابن قلمزم للفائد ابن أبي عبدة [متقارب]:

ففي كل صيف وفي كل مشي غزاتان منك على كل حال
فتلك سييد العدو وهدي نبيد الإمام بها بيت مال

وفي سنة ٢٨٧ كانت الصائفة مشجونة ما بين كورة مؤزور وكورة شدونة وكورة ربة.

وفيها، قتل الفائد ابن أبي عبدة طالب بن مؤلود المؤزوري.

وفيها، صلب إسحاق وصاحبه؛ وكانا من رجال ابن حفصون؛ وفيها جرى المثل في الناس: «غزرتني^(٢) يا إسحاق!» وذلك أن أحدها قال هذه الكلمة لصاحبه، وهو يرفع في الخشبة.

وفي سنة ٢٨٨، قبضت رهائن ابن حفصون. وتحوّلت الصائفة بشدونة ١٢٢ P. وغيرها من الكور.

غزرت بي B. (2) . و. و. طمهم B. (1)

وفيها، عظم السبيل بقُرْطُبة، وانهدم رجلٌ من قنطرتها.
 وفيها، خرج من قُرْطُبة أحمد بن معاوية ابن الإمام هشام الى فحَص
 البلوط. ثمّ تقدّم الى تَرْجِيلَه؛ فأقام فيها مدّةً بسيرة. وانحسدت إليه الحشود؛
 فدخل الى سَمُورَة وبها قُتِلَ في شهر ربيع الأول.

وفي (1) سنة 2٢٩١، كان غزو أبان ابن الإمام عبد الله [رحمه الله]
 (الى رِيّة)؛ [وفاد الخيل أحمد بن محمد بن أبي عبدة. وفصل يوم الخميس
 لخمس خلون من جمادى الآخرة؛] ونهض حتى احتلّ بوادي نسفانية (3)،
 واضطرب في هذه المحلّة. وخرج إليه عمر بن حفصون؛ (ثمّ النقيبا؛) فوفعت
 بينهما حربٌ شديدة؛ ثمّ انكشفت الهزيمة على أصحاب (4) ابن حفصون؛ فقتل
 منهم عددٌ كثيرٌ؛ ثمّ أضرم قُرى وادي نسفانية وما حوالَيْها نارا (5). [ثمّ انتقل
 وحلّ على وادي بينش المجاور لبشتر، ووفعت الحرب بين أهل العسكر وبين
 ابن حفصون؛ فانهزم ابن حفصون، وقُتل له رجالٌ، وعُقرت له خيلٌ. واتصل
 الحريق في جميع قُرى تلك الناحية. ثمّ انتقل الى محلّة طَلْجيرة؛ فأقام بها أياماً،
 يجارب فيها ابن حفصون كلّ يوم، ويُنال منه. وفي هذه الأيام، *أحرفت مئة
 لجعفر بن عمر بن حفصون. وفي هذه الغزاة، حُوربت طُرُش والرجل (6)، وقُتل أخو
 زيني وجماعةٌ من حماة ابن حفصون. ونُصب المنجنيق على الرجل؛ فأثرفه

P. 140

1) Ici commencent les passages du fragment de 'Arib (ms. de Gotha) incorporés par Dozy au texte du *Bayān*. Sont signalés, comme dans le tome I^{er}: entre parenthèses (), les passages du *Bayān* qui ne figurent pas dans le ms. de 'Arib; entre crochets carrés [], les passages importants de 'Arib qui ne figurent pas dans les mss. du *Bayān*. Le manuscrit de Gotha sera signalé dans les notes de l'appareil critique par l'initiale G. 2) A. et B.: ٢٨٩. 3) A. et B. بَشَقَاية. 4) A. et B. أُتْجِلت عن هزيمة اللعين. 5) A. et B. donnent à la suite pour la fin de l'année و عمّ الإحراق جميع القرى التي على الوادي، وولى مدبراً. ثم انتقل الى حصن طُرُش بناحية: 291 وشة: فخاربه ونصب عليه المنجنيق، على حصن الرجل. وكانت مدّة هذه الغزاة ثلاثة أشهر. 6) Vocalisation incertaine.

وثلم في سوره . ثم تقلم القائد أحمد بن محمد بن أبي عبدة من حصن لوثة الى حصن الحُسن، في جرائد الخيل، وأبى أبان ابن الإمام عبد الله - رحمه الله - معسكراً بحلة لوثة؛ فحارب حصن الحُسن، وقتل عدداً من أهله، وأسر منهم جماعة، وانصرف بالرووس والأسرى الى لوثة. ثم قفل بالعسكر، ودخل قرطبة يوم الجمعة لخمس بقين لرمضان؛ فكانت هذه الغزاة ثلاثة أشهر وعشرين يوماً. وفيها، خرج لب بن محمد الى بايش¹ من أحواز آلبه، وذلك في رمضان؛ فافتتح حصن بايش وما يليه، والعليج إذقش يومئذ على حصن غرئون محاصراً لأهله. فلما بلغه دخول لب بن محمد بحصن بايش، ولّى هارباً.

وفيها، ثم في ذي الحجة، خرج لب بن محمد الى ناحية بليارش؛ فافتتح حصن الحروسه^(٢)، وحصن إيلاس، وحصن قشيل شنت، وحصن مولة، وقتل بهذه الحصون نحواً من سبعمائة عالج، وسبى بها نحواً من ألف سبية.

وفيها، توفي جعفر بن يحيى بن مزين الفقيه من أهل قرطبة؛ وكانت له رواية عن أبيه وغيره. وفيها، توفي أحمد بن هاشم القائد بمدينة غرناطة، ودفن هنالك، وهو ابن أربع وسبعين سنة. وفيها، توفي إسحاق بن عبد الله الطيب. وفيها، مات عامر بن موصل الأصبحي بحصن ناجرة]

وفي سنة ٢٩٢، [كان خروج الصائفة الى عمر بن حفصون. وتحوّل العسكر على حصونه؛ فهتك بعضها. وقوطع البعض على وظيف يودونه. وفيها،] كانت الوقعة (العظيمة) على [عمر] بن حفصون بوادي بلون [من جيان]. وكان قد² توفي إليه أهل الخلاف والخلعان، * وخرج مغيراً على المسلمين؛ ١٤٦ P. فهزمه الله، وقتل كثيراً ممن كان معه. وأدبره في شردمة قليلة، وأفنى أكثر رجاله في ذلك المعترك⁽²⁾.

نوافت اليه حشود عظيمة: Bayān (2-2) بانس (Banos) A lire sans doute 1)

لنوافي آجالهم؛ فأفنى في ذلك المعترك وقطعت دوابهم؛ وأفنت اللعين في شردمة قليلة.

أوفيتها، خرج ألب بن محمد لمحاصرة مدينة سرقسطة، وأخذ في ردم الخندق¹ المجاور لسورها وشرع في البناء عليها. فلما كمل له ردم الخندق¹ وبنیان ما فيه، رحل عنه وأدخل ندبة فيه من رجاله.

وفيهما، توفى عبد الله بن قاسم بن هلال؛ وكانت له رحلة؛ وأدخل الأندلس كتب داوود العباسي² وغيره. وفيها، توفى الوزير سليمان بن محمد بن وأنسوس، وعبد الرحمن بن أمية بن عيسى بن شهيد المعروف بدحيم، وتوفى أخواه عثمان ابن أمية وعيسى بن أمية³.

وفي سنة ٢٩٢. كان خروج الصائفة الى فهر بن أسد، وهو بحصن نش من كورة جيان؛ فافتتح الحصن، وأخذ فهراً أسيراً، وقدم به الى قرطبة؛ فأمر الامام عبد الله - رحمه الله - بصلبه عند الفصايين في ربيع الآخر.

أوفيتها، عزل محمد بن أمية بن شهيد عن المدينة؛ ووليها محمد بن غانم؛ فكانت ولايته شهوراً؛ ثم عزل، وولى مكانه موسى بن محمد بن حدير. وفيها، حبس حزمير القومس، وعذّب وأدهق حتى مات.

وفي جمادى الآخرة، دخل [الفائد] أحمد [بن محمد] بن أبي عبدة حصن قبيط من تاكرنا، وندب فيه جيشاً، واستنزل من كان فيه من بني الخليل، وأدخل فيه الحشم⁴.

أوفيتها، توفى بونس بن هائم بن عبد العزيز. وفيها، توفى دبسم بن إسحاق صاحب ندمير. وفيها، قتل يحيى بن قسي⁴، ومحمد بن إسماعيل، وأيوب ابن سليمان بطليطلة.

وفي سنة ٢٩٤، كان غزو أبان ابن الإمام عبد الله - رحمه الله - الصائفة الى الجزيرة. وقاد الخيل أحمد بن محمد بن أبي عبدة، وحل بالجزيرة

1) Correction proposée au lieu de la leçon du ms. الفرق conservée par Dozy.

2) G. العباسي. 3) G. غلاماً. Rétabli d'après le texte du Bayan. 4) G. فطام.

يوم الجمعة لتسع بقين من رجب . ثم تقدم الى حصن لوزة يوم السبت لإسلاخ رجب ؛ فحارب الحصن وحاصره ، وقتل جماعة ممن فيه ؛ ثم تقدم الى حاضرة ربة ، فيها مساور¹ بن عبد الرحمن ؛ فأحرقت أرباض الحاضرة وحوصر من كان فيها ؛ فدعا مساور الى السلم ، وبذل الرهائن . فأجيب الى ذلك ، وقبضت رهائنه ؛ ثم تقدم القائد الى الساحل ؛ فجال عليه أجمع ، وخرج على حصون البيرة ، وفضل منصرفاً الى قرطبة ؛ فدخلها يوم السبت لليلتين خلتا من ذى القعدة .

وفيهما ، خرج لب بن محمد الى جانب بسلونة ؛ فبذل في تهوره ، وشرع في البيان بحصن هريز² ؛ فحشد إليه العليج شأنجه جميع أهل بلد ، وكايد بالمكامن ؛ ثم وجه اليه خيلاً يسيرة ؛ فلما سمع الصيحة ، بدر الى الركوب ؛ فلقى بكمين . فهزمه ؛ ثم بكمين ، فهزمه ؛ ثم أحذقت به الكمائن . فقتل وقتل من كان معه ، ممن أثار الشهادة ؛ وذلك في ذى الحجة لاثنتي عشرة ليلة بقيت منه . فنزل تطيئة أخوه عبد الله بن محمد . وكان أب ، يوم قتل ، ابن ثمان وثلاثين سنة .

وفيهما ، ظهر محمد بن عبد الملك الطويل في الثغر ، ودخل حصن بربشتر وحصن النصر وحصن برطانية .

وفي سنة ٢٩٥ ، كان غزاة أبان ابن الإمام عبد الله [- رحمه الله - بالصائفة] الى جهة ربة ؛ وقاد [الخيل] (أبو العباس) [أحمد بن محمد] بن أبي عبدة ؛ [ففصد ببشتر ، وحارب ابن حفصون ، ونكاه ، وأنزل به ، وحارب ما حوالاه * من الحصون .]

P. 128

وفيهما ، غدر [سعيد بن الوليد المعروف بابن مستنة ، وتخلي عن حصن بلدة الى [عمر] بن حفصون ، وظافره ، وأبدي ما كان بضمير ، من العصيان .

1) G. مشاور . 2) Lecture douteuse ; peut-être هرين .

[وفيهما، ولى المدينة محمد بن عبيد الله بن أبي عثمان، وذلك يوم خميس؛ فاستعفى عنها؛ فأعفى يوم الجمعة ثانی ولايته، وولى مكانه علي بن محمد المعروف بالباسه؛ وكان عليها ثلاثة أيام. ثم عُزل وأعيد إليها موسى بن حدير؛ فكان والياً عليها الى آخر أيام الإمام عبد الله؛ وأقره أمير المؤمنين - رحمه الله - الى سنة ٣٠٢.

وفيهما، دخل محمد بن عبد الملك الطويل حصن منبشون ومدينة لاردة في المحرم.

وفيهما، دخل محمد بن عبد الرحمن النجيبى مدينة شبة. وفيها، خرج محمد بن عبد الملك الطويل الى برطانية؛ فافتتح حصوناً جمّة، وسبى سباً كثيراً.

وفيهما، توفى النقيب بجي بن عبد العزيز بن الجرار، والنقيب محمد بن غالب ابن الصفار، ومحمد بن بجي بن أبي غسان صاحب السوق. وولى أحكام السوق بجي بن سعيد بن حسان. وفيها، توفى موسى بن محمد بن موسى بن فطيس الخازن [٠].

وفى سنة ٣٩٦، كان غزو أبان [ابن الإمام عبد الله بالصائفة الى حصون رية وغيرها]. وقاد الخيل معه أحمد بن محمد بن أبي عبدة؛ فنصد ناحية بيشتر، [ونازل ابن حصون، وحاربه ونكاه]؛ وتحرك عيسى بن أحمد [الفائد غازياً] الى حصون سعيد بن مسننة؛ [فنازله أيضاً]، حتى قفل الفائد أحمد ابن محمد من بيشتر. ثم نازل حصن لك من حصون ابن مسننة؛ فأقام عليه حتى افتتحه. P. ١٤٩

[وفيهما، خرج محمد بن عبد الملك الطويل الى بليارش في شهر رمضان؛ فقتل هنالك منلة عظيمة. ووفد عليه رسل أهل حصن روطه، يرغبون الصلح ويسعون بالرهائن والحجزية؛ فلم يجيبهم الى ذلك؛ فخرجوا هاربين من الحصن،

وأخلوه. وتفلّم إليه؛ فهدمه. وفيها، تغلب على حصن مُنت بطرُوش، وهو المعروف بجبل الحجارة.

وفيها، توفي محمد بن سليمان بن تليد البعافري فاضى مدينة وشقة. وفيها، توفي عبيد الله بن محمد بن أبي عبدة؛ وكان حجّ قبل وفاته بثلاثة أعوام، هو ويحيى بن سعيد بن حسان صاحب السوق. وفيها، توفيت السيدة ابنة مطرف ابن الأمير عبد الرحمن بن الحكم - رحمهما الله - . وفيها، توفي أحمد بن حفص بن رفاع النقيبه المقرئ¹.

وفي سنة ٢٩٧، [كان غزو العاصي ابن الإمام عبد الله - رحمه الله - الغزاة المعروفة بغزوة ربة وفريرة. وقاد الخيل أحمد بن محمد بن أبي عبدة. وفصل يوم الخميس لتسع بقين من شعبان؛ فتقدم الى بلدة؛ فحاربها. ثم احتل على نهر طلجيرة؛ فدارت بينه وبين أصحاب ابن حفصون حرب. عُقرت فيها خيل السلطان، وقُتل عددٌ من أصحاب ابن حفصون. ثم تقدم الى حصون البيرة؛ فنزل على حصن شيلش؛ فكانت هنالك حرب شديدة، ونالت بعض حماة العسكر جراح. ونجول في كورة البيرة، وحلّ بمحلة بجانة؛ ثم قتل على كورة جيان؛ فنازل حصن المتلون يوم الأربعاء لليلتين بقينا من ذى القعدة؛ فأقام عليه محاصراً أياماً؛ ثم ضحى فيه يوم الأحد، وقفل يوم الاثنين لإحدى عشرة ليلة خلت من ذى الحجة، ودخل قرطبة يوم الأربعاء لأربع عشرة ليلة خلت من ذى الحجة.

وفيها، [افتتحت بياسة؛ واستنزل منها محمد بن يحيى بن سعيد ابن بزبل¹].
 (وفيها، كان سيلٌ عظيمٌ غرقت منه أركان بيت الله الحرام، وفاضت بشر زمزم؛ ولم ير مثل هذا السيل في قديم الأزمان.)

وفيها، اجتمع [عمر] بن حفصون، و[سعيد] بن مسنن، و[سعيد] بن هذيل، وضئهم عسكرٌ واحدٌ؛ فضربوا بناحية جيان وأغاروا؛ فأصابوا وغنموا¹،

1) وأخذوا المواشى والدواب: Bayān.

وانصرفوا الى حصن جريشة ؛ فأتبعهم القائد أحمد بن محمد بن أبي عبدة ؛ فلحقهم، وهزمهم، وقتل جماعة منهم، [فيهم تسريل العجمي، من قواد ابن حفصون.]¹ وفيها، افتتح القائد أحمد بن محمد بن أبي عبدة حصن الزبيب، وابنى حصن ترضيض تضييفاً على ابن هذيل، وحصن قلعة الأشعث، ووضع فيه ندباً من الرجال. وشتى القائد هذه السنة بجبل ارش² من كورة قبرة. وكانت له في هذه الشتوة حركات بالغت في نكاية أهل النفاق¹.

وفيها، خرج محمد بن عبد الملك الطويل الى بار بليارش ؛ فافتتح حصن أوزيوالة، وأصاب من المشركين ثلاثمائة سيئة، وقتل كثيراً منهم، وهدم الحصن وحرقه. وتقدم الى حصن غلنير والغبران ؛ فهدمهما. وكان مبلغ الفداء في هذه الغزاة ثلاثة عشر ألفاً.

وفيها، قتل إبراهيم بن حجاج ابن عمه أحمد بن سيد بن عمر بن عمير، وهو ابن خمس وأربعين سنة.

وفيها، وذلك يوم الخميس لسبع بقين من ذي الحجة، اعتقل موسى ابن محمد بن حدر صاحب المدينة إبراهيم ومحمداً وسعيداً بنى الأمير محمد P. 101 - رحمه الله - وابن أخيه محمد بن عبد الملك ابن الأمير محمد - رحمه الله - وحبسهم في دار مطرف ابن الأمير عبد الله. وكان سبب ذلك ان الإمام عبد الله - رحمه الله - عهد اليه ألا يترك أحداً يجوز القنطرة إذا كان له خروج للصيد. وكان يصيد الإمام في تلك الجهة بعدوة النهر. فخرج الإمام في هذا اليوم منصيداً. وخرج هؤلاء من المدينة متروحين ؛ فردم واعتقلهم. فلما انصرف الأمير - رحمه الله - من صيده، أنهى اليه أمرهم وما فعله فيهم ؛ فاستحسن ذلك منه، وشكر له، وعهد اليه بإطلاقهم.

وفيها، بنى القائد أبو العباس على ابن هذيل حصن مرصيص. وشتى القائد: Bayān: (1-1) بقلة ارش برية. 2) Muḳtabis, éd. Antuña, p. 146. Il faut lire probablement أيرش.

وفي سنة ٢٩٨، خرج العاصي ابن الإمام عبد الله [رحمه الله] بالصائفة. وقاد الخيل أحمد بن محمد بن أبي عبدة؛ [افتقد] إلى [حصن] ببشتر وغيره من حصون الساحل [بكورة رية]. ثم تقدم بالعسكر إلى كور البيرة؛ فحطم زرعها، وهشم ثمارها.]

وفيها، [أقام عيسى بن أحمد بن أبي عبدة في قطيع من الخيل بمدينة بيانة؛ ف] [أغار] [عمر] بن حفصون [وسعيد] بن مسنن في بسط قبرة وقرى فرطية، (وأخذوا الغنائم؛) فخرج عيسى بن أحمد طالباً لهما، ^(١) فالتقى بهما على نهر ألية؛ فدارت بينهم حربٌ شديدة، وانهمز عمر بن حفصون وابن مسنن؛ فقتل من أصحابهما خلقٌ كثير، وافترقوا أيادي سباً. وبعث عيسى بن أحمد من رؤوسهم عدداً كثيراً ^(١).

[وفيها، غزا الوزير عباس بن عبد العزيز إلى مدينة قلعة رباح؛ وكان أهلها قد خالفوا، وخلعوا الطاعة؛ فافتتحها. وكان فضل بن سلمة، ختن سعيد ابن مسنن، قد خالف بحصن * أشر؛ فتفرّب أهل حصن أشر بقتله إلى الإمام ^{١٥٢} عبد الله - رحمه الله! - فقدم منهم قومٌ برأسه إلى باب السدة؛ فشكر لهم ذلك. وفيها، خرج عباس بن أحمد بن أبي عبدة قائداً على خيل كنيفة إلى المنتلون لحرب سعيد بن هذيل. وفيها، تداعى البربر الطنجيون الذين كانوا غزوا مع القائد أحمد بن محمد بن أبي عبدة إلى التروع إلى مدينة بلدة إلى ابن حفصون؛ وتداعى الطنجيون الذين كانوا مع عباس بن أحمد إلى المنتلون إلى التروع إلى ابن هذيل؛ فخرجوا عن العسكر، ولحقوا بأهل الكفر والخلعان. ثم دارت الدائرة على هؤلاء وهؤلاء في الموضعين جميعاً لأمر أحدثوها، واستدرجهم الله - عز وجل - بها؛ فقتلوا ببشتر والمنتلون. وعاد من بقي منهم إلى الطاعة. وكان صاحب الصائفة العاصي ابن الأمير عبد الله؛ وكان

فأدركهم وهزمهم وقتل منهم مقلّة عظيمة وأخذ لوائهم وافترقوا على ⁽¹⁻¹⁾ *Bayan*: غير طريق.

فصوله هذه الغزاة يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من شعبان، وهو يوم النصف من أبريل. وكانت في هذه الغزاة أمراضٌ ووباءٌ.

وفيها، خرج محمد بن عبد الملك الطويل الى أرغون يريد بنبلونة وأن يجتمع هنالك مع عبد الله بن محمد بن لب. فانتهى الى حصن البربر؛ فأحرق ما حوالاه، وهدم كنائس تلك المواضع، وذلك في شهر رمضان. وعرج عن ملافاة ابن لب وعن النصد الى بنبلونة، وانصرف؛ فاحتل حصناً من حصونه يعرف بشار قشنيته؛ فأندربان ابن شانجه يريد الهجوم عليه؛ فخرج في بعض أصحابه منسلاً. فلما أيقن أهل العسكر بهروب ابن الطويل، تخاذلوا؛ فكان سبباً لانهمزام أهل الحصن. فلما بلغ عبد الله بن لب الخبر، وإن ابن الطويل كع عن ملافاة شانجه، نزل بمن معه من المسلمين على حصن لوازة من حصون شانجه؛ فقتل جماعة منهم وكرّ راجعاً؛ فالتقى ببعض الخيل التي كان فيها شانجه؛ فقتل فيهم وسبي.

وفيها، استشهد ابن أبي الخصب النطيلي، واسمه نعم الخلف؛ وكان نبلاً أديباً، وفقهاً محدثاً.

وفيها، مات إبراهيم ابن الإمام محمد - رحمه الله - وفيها، توفي معاوية ابن محمد بن هشام القرشي؛ وعثمان ابن الأمير محمد - رحمه الله -؛ ومطرف ابن أحمد بن مطرف ابن الأمير عبد الرحمن - رحمه الله -؛ وأبان بن عبد الملك ابن الأمير عبد الرحمن - رحمه الله - . وفيها، توفي محمد بن أمية بن عيسى بن شهيد الوزير، صاحب المدينة. وفيها، توفي سعيد بن عبد الرحيم الشدوني الكاتب؛ وأبو يحيى يزيد بن محمد التجيبي الخازن؛ وموسى بن العاصي بن نعلبة؛ وأبو مروان عميد الله بن يحيى بن أبي عيسى؛ وأصغ بن عيسى بن فطيس؛ وإبراهيم بن حجاج صاحب إشبيلية، وهو ابن ثلاث وستين سنة؛ وعمر بن قويس الكاتب؛ وريان التي صاحب الطراز؛ وأفلح الوصيف.

[وفي سنة ٢٩٩، كان غزاة القائد أحمد بن محمد بن أبي عبدة الى حصن
مَنْجَالَةَ من حصون ابن هُدَيْل، بالقرب من جبل المَسْتَلُون، وذلك في صدر
المَحْرَم؛ فحاصره أشدَّ الحصار، حتى افتتح الحصن.

وفيها، غزا بالصائفة أبان ابن الإمام عبد الله - رحمه الله - وقاد الخيل
عبَّاسُ بن عبد العزيز الوزير. وفصل يوم الاثنين لتسع بفين من شعبان،
وقصد حصن بَيْشْتَر، وحارب ابن حنصون، وأوقع به. ثمَّ خرج بيَّاتره أحمد
ابن محمد بن أبي عبدة؛ فتولَّى القيادة مكانه، واستقدم عبَّاس بن عبد العزيز
الى قرطبة؛ فقصد القائد حصون ابن حنصون، وحارب من كان فيها. ١

وفي هذه السنة، كُسفت الشمس^(١) [جميعاً قبل وقت الغروب، وذلك يوم
الأربعاء ليلة بقيت من شوال؛] وظهرت النجوم. وبدر أكثر أهل المساجد؛^(٢)
فأذَّنوا لصلاة المغرب، وصلوا. ثمَّ انجلى ذلك، وعادت الشمس مُضِيئَةً. ثمَّ
توارت للمغيب^(٢).

[وفيها، خرج محمد بن عبد الملك الطَّوِيل الى وادي بَرَشْلُونَة؛ فأغار بوادي
طَرَّاجَة. فخرج عليه العَلِج شَيْبَر^(٣)؛ فأخذ عليه المضايق. فلما كَرَّ عسكر المسلمين،
ألفوا أعداء الله على تلك المضايق؛ ففتح الله للمسلمين عليهم، وقتلوا فيهم
مقتلة عظيمة.

وفيها، توفى عبد الله بن أبي زيد صاحب الخيل. وفيها، توفى أصبغ بن
مالك الزاهد النقيبه. وفيها، هلك العَلِج إِذْفُنْش؛ وكانت مدة أيامه أربعاً
وأربعين سنة؛ وولى ابنه غَرْسِيَةَ مكانه. ١

1- Le Bayan place cette éclipse sous l'année précédente.

2) Bayān: وعمت الظلمة وصلى أكثر الناس المغرب؛ ثم انحلت الشمس وأضأت قدر: نصف ساعة قبل؛ ثم توارت.

3) G. سنته.

شأن ابني الأمير عبد الله، محمد ومطرف

(كان الأمير عبد الله قد رشح ابنه محمداً لولاية عهده، وأثره بما عنده؛ فعظم الأمر على أخيه مطرف، وبعد ما بينهما كل البعد، وقابل الواحد الثاني بالهجران والصدد. فوجد مطرف يوماً فارساً من فرسان محمد؛ فاغتاله وقتله؛ ثم فرق من أبيه عبد الله وحذير سطوته، ولم يأمن صوته؛ فسار إلى الحين وفتنه، وحل من شدة أبوه وأوثقه، وخرج من فيه من أهل الذمارة والفساد، ولحق بربشتر فاعده أهل الضلال والعناد، وصار عبد ابن حفصون، في حرز من الأمن مصون. ثم إن الأمير عبد الله أباه خاطبه بالأمان، وقال: «يسئ الاسمُ الفسوقُ بعد الإيمان!»¹⁾ فقبل من أبيه، وانصرف إلى أهله وذويه. ولم يزل بعد ذلك مطرف يغري بمحمد إغراء، ويطوى له عداوة وبغضاء. ويزعم أنه بخاطب ابن حفصون ويدخله، ويدأبه على القيام على أبيه وبواصله. فسجن الأمير عبد الله محمداً في دار البيعة، وامنعن خلال ذلك عين الحديقة. فلما واصل في البحث صباحه ومساءه، لم يفرغ سمعه من جهته ما ساءه؛ فأسرع إطلاقه، وحل وثاقه؛ فدحل مطرف إليه، وأجهز في الحين عليه، وتركه منخبطاً في دمه، ملقى على وجهه وفمه. فلما علم ذلك الأمير عبد الله، أعظم ذلك منه، وهمم بقتله عنه؛ فلم يعد من كسر عليه ذلك؛ فتركه. وقيل: قتله فيه: والله أعلم. وكان ذلك في سنة ٢٧٧هـ.²⁾

شأن القاسم، أخي الأمير عبد الله

كان الأمير عبد الله قد اتهم أخاه بالقيام عليه في الملك، وإبراده موارد الهلك. فلما كثر بذلك الرفع إليه، وتتابع الكلام فيه عليه، رأى بمتنوى الرياسة، وحكم التدبير والسياسة، أن يجسه في دار البيعة من النصر، حتى

1) Cor., XLIX, 11.

2) A. et B. ٢٩٧.

يكشف من هذا الأمر. ثم نقله منها الى حبس الدويرة؛ فمُنِعَ النَّوْمَ هُنَاكَ؛
فَأَرْسَلَتْ لَهُ أُمَّهُ مُرْقِداً لَدَيْكَ، وَأَمَرَتْهُ أَنْ يَفْسِهُ عَلَى ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ؛ فَشَرِبَ
الْجَمِيعَ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ؛ فَأَصْبَحَ رَهْنًا الْحِمَامِ.

وفي سنة ٢٠٠، كان وفاة الإمام عبد الله [بن محمد] - رحمه الله -
[ليلة الخميس] مسنهل ربيع الأول، وهو ابن اثنين وسبعين سنة. وكانت
خلافته خمساً وعشرين سنة، وخمسة عشر يوماً. [ودفن في قصر قرطبة مع
أجداده الخلفاء - رضى الله عنه وعنهم! - وصلى عليه أمير المؤمنين عبد الرحمن
ابن محمد - رضى.

صفة الإمام عبد الله بن محمد: كان أبيض، أصهب، مُشْرِباً بَجْهَرَةً، أزرَقُ
أَقْفَى بِخَضَبٍ بِالسَّوَادِ، رُبْعَةً إِلَى الطَّوْلِ، عَظِيمٌ * الْكَرَادِيسِ.

P. 107

نسبة أولاد الإمام عبد الله: ممن وُلِدَ لَهُ قَبْلَ الْخِلَافَةِ: مُحَمَّدٌ أَبُو أَمِيرِ
الْمُؤْمِنِينَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ - رَحِمَهُمَا اللَّهُ -، أُمُّهُ: دُرٌّ، وَأَحْمَدُ، أُمُّهُ: نَمَامٌ؛
وَمُطَرِّفٌ، وَسَلْبَانٌ، أُمُّهُمَا: غَزْلَانٌ؛ وَأَبَانٌ، لَأُمُّ وَوَلَدٌ تَسْمَى شَانٌ؛ وَعَبْدُ
الرَّحْمَنِ؛ وَعَبْدُ الْمَلِكِ؛ وَالسَّيِّدَةُ؛ وَعَائِشَةُ؛ وَالسَّيِّدَةُ أُخْرَى، أُمُّهُنَّ: غَزْلَانٌ؛
وَهَشِيبَةُ، أُمُّهَا: قُرَيْشٌ؛ وَأَسْمَاءُ؛ أُمُّهَا فَتْيَانٌ؛ وَحَكِيمَةُ، أُمُّهَا: مَلَكٌ؛ وَالنَّهَّاءُ، أُمُّهَا:
دُرٌّ؛ وَفَاطِمَةُ، وَكَانَتْ أَسْنَى وَلَدِهَا. وَمِمَّنْ وُلِدَ لَهُ بَعْدَ الْخِلَافَةِ: الْعَاصِي لِمُسْتَنْظَرَفٍ،
وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ لَخَدِيعٍ، وَمُحَمَّدُ الْأَصْغَرُ، وَأَحْمَدُ الْأَصْغَرُ، أُمُّهُمَا: مَلْحَةٌ، وَرُقَيْيَةُ،
وَزَيْنَبُ لِمَلْحَةٍ، وَفَاطِمَةُ لِمَاجِنٍ، وَزَيْنَبُ لِشَارِقٍ، وَفَاطِمَةُ الصُّغْرَى لِدُرِّ.

ذَكَرُ حُجَّابُهُ وَوُزَرَائِهِ وَكُتَّابُهُ وَأَصْحَابُ شُرُطِهِ: أَلْفَى الْإِمَامُ عَبْدِ اللَّهِ عَلَى
الْحِجَابَةِ وَقَتَ وَفَاةِ الْإِمَامِ الْمُنْدِرِ - رَحِمَهُمَا اللَّهُ - عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أُمِيَّةَ بْنِ
شُهَيْدٍ؛ فَأَمَضَاهُ عَلَيْهَا؛ ثُمَّ عَزَلَهُ، وَوَلَّى مَكَانَهُ سَعِيدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ السَّلِيمِ؛ ثُمَّ
عَزَلَهُ، وَلَمْ يُؤَلِّ بِعَدِّ الْحِجَابَةِ أَحَدًا. وَالْوُزَرَاءُ: بَرَاءُ بْنُ مَالِكِ الْقُرَشِيُّ؛ عَبَّاسُ
ابْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْقُرَشِيُّ؛ سَعِيدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ السَّلِيمِ؛ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ

ابن أمية. وقاد الخيل بالصوائف عبيد الله بن محمد بن أبي عبدة. وولى
الكتابة أحمد بن محمد بن أبي عبدة. وقاد بالصوائف سلمة بن علي بن أبي
عبدة؛ عبد الرحمن بن حمدون بن أبي عبدة؛ حفص بن محمد بن بسيل. ولى
المدينة مع الوزارة محمد بن وليد بن غانم. ولى المدينة مع الوزارة أصبغ بن
عيسى بن فطيس؛ عبد الله بن محمد الزجاجي، وكان كاتباً ووزيراً؛ سليمان بن
محمد بن وأنس؛ أحمد بن هاشم. وقاد الخيل جعفر بن عبد الغافر. وقاد
الخيل العاصي بن عبد الله بن ثعلبة؛ تمام بن عمرو بن علقمة (وكان وزيراً
P. 157 لثلاثة من الخلفاء)؛ عبد الله بن حارث بن بزيع؛ إبراهيم بن خبير؛ محمد
ابن أمية بن شهيد. وولى المدينة نصر بن سلمة، وولى القضاء موسى بن
زياد؛ وولى الكتابة والشرطة والقضاء. ومن أصحاب الشرطة موسى بن زياد،
ثم ولى مكانه، لما ولى القضاء، يحيى بن زياد عمه؛ ثم مات يحيى بن زياد،
وبقيت الشرطة دون والي ستين؛ ثم وليها قاسم بن وليد الكلبي؛ فبقي عليها
حتى توفي الإمام - رحمه الله!

ومن كتّابه: عبد الله بن محمد الوزير؛ عبيد الله بن محمد بن أبي عبدة؛
موسى بن زياد. ومن قضائه: النصر بن سلمة النيسبي؛ ثم موسى بن زياد؛ ثم
محمد بن سلمة أخو النصر؛ ثم أعيد النصر بن سلمة ثانية؛ ثم عزل وولى
محمد بن سلمة؛ ثم مات، وولى بعده أحمد بن محمد بن زياد اللخمي¹.

بعض أخبار الأمير عبد الله بن محمد - رحمه الله -

على الجملة¹

كان الإمام عبد الله مقنصداً، يظهر ذلك في ملبسه وشكله وجميع أحواله.
وكان حافظاً للقرآن، كثير التلاوة له. وكانت له صدقات كثيرة ونوافل

1) ذكر فضائله رحمه الله G. 1)

جزيلة. وكان) مُتَقَدِّمًا فِي وَرَعِهِ وَفَضْلِهِ، مُحِبًّا لِلْخَيْرِ وَأَهْلِهِ، [كثير الصلاة]، دائم الخشوع والذكر لله [عز وجل]، [كثير التواضع]، [منكرًا للسرف ومبعدًا لأهله]، شديد الوطأة على نوى الظلم والجور. [وكان] مُتَسَنِّبًا فِي ضُرُوبِ الْعُلُومِ، [بصيرًا بأغاث العرب]، فصيح اللسان، حسن البيان [وكان لا يخلو في أكثر أيامه من مقاعدة وزرائه ووجوه رجاله]؛ فإذا انتضى خوضهم في الرأي والتدبير لأسباب مملكته وما كان يحاوله من حسم علم الفتنه، خاض معهم في الأخبار والعلوم. ولم يكن ممن اشتغل بلذة، أو قارَفَ شيئًا من الأنيذة في أيام خلافته * ولا قبلها. وهو ابني الساباط بين القصر والجامع بمدينة قرطبة، رغبة في ١٥١. شهود الجمعة، ومحافظة على الصلوات، وحسبًا للصالحات. وكان يقعد في الساباط قبل صلاة الجمعة وبعدها؛ فيرى الناس، ويشرف على أخبارهم وحركاتهم، ويسرُّ بجماعاتهم، ويسمع قول المتظلم؛ ولا يخفى عليه شيء من أمور الناس. وكان يقعد أيضًا على بعض أبواب قصره في أيام معلومة؛ فتُرفع إليه فيه الظلمات، وتصل إليه الكتب على باب حديد قد صنع مُشْرَجًا لذلك؛ فلا يتعدَّر على ضعيف إيصال بطاقة يده، ولا إنهاء مظلمة على لسانه. وكان أهل المكانات وذوو المنازل والأقدار يتحفظون من كل أمر يوجب الشكوى بهم، ويتقبضون عن التعامل على من دونهم، ويهابون عقابه، ويجذرون إنكاره، ويتحزرون موافقة مذاهبه. وكانت اللذات مهجورة في أيامه، واللهو غير مقترف من جميع خاصته وعامته، وإعمال الخير وإظهار البر والتقوى فاش في كل طبقة من رجاله ورعيته. وكان - رحمه الله - كثير الاستغفار لله عز وجل، ومتحفظًا من البين باسمه؛ فإذا حلف له حالف بالله، صدقه؛ وإذا شفع به إليه شافع، شفعه؛ أو خائف، أمنه؛ أو مذنب، صفع عنه. ومآثره كثيرة، وفضائله محفوظة مذكورة. [وكان قد فتح بابًا في القصر، سماه باب العدل. وكان يقعد فيه للناس يوميًا معلومة] يعني الجمعة، يُبَاشِرُ أَحْوَالَ النَّاسِ بِنَفْسِهِ، وَلَا يَجْعَلُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمَظْلُومِ سِتْرًا. وكان بصيرًا باللغات، حافظًا لأشعار العرب وأيامها وسير الخلفاء،

راوية للشعر. وكانت اللذات في أيامه مهجورة؛ فإنه لم يشرب قط نبيذاً ولا مسكراً. واعتذر إليه يوماً بعض مواليه؛ فقال له: «إِنَّ مَخَايِلَ الْأُمُورِ لَتَدُلُّ عَلَى خِلَافِ قَوْلِكَ وَتُنْبِي عَنْ بَاطِلِ تَنْصَلِكَ. وَلَوْ أَقْرَرْتَ بِذَنْبِكَ، وَاسْتَغْفَرْتَ لَجُرْمِكَ، لَكَانَ أَجْمَلَ بِكَ، وَأَسَدَلَ لِسِرِّ الْعَفْوِ عَلَيْكَ!» فقال: «قد اشتعل الذنبُ عليَّ، وحقَّ الخطاءُ بيَّ! وإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ، وَمَا يَفُومُ لِي عَذْرًا!» فقال: «مَهْلًا عَلَيْكَ، رُوَيْدًا بِكَ! تَقَدَّمْتَ لَكَ بِخِدْمَةٍ، وَتَأَخَّرْتَ لَكَ تَوْبَةً؛ وَمَا لِلذَّنْبِ بَيْنَهُمَا مَدْخَلٌ. وَقَدْ وَسَّعَكَ الْغُفْرَانُ!»

وأملى كتاباً إلى بعض عماله: «أَمَّا بَعْدُ، فَلَوْ كَانَ نَظْرُكَ فِيهَا خَصَّصْنَاكَ بِهِ، وَاهْتَبَأْنَاكَ بِهِ عَلَى حَسَبِ مَوَاتَرَتِكَ بِالْكَتَبِ وَاسْتِغْلَالِكَ بِذَلِكَ عَنْ مُهِمِّ أَمْرِكَ، لَكُنْتَ مِنْ أَحْسَنِ رِجَالِنَا عِنَاءً، وَأَتَمِّهِمْ نَظْرًا، وَأَفْضَلِهِمْ حَزْمًا. فَأَقْبِلْ مِنْ الْكَتَبِ فِيهَا لَا وَجْهَ لَهُ وَلَا نَفْعَ فِيهِ، وَاصْرِفْ هِمَّتَكَ وَفِكْرَتَكَ وَعِنَايَتَكَ إِلَى مَا يَبْدُو فِيهِ اكْتِفَاؤُكَ، وَيُظْهِرُ فِيهِ غِنَاؤُكَ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ!»

وكتب أحدُ الوزراء إليه كتاباً في أمر. فوقع فيه [خفيف]:

أَنْتَ يَا تَضْرَأِيْدَهُ لَمْ تَسْتَ تُرْجِي لِفَائِدَهُ
إِنَّمَا أَنْتَ عُدَّةٌ لَكَنْفِي وَمَائِدَةُ

وكان - رحمه الله - تقياً نقياً. بنى الساباط من القصر إلى الجامع، محافظاً منه على الصلوات. والتزم الصلاة مع الجماعة إلى جانب المنبر دائماً حتى لفتى ربه. وكان - رحمه الله - شاعراً مطبوعاً؛ له أشعارٌ حسان. فمن قوله ينزل في صباه [منسرح]:

وَيَجِي عَلَى شَادِنِ كَعْبِلِي فِي مِثْلِهِ يُخْلَعُ الْعِدَارُ
كَأَنَّهَا وَجَنَّتَاهُ وَرَدُّ خَالَطَهُ النُّورُ وَالْبَهَارُ
فَضِيبُ بَانَ إِذَا تَشَى يُدِيرُ طَرْفًا بِهِ أَحْوَارُ
فَصَنُو وَدِي عَلَيْهِ وَقَفْتُ مَا اطَّرَدَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ

ومن قوله أيضاً في مثل ذلك - رحمه الله - [رجز]:

يَا مُهْجَةَ الْمُشْتَاكِ مَا أَوْجَعَكَ وَيَا أَسْبَرَ الْحُبِّ مَا أَخْضَعَكَ
 وَيَا رَسُولَ الْعَيْنِ مِنْ لَحْظِهَا بِالرَّدِّ وَالتَّبْلِيغِ مَا أَسْرَعَكَ
 تَذَهَبُ بِالسِّرِّ فَتَأْتِي بِهِ فِي مَجْلِسٍ تَخْفَى عَلَى مَنْ مَعَكَ
 كَمْ حَاجَةٍ أَنْجَزْتَ أَسْرَارَهَا تَبَارَكَ الرَّحْمَانُ مَا أَطْوَعَكَ¹

ومن قوله في الزُّهْدِ [كامل]:

يَا مَنْ يُرَاوِعُهُ الْأَجَلُ حَتَّى تَمَّ يُلْهِبِكَ الْأَمَلُ
 حَتَّى تَمَّ لَا تَخْشَى الرَّدَى وَكَأَنَّهُ بِكَ قَدْ نَزَلَ
 أَغْفَلْتَ عَنِ طَلَبِ النَّجَاةِ وَلَا نَجَاةَ لِمَنْ غَفَلَ
 هَيْهَاتَ يَشْغَلُكَ الْمُنَى وَلَمَّا يَدُومُ لَكَ الشَّغْلُ
 فَكَيْفَ يَوْمَكَ لَمْ يَكُنْ²

وله أيضاً في الزُّهْدِ [وافر]:

أَرَى الدُّنْيَا تَصِيرُ إِلَى فَنَاءٍ وَمَا فِيهَا شَيْءٌ³ مِنْ بَقَاءٍ
 فَيَا دِرُّ بِالإِنَابَةِ غَيْرَ وَإِنْ⁴ عَلَى شَيْءٍ يَصِيرُ إِلَى فَنَاءٍ
 كَأَنَّكَ قَدْ حُمِلْتَ عَلَى سَرِيرٍ وَغُيِّبَ حُسْنُ وَجْهِكَ فِي الثَّرَاءِ
 فَسَافِسُ فِي التُّفَى وَاجْنَحْ إِلَيْهِ لَعَلَّكَ تُرَضِيئُ رَبَّ السَّمَاءِ

ولم يزل - رحمه الله عليه - يرفع منار الدين، ويسلك سبيل المهندسين، لم تمنعه الفتن عن النظر لنفسه، والعمل ليوم فاقته وحلول رَمَسِهِ. وكانوا يعدونه من أصلح خلفاء بني أمية بالأندلس، وأمثلهم طريفة، وأتاهم معرفة، وأمنتهم ديانة، إلا أنه كان منغص الحال بدوام الفتنة، وتضييق نطاق الخطئة، ونقصان مقدار التزكية، حتى كان ينخله الرياء تحت قناع نقواه، والبخل أطوقه طبيعة ليست له نخط من هواه، وغيص دينه لما كان من هوان الدماء عليه، بسبب

1) Ce vers manque dans A. 2) قد أتى 3) لحي 4) B. رآه.

الفن الطارئة حتى من ولديته، آخذاً لأكبرها بالظننة. وقد صرح الفقيه أبو محمد بن حزم بنتم هذا الأمير، وقال إنه كان قتالاً تهنون عليه الدماء مع كثرة إقباله على الخيرات، وإعراجه عن المنكرات؛ فإنه احتال على أخيه المنذر على إثاره له، وواطأ عليه حجامه بأن سم له البيضع الذي فصده به، وهو نازل بعسكره على ابن حفصون. ثم قتل ولديته معاً بالسيف واحداً بعد واحد: قتل محمداً والد الناصر لدين الله، وقتل أخاه المطرف؛ ثم قتل أخوين له معاً أيضاً: قتل هشاماً منهما بالسيف، والقاسم بالسم. والله أعلم بحقيقة أمره.

خِلافة أمير المؤمنين عبد الرحمن بن محمد الناصر لدين الله

(نسبه: هو عبد الرحمن بن محمد، الذي قتله أخوه مطرف، ابن الأمير عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم الرضي بن هشام الرضي بن عبد الرحمن الداخل. كنيته: أبو المطرف. لقبه: الناصر لدين الله. أمه: أم ولد تسمى مزنة¹). عمره: ثلاث وسبعون سنة وسبعة أشهر. ولي في اليوم الذي توفى فيه جده الأمير عبد الله وبويع فيه، وذلك يوم الخميس مستهل ربيع الأول سنة ٢٠٠. وتوفى يوم الأربعاء لليلتين خلتا من شهر رمضان المعظم سنة ٢٥٠؛ فكانت خلافته خمسين سنة وستة أشهر وثلاثة أيام. صنته: أبيض، ربة، أشهل، حسن الجسم، جميل، بهي، بخضب بالسواد.

فضائه: أحمد بن محمد بن زياد؛ ثم عزله وولى أسلم بن عبد العزيز بن هاشم؛ ثم أحمد بن محمد بن زياد ثانية؛ ثم أحمد بن بغي؛ ثم منذر بن سعيد البلوطي.

نقش خاتمه: «عبد الرحمن بقضاء الله راض». وكان أبوه ولي عهد

P. 172 أبيه عبد الله وأكبر بنيه؛ فقتله أخوه مطرف، وقتله أبوه به. وقيل في ذلك كلام كثير.

١) مزنة B.

وكان مَوْلِدُ الناصر قبل قتل أبيه محمدَ بأحد وعشرين يوماً، وذلك يوم الخميس لثمان بقين من رمضان سنة ٢٧٧. وكان جدُّه الأمير عبد الله بعظيِّه دون بنيه، ويوى إليه، ويرشحه لأمره، ورُبِّها أقعد في بعض الأيام والأعياد مقعداً نفسه لتسليم الجند عليه. فنعلقت آمالُ أهل الدولة به، ولم يشكوا في مصير الأمر إليه. فلما مات جدُّه، أجلسوه مكانه في الخلافة دون ولده لصلبه (1)، لما أراد الله من ضخامة الملك ونصر الإسلام وإيادته الشِّرك؛ اتفق له في ذلك ما لم يتفق لملك قبله ولا بعده (2). وكان يسكن القصر مع جدِّه دونهم؛ فنهياً إجلاله دونهم مكانه بغير منازعة. وقيل إنَّ جدَّه رى بجاته إليه إيابة منه لاستخلافه. فكان أوَّل من بايعه أعمامه أولاد الإمام عبد الله، وهم: أبان، والعاصي، وعبد الرحمن، ومحمد، وأحمد. وتلاههم إخوة جدِّه، وهم: العاصي، وسليمان، وسعيد، وأحمد. وكان أحمد مُتَكَلِّمَهُمْ. فلما بايعه، اتى عليه بكلِّ جميل.

والناصر هذا هو أوَّل من تسمَّى منهم بأمير المؤمنين، وتلقب بأحد الألقاب السلطانية، وهو «الناصر» ثم تسمَّى منهم من كان بعده من خلفائهم بأمرة المؤمنين وآثر اللقب السلطاني، وذلك حين هاجت الخلافة العباسية، وضعفت، وظهرت الدولة التركية والدَّيْلَمِيَّة؛ فصارت إمرة المؤمنين لائفةً بمنصبه، وكلمةً باقيةً في عقبه. فاستهلَّ الخطيبُ بجامع قرطبة أحمد بن بَقِي بن مُحَمَّد، بذكر هذا الاسم المُخَلَّد، يوم الجمعة [مستهلَّ ذى الحجَّة] من سنة ٣١٦. وفي يوم ولایتة يقول أحمد بن عبد ربيِّه من قصيدة [بسيط]:

بدا الهلالُ جديداً والمُلكُ غَضٌّ جديداً
يا نعمةَ الله زِيدي فما عليكِ مَزِيدُ (2)

* وولِّي، والأندلسُ جَمْرَةٌ تَحْتَمِمْ، ونارٌ تَضْطَرِّمُ شِفاقاً ونِفاقاً؛ فأخذ P. 17٣ نيرانها، وسكَّن زلازلها، وغزا غزوات كثيرة. وكان يُشَبَّه بعبد الرحمن الداخل؛

1-1) Manque dans B. 2) Corr., d'après Makkarī: إن كان فيك مَزِيدُ.

ومن وقت دخوله الأندلس سنة ۱۲۸ الى ولاية عبد الرحمن الناصر، مات من بني أمية سبعة خلفاء وعبد الرحمن ثامنهم؛ ومات في المدة المذكورة من بني العباس إثنان وعشرون ملكاً.

وفي سنة ۴۰۰، استخلف الإمام الناصر لدين الله أمير المؤمنين عبد الرحمن ابن محمد - رحمه الله - يوم الخميس مستهل ربيع الأول سنة ۴۰۰، وهو ابن ثلاث وعشرين سنة وخمسة أشهر وثلاثة وعشرين يوماً. وكُنيتُه: أبو المطرف. وأمه: أمٌ وأد تسمى مزنة. وجلس [الديعة] في معراب المجلس الكامل بقصر قرطبة. ونولى أخذها له على الخاصة والعامة بدر بن أحمد مولاة، وموسى بن محمد بن حدر صاحب المدسة. وأحضر أعمامه، وأعمام أبيه، وطبقات قریش، وصوف الموالى، وعامة الناس؛ فبايعوا مبايعة رضى واغتياب، بوجود تهلة، وصدور منشرة، وألسنة داعية شاكرة لله - عز وجل - على ما قلده من أمرهم، وأصاره إليه من رعابهم، والذب عن حرمانهم؛ قد استبشر جميعهم بين نفيته واعتلاء همته، ورجوا ما قد حققه الله لهم من بركة دولته، وصلاح الأحوال على يده. وتجرده لاستئصال عاق الفتنه، والتمهيد الطاعة. وكان الخلاف قد عم قطار الأندلس، وطبق الفاصى والدانى منها، واستولى أهل التناق على كورها ومعاقفها بفترة طاوالتهم، وهلى براخت أيامه بهم؛ فحسم الله - عز وجل - منه على يده ما سبأتى الخبر عنه. ونصل الحكاية له.

وعهد - رحمه الله - بالكتاب بيعته الى الكور والأطراف. وولى فى يوم مبايعته بدر مولاة الحجابة مع الوزارة وخطة الخيل، الى ما كان إليه من خطة البرد. وولى موسى بن محمد الوزارة، الى ما كان إليه من خطة المدينة. وكان على الكتابة عبد الله بن محمد الرجلى؛ فأقره عليها، وأقر أحمد بن محمد ابن أبي عبدة على القيادة؛ وأقر قاسم بن ولید الكلبى على الشرطة العليا؛ وكان مع ذلك خازناً؛ فصرف الخزانة عنه وولأها عبد الملك بن جهور. وولى الخزانة أيضاً محمد بن عبيدة بن مبشر، ومحمد بن عبد الله بن أبي عبدة، وعزل

عنها عيسى بن شهيد، وولي مكانه سعيد بن سعيد بن حدير. وولي عمر بن محمد ابن غانم، وعبد الرحمن بن عبد الله الزجالي، ومحمد بن سليمان بن وانسوس خطة العرض. وولي محمد بن عبد الله الخزوي خزانة السلاح مع العفل، وحسين بن أحمد الكاتب خزانة السلاح أيضاً، وبجي بن اسحاق ومسلمة بن عبد الفاهر المعروف بابن الشرح. ثم ولي - رضه - عيسى بن أحمد بن أبي عبدة الشرطة العليا، وصرف عنها قاسم بن وليد الكلبى، وولي قطيس بن اصبح خطة البيارة، وصرفها عن الحاجب بدر بن أحمد، الى اعمال وخطط ولاها من استحق عندك من مؤملبه ووجوه مواليه.

وأخرج - رحمه الله - عباس بن عبد العزيز القرشي في قطيع من الجند الى براير كركي وجبل البرانس؛ وأخرج القائد أحمد بن أبي عبدة في من ضم إليه من الجند إلى كورة قبرة لمعالجة من كان في هاتين الجهتين من أهل الشر والفتنة. فالتقى عباس بن عبد العزيز بالفتح بن موسى بن ذى النون بقلعة رباح؛ فهزمه، وقتل كثيراً ممن كان انصوى اليه. وورد كتاب عبيد الله بن فيهر عامل قلعة رباح يذكر ظفره بمحمد بن أرذلبش بناحية عملة؛ وكان من العصاة المفسدين؛ فقتله، وبعث برأسه؛ وكان أول رأس رُفع لمارق في دولة أمير P. 170 المؤمنين - رحمه الله -، وذلك يوم الأحد لعشر خلون من ربيع الآخر. وبدت تباشير الصنع، ودلائل الإقبال على أوائل نظره - رحمه الله!

وإثان بقين من ربيع الآخر، ولي أمير المؤمنين - رضه - أحمد بن محمد ابن حدير الوزارة والقيادة؛ وكان قبل ذلك يلي الشرطة الصغرى. وولي هذه الشرطة محمد بن محمد بن أبي زيد. وأجرى الرزق على عبد الرحمن وعبد الله ابني بدر الحاجب، وذلك لكل واحد منها ثلاثون ديناراً وازنة. وولي إسماعيل بن بدر كتابته خاصة، أرتبه لها. وولي - رحمه الله - جهور بن عبد الملك الوزارة؛ وولاها أيضاً عبد الله بن مضر. وولي عبد الرحمن بن بسدر الخيل، وعبد الله بن محمد بن عبد الخالقي بن سواده قضاء كورة البيرة. وهو

أَوَّلُ قَاضِي خَرَجٍ إِلَى كُورَةَ فِي أَيَّامِهِ - رَحِمَهُ اللَّهُ - . وَأَرْبَعٌ بَقِيْنَ مِنْ ربيعِ الْآخِرِ،
عَزَلَ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ أَبِي عَبْدِ عَنِ الْوِزَارَةِ وَالْقِيَادَةِ، وَابْنَهُ عَيْسَى بْنُ أَحْمَدَ
عَنِ الشَّرْطَةِ الْعُلْيَا، وَصَرَّفَ إِلَيْهَا قَاسِمُ بْنُ وَليدِ الْكَلْبِيِّ؛ وَعَزَلَ مُحَمَّدُ بْنُ وَليدِ
ابنِ غَازِمٍ عَنِ الْوِزَارَةِ، وَعَمَرَ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ وَليدِ عَنِ الْعَرَضِ .

وَفِي يَوْمِ الْخَمِيسِ لِأَحَدِي عَشْرَةَ لَيْلَةً بَقِيَتْ مِنْ جُمَادِي الْأُولَى، انْفُتِحَتْ
مَدِينَةُ إِسْنِجَةَ، وَدَخَلَهَا الْحَاجِبُ بَدْرُ بْنُ أَحْمَدَ وَالْوِزِيرُ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ حُدَيْرٍ؛
وَكَانَ أَوَّلَ مَوْضِعٍ انْفُتِحَ فِي أَيَّامِ النَّاصِرِ - رَحِمَهُ اللَّهُ -؛ وَضُبِطَتِ الْمَدِينَةُ، وَهُلِمَ
سُورُهَا. وَفِي أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْوِزِيرُ فَائِدًا بِهَا وَمُسْكًا لِأَحْوَالِ أَهْلِهَا. وَوَلِيَ
عَمَّالَهَا حَمْدُونُ بْنُ نَسِيلٍ .

وَفِي يَوْمِ السَّبْتِ لِسَبْعِ بَقِيْنَ مِنْ جُمَادِي الْأُولَى مِنْهَا، وَلي الْوِزَارَةَ مُحَمَّدُ بْنُ
عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أُمَيَّةَ .

وَأَسْتَخَلَّوْنَ مِنْ جُمَادِي الْآخِرَةِ، طَلَبَ رَجُلٌ مِنَ الْمُنْسَدِينَ، يُعْرَفُ بِمُحَمَّدِ
ابنِ بُوَيْسِ الْحَيَّانِيِّ: كَانَ مَحْبُوسًا فِي أَيَّامِ الْإِمَامِ عَبْدِ اللَّهِ - رَحِمَهُ اللَّهُ -؛ فَأَطْلَقَهُ
الْمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ النَّاصِرُ - رَضِيَ - بَعْدَ أَنْ عَاهَدَ اللَّهُ الْأَسْوَاقَ مَنْكَرًا؛ فَكَتَبَ،
وَخَرَجَ بِبَغْيِ السَّادِ فِي أَيَّامِهِ - رَحِمَهُ اللَّهُ !

وَأَسْعَ بَقِيْنَ مِنْ جُمَادِي الْآخِرَةِ. عَزَلَ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ زِبَادٍ عَنِ فِضَاءِ
الْجَمَاعَةِ قُرْطُبِيَّةَ، وَعَنِ الصَّلَاةِ. لِأُمُورٍ أُتَكَرَّتْ عَلَيْهِ. وَوَلِيَ الْفِضَاءَ أَسْلَمُ بْنُ عَبْدِ
الْعَزِيزِ. وَالصَّلَاةَ مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ لُبَابَةَ الْفَقِيهَ .

وَفِيهَا، كَانَتْ غَزَاةُ مِيرِ الْمُؤْمِنِينَ - رَحِمَهُ اللَّهُ - إِلَى مَعَارِقِلِ حَيَّانٍ، وَهِيَ
أَوَّلُ غَزَاةٍ: أَمْرًا النَّاصِرُ - رَضِيَ - مِنْ قِصْرِ قُرْطُبِيَّةَ يَوْمَ الْخَمِيسِ لِثَلَاثِ عَشْرَةَ
لَيْلَةً خَلَّتْ مِنْ شَعْبَانَ سَنَةِ ٤٠٠. وَفَصَلَ غَازِمًا إِلَى كُورَةَ حَيَّانَ يَوْمَ السَّبْتِ لِسَبْعِ
خَلُونَ مِنْ رَمَضَانَ بَعْدَ يَوْمِهِ ثَلَاثَةَ وَعِشْرِينَ يَوْمًا. وَاسْتَخْلَفَ فِي النَّاصِرِ مُوسَى
ابنَ مُحَمَّدٍ بْنُ حُدَيْرٍ الْوِزِيرَ صَاحِبَ الْمَدِينَةِ، وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ بَدْرٍ، وَأَنْهَضَ

ارضه] في جيوش كثيفة وعداد كاملة¹. [وكان قد نزع إليه قبل فصوله محمد ابن قزوة صاحب أبنة في جملة فرسانه؛ فتقبلهم أحسن قبول، وأنزلهم أتم إنزال؛ وصاروا في جملة رجاله ومن يضبطه عسكريه. وسار - رحمه الله - لوجهه. فلما احتل بحصن مارتش من عمل جيان، ورد الخبر بضايقه عمر بن حفصون لأهل حاضرة رية، وأنه أطع نفسه عند تخاذلهم بانتهاز الفرصة فيهم. فوجه لتلافى ذلك سعيد بن عبد الوارث، في قطع من الجند، وأمره أن يفتد السير، ويطوى المراحل، حتى يحتل مدينة مالقة. ويقطع بابن حفصون P. 171 عما كان رامة منها وأضع نفسه فيها؛ فتوصل القائد الى الموضع. وضبطه، وحمى تلك الجهة عن ابن حفصون وحزبه.

ونقض أمير المؤمنين - رحمه الله - الى حصن المتلون واحتله يوم الأحد للتصيف من شهر رمضان؛ وحارب سعيد بن هذيل فيه حتى افتتحه يوم الثلاثاء لثلاث عشرة ليلة بقيت منه. وأنزل سعيد بن هذيل من الحصن، وأوسع الأمان. وولى عمله محمد بن عبد الوهاب. ثم تقدم - رحمه الله - الى حصون شميتان؛ فاستأمنه عبيد الله بن أمية بن الشالبة، وإسحاق بن إبراهيم صاحب منبشة، وعكاشة بن محصن صاحب وادي بني عبد الله، وسلمة بن عرام صاحب بجيلة، ومنذر بن حريز صاحب بفتوية، وأفلح بن عروس صاحب بكور، وفحلون ابن عبد الله صاحب ساسة؛ ونزلوا عن معاقلهم إليه. وكلهم مدع عن بطاعته ومحكم في نفسه؛ فأوسعهم أمير المؤمنين - رحمه الله - فضله، وألبسهم عفو، وأخلى تلك المواضع منهم، وقدم أولادهم ونساءهم الى قرطبة. واستعمل في الحصون ثقات رجاله. واستنزل عبد العزيز بن عبد الأعلى من حصن الشارة،

فهم الأدواء، وقهر الأعداء. وافتتح. 1) Le *Bayan* résume ainsi le récit qui suit: وفتح الحصون، وشد رجاله كل حصن افتتعه. وانضم الذاه في كورة البيرة وتأنفت كلمتهم واستقامت طاعتهم. وقبل بعد استصلاح كورتي البيرة وجيان وما والاها ودخل قصره، وقد استنم في غزاته اثنين وتسعين يوماً.

ودحون بن هشام . ثم انتقل - رحمه الله - منها الى كورة البيرة . فلما احتلها ، بداعى أهل حصون تاجلة وبسطة ومزيط والبراجلة والأسناد الى النزول والظوع . وأخلوا حصونهم . فأحكم الناصر - رحمه الله - أمر ذلك الجانب كله ، وضبط المعاقل برجاله ، وأتقن الجميع بنظره . ثم انتقل - رحمه الله - الى حصون وادي آش ؛ فأخلى أكثرها رهبة له ، ونزل على حصن فينيانة يوم الخميس لأربع خلون من شوال ؛ وكان فيه من شيعة ابن حصون من أغوى أهله وأصلهم ؛ فتمنعوا من النزول ، ورجوا أن يعنصوا بوعر الحصن ؛ فأحاطت العساكر بهم ، وأضربت أرباضهم ناراً ؛ فصرعوا في قبول الإنابة ، على أن يسلموا من كان عندهم من شيعة ابن حصون ؛ فاجبوا الى ذلك ، وتقبض على أصحاب ابن حصون . وشدوا وثاقاً .

ثم انتقل أمير المؤمنين تنقري تلك المعاقل بجهة بشيرة وأجبالها ، حتى توغل بالعساكر في جبل الثلج ، وهو ممنوع السلوك ؛ فجازه الناس ، وبسر الله ذلك عليهم ، وسهله لهم . وافتتحت حصون تلك الجهة ، ولم يبق بها معقل ممنوع .

وأصل بأمير المؤمنين - رحمه الله - أن ابن حصون أقبل في جماعة أصحابه الى حاضرة البيرة ، طامعاً في انتهاز الفرصة فيها . فأخرج عباس بن عبد العزيز قائداً نحوه . فلما قرب من مدينة غرناطة ، أقبل ابن حصون لما كان رجاء وضع به ؛ فخرج أهل البيرة واثقين بالمدد الذي وردهم ، والقائد المصريح لهم ؛ فهزموا ابن حصون ، وقتلوا جماعة من رجاله ، وأسروا عمر بن أيوب حبيده . وجرح أحد أولاده جراحاً أثنته .

ونفى أمير المؤمنين - رحمه الله - ما كان بقي من معاقل تلك الجهة ، حتى احتل بحصن شيلش ؛ وكان من أعظم حصون ابن حصون منعة ، وأصعبها مراماً ، وأوعرها مكاناً ؛ وإليه كان انصوى كل مشرك تفلت من الحصون المتقدمة الذكر فاحتلت العساكر عليه يوم الأربعاء لأربع عشرة ليلة بقيت من شوال ؛ فقطعت ثارهم ، واستهلكت زروعهم ومعايشهم ؛ وحوصروا خمسة عشر

يوماً، حتى نادوا بالطاعة، وضرعوا في قبول الإنابة؛ وأسلموا أصحاب ابن
حنصون الذين كانوا عندهم؛ فتلقى ذلك أمير المؤمنين - رحمه الله - بالقبول،
وأخرج إليه جميع من كان في الحصن من المشركين؛ فأمر بضرب رقابهم حتى
أبيحوا عن آخرم.

ثم أمم - رحمه الله - مدينة شلوبينية، وفعل فيها مثل فعله فيما تقدم
ذكره؛ وضبط برجاله كل حصن افتتحه. وانحس الداء في كورة البيرة، وتألقت
كلتهم، واستقامت طاعتهم. وصدر - رحمه الله - قافلاً على طريق حصن P. ١٦٩
أشتين^١ وحصن بنة فرأطة؛ وكانا قد أضرا بأهل غرناطة وحاضرة البيرة، وهما
في غاية الحصانة والمنعة. فزلت الجيوش عليهما، وأحدثت بهما؛ وحوربوا أشد
مُحاربة وأنكأها عشرين يوماً. ثم أخذت عليهم الحصون وشغنت بالرجال. وقفل
أمير المؤمنين - رحمه الله - بعد إبعابه النظر في كل ما شخص له من استصلاح
امر كورة جيان والبيرة وما والاها، ودخل القصر بقُرطبة يوم الأضحى؛ وقد
استتم في غزاته اثنين وتسعين يوماً.

وفي هذه السنة، توفي هشام بن محمد الفرشي المعروف بابن الشبائسية.

وفي سنة ٢٠١، توفي بإشبيلية عبد الرحمن بن إبراهيم بن حجاج صاحبها،
في المحرم؛ فاجتمع أهلها على تقديم أحمد بن مسلمة مكانه؛ (وكان من الشجعان).
فأخرج [أمير المؤمنين] الناصر [- رحمه الله -] أحمد [بن محمد] بن حدير
[الوزير] فائداً نحوها؛ فكان أول من حاربها وأوقع بأهلها. وكان محمد بن
إبراهيم بن حجاج عند ذلك بمدينة قرمونة؛ فقصده باب السدة، وعرض نفسه
[على أمير المؤمنين] لمحاربة أهل إشبيلية. فأخرجه لذلك مع قاسم بن وليد
الكلبي؛ وحاصراها شهوراً. ثم خرج إليها الحاجب بدر بن أحمد؛ فدخلها يوم
الاثنين لإحدى عشرة ليلة بقيت من جمادى الأولى من هذه السنة، وهدم

١) اشتين.

أسوارها، واستنصلح أمور أهلها، وأخرج مع نفسه سعيد بن المنذر عاملاً عليها
 أوفياً، ولى محمد بن سليمان بن وأنسوس الوزارة. ووليها أيضاً عيسى بن
 أحمد بن أبي عبدة. وولى محمد بن عبد الله الخروبي. ومحمد بن أحمد بن
 حدر. وقند الكبير. ودري مؤلى الناصر خطة العرض. وعزل عمر بن أحمد
 ابن فرج عن السوق. وصرف النظر فيها الى محمد بن عبد الله الخروبي؛
 وذلك في ربيع الآخر. وولى أحمد بن مسلمة الشرطة العليا. واستقدم محمد بن
 إبراهيم بن حجاج من مدينة قرمونة. وولى الوزارة، وقعد مع الوزراء يوماً
 واحداً. واستقدم سعيد بن المنذر من إشبيلية، ووليها فطيس بن أصبع في شعبان
 وأعيد الى الشرطة العليا فاسم بن وليد الكلبى. وولى خزانة المال موسى بن سليمان
 الخولاني المعروف بابي الكوثر، وعبد الملك بن سليمان أخوه خزانة السلاح.
 وفي هذه السنة، افتتح أهل الثغر حصن قلهرزة؛ وكان بأيدي المشركين؛

وذلك يوم الأربعاء لثمان عشرة ليلة خلت من ذي القعدة.

وفيها، كانت محاصرة لب بن محمد مدينة سرقسطة، اوبيان الردم عليها.
 وفيها، قتل محمد بن عبد الملك الطويل.

وفيها، خرج الناصر غازياً الى كورة رية والجزيرة وقرمونة، وهي الثانية من
 غزوانه: برز - رحمه الله - من قصر قرطبة يوم الخميس لثمان خلون من شهر

رمضان. وفصل غازياً لثمان خلون من شوال. وتخلف في القصر موسى بن محمد
 ابن حدر صاحب المدينة. وكانت الكتب تُنقل الى هشام الوالد [رضه]، وهو

صغير. فكان [أول] مقصد حصن طرش، [بعد أن قدم حاجبه بدر بن أحمد
 في قطيع من الجند الى حصن بلدة؛ فألقى أهله غرة، وقتل منهم، وسبي، وأسر

حملة كثيرة]. واحتل [الناصر رضه] بجيوشه على حصن طرش [يوم الأربعاء
 لأربع عشرة ليلة خلت من شوال]؛ فحصر من كان فيه، [وأقام عليه خمسة

أيام. أفادهم الحرب وبأسهم، ويقطع ثارهم، ويحطم معايشهم]، ويقتل من
 ظاهر منهم. ثم ألقى عليها من بواخرها، وتنقل الى حصون رية ومعاقل ابن

حفصون، يتتبعها مَعْقِلًا مَعْقِلًا، أو ينزل ناسه ومَعَرَّة جيوشه بكل ما ينزل به منها. [وأوقع بابين حفصون ومن انحشد إليه من النصرانية في حصن طُرُش] وقبعة [عظيمة] ذهب فيها كثير منهم. وبعث برووسهم إلى قُرْطُبة. أو أُلْفَيْت للمُشْرِكِ عمر بن حفصون مراكب في البَحْر، كانت تديره من العدو؛ فأحرق جميعها. [وسارع كل من كان بتلك الناحية من أهل شانر، وفَجَّ وسِيم، وقَلْبِيَّة، والقَصْر، وما انتظم بها من أحواز الجزيرة إلى الدخول في الطاعة والاعتصام بها (من الهلكة)؛ فقبلهم الناصر أرضه وأمنهم، أو سكن أحوالهم.]

وتنقل [منها] إلى حاضرة الجزيرة؛ [ثم] إلى كورة شَدُونَة؛ [ثم] إلى كورة مَوْرُور، حتى أوفى على مدينة قَرْمُونَة؛ فاحتلها [يوم الثلاثاء] مستهل ذي الحجة. وكان حبيب بن سَوَادَة قد أظهر الخِلاف فيها عند قدوم محمد بن إبراهيم بن حَجَّاج قُرْطُبة؛ فنازلته جيوش أمير المؤمنين - رحمه الله - وحوصر بها عشرين يوماً، حتى عضته النكاية، وأخذت بمخنفة المحاصرة؛ ثم استأمن؛ فأمن. وسأل أن يُهَلَّ لانتقال أهله وتقله إلى قُرْطُبة؛ فأجابه الناصر - رحمه الله - إلى ذلك، ولم يُرهِقه من أمره عُسْرًا؛ وقفل إلى قُرْطُبة؛ فدخلها [يوم الاثنين] ١٧٢ هـ.

وفي هذه الغزاة. بعث في قاسم بن وَايِد الكَلْبِي صاحب الشرطة، وكان قد خلف بقُرْطُبة؛ فسجن وسجن معه محمد بن إبراهيم بن حَجَّاج، ومحمد بن وَهَيْب، وعبيد الله بن محمد الروماني¹⁾، وسكن بن جديدة. وعزل ابن مسلمة عن الشرطة العليا، ووليها عباس بن أحمد بن أبي عبدة.

وفيها، استفود الناصر عيسى بن أحمد بن أبي عبدة، وأعادته إلى كورة إشبيلية. وفي هذه السنة، توفي عبد الله بن محمد الزَّجَّالِي الوزير الكاسب. في ربيع الأول؛ فولى رَسَمَ²⁾ الكتابة عبد الله بن بَدْر؛ وكان سكن بن إبراهيم، وعمر بن تَاجِبِت كَاتِبِي بَدْر الحاجب يفيضان خدمة الكتابة.

1) Sic in G. Peut-être الرصافي. 2) G. اسم.

وفیہا، توفی العاصی ابن الإمام محمد - رحمه الله - فی ربيع الأول، وهو ابن ثلاث وستین سنة. وتوفی عباس بن عبد العزیز الفرثی فی جمادی الأولى. وتوفی الوزير أبو الحارث سلمة بن علی، ومحمد بن ولید بن غانم الوزير، وأبوب بن سلیمان بن صالح الفقیه، وسعید بن خبیر الفقیه. وفيہا، قُتل بیزشلونہ عبد الملك بن عبد الله بن شبریط. وأغار المشركون بوادی الحامة فی الثغر. وكانت ملحة أربط يوم الأحد لعشر بقين من شعبان؛ وهالك فيها غرسية بن إذفئش صاحب جليبية؛ وصار الأمر الى أخيه أردون ابن إذفئش.

وفي سنة ۴۰۲. كانت ولادة [أمير المؤمنين] الحكم [المستنصر بالله] - أطال الله بقاءه! [1] ابن [أمير المؤمنين] عبد الرحمن [بن محمد - رضه - وذلك يوم الجمعة] مستهل رجب [وقت أذان الظهر]. وفيها، أغزى [أمير المؤمنين] الناصر [- رحمه الله - في الصائفة] عمه أبان ابن الإمام عبد الله؛ فنصل في شوال الى كورة رية، وتردد بالجوش فيها، ونازل حصونها، وحطم زروعها، وقطع ثمارها. وفيها، أمحل الناس، ونوالى القحط وعم. [فردى] مصاب الرئص محمد بن عمر بن لبابة صاحب الصلاة، واستنقى بالناس خمس مرات في [مختلفة] فلم تكن سفيا؛ وغلت الأسعار، وقلت الميرة في الأسواق. ثم رز أحمد [بن زياد] ابن زياد الانسقاء بالناس يوم الاثنين لثلاث عشرة ليلة خلت من شوال. وهو أول شهر مايه؛ فنزل رذاذ تماسك به بعض الزرع، وذهب الأكثر. وكان القحط عاما شاملا بالاندلس وأطرافها وثغورها؛ وغلت الأسعار في جميع جهاتها. [وفي هذه السنة، قدم الناصر - رحمه الله - محمد بن عبد الله الخروبي من ولاية السوق الى ولاية المدينة، وعزل عنها موسى بن محمد بن حذير. وولى

[1] Cette formule se justifie par le fait que 'Arib écrivait sous le règne califal d'Al-Mu'tasim.

السوق أحمد بن حبيب بن بهلول، وذلك يوم السبت لاثنتي عشرة ليلة بقيت من شوال؛ وفي هذا اليوم عزل عبد الله بن بدر عن الكتابة، ووليها عبد الملك بن جهور؛ وعزل محمد بن محمد بن أبي زيد عن الشرطة الصغرى ووليها يحيى بن إسحاق.

وفيها، عزل عبد الرحمن بن بدر عن خطبة الخيل، ووليها عبد الله بن مضر. وفيها، ولي المواريث قنذ ودري مؤلماً أمير المؤمنين الناصر.

وفي يوم الأحد مستهل ذي الحجة، قُتل عباس بن أحمد بن محمد بن أبي عبدة صاحب الشرطة العليا؛ وكان أمير المؤمنين الناصر - رحمه الله - قد أرسه على محاصرة منت روبي؛ فوافقته ضربة في حرب باشرها وغرر بنفسه فيها. فولى الناصر أخاه عبد الله بن أحمد بن محمد الشرطة العليا، وولى محمد بن محمد P. ١٧٤ ابن أبي عبدة خزانة المال.

وفيها، توفي مروان بن المنذر ابن الإمام عبد الرحمن بن الحكم - رحمه الله - يوم الثلاثاء لأربع عشرة ليلة خلت من جمادى الآخرة؛ وكان قد توفي قبله عمر ابن الإمام عبد الرحمن لست بقين من جمادى الأولى.

وفيها، توفي سعيد بن السليم؛ وكان حاجباً في أيام الإمام عبد الله - رحمه الله - وكانت وفاته لأربع خلون من ربيع الآخر. وتوفي النضر بن سلمة، وكان قاضياً في أيام الإمام عبد الله، وذلك يوم الثلاثاء لسبع خلون من جمادى الآخرة. وفيها، توفي عبيد الله بن محمد بن أبي عثمان لثلاث خلون من شهر رمضان. وتوفي حمدون بن بسيل في شعبان، وعبد الله بن محمد بن عبد الخالق الغسانی قاضي إشبيلية لست بقين من جمادى الأولى. وتوفي الفقيه خالد بن وهب يوم الأحد لأربع خلون من ربيع الآخر. وفيها، توفي محمد بن يحيى النحوي المعروف بالفلفاظ في جمادى الآخرة؛ وكان من العلماء الحفاظ والشعراء النصحاء؛ وكان هجاء للناس، سبابة للأشراف، كثير البذاء والسفه في شعره. وفي سنة ٢٠٢، كانت المجاعة [بالأندلس]، التي شبهت بمجاعة سنة ستين؛

وبالغته الحاجة بالناس مبلغاً لا عهد لهم بمثله؛ اوبيع ففيز قمح ككيل سوق قرظبة
 بثلاثة دنانير دخل أربعين. ووقع الوباء في الناس، وكثر الموتان في أهل النافذة
 والحاجة، حتى كاد أن يُعجز عن دفنهم. اوكثر صدقات أمير المؤمنين الناصر
 - رحمه الله - على المساكين في هذا العام. وصدقت أهل الحسبة من رجاله،
 فكان الحاجب بدر بن أحمد أكثرهم صدقة. وعضتهم بماله مؤساة. ولم يكن في
 هذا العام. لضيق الأحوال فيه. أن يكون غزاة أو إخراج جيش. غير أن
 الناصر - رضه - أخذ بالجد والتحريم في ضبط أطرافه. والتعنت بالمسلمين من
 عادة أهل الخلاف والحامان. إذ كانوا مع استيلاء الجوع يغاورون من قرب
 منهم. ويغدرون على من مر بهم من رفاق المسلمين وطالبي المعاش
 ومُستجلبى المير.

وفي هذه السنة. ولي إسحاق بن محمد القرشي الوزارة؛ وكان ذا رأي وعباء.
 وفيها. ولي محمد بن محمد بن أبي زيد الشرطة العليا؛ وكان بلي الشرطة الصغرى
 من قبل.

وفي هذه السنة. توفى أبان ابن الإمام عبد الله - رحمه الله - يوم الثلاثاء
 للثلاثين خلتاً من جمادى الآخرة. وهو ابن خمس وخمسين سنة؛ اودفن بمقابر
 قرْبش في الرّيض. ومات فيها لأمير المؤمنين الناصر - رضه - ولدت نسبي
 هشاماً وسكنى بأبي الوليد؛ وكان بكر ولد.

وتوفى فيها أحمد بن هشام ابن الإمام عبد الرحمن بن الحكم - رحمه الله -
 يوم الجمعة لعشر بقين من شوال؛ والقرشي العثماني الطاري من المشرق في
 أيام الإمام عبد الله بن محمد - رحمه الله - وذلك يوم الاثنين لاثنتي عشرة
 ليلة نبيت من رمضان. وتوفى القرشي العبدي لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر
 شعبان. وتوفى بجي بن إسحاق بن بجي بن أبي عيسى النقيه؛ وكانت له رحلة
 روى فيها الحديث؛ ولم يكن بالثقة. غير أنه كان نبلاً مفوهاً. وتوفى فيها النقيه
 النيبري. واسمه أحمد بن عبد الله بن فرج. وتوفى أحمد بن سبطير النقيه

يوم الخميس لليلتين خلنا من ذى الحجة. وتوفى فيها مَفُوز بن عريب. ا
 وفيها، أُسِرَ مُطَرِّف [بن محمد] بن لُبّ [بن قسي]؛ أسره العدو بالشعر.
 ا وفيها، توفى بالشعر عبد الله بن محمد بن لُبّ بن قسي؛ وكان من أهل ١٢٦
 الأس والشجاعة والنكابة للعدو. وقتل أبوه محمد بن عبد الله عنه مُطَرِّفًا. ا
 ووقعت بين بني لُبّ فتون وحروب، واختلف أمرهم.

ا ومات في هذا العام بقرطبة جملة من وجوهها وبياض أهلها، يطول
 الإخبار عنهم والاجتلاب لهم، الى من مات في الكور والمواضع البعيدة ممن لم
 يأخذه إحصاء ولا عدّ. وكانت العدو مع بني قسي جولات في الشعر هذا العام. ا

وفي سنة ٤٠٤، كان إغزاه [أمير المؤمنين] الناصر (لدين الله) ا - رضة ا
 أحمد [بن محمد] بن أبي عبدة [الفائد] الى أرض الحرب. ا وفصل يوم السبت
 لأربع عشرة ليلة بقيت من المحرم، وهو اليوم الثامن عشر من بوليه، وضمّ إليه
 من الموالى والأجناد عدد كثير. ا ودخل أرض المشركين؛ فنكى. وغنم. وسى؛
 وخرج [من أرض العدو] بالمسلمين سالمين غانمين.

ا وفيها، ولي عبد الحميد بن بسيل الخزانة. ا وفيها، غزا إسحاق بن محمد
 القرشي الى كورة تدوير؛ فافتتح حصن أوربؤالة واستصلح أحوال أهل الكورة.
 وفيها، ولي فطيس بن أصبع الخزانة ولايته الأولى. ا

ا وفيها، غزا الحاجب بدر بن أحمد الى مدينة لبلبة؛ فحاصرها وافتتحها
 ا يوم الاثنين لعشر بقين من شهر رمضان. ا

ا وفيها، عزل عبد الملك بن جهور عن الكناينة. ووليها عبد الحميد بن
 بسيل؛ ولم يطل أمده ولايته؛ ثم أعيد إليها عبد الملك بن جهور.

ا وفيها، ولي إسماعيل بن بدر العرض. وفيها، نقل علي بن حسين عن
 خزانة السلاح الى خطة العرض. لاثنتي عشرة ليلة خلت من صفر. وفيها، ولي
 العرض محمد بن عبد الله بن مضر.

وفيها، توفي مُنذِر ابن الإمام المُنذِر - رحمه الله - سَلَخَ شعبان؛ وكان مولده بعد موت أبيه إلى ستة أشهر؛ وعبد الملك بن حَوْزَةَ الفَرَسِيُّ، يوم الثلاثاء لتسع خلون من ربيع الآخر؛ وأخوه الأَحَدَب، وكان يَنْجَم، في عقب ربيع الآخر؛ والعارضُ صاحب الموارِيث قَدَمَ مولى أمير المؤمنين الناصر، يوم الثلاثاء لثلاث خلون من رجب؛ فولى مكانه الموارِيثُ إِسْمَاعِيلُ بن بَدْر.

وتوفي المودب محمد بن أَرْقَم يوم الجمعة لست خلون من رجب؛ وفيه توفي الوالدُ محمد ابن أمير المؤمنين الناصر - رحمه الله - والوالدُ سليمان الأكبر. وفي عشر خلون من شَوَّال من هذا العام، وُلِدَ الوالدُ أبو مروان عُبَيْدُ الله شَفِيقُ أمير المؤمنين الحَكَمُ المستنصر بالله - أَيْدَهُ اللهُ!

وفيها، توفي النقيب الزاهد أبو عبد الله محمد بن أحمد ابن الزرَّاد لأربع خلون من جُمَادَى الأولى؛ مولده سنة ٢٤٢؛ وكان قد رَوَى علم ابن وضَّاح. وتوفي النقيب المحدث طاهر بن عبد العزيز الرُّعَيْنِيُّ. وتوفي أبو القاسم محمد بن عبد السلام بن قلهون^١ ليلة الخميس لثلاث عشرة ليلة بقيت من ربيع الآخر؛ وكان نبيلًا، مُرْسِلًا، حسن الخط؛ وولى الخزانة؛ وكان له لسانٌ وبيانٌ.

وفي سنة ٢٠٥، غزا بالصائفة إلى دار الحرب أحمد ابن محمد بن أبي عبدة الوزير القائد؛ وفصل يوم الاثنين لعشر خلون من صفر. وخرج معه طبقات الناس من المجاهدين وأهل الديوان؛ وحشد إليه رجالُ الثغر؛ فدخل أرض العدو في جمع كبير، ونازل حصن قاشترُ مورش^٢ الأربعاء عشرة ليلة خلت من ربيع الأول. وجدَّ المسلمون في مُحَارَبَةِ المشركين حتى كانوا قد أشرفوا على الظفر^٣ بن كان في الحصن؛ فانحشدت النصرانية من جميع جهاتها مُدَّةً من لكفرتهم، ومُجَلِّين على المسلمين بَجَلِّهِمْ وَرَجَلِهِمْ. فتداعى بعض أهل المداهنة في الدين من أهل الثغر إلى إظهار الهزيمة وجروها على المسلمين؛ فانهزم كثير

1) G. قلهون (cf. Ibn al-Faradi, n° 1162).

2) A. et B. قصر موسى.

منهم. وثبت الفائدة أحمد بن محمد بن نفسه، وأظهر الصبر، ودافع مدافعة
الموطن. وقيل إنه كان قد اعتقد مذهباً في طلب الشهادة؛ [استشهد الفائدة
المذكور الأربعاء عشرة ليلة خلت من ربيع الأول]. واستشهد من المسلمين معه
من أثر الشهادة ورغب عن (بخزي) الفرار. [ولم يولّ المشركين دبراً، ولا أراهم
نكوصاً ولا فراراً]. وانعقد سائر أهل الجيش، وصاروا يداً واحدة؛ (فسلبوا)
وخرجوا إلى أرض المسلمين بدوابهم وأثقالهم [وأبنتهم].

وفيها، غزا إسحاق بن محمد الوزير إلى مدينة قرمونة؛ فحاصر فيها حبيب بن
عمر، وضايقه، وأخذ بهخفته. ثم خرج إليها الحاجب بدر بن أحمد؛ فتبادى على
حصارها حتى فتحها قسراً، ودخلها يوم الخميس لخمس خلون من ربيع الآخر.

ذكر موت (المعين) عمر بن حفصون

[وفي هذه السنة، هلك عمر بن حفصون، عميد الكافرين، ورأس المنافقين،
وأموقد شعل الفتنة، وملجأ أهل الخلاف والمعصية. فقد هلكه من أسباب
الإقبال، وتباشير الصنع¹⁾، وانقطاع علقى المكروه. (ولما توفى) افتتحت أيدى
إلبيرة، [وهي المعروفة بأيدى فروة]؛ وكان فيها سليمان بن عمر بن حفصون؛
فاستنزل عنها، وقدم به قرطبة [بحبي بن إسحاق في سؤال؛ فأنزل وتوسّع له].
وفيها، ولي الوزارة عبد الملك بن جهور يوم السبت لإحدى عشرة ليلة
خلت من سؤال. وفيها، توفى سعيد بن عثمان بن سليمان الفقيه العنّاقى²⁾ في عقب الحرم
بفريش. وفيها، توفيت البهاء بنت الإمام عبد الرحمن بن الحكم - رحمه الله -
في رجب؛ فلم يتخلف أحدٌ عن جنازتها. وتوفيت للناصر - رحمه الله -
بعائشة. وفيها، توفى سعيد بن عبد الوارث الأيسر؛ وكان من أهل سجدة
والعناء في الخدمة. وتوفى الفقيه محمد بن إبراهيم المحدث الحجاري. وتوفى
أحمد بن فرج؛ وكان كاتب الرأي؛ وولّى السوق.

1) ابن جرير، 10/100.

2) الأعمش، 484: Ibn al-Faraj.

وفي هذه السنة، حشد أَرْدُون بن إِذْفُنْش، وشانجه بن غَرْسِيَّة صاحب
النَّصْرَانِيَّة، بِجَائِقِيَّة وَبَيْلُونَةَ، وخرجا في جموعهم واحتفال من كَفَرْتَهُم الى مدينة
تَاجِرَةَ بِالنَّغْرِ الْأَقْصَى؛ فنزلا عليها في عقب ذى الحِجَّة، وأقاما عليها ثلاثة أَيَّام. [و
وعانت النَّصْرَانِيَّة في ذلك النَّغْر. وأفسدت الزُّرُوع؛ ثُمَّ سَفَلَتْ الى تَطِيلَةَ. وبلغ
العدوُّ الى نهر كَالْس، وجزائر^١ مُسْفِيْرَةَ، ووا وادي طَرَسُونَةَ. وخلف شانجه نهر
إِسْرَةَ، وقابل حصن بَلْتِيْرَةَ، وقهراه على أهل الرَّبَض، وأحرق المسجد الجامع؛
فكان ذلك مما أحفظ^٢ الناصر وحرَّكه لمجاهدتهم والانتصار منهم. على ما
سيأتي ذِكرُهُ.

غزوة مُطُونِيَّة^٣

وفي سنة ٣٠٦، كان غزاة الحاجب بَدْر بن أحمد الى دار الحرب. وهي
عِزَّة مُطُونِيَّة. وكان أمير المؤمنين الناصر - رضه - لما اتصل به تطاول
المشركين على من كان بإزائهم من أهل الثغور^٤ بامتناع الصوائف عن غزوهم،
والإبغال في بلادهم بالحرب المتقدم الذِّكْر^٥. أحفظه ذلك، وأذكى عزمه،
وأكد بصيرته في مجاهدة أعداء الله وأعداء دينه في هذا العام؛ فأمر^٦
الاحتفال في الحشد وجمع الرجال^٧ والتكثير من الأجناد (والفرسان الأبطال).
وعهد الى حاجبه بالغزو بنفسه في الصائفة. ونفذت كتبه الى أهل الأطراف
والثغور بالخروج الى أعداء الله، والدخول في معسكره. والجد في نكابة أهل
الكفر، والإبغال بهم في أواسط بلادهم، ومجتمع نصرانيتهم. فنصّل الحاجب
بالجيوش، يوم الثلاثاء لحمس بقين من المحرم؛ وانثالت إليه العساكر من كل
جهة في أقرب ثغور المسلمين؛ ودخل بهم دار الحرب، وقد انشد المشركون،
وتجمعوا من أقاصي بلادهم، واعتصموا بأمنع أجلهم؛ فنازلهم الحاجب بَدْر بن

1) جوائز. 2) أغضب. 3) Ce titre ne figure que dans B. 4) A. B.:

بِالاحتشاد والاحتفال في جمع الرجال.

أحمد بأولياء الله وأنصار دينه؛ فكانت له على أعداء الله وقائع اشتفت فيها صدور المسلمين، وانتصروا على أعداء الله المشركين. وقُتل في هذه الغزاة من حماتهم، وأبطالهم، [وصلاة الحروب منهم]، جملة عظيمة لا يأخذها عدو، ولا يجبط بها وصفت. وكان الفتح يوم الخميس لثلاث خلون من ربيع الأول ويوم السبت [لخمس خلون من ربيع الأول]، في معارك جلييلة، لم يكن أعظم منها صنعا، ولا أكثر من أعداء الله قتيلا وأسيرا. وورد الكتاب بذلك على أمير المؤمنين الناصر - رضه - يوم الجمعة لإحدى عشرة ليلة خلت من ربيع الأول؛ فأكثر من شكر الله [عز وجل] على ما من به، وفتح فيه. وقُرئ [كتاب الفتح] P. 181 في الجوامع¹⁾ وكتب به إلى الأطراف.

[وفي يوم السبت لإثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول، في العام المؤرخ. وولد أبو الأصبغ عبد العزيز بن عبد الرحمن، شقيق أمير المؤمنين المستنصر بالله - أيده الله!]]

غزاة الناصر (لدين الله) - ا - رضه - إلى بلدة

وفي شهر ذي الحجة من [هذه] السنة، غزا الناصر [رضه] (بنفسه) مدينة بلدة من كورة ربة؛ ابرز لها يوم الخميس لإحدى عشرة ليلة بقيت من ذي القعدة؛ وفصل يوم الثلاثاء للنصف من ذي الحجة بعد بروزه ستة وعشرين يوماً؛ وتخلّف في القصر (بقرطبة) ابنه وولى عهد وقبلة الآمال من بعده، أمير المؤمنين الحكيم المستنصر بالله [- أباه الله - ومن الوزراء موسى بن محمد بن حدير]. فلما قرب الناصر [- رضه -] من مدينة بلدة، قدم من [ثقات] رجاله. [وأخناه أجناده] من يمنح إمكان زرعها وموضع المضطرب عليها؛ فالأني الزرع متأخرا؛ وأتته الأنباة بإمكان زروع فخص رعين؛ فرأى التعريج إليه بعد أن أمر بابتناء صخرة غوزان²⁾، لتكون موفية على بسبط بلدة. ثم ارتحل إلى حصن

1) A. B. مساجد الجماعات.

2) A. B. غوجان.

دُوشِ اَمَانِشِ؛ فَنَارَزَهُ وَحَارَبَهُ حَتَّى افْتَتَحَهُ. ثُمَّ نَهَضَ إِلَى مَدِينَةِ بَلْدَةٍ؛ فَاحْتَلَمَهَا
 يَوْمَ الثَّلَاثَاءِ لِلَّيْلَةِ بَقِيَتْ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ، وَأَحَاطَتْ الْعَسَاكِرُ بِهَا؛ فَتَدَاعَى مِنْ
 كَانِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِيهَا إِلَى النُّزُولِ بِأَنْفُسِهِمْ^١ وَذَرَارِيهِمْ، وَذَكَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا
 مَغْلُوبِينَ عَلَى أَمْرِهِمْ؛ فَأَمَّتْهُمْ النَّاصِرُ، وَقَاتَلَ الْكَفَرَةَ الْمُنْغَلِقِينَ^٢ فِي الْمَدِينَةِ، حَتَّى
 أَظْهَرَ اللَّهُ لَهُمْ؛ فَتَقَالُوا عَنْ آخِرِهِمْ وَمُلْكَتِ الْمَدِينَةَ، [وَتَدَبَّ فِيهَا الرِّجَالُ]. ثُمَّ
 انْتَقَلَ إِلَى حِصُونِ رَنْةَ، سَتَقَرَّهَا مَعْتَقِلًا مَعْتَقِلًا، وَيَسْتَنْتَعِ مَا مَرَّ بِهِ مِنْهَا. وَنَزَلَ عَلَى جَبَلِ
 بُيَشْتَرٍ؛ فَحَاصَرَ أَهْلَهُ، وَقَطَعَ ثَمَرَاتِهِمْ، وَاسْتَبْلَغَ فِي نِكَابَتِهِمْ؛ فَسَأَلَهُ جَعْفَرُ بْنُ عُمَرَ بْنِ
 حِصُونِ قَبْضَ رَدْمَتِهِ، اسْتِثْنَاءًا مِنْ طَاعَتِهِ^٣، عَلَى أَنْ يُؤَدِّيَ مِنَ الْجَبَابَةِ مَا فَرَضَ
 عَلَيْهِ. فَأَجَابَهُ النَّاصِرُ إِلَى ذَلِكَ، وَقَبِضَتْ رَهَائِنُ جَعْفَرِ أَوْشَبِعَتِهِ، وَصَارَتْ فِي
 قَبْضَتِهِ وَدَاخِلَ مَعْسُكِرِهِ. ثُمَّ قَتَلَ (النَّاصِرُ لَدِينَ اللَّهِ) [عَنْ جَبَلِ بَيْشْتَرٍ]، وَدَخَلَ
 الْقَصْرَ لِثَلَاثِ عَشْرِينَ مِنَ الْحَرَمِ مِنْ سَنَةِ ٢٠١٧، وَقَدْ اسْتَمَّتْ فِي غَزَاهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا.
 وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ. عَهَدَ النَّاصِرُ بِعَمَلِ الْفَوَارَةِ إِزَاءَ بَابِ الْقَصْرِ الْمَعْرُوفِ بِبَابِ
 الْعَدْلِ، وَإِقَامَةِ مِحْرَابِ مُصَلَّى الْمُصَارَاةِ بِقَرْطَبَةَ.

وَفِيهَا، نُوفِيَّ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ كَلْبِيبِ بْنِ عَبْدِ السَّلَامِ، لِخَمْسِ خَلُونَ مِنْ رَبِيعِ
 الْآخِرِ. وَفِيهَا، نُوفِيَّ لِلنَّاصِرِ ابْنُ يَسْمَى بِعَمَدٍ، وَيُكْنَى بِأَبِي الْقَاسِمِ. وَفِيهَا، نُوفِيَّتْ
 رُقِيَّةُ ابْنَةُ الْإِمَامِ مُحَمَّدٍ. وَنُوفِيَّ فِيهَا مُوسَى بْنُ أَزْهَرَ النَّقِيَّةُ الْإِسْنَجِيُّ لثَلَاثِ خَلُونَ
 مِنْ رَبِيعِ الْأَوَّلِ؛ وَكَانَ مِنْ أَهْلِ النَّصَاحَةِ وَالْبَيَانِ وَالْحِطِّ الْحَسَنِ. وَنُوفِيَّ فِيهَا
 حِزْبُ اللَّهِ بْنِ رَعِي بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْخُسَيْنِيُّ الزَّاهِدِ، وَكَانَتْ لَهُ رَوَايَةٌ.

وَفِي سَنَةِ ٢٠٢، أَكْبَانَ احْتِلَالُ النَّاصِرِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِمَدِينَةِ بَيْشْتَرٍ، عَلَى مَا
 نَقَدَّمَ ذِكْرَهُ فِي الْعَامِ قَبْلَهُ، وَدَخُولُهُ قَرْطَبَةَ فَأَفْلَأَ مِنْ غَزَاتِهِ فِي النَّارِخِ الْمُنْتَقِمِ
 ذِكْرَهُ.

وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ، [افْتَتِحَ حِصْنُ طَرْشٍ؛ وَكَانَ فِيهِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عُمَرَ بْنِ

١) نَزَعُوا إِلَى الطَّاعَةِ. ٢) الْمُنْغَلِقِينَ. ٣) بِأَنْفُسِهِمْ.

حنصون؛ فأسلم المحصن [إلى رجال [أمير المؤمنين] الناصر (لدين الله)، ودخل
قرطبة؛ فأنزل ووُسع عليه. وكان غَيْرَ دَاخِلٍ * في الحرب والفتنة مَدْخَلَ أَبِيهِ؛ P. ١١٣
وإنما كان صاحبَ كُتُبٍ، وكان حسنَ الحِطِّ، ضعيفَ العقل. (قال عَرِيبُ:)
و[قد] صار بعد ذلك وَرَاقًا.

[وفيها، ولى أمير المؤمنين الناصر محمد بن عبد الله بن محمد الرَّجَالِيَّ خِزَانَةَ
المال لانسع خلون من شهر رمضان.

وفيها، تُوْفِيَ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ زِيَادٍ، يَوْمَ السَّبْتِ لِأَرْبَعِ عَشْرَةَ خَلَّتْ مِنْ
رَجَبٍ؛ وكان جَارًا لِمُحَمَّدِ بْنِ وَضَّاحِ الْفَقِيهِ؛ فَأَوْصَى أَنْ يُصَلِّيَ عَلَيْهِ؛ فقام له
بذلك ذكر. وفيها، مات محمد بن سليمان بن وأنسوس الوزير، يوم الجمعة لعشر
خَلَوْنَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ. وفيها، مات حَمْدُونَ بْنُ بَسِيلٍ.]

وفيها، أمر الناصر بقتل موسى بن زياد، [ليلة السبت لإثنتي عشرة ليلة
خَلَّتْ مِنْ صَفَرٍ؛] وكان [قد] وُلِيَ الْوِزَارَةَ فِي أَيَّامِ الْإِمَامِ عَبْدِ اللَّهِ، وَكَثُرَتْ
مُطَالَبَتُهُ لِلنَّاسِ، وَرَفَعَهُ عَلَيْهِمْ، [وَنَحَّكَهُمْ بِهِمْ]؛ وكان يجاهر بكراهة^(١) [أمير المؤمنين]
الناصر، ويرفع عليه إلى جدِّه [رحمهما الله]، ويفرغ الإمام عبد الله برجاله؛
فحبسه [أمير المؤمنين] الناصر [في] يوم يبعثه؛ ولم يزل محبوبًا إلى أن أمر بقتله؛
وقُتِلَ مَعَهُ حَبِيبُ [بن عمر] بن سَوَادَةَ، وَوَلَدَاهُ، وَمُحَمَّدُ بْنُ وَليدٍ [المعروف
بـ] الغليلي^(٢)؛ وكانت لهم ذنوب وجرائم [أحردته عليهم].

غزاة مويش

وفي سنة ٢٠٨، كان غزاة أمير المؤمنين الناصر إلى دار الحرب، وهي غزاة
مُويش؛ فبرز - رحمه الله - لهذه الغزاة يوم الخميس لثلاث عشرة خلت من
ذى الحجة سنة ٢٠٧؛ ثم فصل غازيًا من قَصْرِ قُرْطُبَةَ * يَوْمَ السَّبْتِ لثلاث P. ١٧٤
عشرة ليلة خَلَّتْ مِنْ الْحَرَمِ سنة ٢٠٨، [وهو اليوم الثالث من شهر حزيران،

1) A. B. ببغض. 2) A. B. العفيلي.

ذلك بعد بُروزه بثلاثين يوماً. وتخلّف في القصر وليّ عهده المحكّم [أمير المؤمنين
المُستنصر بالله (أبده الله)]. ومن الوزراء موسى بن محمد بن حُدَيْر. فلما كان
في اليوم الرابع من فصوله، ونزل بمخاضة الفتح، ورد عليه بها كتابُ فتحٍ من
قِبَل عامل مدينة الفرج. بذكر أنّ المشركين من أهل جَلَيْبَةَ أنوهم في جمع كثير؛
فأغاروا على ما ألفوه في بسطهم من الدوابّ والسّوام، ثمّ عرجوا على حصن
قربهم، يُعرف بالقلعة؛ فأحدقوا به طامعين في التغلب عليه؛ فالتحشد اليهم جميع
أهل المدينة بفارسهم ورجالهم. وواضعوهم القتال بأثيت بصائرهم؛ فمَنحوهم الله
- عزّ وجلّ - أكتاف الكفرة، وأطال أيديهم عليهم؛ فقتلوا وأسروا كثيراً منهم،
وأنبعوهم من أوّل النهار الى آخره، والسيفُ يعمل فيهم، وبعثوا بجملته من
رؤوسهم؛ فاستبشر الناصر بما ورده، ونفأل باسم المحلّة التي كان فيها عند ورود
الفتح عليه.

ونهبض أمّا لوجهته، والحشودُ والعساكرُ تتلاحق به من (سائر) أقطار
الأندلس، وجميع جهاتها. ونزل (رحمه الله) على مدينة طَلَبُطَّة، وخرج اليه
أبّ بن الطَّرْبُوشة صاحبها، مُبادراً اليه، وغازياً معه؛ وكان يُظهر طاعةً تحتها
معصيةً. ثمّ سَئِلَ (رحمه الله) في مناقله، حتّى نزل بمدينة الفرج؛ فنظر لأهلها،
وعزل بنى سالم عنهم. إذ شكوا بهم. واستوزر [رضاه] في هذه المحلّة سعيد بن
المُنْدِير. وقدمه قائداً وضابطاً لمدينة الفرج، وأغزاه مع نفسه. واستعمل على
الموضع أن يغزى [الفرشي] صهره، واستنفض عليهم محمد بن مسور النقيبه.
وصنعت أحوالهم، وعمّ الرضى جميعهم؛ وخرج للجهاد أكثرهم. ونهبض أمير
المؤمنين الناصر - رحمه الله - في جيوشٍ تغصُّ بها السُّبُل، ويضيق بها الفضاء
الأوسع. حتى احتلّ بغير مدسة سالم، وأظهر [رحمه الله] التوجه الى الثغر
الأقصى. أو قدمت المقدمة نحوها. ثمّ عرج بالجيوش الى طريق آلبّة والقلاع،
وطوى من نهاره ثلاث مراحل، حتى احتلّ وادي دُوَيْر؛ فاضطربت العساكر

1) A. B. ajoutent كتيبة.

فيه، وباتت عليه. ثم أخرج صباح تلك الليلة [سعيد بن المنذر الوزير، في] جرائد الخيل وسرعان الفرسان، إلى حصن وخشبة؛ فأغذ السير حتى قرب من الحصن، وشرح الخيل المغيرة يمنة ويسرة، والمشركون في سكون وغفلة، [إذ كان العليج الذي يلي أمورهم قد كاتب أمير المؤمنين (رحمه الله)، مؤكداً له في إزاحته عن بلد بوعيد وعدها من نفسه؛ فأظهر أمير المؤمنين (رحمه الله) قبول ذلك منهم، وأضر الكيد بهم؛ فغشيتهم الخيل المغيرة على حين غفلة، وأصابوا نعيم وسواهم ودوابهم مسرحة مهملّة؛ فاكتسحوا جميع ذلك، وانصرفوا إلى العسكر سالمين غانمين. فلما كان في صباح يوم الجمعة لاثنتي عشرة ليلة بقيت من صفر، اندفعت الخيل في أكمل نعبته، وأهذب تربيب، وأوكد ضبط، وألغ حزم وعزم، إلى حصن وخشبة؛ ففرّ عنه الكفرة، وأخلوه، ولادوا بالغباض الأشيبة، والصخور المنقطعة. ودخل المسلمون الحصن، وغنموا جميع ما فيه، P. 117 وأضرموه ناراً. وبات أمير المؤمنين (رحمه الله) في محلته على وخشبة ليلة السبت؛ ثم رحل عنها في اليوم الثاني إلى حصن قاشتر مورش، وهي شنت أشنتين. بيضة الكفرة، وقاعدتهم، والموضع الذي كانوا تعودوا فيه الاستطالة على من وردهم. فلما رأوا أن أنصار دين الله قد أطلّوهم، وأولياءه قد صمدوا نجوهم، أخلوا الحصن وخرجوا هاربين عنه؛ فدخله المسلمون، وغنموا جميع ما فيه؛ وخرّبوا حصن القبيلة المجاور له، ولم يترك لأعداء الله في تلك الجهة نعمة بأوون إليها. [واضطرب العسكر بشرقي حصن قاشتر مورش. وبات المسلمون ليلة الأحد بأسر ليلة كانوا بها، والحمد لله. ثم انتقل أمير المؤمنين (رضه) في صبيحة اليوم الثاني من مكان المضطرب شرقي الحصن إلى غربيه، ولم يكن بين الموضعين إلا قدر ميل؛ فكرر العسكر في ذلك المكان يوم الأحد متفصلاً لآثار الكفرة، ومستبيحاً لنعيمهم. ثم ارتحل إلى مدينة لم أولية تُعرف بقلونية، وكانت من أمهات مدنها؛ فلم تهرّ الجيوش إليها إلا على قرى منتظمة وعمارة بحبطة؛ فغنمت جميع ما كان بها، وقتلت من أدركت فيها، حتى أوفت العساكر على المدينة؛ فألفيت

خالية، قد شرد عنها أهلها الى الأجل المجاورة لهم؛ فغنم المسلمون جميع ما
 P. ١٨٧ أصابوا فيها، وعمت الأيدي في تخریب ديارها وكنائسها. وكسر الناصر (رحمه
 الله) عليها ثلاثة أيام، مطاولاً لنكاية المشركين، وانتساف نعيمهم. ثم ارتحل
 (رحمه الله) من مدينة قلونية يوم السبت لحمس بقين من صفر الى نغر تَظيلة،
 لغبات صرخ المسلمين به، إذ كان العالج شائجه قد ضايقهم، وتردد بكفرته عليهم؛
 فأخذ الناصر (رحمه الله) بالرفق في نهوضه، إيثلاً بعنف على المسلمين بحيث السير
 مع اتصال سفرهم؛ فاستقبل بالجيوش قطع المفاز الأعظم، مسائراً لوادي دوبر،
 وقطع في ذلك خمس محلات، حتى احتل حوز تَظيلة؛ ثم قدم الخيل مع محمد
 ابن أبت عاملها الى حصن قلهرّة الذي كان اتخذ شائجه على أهلها. فلما قصدته
 الخيل، أخلاه من كان فيه، وضبطه المسلمون.

ثم نهض (رحمه الله) الى حصن قلهرّة. وكان شائجه قد اتخذ مَعْقِلاً، ونبوّاه
 مسكناً. فلما فجأه العساكر، أخلاه العالج، وزال عنه؛ فغنمه المسلمون بأسره؛
 وكسر الناصر (رحمه الله) عليه يومين حتى خرب جميعه، وانتسف كل ما كان
 حوالیه. ثم رحل بالجيوش يوم الأحد لأربع خلون من ربيع الأول الى دى شره،
 وأجاز اليها وادي إبره؛ فخرج شائجه من حصن أرنيط في جموعه وكفره،
 منعرّضاً لمن كان في مقدّمة العسكر؛ فتبادر إليه شُعبان الرجال، تبادر رشي
 التبال؛ فانهزم الكفرة، وركبتهم الخيل، تقتل وتخرج، حتى تواروا في الجبال،
 ولاذوا بالشعاب ^(١) وأيقنوا بالدمار والهلاك ^(١). وحبز كثير من رؤوس المشركين؛
 فتنقوا بها أمير المؤمنين (رحمه الله)، ولا غلّم عند المعركة التي دارت بينهم
 وبين أعداء الله. واضطرب العسكر بهذا الموضع، وبات المسلمون ظاهرين على
 عدوّهم، ومنبسطين في قرّاهم ومزارعهم.

وورد الخبر على الناصر (رحمه الله) باجتماع العلجيين أردون وشائجه،
 P. ١٨٨ واستعداد بعضها ببعض، طامعين في اعتراض المقدّمة، أو انتهاز فرصة في

الساقية. فأمر الناصر (رحمه الله) بنعبسة العساكر، وضبط أطرافها؛ ثم نهض بها مؤغلاً في بلاد الكفرة؛ فظلملوا على كدى مشرفة وأجبل مبيعة؛ ثم تعرضوا من كان في أطراف الجيش، وجعلوا يتصاحبون، ويؤولون ليضعفوا من قلوب المسلمين؛ فعهد الناصر (رحمه الله) بالأنزول والاضطراب وإقامة الأبنية. ثم تبادر الناس إلى محاربة الكفرة، وقد أسهلوا من تلك الأجبل؛ فواضعوهم القتال، واقتحم عليهم حشم أمير المؤمنين ورجاله وأبطال الثغر وحماته، يضعون أسلحتهم فيهم، ويظرون رماحهم عليهم، حتى انهزم المشركون، لا يلوون على مكان مضطربهم، ولا يهتدون لوجه متقلبهم، والمسلون على آثارهم، يقتلون من أدركوا منهم، حتى حجز الظلام بينهم.

ولجأ عند الهزيمة أزيد من ألف عالج إلى حصن مويش، ورجوا التمتع فيه. فأمر الناصر بتقديم البطل وأبنية العسكر إلى الحصن؛ فأحيط به من جميع جهاته، وحوربوا داخله حتى تغلب عليه، واستخرج جميع العلوج منه، وقدموا إلى الناصر (رحمه الله)؛ فضربت رقاب جميعهم بين يديه، وأصيب في الحصن والمحلة التي كانت للكفرة بقره من الأمتعة والأبنية والحلية المتقنة والآنية ما لا يحصى كثرة؛ وأصيب لهم نحو ألف وثلاثمائة فرس. وكسر أمير المؤمنين (رحمه الله) بهذه المحلة أربعة أيام، يغير جميع ما حواليتها من نعم المشركين وثمراتهم ومزارعهم؛ ثم انتقل (رحمه الله) يوم الأحد لإحدى عشرة ليلة خلت من ربيع الأول إلى حصن كان أخذه شائجه على أهل بقيرة؛ فالفاء خالياً، قد فر عنه أهله؛ فعهد بهدمه، ولم يبرح أمير المؤمنين (رحمه الله) من محنته هذه حتى انتقل إلى حصن بقيرة من أطعمة الكفرة ألف مدي تقوية لأهله.

ثم انتقل إلى حصون المسلمين يسكنها وينظر في مصالح أهلها؛ فكلما P. ١١٩
ألقى بقرتها معقلاً للمشركين، هدمه وأحرق بسبطه، حتى لقد اتصل الحريق في بلاد المشركين عشرة أميال في مثلها. واجتمع عند الناس من الأطعمة (والخبزات) ما عجزوا عن حملها، ولم يجدوا لها ثمناً تبا به؛ وكان الفصح في العسكر [تبذل]

سنة أفضة بدرهم؛ فلا يوجد من يشتريه؛ فجمعت الأطمية وأدخلت النار إليها حتى أحرقت عن آخرها. [وقتل الناصر (رحمه الله) يوم الثلاثاء لثلاث بقين من ربيع الأول، حتى انتهى إلى مدينة أنيشتة؛ فكسر (رحمه الله) بها يوماً، ووصل رجال الثغر، وكسام، وحمائم، وأذن لهم في الرجوع إلى مواضعهم]. وبعث إلى قرطبة من رؤوس الكفرة [التي أصيبت في المعارك المذكورة] أعداداً عظيمة، حتى لقد عجزت الدواب عن [السبأ] حملها. ودخل (رحمه الله) القصر بقرطبة يوم الخميس الثالث عشر من ربيع الآخر، وقد استكمل في غزاه هذه تسعين يوماً. [وفي هذه السنة، بعد الفتل، عزل الناصر (رحمه الله) محمد بن محمد بن أبي زبد عن الشرطة العليا، وولأها ذرناً مولاة].

وفي هذه السنة، قتل جعفر بن عمر بن حفصون بجبل بيشتر، قتله أصحابه غيلة، ودخله أخوه سليمان وضبطه.

[وفيها، ولي العرض عبد الرحمن بن عبد الله الزجاجي].

وفيها، افتتحت الممدات بحدو قرطبة¹⁾ من كورة ربة، وبني حصن فاشتره ذكوان، وألزمه الرجال والقوة.

وفي هذه السنة، توفي أبو عمرو سعد بن معاذ بن عثمان بن حسان بن

بخاير السعيات²⁾ النقب بقرطبة في جمادى الأولى؛ وكان معظماً في أهل العلم؛

وفيها، توفي عبد الغافر بن هاشم بن عبد العزيز.

وفي سنة ٤٠٩، كان غزاة أمير المؤمنين الناصر (رحمه الله) إلى كورة ربة،

وهي [غزاة طرش]. [وبرز لها (رحمه الله) يوم الخميس سبع خلون من ذي الحجة

سنة ٤٠٨، وهو اليوم العاشر من أيار]. وفصل من قصر قرطبة [غازياً] يوم

السميت لثمان خلون من المحرم [سنة ٤٠٩]، وهو اليوم العاشر من حزيران بعد

بروزه إلى أحد وثلاثين يوماً. وتخلّف في القصر وليّ عهده أمير المؤمنين المستنصر

1) A. B. G. قرطبة. Il s'agit de Cartama.

بالله [أطال الله بقاءه] فسار [رضه] في احتفال من جيوشه، وطفقات من رجاله. حتى احتل على حصن طُرُش؛ وكانت النصرانية قد انحسرت إليه، وتحصنت فيه؛ فأحدثت العساكر به من جميع جهاته. وعهد بحاربتهم والتضييق عليهم ونصب المجانيق على مرفقَيْ أَصْلٍ منه حجارته إلى الكفرة. وكانوا في أوّل المنازلة لم يبرزون للعرب، ويُظهرون المدافعة، حتى مزقّتهم الحرب، وقُتلت عددهم. وفُتت حدّهم؛ فعادوا بالاستغلاق في داخل حصنهم¹⁾. ثمّ نادى التضييق عليهم، والحصار لهم، حتى أخذهم الجهد، وأشفقوا على الهلاك؛ فخطبوا أمير المؤمنين ضارعين إليه في تأمّنهم، على أن يسلموا الحصن، ويخرجوا عنه؛ فأجابهم إلى ذلك، وقبل إنابتهم؛ ودخل رجاله الحصن، وخرج عنه جميع من كان به من النصرانية داخله. وهدمت قِصَابُهُ²⁾ وألقت أحجارها في النهر؛ وبقي في موضع 191 الكنيسة مسجد جامع. ونظر الناصر (رحمه الله) أيام محاصرته الحصن طُرُش في توجيه القواد والأجناد إلى حصن بَشْتَرٍ وحصن أقوط وجبل الحجارة، لمحاربة سليمان وحنص ابني عمر بن حفصون، والتضييق عليهم، والانتفاص لعددهم. ثمّ قفل الناصر (رحمه الله) من محلّته على حصن طُرُش يوم الاثنين لأربع عشرة ليلة خلت من ربيع الأوّل، ودخل [قصر] قُرْطَبَةَ [يوم الخميس اثلاث عشرة ليلة بقيت منه]، وقد استتمّ في غزاه هذه تسعة وستين يوماً.

[وفي هذا العام، استنزل بنو سعيد بن ناصح بن مسّنة من حصون بأغة المعروفة بعالية وربرش. واستنزل موسى بن يزيد، أخو حمصي، من الصخرة التي كان بها. واستنزل بنو مهلب من حصونهم المعروفة بقردذرة وإشبرغيرة وغيرها، وهلم جميعها.]

وفي هذه السنة، أمر الناصر (رحمه الله) بقتل العاصي ابن الإمام عبد الله، ومحمّد بن عبد الجبار ابن الإمام محمّد (رحمهما الله)، إذ شهد كل واحد منهما

1) بالحصن بحدار حصنهم B. 2) نصبه A. B.

على صاحبه بمطالبة الخلافة ونقض البيعة، وكثراً في ذلك؛ وكان لهما غايات.
فقتلاً ليلة الأربعاء لثلاث خلون من رجب.

وفي ليلة الجمعة لست خلون من رجب، مات الحاجب بدر بن أحمد؛
وولي الحجابة موسى بن أحمد بن حدير.

وفيها، مات محمد بن عبد الله بن أمية الوزير؛ وعبد الواحد بن محمد بن
عبد الواحد بن يزيد الإسكندراني في شوال؛ وفيها، توفي الفقيه محمد بن أحمد
المعروف بابن الزراد، ليلة الخميس لإحدى عشرة ليلة بقيت من ذي الحجة.

وفي سنة ٢١٠، كان [غزو أمير المؤمنين الناصر (رحمه الله) إلى كورة
I. 192] البيرة، وهي [غزاة منت روبي. وبرز * لهذه الغزاة يوم الخميس لثلاث خلون
من ذي الحجة سنة ٢٠٩، [وهو الرابع من نيسان، وفصل غازياً من قصر
قرطبة يوم السبت لعشر خلون من المحرم، وهو اليوم الحادي عشر من أيار،
بعد يروزه بسبعة وثلاثين يوماً]. وتخلّف في القصر وليّ عهد الحكم المستنصر
بالله ((أبقاه الله))، ومن الوزراء أحمد بن محمد بن حدير. وغزا معه في هذه
السنة الحاجب موسى بن محمد؛ فسار [رضه] حتى احتلّ بحصن منت روبي
يوم الاثنين لإحدى عشرة ليلة بقيت من المحرم؛ وكان جبلاً منيعاً، بعيد المرام،
كثير السكّان من عجمية، فدلاذت به، وامتنعت فيه؛ وهو متوسط بين كورة
إلبيرة وكورة جيان، وعلى طريق مدينة بجانة. فكان من سلك تلك السبيل من
وارد أو صادر لا يسلم من عادية ذلك الحصن. وكانوا يسفكون الدماء،
ويسلمون الأموال، [ويخيفون السبل]. فأقام عليهم أمير المؤمنين (رحمه الله)
خمسة وثلاثين يوماً محاصراً، حتى أباد كثيراً منهم، [وقطع ثرائهم، وغير نعمهم].
ثم أبقى على الحصن من رجاله وأجناده من استمرّ على محاصرته، حتى كان لا
يدخل إليهم داخل، ولا يخرج عنهم خارج. وتقدّم [عنه] إلى حصون كورة البيرة؛
فعمّ جميعها بالنكابة. ثمّ عرّج منها إلى كورة ربة، ونزل على [جبل] بيشتر يوم
السبت لسبع خلون من ربيع الأول؛ فحاربهم أشدّ محاربة، ونكاهم أبلغ نكابة،

وقطع ما [كان] بقي في أسناد الجبل من الثمار، وربب لمحاصرهم أكابر الفؤاد.
 وقصد (رحمه الله) كورة تاكرنا، فاستصلح أحوال أهلها، واستوثق من طاعتهم، P. ١٩٢
 ونقل من رأى نفاه إلى قرطبة من وجوههم. ثم وصل نظره فيها بالنظر في كورة
 مؤرورا، وطالع في طريقه كورة إشبيلية وقرمونة، وقفل بعد إحكامه جميع الأمور
 في تلك الجهات؛ فاحتل قصره يوم السبت لست خلون من ربيع الآخر، وقد
 استكمل في غزاه هذه خمسة وثمانين يوماً.

[وفي هذه السنة، ولى الوزارة أبو سعيد عبد الملك بن محمد الشدوني، يوم
 الأربعاء لثلاث عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الآخر. وولى فيها الوزارة أيضاً
 يحيى بن إسحاق؛ وكانت بيده الشرطة الصغرى؛ فوليا مكانه محمد بن محمد بن
 أبي زيد، وذلك يوم السبت لخمس بقين من شوال.

وفيها، عزل أفلح بن عبد الرحمن عن الخيل، ووليا صاحب المدينة محمد
 ابن عبد الله الخروبي أياماً يسيرة؛ ثم أعيد إليها أفلح.

وفيها، ولى أحمد بن موسى بن حدير، ونهارة بن سليمان الخزانة، في شوال.
 وفيها، ولى أحمد بن عبد الله الخروبي العرض.

وفيها، مات سالم بن عبد الله بن عمر بن عبد العزيز بن أبا الفقيه؛ وعبد
 الله بن أبي الوليد ابن أخت محمد بن الصفار الفقيه، وكانت له رواية عن
 سخون؛ ومحمد بن عبد الحكم؛ وفيها، توفيت عليّة بنت الإمام عبد الرحمن
 ابن الحكم (رحمه الله).]

وفي سنة ٢١١، كان غزو أمير المؤمنين الناصر (لدين الله) [رضه] إلى
 مدينة بيشتر وحصون رية؛ [فبرز لغزاه هذه يوم الخميس لست خلون من ذي
 الحجة سنة ٢١٠، وهو اليوم السابع عشرين من آذار؛ وفصل غازياً يوم الإثنين
 مستهل المحرم، وهو اليوم الثاني عشرين من نيسان، بعد بروزه بخمسة وعشرين P. ١٩٤
 يوماً]؛ فسار [رحمه الله] حتى احتل على حصن بيشتر؛ وبادر سليمان بن عمر بن
 حصون بسكاتبته، [راجياً لصرف عزمه عنه]؛ فأعرض الناصر عن مجاورته،

[وقبول ما تعرّض له من مكائده]، وأخذ بالجدِّ والعزم في مُحاصرته، اوقطع باقي ثمراته وكرماته، واصطلام معائشه]. وأقام عليه سبعة أيام، يصل الغدو بالروح في التغيير والتدمير والنكاية والاستبلاغ؛ وفعل كذلك فيما بقي من حصونه. [كحصن قرذارش، وحصن نجارش، وحصن الجش، وشنت بيطر؛ فخرج إليه حنص بن عمر بن حفصون، ونيراً من حصن قامرة؛ فأمنه أمير المؤمنين الناصر (رحمه الله). وأقرّه في بعض حصونه، لِمَا رآه من السياسة ووجه المصلحة فيه وفي سليمان أخيه. ثمّ تقدّم إلى مرّسى شاط والمسكر، وحصن مشكربل، ونهض بعساكره في وعير لم يفتحهم جيش قتلته؛ فاستنزل جميع أهل نك الحصون، واستصلح تلك الجهات. [ثمّ قصد جبل بيشر، وقد كان أهله أرادوا التّكّ بسليمان بن حفصون، وضبطوا القصة دونه، وأطلقوا من كان في حبه، وانتهبوا أكثر أمتعته؛ ثمّ إنه احتال مع بقية أصحابه، حتى دخلوا المدينة، وفتحوا له بابها؛ فدخل منه متلثماً، وأطع السواد في أموال الفائزين عليه؛ فثاروا معه، وبادروا إلى قتل من ظفّر به منهم؛ فأفنى أكثرهم؛ وسلط الله بعض الكفرة على بعض، ليهجو آثارهم. وبني سليمان بجبل بيشر مشغولاً بنفسه، مرتاباً من حوله؛ فاحتلّ به أمير المؤمنين مرّة ثانية في غزاته هذه، وذلك يوم الأحد لأربع خلون من ربيع الأوّل؛ فلم يكن لأحد من الكفرة إطلال عند اضطراب العسكر على ما كانوا تعودوه من قبل؛ وأرتب على الجبل أمير المؤمنين من وثق به من رجاله، وألزمهم مواضع في جميع جهاته]. ثمّ قتل، ودخل [القصر بـ] قرطبة يوم السبت لعشر خلون من ربيع الأوّل، وقد استتم [في غزاته] تسعة وستين يوماً.

[وفي هذه السنة، كانت وقعة بقرة ومُحاصرة أهل بنبونة لعبد الله بن محمد ابن لب، حتى تغلب عليه وعلى من كان معه، وأسرم العليج شائجه؛ ثمّ قتلهم. وكان مع ابن لب في حصن بقيرة مطرف بن موسى بن ذى النون، ومحمد بن محمد ابن عمّه، ووجوه رجالهم؛ فذهبوا في هذه الوقعة بأجمعهم. وشنع الحادث

فيها على الناصر (رحمه الله)؛ فأخرج عبد الحميد بن بسيل قائداً إلى الثغر الأقصى، بعد أن استوزره؛ وكان على خزانة المال؛ فنهض حتى احتل الثغر بجيوش كثيفة، أخرجت معه، وحشدت إليه من الثغر وغيره؛ فدخل مدينة تطيلة وملكها.

وفيها، افتتحت قصبة مؤرور.

وفيها، ولي محمد بن أحمد بن حدير خطة العرض، وعزل محمد بن محمد ابن أبي زيد عن الشرطة الصغرى، وولياها يحيى بن يونس الفيرسي¹⁾.
وفيها، توفى عبد الرحمن ابن الإمام المنذر (رحمه الله). وتوفى جهور بن عبد الملك، وهو قائد شذونة. وفيها، قتل عبد الله بن محمد بن مروان الحليقي، صاحب بطلبيوس، دخل عليه بعض أهل الموضع، فقتلوه. وفيها هلك أزدون بن إذفئش صاحب جليقية، وولى مكانه فلويرة.

غزاة الناصر إلى بنبلونة

* وفي سنة ٢١٢، كان غزاة أمير المؤمنين الناصر (لدين الله) أرضه [الى ١٩٦ P. دار الحرب، وهي الغزوة المعروفة بنبلونة؛ فبرز (رحمه الله) لهذه الصائفة مبكراً قبل ميقات الصوائف، إذ أحفظه ما دار على بني لبّ وبني ذى النون بحصن بقيرة؛ فبرز لغزاته هذه يوم الخميس لليلتين خلنا من ذى الحجة، وهو اليوم الثاني عشر من شباط سنة ٢١١]. وفصل من قرطبة يوم السبت لأربع عشرة ليلة بقيت من المحرم [سنة ١٢، وهو اليوم السابع عشرين من نيسان، وذلك بعد بروزه بثلاثة وأربعين يوماً]. فاحتل لأول خروجه بمحلة باليش، وكسر بها يومين، متلوماً على المجاهدين معه من أجناده ورعيته، والمحشودين من أقطار كوره. وتخلف [رحمه الله] بالنصر بقرطبة ولياً عهده الحكم [المستنصر بالله (أبقاه الله)، ومن الوزراء أحمد بن محمد بن حدير]. وأمّ الناصر رضه

1) Lecture douteuse. G. porte ici, comme plus loin: الفيرسي.

في أوّل خروجه كورة نُدمير وكورة بَلْنَسِيَّة، واسنصلح أحوال أهلها، واستنزل
عبد الرحمن بن وضّاح. ويعقوب بن أبي خالد [التوبرئى]، وعامر بن أبي
جوشن، وغيرهم، من مواضعهم التي كانوا متأمرين فيها، ومنعاصين عن التزول
منها. [وأرتب القواد والجيش على محمد بن عبد الرحمن بن الشيخ، إذ تمنع
من التزول إليه والغزو معه؛ وكان بمدينة العسكر من أحوار بَلْنَسِيَّة].

ثمّ نهض [أمير المؤمنين] الناصر (رحمه الله) في عساكر كعدد الحصص، حتى
دخل نغرة طيلة. وخرج إليه النجيبون وغيرهم، وسفاه عمال الثغر في جنود
عظيمة، وعدة كاملة؛ فدخل (رحمه الله) بلاد المُتركين (يوم السبت لأربع
خون من ربيع الآخر) بأنند عزم، وأوكسد حزم، وأقوى نية في الانتقام لله
(عزّ وجلّ) ولدينه من الأرجاس، الكثرة (الأنجاس). فحلّ من أوّل بلادهم
حصن قنطرة؛ وكان العنّج شائجه قد أخلاه؛ فأمر بهدمه وإحراق جميع ما فيه
وحوله؛ ثمّ سئل عنه الى موضع يعرف بيطرة ألتد؛ وكانت حوّه حصون مائة؛
فأخلاها الكفرة، ونخفوا في سبطها جميع أمتعتهم وأطعمتهم. إذ عوجاوا عن
انتقالها. ولجأ عوج منهم بأهلهم وولدهم الى ثلاثة غيران في شفير جرف على
النهر؛ فلم يزل أهل العسكر يتعفون إليهم فيها، وينسورون عليهم من أعاليها.
حتى فتح الله لك الغيران عليهم؛ فقتلوا العنّوج وسوا الدراري، وغنوا الأمتعة.
وكان ذلك أوّل ما أفاء الله - عزّ وجلّ - على أهل العسكر. وغنمهم إياه.
وهدمت حصون الكثرة التي كانت في سك الجهة؛ ولم يبق منها صخرة قائمة.

ثمّ سئل - رحمه الله - من هذه الجهة. بعد أن كسر بها يوماً، الى حصن
فالجش؛ فأضرمت أرباضه ناراً. واستفصيت زروعته وبعته استسافاً وبغيراً.
ثمّ ارتحل رضه الى حصن نغالية؛ وكان من حصونهم الشريفة؛ فألفيت الأطمعة
به كثيرة، والنعيم فيه فائضة؛ فاتهب المسلمون جميع ذلك، ودأبوا في تخريب
الديار. وتغيير الآثار. ثمّ ارتحل منه الى حصن قرقسثال على وادي أرغون؛
ثمّ استعزم الناصر - رضه - على الإيغال في بلادهم، والتوصل الى موضع قرارهم،

ومجتمع كَنَارِهِمْ، ونكائيتهم في عَقْر دَارِهِمْ، ومكان أَمْنِهِمْ؛ فأخذ في الحزم، وعهد بضبط مُجَنَّبَاتِ العسْكَرِ، وتقدّم من فجّ المَرْكُوبِ فِي أَمِّ تَعَبِيَّةٍ وَأَهْدَبَ تَرْتِيبَ، وذلك يوم السبت لإحدى عشرة ليلة خلت من ربيع الآخر؛ فدخلت الجيوش مواضع لم تُدْخَلْ قَبْلَ ذَلِكَ، [وأحرقت الحصون، وهدمت الديار،] حتى نزل بقرية بَشْكَوْنِشَةَ¹، التي إليها ينسب العَلِجُ، ومنها أصله؛ فهدمت مَبَانِيهَا، أُحْرِقَ كُلُّ شَيْءٍ كَانَ فِيهَا.

فجمع العَلِجُ شَائِجَهُ كَفَرْتَهُ، واستمدَّ بنصرانيته [من كلِّ مكان، طمعا أن يُغَاثَ مِنْهُ] حتى توافى له جمعٌ رجا أن يكافح المسلمين به؛ فتطلعت له خيلٌ على تلك الأَجِيلِ المنيفة على العسْكَرِ، [وذلك ليلة الأربعاء للنصف من شهر ربيع الآخر]؛ فأمر الناصر [رحمه الله] بالنعبة للرجال، وشكَّ العسْكَرِ، وإيقان النظر؛ وصاح النهوض والتقدم لوجهته، وإيقاناً بالله - عزَّ وجلَّ - ومتوكِّلاً عليه؛ فسلكت الجيوش بين أجيل شامخة وشواهق منقطعة. ورجا أعداء الله مع ذلك بانتهاز الفرصة والاعتراض للمسلمين في مجنبة أو ساقية؛ فلما توسط الجيش بعض تلك المواضع المتضايقة [على واد يُعرف بوادي هَيْغَةَ]، هبطت المشركين خيل من الأَجِيلِ؛ فحالت بينهم وبين أهل العسْكَرِ [مناوشة يسيرة]. فعهد أمير المؤمنين - رحمه الله - برفع المِظَلِّ والنعيبة للحرب، ونهض المسلمون إلى أعدائهم نهوضاً ١٩٩. والأسود؛ فعبروا النهر إليهم، وصموا بالحملة عليهم، حتى اقتلعوهم عن موضعهم، [وهزموهم]، ووضعوا سيوفهم ورماحهم فيهم، حتى اضطروهم إلى مُرْتَفَعِي وَعُرِّ وجبل منقطع؛ فتفتح المسلمون عليهم، وسهلَّ اللهُ وعده لهم؛ فقتلوا جملة منهم، وبسطت الأرض بأجسادهم. واستمرت الخيلُ البُغِيرَةُ فِي بَسِيطِهِمْ؛ فأصاب الغنائم والسوام وضروب النعم، وانصرفوا سالمين، لم يُصَبَّ مِنْهُمْ غَيْرُ يَعْقُوبَ بْنِ أَبِي خَالِدِ التَوْبَرِيِّ، ونفرٌ يسيرٌ من الحشم فازلوا بالشهادة، وختم الله لهم بالسعادة.

1) B. بَشْكَوْنِشَةَ. Peut-être: بَشْكَوْنِشَةَ. Sangüesa?

واجتمع من رؤوس المشركين عددٌ عظيمٌ اُمنع من البعثة بها الى قُرطبة بنع الطريق وتعد المسافة.

ثم ارتحل أمير المؤمنين رضه الى محلة لُنيرة؛ ثم الى محلة لَعين؛ والجيش لا تترك موضع إلا اصطلمته، وتعلقت زروعه، وهدمت قراه وحصونه، الى أن بلغ رضه مدينة سَبِلُونَة؛ فوجدها خالية مفردة؛ فدخلها - رحمه الله - وجال بنفسه عليها، وأمر بهدم جميع بناياتها، وتخرّب كنيسة الكفرة بها، التي كانت يعقّم موضع سُكُونهم، حتى لقد جُعت قاعاً صَفْصَفاً. ثم سئل - رضه - منها الى صحرة فَيْس؛ وكانت بها كنيسةٌ قد شيدها العليج، وأنفها، وطاول الأنام بالتأنيق فيها. والتحصين لها؛ فلما حانت بها الجيوش وأخذت في هدمها، نطّع الكلب من جبل كان أسد إليه. طامعاً في حمايتها؛ فداخله أولياء الله بأسرع من لحظة الطرف. حتى اقتنعوه مهزوماً مؤلياً، وصرع من فرسانه ووجود أصغاه من كان عنه محامياً ودونه مستهيكاً؛ وأخربت الكنيسة وما أحاط بها، وعادت القرنة باراً موقدة.

ثم سئل منها الى محلة اساربه؛ وكان في ممره إليها فجاج يُقال له هَرْقَة ضيق المسك. وعر الحجاز؛ فرام الكفرة انهزاز فُرصة من المسلمين فيه؛ فأمر الناصر - رحمه الله - بالتمسك والاحتراس، ونهض على أتم التحنّظ والضبط، حتى جاوزت العساكر ذلك المضيق، وخرجت عنه وتظاهر أعداء الله لأهل الساقة، مستهينين لأعلى جبل؛ فهضت الخيل إليهم، وهزمتهم، وقتلت طائفة منهم. وانشعوا مُدبرين لا بلوون ولا بعرجون. ونقّم المسلمون بعزة القهر، وسرور النصر، حتى نزّلوا محلة اساربه. ثم ارتحل الناصر - رحمه الله - منها الى محلة بقرنة منبِير؛ ثم تنقل الى محلة بدى شره المجاورة لشنت اشنين؛ وكان موضع [السرکاج] العليج شائجه، ومكان طابيته؛ فحلت الجيوش بهذه المحلة يوم الأربعاء لثمان بقين من ربيع الآخر، وتظاهر الكلب على الجبل، فد جمع جموعه، وحشد رجاله، واستجاش بمدود الله من آلبة والقلاع، طامعاً في معارضة المسلمين، يُقيم

بها عذره عند كفره، وأهل يمانه؛ فناشبههم المسلمون الحرب، والتحم بينهم القتال؛ فهزم الله اجموع المشركين، وانقبضوا الى أعلى جبلهم، ونزقوا في شعراء منصلة بهم، وبات أهل العسكر في محنتهم، وابسطت العلفة في القرى؛ فانتسنت ما فيها، ثم انتقل الناصر الى معانته بوضع يعرف برؤية سره، وهو يريد قلعة العنج، ونظاهر العنج اجموعاً مرة ثانية في الموضع الذي كان مشرفاً فيه، ومعصماً به؛ فتبادر اليه النيران؛ فانهزم أقبح الهزام، او قتل له رجال وعقرت له خيل.

وسقل الناصر - رحمه الله - الى حصن قنبرة؛ فالتفاه خالياً، وأمر بهدمه، ثم سقل الى حصن شبيكة، وهو من حصون المسلمين المتجاوزة للمشركين؛ فعهد بأدخار الأطعمة عنهم، وسرق الأموال فيهم، واحتل بدسة أظينة، وكسر بها. وذلك يوم الاثنين لثلاث بقين من ربيع الآخر، ورحل عنها قافلاً، وجعل مروره بيني ذى النون؛ وكان يحيى بن موسى قد استراب، واقوقف عن الجهاد؛ فدارت عليه معزة الجيش، حتى أذعن منقاداً، وخرج خائلاً وجداً، وبتنى أمير المؤمنين معترفاً بذنبه، فأوسعاه عفوه؛ او فعل مثل ذلك يحيى بن أبي النعمان أخيه. ودخل أمير المؤمنين ارحمه الله قرطبة يوم الخميس لثمان بقين من جمادى الأولى، وقد استتم في غزاه هذه أربعة أشهر.

وفي سنة ٢١٢، كانت غزاة أمير المؤمنين الناصر (رحمه الله) الى كورة أميرة، او منازلته حصن اشتين، واستصلاحه الأحوال بالكورة جيان وما والاها؛ [فيرز - رحمه الله - هذه الغزاة يوم الخميس لإحدى عشرة ليلة خلت من المحرم سنة ٢١٢، وهو اليوم السابع من نيسان، وفصل غزياً يوم الخميس لثمان بقين من صفر، وهو اليوم السابع من أيار، وذلك بعد بروزه بثمان وأربعين يوماً]؛ وتخلّف في القصر (بقرطبة) وليّ عهد الحكم المستنصر بالله، ومن الوزراء أحمد [بن محمد] بن حدير، او على المدينة محمد بن عبد الله الخروبي؛

P. ٢٠٢ واستقدم * سعيد بن المنذر الوزير من كورة تدمير، ليغزو معه . وأخرج محمد ابن إسحاق مديلاً له ؛ فاحتل في طريقه بحصن المُتَلُون من كورة جِيَان، وأنزل عنه عبد الله بن سعيد بن هذيل، وعزله عن سائر الحصون التي كانت بيده ؛ واستعمل على الجميع عبد العزيز بن مسلمة وعبد الله بن عمرو بن مسلمة [، وعهد يهدم أكثر حصون جِيَان وقصايبها، إذ كانت مسترحاً لأهل الشر والخلاف، وضرراً على أهل الطاعة والاستقامة ؛ وكذلك ما فعل بحصون البيرة، حتى احتل بحصن اثنتين ابوم الإثنين لإحدى عشرة ليلة خلت من ربيع الأول ؛ وكان أهله على مكابدة باطنية، وإظهار طاعةٍ تحتها مدهانة ؛ فعرض عليهم الناصر النزول عن حصنهم [إلى البسيط حوله ؛] فاضطربوا في أمرهم، ولاذوا عن رثدهم ؛ فاحتلت العساكر بهم، [وأخذ بالجد والعزم في محاصرتهم،] وأحبط بهم من جميع جهاتهم، وبنيت عليهم ستة حصون يقابل بعضها بعضاً، حتى عادوا في مثل حافة الخاتم [ضيفاً وحصاراً.] وبقي الناصر على محاصرتهم خمسة وعشرين يوماً، وهو بدأب مع ذلك في استصلاح أمور رعيتهم، وتأمين سبلهم، وقطع المخاوف عنهم. وبشخص بنفسه إلى كل جهة من جهاتهم.

وفي هذه الغزاة، استجاب الناصر [وليّ عهد وِعَادَ أَنسَه] الحَكَم [المُسْتَصِر بالله] من قصر قُرْطُبة إلى معسكره، وهو في ذلك الوقت ابن عشرة أعوام وثمانية أشهر ونصف، إذ استوحش له، وتناقت نفسه الكريمة إليه ؛ فقدم عليه [أبقاه الله] بهذه المحلة مع ثقات رجاله وفتيانها ؛ واستخلف [له] في القصر * أخوه عبد العزيز لِيُنْفِذَ الكُتُبَ باسمه إلى وقت منصرفه. فأنس - رحمه الله - به، وسرّ بقربه. وقفل الناصر من هذه الغزاة [يوم الجمعة] لست خلون من ربيع الآخر، بعد أن أرتب الوزيرين سعيد بن المنذر وعبد الحميد بن يسيل على حصن اثنتين، محاصرين لأهله [في كنف من الحشم]. ودخل القصر [بقُرْطُبة] يوم الخميس لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الآخر، [وقد استتم في غزائه خمسين يوماً.]

وفي هذه السنة، ولي خائف الفتي الكبير الطراز
 وفي شوال منها، ولي مجبي بن يونس الفبرسي السوق. إذ اعتل أحمد بن
 بهلول علةً أبطلته عن الحركة؛ ثم ولي مجبي بن يونس المواريت في ذي القعدة،
 وولي عبد الله بن محمد الخروبي خزانة السلاح.
 وفيها، صلب على الرصيف بباب قصر قرطبة الراي المعروف بأبي نصر؛
 وكان قد ذهب به الصوت في الرماية والإصابة أيام عمر بن حفصون؛ فصاب؛
 ثم رمى بالنبل حتى أصيبت جوارحه ومقاتلته؛ وبقي في الجذع أياماً؛
 ثم أُحرق.

وفيها، توفي ابن الناصر يسمي بمحمد. وفيها، مات ثابت بن حزم العوفي
 من أهل سرقسطة، في شهر رمضان؛ وكان كثير الرواية، بصيراً باللغة؛ وله
 رحلة سمع فيها من بعض الفقهاء بالمشرق. وفيها، هلك فلورة صاحب جابقية،
 وولي إذفنش؛ ثم ترهب، وولي أخاه رذمبر مكانه في ١١٢٠.

وفي سنة ٢١٤، كان إغزاه الناصر (رحمه الله) فواده بالموائف؛ ولم يكن
 له غزوة (بنفسه) في هذا العام لمجل كان فيه، وقحط [شديداً]؛ فأخرج عبد
 الحميد بن بسيل الوزير إلى الثغر الذي كان به بنو ذي النون؛ فأوقع بهم، ١١٢٠
 إذ كانوا قد مرقوا عن الطاعة، [وأكثروا الفساد في الأرض، والاستطالة على
 من جاؤهم من المسلمين]؛ فقتل منهم من استحققت القتل، [وافتتحت مدينة سربة؛
 وكان أهلها على خلاف وخاعان للطاعة؛ فدرت جبايتها من ذلك الوقت،
 وصارت بسيل سائر الكور المستقيمة الأحوال]. ثم صدر عبد الحميد [بن
 بسيل] من ذلك الثغر، وقد استقامت على يديه أحوال أهله؛ فأخرجه الناصر
 إلى مدينة بيشتر، محاصراً سليمان بن حفصون [في جملة الفواد المحاصرين له؛
 وأخرج - رحمه الله - أفلح صاحب الخيل مولاة إلى سليمان بن حفصون أيضاً؛
 فنازله وحاصره، وفتح حصن مننت رويي؛ وكان من أمنع معاقله].

ذكر قتل سليمان بن حفصون

وفي هذه السنة، قُتِلَ سليمان بن عمر بن حفصون؛ وكان قد [ركب
 و]خرج [عن مدينة بيشتر] معارضاً¹ لبعض (المخشم) المغاورين له من العسكر؛
 فتبادرت إليه الخيل من الجهة التي كان فيها عبد الحميد [الوزير]؛ فصرع
 سليمان عن فرسه؛ فاحتز رأسه سعيد بن يعلى العريف [المعروف بالشفة]؛
 وكانت قد واقعت قبل ذلك طعان على يدى محمد بن يونس العريف وبعض
 بنى مظاهر العجم؛ وقطعت يداه (ورجلاه)، وذلك يوم الثلاثاء مسهل ذى
 الحجة من سنة ٢١٤. وبعث الوزير عبد الحميد برأسه وجثته ويديه مبعضة
 مفترقة؛ فرفعت على باب السدة [بقرطبة] فى خشبة عالية؛ وكان الفتح فيه
 عظيماً ساراً لجميع المسلمين.

[وفيها، ورد الخبر بهلاك العليج شانجه صاحب بيلونة].

وكان القحط فى هذا العام شديداً، والمحل عاماً؛ فاستنقى بالناس (الخطيب)
 P. ٢٠٥ أحمد بن بقی * [صاحب الصلاة] مراراً؛ [وتنقذت الكتب الى الكور فى
 الاستسقاء]؛ فوافى نزول الغيث مع رفيع جثة سليمان بن حفصون صليبة على
 باب السدة. فقالت فى ذلك الشعراء أشعاراً كثيرة، منها [طويل]:

سحاب يهور الغيث فيها وديبة	دماه العدى نهى بها وتفور
غبانان فينا وإكفان من الحيا	ولكن ذا رجس وذاك طهور
وذاك نجيع ليس بقبله الثرى	وذا ناجع يسرى به ويفور
ندتست الدنيا ² به فتظهرت ²	بطون لها من رجس وظهور

[وفيها، ولى محمد بن عبد الله الزجاجى الوزارة يوم السبت للصف من
 جمادى الأولى.]

بذلك فتظهرت B. 2-2. مغاوراً B. 1)

وفيها، عُزِلَ اسْلَمُ بن عبد العزيز عن قضاء الجماعة بِقُرْطَبَةَ لِعَلَّةَ أَقْعَدَنَّهُ .
وَوَلَّى أَحْمَدُ بن بَقِيَّ القضاةَ مع الصلاة .

وفيها، وُلِيَ أَحْمَدُ بن عبد الوَهَّابِ بن عبد الرَّوُوفِ خِزَانَةَ المَالِ . وَوَلَّى
عُمَيْدُ الله بن عبد الله الزَّجَّالِيُّ العَرَضَ . وَوَلَّى خِزَانَةَ السِّلَاحِ حُسَيْنُ بن مُحَمَّدِ بن
عاصِمٍ، وَأَحْمَدُ بن يحيى بن حَسَّانٍ، وعبد الوَهَّابِ بن مُحَمَّدِ بن عبد الرَّوُوفِ .
وفيها، تُوُفِّي أَصْبَغُ ابن الأمير المُسَدِّرِ . وفيها، تُوُفِّي مُحَمَّدُ بن عمر بن لُبَّابَةَ
الْفقيه، ليلة الإثنين لخمس بقين من شعبان؛ وكان مولده مستهلَّ رجب سنة ۲۲۶،
وكان عالماً بالفنِّيا، حَسَنَ الدين، مستقيمَ الحال من حدائته الى وقت وفاته .
وفيها، تُوُفِّي مُحَمَّدُ بن عبد الله الخَرْوَبِيُّ، صاحبُ المدينة، مستهلَّ صفر؛
وَوَلَّى المدينة مكانه عيسى بن أَحْمَدِ بن أَبِي عُبَيْدَةَ بعد وفاته الى ثمانية أَيَّامٍ .

وفي سنة ۲۱۵، كان غزو [أمير المؤمنين] الناصر [رضه] الى مدينة بُبَشْتَرِ
لِمُحَارَبَةِ حَفْصِ بن عمر بن حنصون؛ [فبرز لهذه الغزاة يوم الخميس لثلاث
عشرة ليلة * خلعت من صفر سنة ۲۱۵، وهو اليوم التاسع عشر من رَيْبَسَانَ، P. ۲۰۶
وفصل غازياً يوم الاثنين للنصف من شهر ربيع الآخر، وهو اليوم الحادى عشر
من أيار، وذلك بعد بروزه باثنين وثلاثين يوماً]. وَأَغْزَى مع نفسه وَوَلِيَّ عَهْدِهِ
الْحَكَمَ [المُسْتَنْصِرَ بالله]، وهو ابنُ ثنتي عشرة سنة، وتسعة أشهر ونصف، وتخلَّف
في القصر عبد العزيز [شقيق وَوَلِيَّ العَهْدِ]، ومن الوزراء أَحْمَدُ بن مُحَمَّدِ بن
حُدَيْرٍ، وعلى المدينة أَحْمَدُ بن عيسى مُخْلَفًا لِأبيه عيسى بن أَحْمَدِ الوزير. فنزل
الناصر [بجيشه وخيله وعُدَّده] على [مدينة] بُبَشْتَرِ يوم الثلاثاء لسبع بقين من
ربيع الآخر، وزاد عزمًا في النيران عليها، والجَدِّ في محاصرتها، وأرتب بها
[من الفؤاد] مَنْ يلازمها، وتنقل منها الى مدينة الحَنْشِ؛ فاستنزل من كان فيها،
وأخلاها من ساكنيها، وأمر بهدم أسوارها وتعفينة آثارها؛ [وباشر ذلك وَوَلِيَّ
عَهْدِهِ مع الحاجب موسى بن مُحَمَّدِ مَوْلَاهُ .

ثُمَّ أَمَّ الناصرُ حِصْنَ شَنْتِ بِيَطْرَ وما قرب منه من الحصون؛ فنازلهم،

وقطع ثارم وكرومهم، واصطلم معايتهم؛ ثم سئل بجيوشه الى مدينة مالقة،
 افنظر مثل ذلك في الحصون المجاورة لها، وولى مدينة مالقة عبد الملك بن
 العاصي، وألزم معه جمعة من الخشم لمغاورة أهل تلك الحصون، وأمره بحمل
 السيف على كل داخل إليهم أو خارج عنهم، ثم صدر الى مدينة بيشتر،
 فاضطرب عليها ثانية امن ناحية لمانية، ورأى أن النيان بها من أنكى الأمور
 (الكثرة) وأشدّها عليهم؛ فأمر ببيان صخرة الأولى تعرف بالمدينة، اوقدم لذلك
 أحمد بن محمد بن إلياس، وصرف إليه كورة تاكرنا، وما انصل بها من لمانية.
 وألزم عبد الحميد بن بسيل الوزير مكاناً يشرف منه على مجمع الطرّق، ويحترس
 فيه بالمنشرين من أهل العسكر في العلاقات وطاب البرافق، والمختلفين إليه
 من كل موضع. وأقام بمحلته هذه سبعة أيام، لم يدع فيها (الكثرة) مرئناً ولا
 معاشاً. ثم انتقل الى محلة طابجيرة؛ فعهد بالنيان فيها، وأقام بها حتى كمل بها
 شأن مدينة الزمها سعيد بن المنذر الوزير. ورأى الناصر صرف وليّ عهدك إلى
 قصر قرطبة إشاراً لصيانتة ومعاودته الى ناديه؛ فوجهه مع ثقات رجاله، وفيهم
 دُرّي بن عبد الرحمن، صاحب الشرطة العليا، ومحمد بن أحمد بن حدير
 العارض؛ فبلغوه القصر وانصرفوا عن باب السدة الى العسكر؛ ولم يتقدم أحد
 منهم الى داره، ولا دخل منزله، ولا رأى أحداً من أهله. ثم قفل - رحمه
 الله - يوم السبت لثلاث عشرة ليلة بقيت من جمادى الآخرة، ودخل قصر
 قرطبة يوم الثلاثاء لعشر بقين من جمادى الآخرة، وقد استكمل في غزاه
 (هذه) خمسة وستين يوماً.

لوفي هذه السنة، أغزى الناصر دُرّي بن عبد الرحمن، صاحب الشرطة.
 مولاة، الى ابن الزيات؛ فلما قرب منه، خرج هارباً؛ وظفر دُرّي في وجهه
 هذه بهابل، فاندك كان لابن حفصون، وبأصحاب له؛ فأسره وأوثقهم بالحديد.
 وقدم بهم قرطبة؛ فصلبوا في المرح الذي بين يدي القصر، وذلك يوم الأحد
 لسبع خلون من شهر رمضان.

وفيها، وُلِي فُطَيْسُ بْنُ أَصْبَغِ الْوَزَارَةَ، وَعَبَسَى ابْنَهُ الْخِزَانَةَ. وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْخَرْوَبِيُّ * الْعَرَضَ، وَعَبِيدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الزَّجَّالِيُّ * الْمَوَارِيثَ.

ذِكْرُ افْتِتَاحِ مَدِينَةِ بَيْشْتَرِ

وَلَمَّا اشْتَدَّتْ الْمُحَاصِرَةُ عَلَى حَفْصِ بْنِ عُمَرَ بْنِ حَنْصُونَ بِمَدِينَةِ بَيْشْتَرِ، وَأُحْبِطَ (بِهِ) بِالنُّبَيَّانِ عَلَيْهِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، وَرَأَى مِنَ الْكَيْدِ وَالْعَزْمِ فِي أَمْرِهِ مَا عَلِمَ إِلَّا بَقَاءَهُ لَهُ مَعَهُ فِي الْكَيْلِ الَّذِي تَعَلَّقَ فِيهِ، كَتَبَ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ (الْناصِرِ) يَسْأَلُهُ نَأْمِيَّتَهُ وَالصَّنْحَ عَنْهُ، عَلَى أَنْ يُخْرِجَ عَنِ الْكَيْلِ مُسْتَسْلِمًا لِأَمْرِهِ، رَاضِيًا بِحُكْمِهِ. فَأَخْرَجَ إِلَيْهِ الْناصِرُ الْوَزِيرَ أَحْمَدَ بْنَ مُحَمَّدِ بْنِ حَدِيرٍ. وَهُوَ هُوَ وَسَعِيدُ ابْنِ الْمُنْدِيرِ إِتْرَاهُ مِنْ [مَدِينَةِ] بَيْشْتَرِ. وَدَخَلَهَا رِجَالُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ (الْناصِرِ) [وَحَشَمَهُ]، يَوْمَ الْخَمِيسِ لَسَبْعِ بَقِيَّةٍ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ (مِنْ السَّنَةِ). وَاسْتَنْزَلَ حَفْصُ [وَأَئْتَهُ] وَاجْمَعُ النَّصَارَى الَّذِينَ كَانُوا مَعَهُ، وَقَدِيمَ بِهِمْ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ الْوَزِيرِ إِلَى قُرْطُبَةَ مَعَ أَهْلِهِمْ وَوَالِدِهِمْ. وَدَخَلَهَا حَفْصُ فِي مَسْجِدِ ذِي الْحِجَّةِ، وَأَوْسَعَهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ صَنْحَهُ وَعَفَّوهُ، وَصَارَ فِي جَمَلَةِ حَشَمِهِ وَجُنْدِهِ. وَبَقِيَ الْوَزِيرُ سَعِيدُ بْنُ الْمُنْدِيرِ بِمَدِينَةِ بَيْشْتَرِ ضَابِطًا لَهَا، وَبَانِيًا لِمَا عَاهَدَ إِلَيْهِ مِنْ بِنْيَانِهِ وَأِحْكَامِهِ مِنْهَا. وَفِيهَا، مَاتَ أَحْمَدُ بْنُ الْأَمِيرِ مُحَمَّدُ - رَحِمَهُ اللَّهُ - بِمَدِينَةِ إِسْنِجَةَ. وَتُوفِّيَ الْوَزِيرُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الرَّجَّالِيُّ فِي شَعْبَانَ، وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَخَمْسِينَ سَنَةً. وَتُوفِّيَ الْعَارِضُ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ حَدِيرٍ فِي آخِرِ هَذَا الْعَامِ؛ وَكَانَ حَدَثًا، قَدْ بُوِجَّهَ ذِكْرُهُ، وَتَمَكَّنَ مَحَلَّهُ؛ فَعَظُمَ أَسْفُ الْحَاجِبِ عَمَّهُ وَالْوَزِيرِ أَبِيهِ عَلَيْهِ؛ وَوَلَّى الْناصِرُ خُطَّتَهُ أَخَاهُ مُوسَى بْنَ أَحْمَدَ بْنِ حَدِيرٍ، وَهُوَ صَغِيرٌ، لَمْ يَبْلُغِ الْكُلْمَ، تَعَزُّبَةً لِأَبِيهِ وَعَمَّهُ عَنِ الْمَقْعُودِ، * وَإِحْيَاءَ لَذِكْرِهِ. وَفِيهَا، مَاتَ أَبُو سَلِيمَانَ دَاوُودُ بْنُ هُدَيْلِ بْنِ ابْنِ مَسَّانٍ مِنْ أَهْلِ طَلَبُطْلَةَ بِقُرْطُبَةَ؛ وَكَانَ رَاوِيَةً لِلنِّسَائِيِّ وَغَيْرِهِ، وَحَمَلَ عَنْهُ الْحَدِيثَ جَمَاعَةً مِنْ أَهْلِ قُرْطُبَةَ.

وفي سنة ٢١٦، كان غزاة [أمير المؤمنين] الناصر الى مدينة بْبَشْتَر، بعد افتتاحها، لتدبير أمرها وإحكام ضَبْطِهَا؛ [فصل من قُرْطَبَة دون بُرُوز، يوم الثلاثاء للنصف من المحرم، وهو السابع من آذار؛ وأغرى مع نفسه وليَّ عَهْدِهِ الحَكَمَ المُسْتَنْصِر بالله؛ وتَخَلَّف في القصر ابنه عبد العزيز لِنَسْفِدِ الكُتُبِ اليه، ومن الوزراء أحمد بن محمد بن حُدَيْر، وعلى المدينة أحمد بن عيسى مَخْلَفاً لآبِيهِ عيسى بن أحمد؛ وكان الحاجب موسى بن محمد عليلاً، فلم يَقْضُ في هذا العام. وكانت الطريق على مدينة إِسْنِجَةَ، ثمَّ الى أَشُونَةَ]. واحتلَّ بِحَصْنِ بْبَشْتَر يوم الأحد لعشر بفين من المحرم؛ فدخل المدينة، وجال في أَقْطَارِهَا، وعانَ من [شرفها و]حصانتها، وعلوِّ مرتفأها، وانقطاع جبلها من جميع جهاته، ما أَيْقَنَ معه ألاَّ نظيرَ لها في الأرض حصانةً ومنعةً وإِتْسَاعَ قَرَارَةٍ. فأكثر من حمد الله - عزَّ وجلَّ - على ما افتتح [له] منها، وبسَّرَ له فيها؛ والنزم الصَّوْمَ أَيَّامَ مُقَامِهِ بها. ثمَّ دَبَّرَ بُنْيَانَ قَصَبَتِهَا على أحسن ما دَبَّرَهُ وَأَحْكَمَهُ في غيرها؛ وفرَّقَ رجاله على هدم كلِّ حصن كان حَوَالِيهَا وعلى الديارات ¹⁾ الخارجة عنها. وأمر ببش جيفتي عمر بن حفصون وابنه؛ فكشفت قُبُورُهَا؛ فأُلْفِيَا مدفونين على ظهورها، كما يتدافن النصارى؛ وشهد ذلك عامةُ الفقهاء الغازين مع الناصر (رحمه الله)، وأيقن [جميع] من شهد ذلك * بهلاكِهَا على دين النصرانية؛ فاستخرجوا من لحدودها، وأُتِيَ بِأَعْظَمِهَا [الرجسة] الى باب السُّدَّةِ بِقُرْطَبَةِ؛ فَرُفِعَتْ في جُدُوعِ عَالِيَةِ الى جنب [الملحد] سليمان بن عمر، وصاروا عِظَةً لِلنَّاطِرِينَ، وَقَرَّتْ بِهِمْ عيونُ المسلمين.

وقلَّدَ الناصرُ أَمْرَ مَدِينَةِ بْبَشْتَرِ والضَبْطَ لها وإِكْمَالَ البُنْيَانِ فيها سعيد بن المُنْدِير. واستنزل أهل حصون شَتَّ بِيْطُرٍ وِبُحَارِشٍ وَجُطْرُونَ وغيرها من المَعَاقِلِ، وهبطوا من أَجْلِهم، وتفرَّقوا في بَسِطِهِمْ، واستنصبت الحصون خراباً ونسفاً؛ ولم يبقَ لِلنصرانيةِ بتلك المِجْهَةِ حِصْنٌ مذكورٌ، ولا مَعْقِلٌ مَعْبُورٌ. وعادت

1) A. B. الديار.

كُورَةُ رَبِّةٍ، على كثرة ما كان فيها من الحصون المانعة والمعازل الفاتحة، ليس فيها جَيْلٌ مضبوطٌ، ولا بها عدوٌّ محذورٌ. واحتمل على مثل ذلك في حصون نَاكِرُنَا وحصون مَغِيلَةَ، إلا ما وجب التمسُّكُ به منها. ونظر في إزعاج مَنْ وجب إزعاجُه إلى قُرْطَبَةَ، مَنْ كانت نفسه نائفةً إلى الفتنة، ليكون الناسُ أُمَّةً واحدةً، ورعيةً ساكنةً وادعةً. وقَدَّمَ عبدَ الحميد بن بسيل الوزيرَ إلى كُورَةِ شَدُونَةَ، لهدم حصونها، ونبسبط أهلها، وجمعهم إلى مدينة قَلَسَانَةَ، التي هي قاعدة الكورة. وأمر باستئزال بني داوود عن الحصون التي كانوا فيها، وولَّاهَا من عماله وبنات رجاله مَنْ بحسن السيرة في رعية تلك الجهة. وكانت سفرته أَسْبَنَ سفره، وأَجْمَعَهَا لكلِّ خيرٍ وصلاح. والحمدُ لله! ثم قفل يوم الأحد لخمس خلون من صفر، فدخل مَنبَةَ النَّاعُورَةِ يوم السبت لإحدى عشرة ليلة خلت من صفر، وقد استتمَّ في سفره هذه سنة وعشرين يومًا.

وفيها، افتتح أحمد بن إسحاق الفائدُ الفَرَشِيُّ مدينةَ أَلْفَنْتَ من بُدْمِير، ومدينةَ

• قَلْيُوتَةَ، واستنزل عنها وعن القِصَابِ التي كانت حوَالِيهَا بنى الشيخ. وقدم بهم P. ٢١١ إلى قُرْطَبَةَ، يوم السبت لأربع عشرة ليلة بقيت من شعبان. واستنزل في هذا العام بنو أَبِي جَوْشَنَ من مَعَارِفِ بَلَنْسِيَّةِ، وكانوا في نحو ستين رجلاً، وقد أهملوا أنفسهم في الفتنة، وعرضوا لما نزل بهم من العقوبة؛ فأمر الناصر بتعيين أهل الجرائر منهم، والتشريد بهم؛ فقدم من استحقَّ القتل منهم إلى المَرَجِ بين يدي قَصْرِ قُرْطَبَةَ، وضربت رقابهم فيه يوم دخولهم.

وفي هذه السنة، عزل فُطَيْسُ بن أَصْبَغَ عن الوزارة، وولى أحمد بن عبد الوهَّاب بن عبد البرُّوفَ المدينة وعزل عنها عيسى بن أحمد بن أبي عبدة؛ وقبل ذلك ما كان عزل جميع خُزَّانِ المال، وكانوا خمسة، وهم: سعيد بن سعيد بن حُدَيْرٍ، وأحمد بن موسى بن حُدَيْرٍ، وأحمد بن عبد الوهَّاب المنقول إلى المدينة، وخالد بن أمية بن شهيد، وعيسى بن فُطَيْسٍ؛ وولى الناصر مكانهم أربعة خُزَّانٍ، وهم: محمد بن جهور، وأحمد بن عيسى بن أبي عبدة، وعبد الرحمن بن عبد الله الزَّجَالِيُّ، وأحمد بن محمد بن أبي قابوس.

وفيها، امر الناصر بإقامة دار السكّة داخل مدينة قرطبة، لضرب الدينار والدرهم؛ وولى الخطّة أحمد بن موسى بن حدير يوم الثلاثاء لثلاث عشرة ليلة بقيت من شهر رمضان؛ وأقام الضرب فيها من هذا التاريخ من خالص الذهب والفضة؛ وصحح في ذلك أحمد بن موسى وتحفظ. وكانت مائة قبله ودراهمه عياراً محضاً.

وفيها، خرج أحمد بن إلياس القائد غازياً الى كور الغرب؛ فافتتح مدينة ماردة. ومدينة شترين بلا حرب، ونزلوا اليه بالأمان، ووفاهم غاية الإحسان. وفي هذه السنة، رأى الناصر أن تكون الدعوة له في مخاطباته والمخاطبات التي في جميع ما يجري ذكره فيه، بأمير المؤمنين، لما استخفه من هذا الاسم الذي هو له بالحقيقة، ولغيره بالانتحال والاستعارة؛ فهو أبرّ أمراء المؤمنين والهداة الفاضلين، والأبرار المتقين، من كلّ منتخب في المشرق والمغرب، وقائم بالحق، وسالك لسبيل الهدى والرشد؛ فعهد الى أحمد بن بفي القاضى صاحب الصلاة بقرطبة بأن تكون الخطبة يوم الجمعة مستهلّ ذى الحجة بذلك. ونفذت الكتب الى العمال فيه، بما اجعلنا نسخته لما فيها من إعجاب الفول، واستيفاء الحجة، وظهور الحقيقة. وانسخة الرسالة النافذة في ذلك:

بسم الله الرحمن الرحيم. أما بعد، فإننا أحقّ من استوفى حقه، وأجدد من استكمل حظه، وليس من كرامة الله ما ألبسه، للذي فضّلنا الله به، وأظهر أثرنا فيه، ورفع سلطاننا إليه، وبسرّ على أيدينا إدراكه، وسهل بدواننا مرآته، والذي أشاد في الآفاق من ذكرنا، وعلوّ أمرنا، وأعلن من رجاء العالمين بنا، وأعاد من انحرافهم إلينا، واستبشارهم بدولتنا. والحمد لله وليّ النعمة والإنعام بما أنعم به، وأهل الفضل بما نفضل علينا فيه! وقد رأينا أن تكون الدعوة لنا بأمير المؤمنين، وخروج الكتب عنا وورودها علينا بذلك، إذ كلّ تدعوى بهذا الاسم غيرنا مستحلّ له. ودخيل فيه، ومنمّم بما لا يستحقّه. وعلّمنا أنّ التهادي على برك الواجب لنا من ذلك حقّ أضعناه، وإسمّ ثابت أسقطناه. فأمر الخطيب

بموضعك أن يقول به، وأجر مخاطباتك لنا عليه، إن شاء الله. والله المستعان!
 وكتب يوم الخميس [الثلاثين] خلتنا من ذي الحجة سنة ٢١٦.
 وفيها، عزّل أفلح ودري مؤابا الناصر عن الخيل والشرطة وولي الخيل P. ٢١٤
 عبيد الله الرجالي، والشرطة أحمد بن أبي قابوس. ثم أعيد أفلح الى الخيل.
 ودري الى الشرطة بعد شهر.

وفيها، ولي إبراهيم بن محمد بن الدرقي خطة العقل.
 وفيها، عزّل غالب بن محمد بن عبد الرؤوف عن خطة الضياع، ووليها
 محمد بن عبيد الله بن مضر، في اسلاخ جمادى الآخرة. ثم عزّل عنها ابن مضر،
 ووليها خاف بن أبوب بن فرج الكاتب، وكان يكتب للحاجب موسى بن محمد.
 وذلك لإحدى عشرة ليلة خلت من ذي الحجة.

وفيها، توفي محمد بن الإمام المنذر، وتوفي أحمد بن مجي بن قاسم بن
 هلال النفي، وكان منقبضاً، خيراً، صالحاً، بصيراً بالونائق وعشها، وتوفي سعيد
 ابن إبراهيم النفي، وكان يلي الصلاة بكورة ربة، وتوفي محمد بن هشام القرشي
 المعروف بابن الشبايسية بكورة شذونة، وهو وعاشها.

وفي سنة ٢١٧، كان ظهور المجل. واحتباس الغيث، وغلاء الأسعار،
 فعهد الناصر بالاستسقاء بجامع قرطبة يوم الجمعة ليلة نقيت من الحرم، وذلك
 في شهر آذار. وأصل الاستسقاء في الجامع ومصلّى الرّيب ومصلّى البصارة.
 وفيها، كانت غزاة الناصر الى (مدينة) بطليوس. لمجارية أهلها وابن
 مروان المنزري عليه فيها، افرز - رحمة الله عليه - لغزاته هذه يوم الخميس
 لعشر خلون من ربيع الأول، وهو اليوم الثالث عشر من نيسان، وفصل
 من قصر قرطبة يوم السبت لإحدى عشرة ليلة خلت من ربيع الآخر، وهو
 اليوم الرابع عشر من أيار، وذلك بعد بروزه بأحد وثلاثين يوماً. وأغزى
 معه ولي عهد الحكيم [المستنصر بالله]، وابنه منذراً، وتخلف في القصر ابنه P. ٢١٤
 عبد العزيز [التفد الكتب إليه، ومن الوزراء أحمد بن محمد بن حدير، وعلى

المدينة أحمد بن عبد الوهّاب بن عبد الرّؤوف]. وكان احتلاله بالجيوش على [مدينة] بَطْلَيْبُوس يوم الخميس لسبع بقين من ربيع الآخر. [ووضعهم الحشمُ القتال في أفنيتهم وعلى أبواب دُورهم، وتفحّموا عليهم داخل أرباضهم، وقتلوا منهم في ثانی احتلالهم عليهم جملةً بُعِثَتْ رُؤوسهم الى قُرْطُبَة. وقُطِعَتْ ثنائهم، وأُحرق ما أُخلوه من ديارهم خارج سورهم؛ وبقوا محصورين في المدينة]. وأقام عليهم الناصر عشرين يوماً؛ ثمّ أبى عليهم أحمد بن إسحاق في قطيع من الجُند، وانتقل الى جهة ماردة؛ فأصلح الأحوال بها، [وولّاهها محمد بن إسحاق، وندب معه عدّة من الحشم]. ثمّ عاد - [رحمه الله] - الى [مدينة] بَطْلَيْبُوس؛ فاضطربت عساكره عليها [من غير الجهة التي كانت اضطربت فيها أولاً]؛ ونوى من نكايتهم وألمر محاصرتهم، ما أذاقهم به وبال عصيانهم، [وعاقبة غيهم]، وضلالهم. ثمّ أرتب عليهم أحمد بن إسحاق [فائداً في جيش كثيف، ورجال متقين، وعددٍ كاملاً]، وأمره بالشدّد في حصرهم، والاستبلاغ في مضايقتهم. وانتقل ناهضاً الى مدينة باجة؛ [فزلها يوم الأحد مستهلّ جمادى الآخرة]، واضطربت عساكره عليها، ونفدّم بالإعذار الى عبد الرحمن بن سعيد [بن مالك] الذي كان بها، ودعاه الى الطاعة؛ فلاد والتوى؛ فنصبت المجانيق عليه، وحُورِبَ أشدَّ محاربة، [وقُتل من رجاله عددٌ كثيرٌ. وانحطت بعض أبراج المدينة من كان عليها؛ فضربت رقابهم بين يدي المِظَلِّ]؛ فاستأمن عبدُ الرحمن بن مالك، و[أهله، وجميع] أهل باجة أمير المؤمنين (الناصر)، وخضعوا لأمره، ونزلوا على حكمه؛ فأوسعهم أمانه، [وأخرجوا عن المدينة]، ونقلوا الى قُرْطُبَة. ودخلها الناصر، وولّاهها عبدُ الله بن عمر بن مسلمة، وندب معه فيها قوّة، [وأكثف له الجمع والعدّة]، وأمره بابتناء قصبه [فيها]، ينفرد بها العارِلُ ويسكنها.

وكان مُقام الناصر على باجة خمسة عشر يوماً. [ثمّ انتقل منها قاصداً الى مدينة أكشونية بقرب الساحل الغربي من البحر المحيط؛ فاحتلّ بها يوم الإثنين لسبع بقين من جمادى الآخرة؛ وكان قد افتتح في طريقه حصن الوقاع، وأصاب فيه

لخلف بن بكر صاحب أكتونية أموالاً وعدة وسلاحاً؛ فغنم ذلك المحشم وأهل
العسكر، وصار لهم نفلاً. ثم تلقى رسل خلف بن بكر أمير المؤمنين، مظهراً للإناية،
وملتزماً للطاعة، ومتوسلاً ببعد الدار والفاصية، وأخرج إلى الناصر النزائل، وأقام
له الوظائف، والتزم إدراك الحماية الكاملة؛ وأظهر أهل ذلك الجانب فيه رغبة
شديدة، ووصفوه بسيرة حميدة؛ فأقره الناصر عليهم، وفرض عليه من الحماية
ما التزم بإيراده له في كل عام، وعهد إليه بحسن السيرة، والرفق بالرعية، والآن
يقبل نازعاً، ولا يكتف هارباً؛ فالتزم جميع ما أمر به، ووقف عند ما حد له.
وقفل [الناصر عن مدينة أكتونية يوم السبت لليلتين بقينا من جمادى
الآخرة]، ودخل القصر [بقرطبة يوم الأحد] لأربع عشرة ليلة خلت من رجب،
وقد استتم في غزاه ثلاثة * وتسعين يوماً.

P. ٢١٦

مُطالعة [أمير المؤمنين] (الناصر) لببشتر في الشتاء

وفي هذه السنة، كانت للناصر خرجة من قصر الناعورة، مُطالِعاً لببشتر
ومعاًيناً لما قام من البنيان بها، وما تم من ترتيبه فيها. [وكان خروجه من مينة
الناعورة يوم الخميس لثلاث عشرة ليلة خلت من شوال، ونزوله بجبل ببشتر يوم
الخميس لعشر بقين منه. فدخل المدينة، وجال فيها، وأحكم ما له قصد من
أمرها؛ ثم صدر عنها في اليوم الثاني، ودخل القصر بالناعورة يوم الثلاثاء لأربع
بقين من شوال]؛ وكانت مدة توجهه وانصرافه ثلاثة عشر يوماً.

وترددت الفتوحات في هذا العام بوقائع كانت على أهل بطليوس؛ وبعث
أحمد بن إسحاق من أهلها بسبعين أسيراً، قُتلوا صبراً بين يدي قصر قرطبة.
وافتححت [فيه] مدينة شاطبة من بلسنسية، واستنزل عنها عامر بن أبي
جوشن [على يدي دُرّي بن عبد الرحمن صاحب الشرطة؛ واشترط عامر بسكنى
سنت برية، حتى يأخذ في انتقال ثقله وعياله إلى قرطبة.

وفي هذه السنة، ولّى الناصر عبد الملك بن عمر بن شهيد، وعيسى بن أحمد

ابن أبي عبدة الوزارة، وسعيد بن سعيد بن حدير الشرطة الوسطى؛ ولم تكن قبل هذه الخطة؛ وفيها، ولي خالد بن أمية بن شهيد الخزانة ولاية ثانية، وولي عبد الرووف بن أحمد بن عبد الوهاب خطة العرض].

وفي سنة ٢١٨. كان افتتاح مدينة بطليوس [وذلك أن أهلها وابن مروان صاحبها، لها أخذهم الحصار، وطاولتهم الحرب، وفنى رجالهم، واستبيحت نساءهم، وقطعت ثراهم، ورأوا عزماً لا فترة فيه، وجداً لا بقاء لهم عليه، استأنوا الناصر، وعادوا بصفحة؛ فأوسعهم ما أوسع أمثالهم قبائلهم]. واستنزل ابن مروان الجبقي وأقربه، وذوي الشوكة من صحبه، وأسكنهم قرطبة، وألحقهم في الملاحق السنية؛ وملك المدينة وولأها عماله، اوصارت بسبيل كوره].

وفيها، أخرج الناصر (الدين الله) أهل الثقة من خدمته، [والأمانة والنصح من فقهاء مصرها إلى أهل طليطلة، معذراً إليهم، داعياً لهم إلى الطاعة والدخول في صارت إليه الجماعة، إذ كانوا لا يودون جبانة، ولا يتزعمون طاعة، ولا يتباهون عن منكر ولا معصيتها؛ فلأذوا بمعاذير الخادعة، وجاؤوا الناصر بما لم يصع إليه من غشهم وتمريضهم؛ فاستعزم على غزوهم، وشهر لما دحضهم أو أزال بأسه بهم، وبرز لغزو في الصائفة إليهم في صدر ربيع الآخر سنة ٢١٨. وفي شهر نيسان من العام المؤرخ]. وقدم الوزير سعيد بن المنذر إلى مدينة طليطلة في جيش كبير وعدد جم، وأمره بالاحتلال عليها والمحافظة لها. حتى سحق الناصر بجيوشه وصنوف حربه إياها. فخرج إليها الوزير (يوم السبت الثمانين من ربيع الآخر. وعند السير نحوها). حتى نزل بساحتها. وأخذ في ما حدث له من محاصرتها بالبلغ عزم وأسم حزم؛ ثم فصل أمير المؤمنين إلى المدينة طليطلة يوم الخميس | ليلتين خلتا من جمادى الأولى. [وهو التاسع عشر من من أثار؛ وأغزى مع نفسه ولي عهد الحكيم المستنصر بالله ومندراً الله؛

وتخلف في القصر ابنه عبد العزيز لتنفذ الكتب إليه، ومن الوزراء أحمد بن محمد بن حدير، وعلى المدينة أحمد بن عبد الوهاب بن عبد الرؤوف. P. ٢١٨

فلما احتل (رحمه الله) في طريقه محلة الغدر، وقرب من حصن مورة الذي كان اتخذه أهل طليطلة شجاً على المسلمين ومسترحاً للمفسدين، وقدموا عليه منهم مطرف بن عبد الرحمن بن حبيب، قدم إليه من أنذره وخوفه، وأمره بالخروج عن الحصن وإسلامه. فبدر إلى ذلك يداراً لم يجد منه بدءاً، ولا في الامتناع طبعاً؛ ونزل عن الحصن. وأمر الناصر بضبطه؛ ثم نهض بجيوشه المؤبدة، وعزيمته الماضية، حتى احتل محلة جرنكش بقرب طليطلة. وذلك يوم الثلاثاء لأربع عشرة ليلة خلت من جمادى الأولى. فأشرف من محلته هذه على سهلة طليطلة ونهرها، وأجنتها وكرومها؛ ودبر رأيه في أماكن المواضع من محاصرتها، وأقرب الجهات الآخذة بمخني أهلها؛ فرأى التزول بمحلة المقبرة على باب المدينة أبلغ في النكاية، وأشد في المضايقة؛ فارتحل إليها في اليوم الثاني. وأخذ في نكاية العصاة، بما لم يجز لهم على ظن. وأقام بهذه المحلة سبعة وثلاثين يوماً، يوالى فيها بنكائهم، وقطع ثمراتهم، وتخريب قراهم. وانساف رعيهم، ونحطيم زروعهم. ثم أمر بالبيان في جبل جرنكش لمدينة سهاها بالنجح، وأرسل لبياناتها سعيد بن المنذر الوزير، وأمر بقل الأسواق إليها، والتهدن لها. التكثر مرافق أهل العسكر بها؛ وأرسل محمد بن سعيد بن المنذر على باب القنطرة في جمل من الحشم، وعهد إليهما بالاستبلاغ في محاربة القوم. وقدم على الناصر بمحلته على طليطلة صاحب حصن قنيلش وصاحب حصن النهمين. P. ٢١٩

معنصين بطاعته؛ فأمر بنقلها إلى قرطبة، والتوسع عليهما، ومكافأة نزوعهما وقصدها. ثم قفل الناصر عن مدينة طليطلة يوم الخميس لست بقين من جمادى الآخرة، ودخل القصر [بقرطبة يوم الاثنين] لأربع خاؤون من رجب، وقد استتم في غزاه أحداً وستين يوماً.

[وفي هذه السنة، ولي المواريث طرفة بن عبد الرحمن صاحب المطبخ؛ وولى إخراجة السلاح أحمد بن أبان بن هاشم، وحفص بن سعيد بن جابر.

وفيها، مات للناصر ابنُ يَسْمَى بِمُحَمَّد. وفيها، مات أمية بن محمد بن أمية ابن عيسى بن شهيد. وفيها، توفي هاشم بن محمد النجاشي. وفيها، توفي محمد بن ابراهيم بن الجباب الفقيه، صاحب الوثائق، يوم الإثنين لثلاث خلون من شهر رمضان، وتوفي ضبيب بن منيع قاضي إشبيلية، وتوفي أبو غالب مروان بن عميد الله بن بسيل.

وفي سنة ٢١٩، [أبرز السراق والأينية إلى المضطرب المعروف بفحص السراق بجوفى النهر الأعظم؛ ثم برز الناصر إلى هذه الخلة اغزاة نواها إلى مدينة طليطلة؛ ولم يتم عزمه عليها إذ استغنى بالفؤاد المرسين على المدينة، المحاصرين لأهلها؛ وأكثر للفؤاد بها الخيل والعدة، وأمدم بالسلاح، وأكد بصائرهم في الجد والعزم والاستلغ في نكاية المفسدين المغتربين من أهلها].

(وفي سنة ٢١٩، كاتب موسى بن أبي العافية، صاحب الغرب، أمير المؤمنين الناصر، ورغب في مولاته، والدخول في طاعته، وأن يستميل له أهواء أهل الغرب المجاورين له؛ فقبله أحسن قبول، وأمدته بالخلع والأموال، وقوى أيدته على ما كان يحاوله من حرب ابن أبي العيش وغيره. فظهر أمر موسى من ذلك الوقت في الغرب، وتجمع له كثير من قبائل البربر، وتغلب على مدينة جراوة، وأخرج عنها الحسن بن أبي العيش بن إدريس العلوي؛ وجرت بينهما حروب عظيمة.

وفيها، افتتح الناصر مدينة سبته؛ فشكها بالرجال، وأتقنها بالبنان. وبني سورها بالكندان، وألزم فيها من رضية من قواده وأجناده؛ وصارت مفتاحاً للغرب والعدوة من الأندلس، وباباً إليها كما هي الجزيرة وطريف مفتاح الأندلس من العدو. وقامت الخطبة فيها باسم أمير المؤمنين الناصر، لثلاث خلون لربيع الأول من العام المورخ).

[وفيها، اتصل بالفؤاد المحاصرين لطليطلة أن العدو بذلك الجانب عملوا على الخروج لافتراض غرة في بعض ثغور المسلمين؛ فنفر إليهم الوزير أحمد بن

محمد بن حُدَيْرٍ من فرطية في جملة من الحشم ومن خف من المسلمين؛ فلما بلغ أعداء الله خروجه، توقفوا عن حركتهم، وقرؤوا في بلادهم؛ وكفى الله المؤمنين معرتهم. فبلغ القائد أحمد بن محمد بن حُدَيْرٍ طَلَبِيظَةَ، ونازلها مع الفُؤَادِ المرينيين فيها.

وفيهما، خرج بالأسطول أحمد بن محمد بن إلياس، ويونس بن سعيد فائدين في البحر، يوم السبت لليلتين خلتا من جمادى الأولى، في عدة، ومرآكب جملة، ورجال كثير، وصوف من البحرين والمقاتلين؛ فجازا مرسى الجزيرة، واحتلاً العدو، وحاصرا ابن أبي العيش، إذ كان على مخالفة لمن دخل في طاعة أمير المؤمنين من أهلها، ومحاربة لموسى بن أبي العافية وليه ومقيم دعونه والداخل في طاعته؛ ثم حال الشتاء بينهما وبين التمادي على الحصار والمطاوأة؛ ففلا بالأسطول ومن فيه.

وفيهما، عزل أحمد بن عبد الوهّاب بن عبد الرؤوف عن المدينة، وقدم إلى الوزارة؛ وولى المدينة بجي بن يونس القبرسي¹ وذلك في غرة جمادى الأولى. ثم عزل بجي بن يونس عنها، وكانت فيه حدة ومحارجة لأهل الجرم. ووليها عبد الحميد بن بسيل الوزير في شوال.

وفيهما، ولي خبطة العرض عبد الوهّاب بن محمد بن عبد الرؤوف، وولى الضباع محمد بن عبد الله بن مضر، وعبد الله بن معاوية بن بزل مشركين. وفيها، ولي الناصر، من تحت يدي ولي العهد المستنصر بالله، أحمد بن هاشم بن أحمد بن هاشم مولا عائلة عملة ورفيائة من البيرة.

وفيهما، مات أبو الجعد أسلم بن عبد العزيز بن هاشم بن خالد بن عبد الله بن خالد بن عبد الله بن حسين بن جعد بن أسلم بن أبان بن عمرو مولى عثمان بن عفان (رضه)؛ وكان قاضي الجماعة بفرطية. وله رحلة وسماع؛ وكانت فيه صلابة وإنفاذ للحق على وجوهه؛ وعزل عن القضاء قبل وفاته إذ أخذه

1) القبرسي.

الكبر، وضعف عن الفعود الأحكام؛ وكانت وفاته يوم الأربعاء لست خلون من شعبان، وهو ابن سبع وثمانين سنة.

ومات في هذا العام فضل بن سلمة النقيه البجائي، وكان له سماع وتأليف حسن؛ وتوفي محمد بن فطيس النقيه المحدث بالبصرة؛ وتوفي أحمد بن حامد الرجالي في جمادى الأولى.

وفيها، ماتت السيدة ابنة الإمام عبد الله لثمان بقين من ذى الحجة؛ وكانت قد نافرت أمير المؤمنين الناصر أيام حدائته وقبل إفضاء الخلافة إليه، وهو حينئذ ولد في النصر بين يدي الإمام عبد الله جده؛ وطالبتة وآذنته عند أبيها عبد الله الإمام؛ فلما ولي الناصر، لم تشك في معاقبته لها، ومجازاته لسوء معاملتها؛ فكان الأمر على خلاف ظنهما؛ وقرب الناصر مكانها، ورفع منزلتها، واخصصها في جملة من اخص من أهله وبنات أعمامه، حتى صارت أقربهن محلاً منه.

وفيها، توفي عبيد الله بن فخر، وكان منصرفاً في العمالات والقيادة، وذلك يوم السبت لثمان عشرة ليلة خلت من ذى الحجة.

وفي سنة ٢٢٠، كان غزو الناصر إلى [مدينة] طليطلة، [غزاه الثانية التي فتحت فيها عليه. فبرز له الغزاة في صدر جمادى الآخرة سنة ٢٢٠، في شهر حريران من العام المورخ، وفصل يوم السبت لأربع عشرة ليلة خلت من رجب، وهو اليوم الحادي عشر من شوز، مع ولي عهد الحكم المستنصر بالله أمير المؤمنين. وتخلف في القصر ابنه عبد العزيز لتفقد الكتب إليه؛ ومن الوزراء أحمد بن محمد بن حدير، وعبد الحميد بن بسيل، وكان صاحب المدينة].

وكان أهل طليطلة، لما أخذهم الحصار، واشتد عليهم النضيق، ولارهم الفؤاد، قد استجاشوا بالمشركين، واستنجدوهم، ورجوا نصرهم لهم؛ فلم يغنوا عنهم فتيلاً، ولا كشفوا عنهم عذاباً، ولا جلبوا إليهم إلا خزيًا وهواناً. وخرج الفؤاد المعاصرون لهم إلى الكثرة؛ فهزموهم، وفرقوا جموعهم، وانصرفوا مولين.

على أعقابهم، خاذلين لمن انتصر بهم، اورجا الغياث من قبلهم، فلما يشس
اهل طليطلة أن ينصرهم أحد من بأس الله الذي عاجلهم، وانتقامه الذي
طاوألهم، عاذوا بصنح أمير المؤمنين، وسألوه بأمينهم، وضرعوا إليه في اغتفار
ذنوبهم؛ فخرج لاستئصال أهل طليطلة، ونوطيد طاعته فيها، وإحكام نظره بها.
في التاريخ الذي قدمنا ذكره؛ انزل عليها بحجة جرنكش، يوم الأربعاء الخامس
بقين من رجب؛ وقد كان بدر إليه ثعلبة بن محمد بن عبد الوارث مندماً.
ونقاه قبل نزوله بها، معترفاً بجهته، ومستقبلاً من زائمه؛ فعفا عنه الناصر.
وعاد عليه بنضله، ثم آمن أهل طليطلة؛ وخرجوا إلى العسكر، وبالوا المرافق
فيه، وابتاعوا المعاييش التي طال ما أجهدهم عدمها، ومنعهم الحصار منها؛
فعرفوا غبطة ما صاروا إليه من الأمن بعد الخوف، والسعة إثر الضيق،
والانسياط بعد طول الانقباض. ثم ركب الناصر إلى مدينة طليطلة في اليوم
الثاني من نزوله بحجته عليها، ودخلها، وجال في أقطارها؛ فرأى من حصانها،
وشرف قاعدتها، وانتظام الأجيل داخل مدينتها، وامتناعها من كل الجهات
بواديتها ووعرها، (وطيب هوائها وجوهرها). وكثرة البشربها، ما أكثر (له) من
شكر الله (عز وجل) على ما منحه فيها، وسهل له منها؛ وعلم أنه، لولا ما أخذ
به من الجد والعزم في أمرها، لَمَا مُلِكَتْ مع حصانها ومنعتها (مع اتساعها وانساح
أقطارها)، ولَمَا اعتاده أهلها من مداخلة المشركين (ومواليتهم)، والاستعداد
على الخلفاء بهم؛ فكم أعيت الملوك، وامتنعت من العساكر، وانصرفت عنها
الصوائف بغير نبح؛ ولكن فضل الله (عز وجل) الذي أعطاه أمير المؤمنين.
وصنعه له، وتأيدته إياه أجرى افتتاحها على يديه. ثم دبر فيها بناءً مُحْكَمًا
مُتَقَنًا، ليكون مستقرًا للقواد المُلَازِمِينَ فيها، وزمامًا على ساكنيها؛ وأرب على
البنيان بها دُرِّيَّ بن عبد الرحمن قائده، وملاها رجالاً وعدةً وسلاحاً. وركب
إليها الناصر، وأمر بهدم ما وجب هدمه في المدينة، وتردد عليها ثمانية أيام حتى
أكمل فيها ما دبره، وهذب ما أراد. وفتحت أسوس البنيان الذي أمر به؛

P. ٢٢٤ • وإطمأنت • بأهل المدينة الدار، وفتحوا الحوائط، وانتشروا في الأسواق؛
وانبسطوا في أفنيئهم وأبواب مساجدهم، آمينين، والحمد لله. ثم قفل الناصر عن
محلته بطليطلة، يوم السبت لست خلون من شعبان، ودخل الفصر بقربة يوم
السبت لعشر بقين منه، وقد استتم في غزاه سنة وثلاثين يوماً.

أوفىها، صنع الناصر لضروب رجاله ومواليه وصنوف أجناده وحشيه ممن
شاهد فتح طليطلة معه، ووافق ذلك تطهيره لبعض بنيه الأصاغر.

وفيها، عزل عن خزانة المال محمد بن عبد الله بن حدير، وعبد الرحمن
ابن عبد الله الزجاجي، ونقل أحمد بن عيسى بن أبي عبدة عن الخزانة إلى
قيادة بجانه. وأقر من الخزان خالد بن أمية بن شهيد، ومحمد بن جهور بن
عبد الملك، وولى مكان المعزولين عنها سكين بن إبراهيم، وأحمد بن محمد
ابن مستنير.

وفيها، ولى الخال سعيد بن القاسم خطة العرض.

وفيها، ولى المدينة قطيس بن أصبغ لإحدى عشرة ليلة خلت من شوال.

وفيها، ولى العرض محمد بن قاسم بن مطلس. وفيها، ولى السكة مجي بن
القرشي¹، وذلك يوم السبت لأربع خلون من شوال؛ وعزل هذا النهار عنها
أحمد بن محمد بن موسى بن حدير.

وفيها، توفي أحمد بن أبي نوفل القرشي، وهو أحمد بن محارب بن قطن
ابن عبد الواحد بن قطن بن عصمة بن أنيس بن عبد الله بن جحوان بن
عمرو بن حبيب بن عمرو بن شيبان بن محارب بن فهر، وكان منقبضاً متزهداً،
وبلغ من السن خمسا وسبعين سنة.

وفيها، مات الحاجب موسى بن محمد بن حدير، للنصف من شهر صفر ليلة
الأحد، بعد صلاة المغرب، وبلغ من السن خمسا وستين سنة. وفيها، توفي
• عبيد الله بن عبد الله الزجاجي، وكان على المواريث والبنان، في رمضان،
P. ٢٢٥

1) G. القرشي.

وهو ابن إحدى وأربعين سنة. وفيها، مات أحمد بن محمد الزجالي، وكان قد تصرف في الخدمة، وله أدوات وحركة؛ وتوفي فيها عمران بن أبي عمر المنطبي، وكان قد كفت بصره، وهو من المنظرين المنطبيين، وصحب الملوك، وخفت على أمير المؤمنين الناصر؛ وكان يوصله ويحضره بجالس راحته، وهو أعمى.

وفي سنة ٣٢١، وصل الخبر إلى قرطبة بولاية أبي المنصور بن المعتز مدينة سجلماسة، وهو غلام ابن ثلاث عشرة سنة؛ فمكث في ولايته شهرين، وقام عليه ابن عمه محمد بن الفتح، وأخرجه منها، وتملكها، ونسبى أمير المؤمنين، وتلقب بالشاكر لله، وذلك بعد مدة نحو من عشرين سنة، وضرب الدنانير الشاكرية.

وفي سنة ٣٢٢، وصل الخبر إلى قرطبة بوفاة أمير إفريقية عميد الله الشيعي الملقب بالمهدي، وتقدم ولد أبي القاسم الملقب القائم بأمر الله.

وفي سنة ٣٢٣، وصل إلى مدينة فاس ميسور الصقلي قائد أبي القاسم الشيعي أمير إفريقية؛ فحاربه أهل فاس سبعة أشهر، ولم يقدر عليهم؛ ثم حاصر ابن أبي العافية، واستعان عليه ببني إدريس؛ فانجلى ابن أبي العافية إلى الصحراء، وصار جميع ما كان لابن أبي العافية لبني إدريس؛ وقد تقدم خبر بني إدريس.

وفي سنة ٣٢٤، ظهر أبو يزيد مخلد بن كيداد بإفريقية على أبي القاسم الشيعي، وذلك في جبل أوراس، وفيه قلاع كثيرة يسكنها هؤارة وغيرهم، وهم على رأي الخوارج.

وفي سنة ٣٢٥، أمر الناصر ببناء مدينة الزهراء؛ وكان يصرف فيها من الصخر المنجور ستة آلاف صخرة في اليوم، سوى التبليط في الأساس، على ما أذكره بعد.

1) Les développements relatifs aux années 324 et 325 manquent dans B.

٢٢٦. وفي سنة ٢٢٧، قام بالغرب الأقصى أبو الأنصار بن أبي عَفير البرغواطى بعد موت أبيه؛ وكان نفى بالعهد والوعد، وهو الذى بعث زُموراً البرغواطى رسولاً الى الحَكم المُستَنصر بالله، ابن أمير المؤمنين الناصر.

وفي سنة ٢٢٩، استنمَّ القائد أحمد بن محمد بن إلياس مدينة سَكَنان، وشحنها بالرجال. واتخذ فيها الأَطعمية والأسلحة؛ فأخرج الناصر إليها أحمد بن يعلى قائداً فى ضروب من الحَشم، ضمهم إليه؛ فنذ إليها فى صفر من هذه السنة؛ فلما كان فى غرة جمادى الأولى منها، وفى فَنَح من قِبَل أحمد بن يعلى القائد بسَكَنان المحدثه؛ بدخول كان له منها الى جهة من عمل الطاغية رُدْمير؛ فقتل وسبى وأسر، وأرسل مع كتابه الى قرطبة مائتى عالج أسراء؛ وكان هذا أوَّل فَنَح لابن يعلى أذل به الطاغية رُدْمير.

وفي سنة ٢٣٠، فى المحرم من هذه السنة، طلع كوكب الزُّببى فى الأفق الغربى بقرطبة إزاء الغرب، منحرفاً عنها، يكاد يتصل بالفلكة العليا فى رأى العين؛ وكان أوَّل ليلة لاح فيها للأبصار ليلة السبت لثلاث بقين من المحرم منها، وهى ليلة ست عشرة خلت من أكتوبر؛ ونمادى طلوعه مستعلياً مكبراً فى السماء حتى توارى^{١)}.

وفي سنة ٢٣١، فى يوم الخميس لحس خلون من صفر منها، دخل الوزير القائد أحمد بن إلياس الى قرطبة قافلاً عن غزاته الى الثغر التى خرج إليها فى عقب شوال من سنة ٢٣٠ قبلها، الى ثلاثة أشهر ويومين من خروجه عنها؛ ودخل فى سفرته هذه كورة تدمير؛ فأزال الالتيات^{٢)} الواقع من أهلها إزالةً، وقدم برهائن بعضهم؛ وكان أثره جميلاً. وفيها، كان المد العظيم بنهر قرطبة، الثالم لفتطرتها.

1) Le développement relatif à l'année 330 manque dans B.

2) B. الخلل.

وفي سنة ٢٢٢، أغزى الناصر لدين الله القائد أحمد بن محمد بن إلياس P. ٢٢٧ الى جليقية؛ فدخل دار الحرب؛ فغنم، وأحرق جملة من حصونهم هنالك، وقفل راجعاً.

وفيها، كانت زلزلة عظيمة بقرطبة، ليلة الاثنين لتسع خلون من ذي القعدة؛ فلم يبق قط مثلها ولا سجع من قوتها؛ ووقعت بعد العشاء الآخرة؛ فدامت ساعة؛ ففرع أهل قرطبة لما فرغاً شديداً، ولجئوا الى المساجد فيها، وضجوا بالدعاء الى الله تعالى في كشفها، حتى أغاثهم وصرفها عنهم. وفي صبح ليلة الزلزلة، هبت ريح عاصف ردفها أخرى؛ فاقتلعا كثيراً من شجر الزيتون والتين وغيرها من الأشجار والنخيل، وأطاراً كثيراً من قُرد السقف. ونزل إثر ذلك مطرٌ وأبل طبق الأرض، وبسرد غليظ؛ فقتل كثيراً من الوحش والطيور والمواشي، وألغ ما أصاب من الزرع، وأساء التأثير.

وفي سنة ٢٢٢، في المحرم، هبت بقرطبة ريح عاصف من ناحية القبلة ونزل برد غليظ.

وفيها^١، ظهر بأشبونة رجل يزعم أنه من ولد عبد المطلب وأن أمه مريم ابنة فاطمة؛ وأدعى مع النسب أنه نبي وأن جبريل ينزل عليه، وسن لأتباعه سنناً، وشرع لهم شرائع، منها حلق الرأس وغير ذلك مما لا يعقل؛ ثم وقع عليه البحث، فحفي أثره.

وفيها، أخرج الناصر قاسم بن محمد قائداً الى عدوة الغرب بحرب بني محمد الأدارسة الحسينيين الذي^٢ بدا من خلافهم عليه في هذه السنة، ونقضهم للطاعة، بعد ما قدم الكُتُب الى محمد بن الخير عظيم زنانة وغيره من ولانته بالغرب، يأمرهم بالاستعداد لذلك والمعونة عليه. وأجاز قاسم البحر الى سبته في النصف من ربيع الأول؛ فلما تبين ذلك لكبير بني محمد، وهو أبو العيش بن

1-1) Manque dans B. 2) A. الذي (D. الدين).

عمر بن إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب
 (رضه) P. ٢٢٨، أسرع الى تحقيق الطاعة للناصر؛ فعقد له الأمان على نفسه. وأنفذ
 اليه ابنه محمد بن أبي العيش الى قرطبة، مؤكداً لظاعته؛ فاحتل السلطان
 لدخوله احتفالاً عظيماً، وركب الواقد محمد مع مُستقبليهِ من قبل الناصر القائد
 أحمد بن يعلى في أهبة^١ رافت العيون وملأت الصدور. ووصل الى قصر
 الزهراء، وقعد له الناصر أفخم قعود؛ فأوصله الى نفسه، وأبلغ في تكريمه؛ ثم
 خرج عنه في مثل الهيئة التي دخل عليها. ودخلت بدخول محمد بن أبي العيش
 في هذا النهار على الناصر رُسلٌ لبني عمه الأدارسة أمراء الغرب. وانفذ في هذا
 النهار كتاب أمان محمد بن إدريس. ودعا الناصر أيضاً محمد بن أبي العيش؛
 فبالغ في تكريمه، وأقام بقرطبة بقية هذه السنة في نكرمة. وانصرف الوفد المذكور
 بعد التزامهم للطاعة للناصر، وذلك في خبر طويل.

وفي عقب سؤال، قدم رسول الخبر بن محمد بن خزر الزناتي أمير الغرب
 ومعه رسول حميد بن يصل الزناتي، يُعرفان الناصر بما كان من دخولهما
 مدينة تاهرت، وأنهما أقاما فيها الدعوة له.

وفي منسلخ سؤال، قدم على الناصر رسولان من أبي يزيد مخلد بن كيداد
 المعروف بصاحب الحمار، القائم بإفريقية على أبي القاسم الشيعي، برسالة منه يخبر
 بتغلبه على القيروان ورفادة وعملهما، وإيقاعه بأصحاب الشيعي فيها، وما يعنفه
 من ولاية الناصر، ويأوي إليه من اعتقاد إمامته. واتصلت كتب أبي يزيد
 ورُسله على قرطبة من ذلك الوقت الى حين وفاته.

وفي سنة ٢٢٤، جلس الناصر لدين الله لوداع رُسل أهل القيروان الواردين
 عليه من قبلهم وقيل أبي يزيد مخلد بن كيداد البفرتي الناجم بأرض إفريقية
 في ذلك الوقت، محسباً في جهاد ملوك الشيعة المتزبن على إفريقية من آل P. ٢٢٩

١) أهبة B.

عبيد الله الداعي؛ وكان له في القيام عليهم وقائع شنيعة؛ فوصلوا الى الناصر في هذا اليوم، وهم ثلاثة نفر، أوجههم تميم بن أبي العرب التميمي؛ فكلمهم بما تقتضيه رسالتهم، ودفع اليهم أجوبة من أرسلتهم، وأذن لهم في الانصراف الى بلدهم، ووصلهم وكساهم؛ فانطلقوا لسيلهم.

وفيها، وصل الى قرطبة رسل ملك الروم الأكبر قسطنطين بن ليون صاحب القسطنطينية العظمى، يكتب من ملكهم الى الناصر؛ فقعد الناصر على سرير الملك بقصر قرطبة^١ لدخولهم عليه، ولما تكامل بالباب من وفود البلاد، بعد أن أمر باستقبالهم بالعدد والأجناد. واستوى الناصر على سريره؛ وقعد على يمينه ابنه المحكم؛ وقعد سائر أولاده عن يمينه ويساره؛ وقعد الوزراء والحجاب على منازلهم صفوفاً. فدخل الرسل، وقد قدموا الهدايا بين أيديهم، وقد دهشوا لهول ما عاينوه من جلالة الملك ووفور الجمع؛ فصنعوا^٢ بين يدي الخليفة؛ فأشار إليهم أن لا؛ فدفعوا اليه كتاب مرسلهم قسطنطين. وكان الكتاب مصوناً بلون سماءي، مكتوباً بالذهب.

وفيها، كان السبل العظيم بقرطبة؛ وبلغ الماء في البرج المعروف ببرج الأسد؛ فهدم من آخر القنطرة، وثلم الرصيف وغيره.

وفيها، قدم على الناصر محمد بن محمد بن كليب من القيروان؛ فحكى أن أبا القاسم بن عبيد الله الشيعي هلك بالمهدية، وهو محصور من أبي زيد؛ وأن شيعته قدمت وله إسماعيل مكانه، وأنه فارس شجاع، أبيض النفس؛ أقدم على أبي يزيد وجموعه، ولاقاه بمدينة سوسة؛ فانهزم أبو يزيد أمامه الى القيروان.

وفي عقب صفر منها، ولي خزانة السلاح عبد الأعلى بن هاشم المتوفى في المحرم منها.

وفي سنة ٢٢٥، كان ابتداء بناء مدينة سالم بالثغر الأوسط. * وفي كتاب P. ٢٣٠

١) B. الزمراء. ٢) فصنعوا B.

ابن مسعود: في سنة ٢٢٥، ابنتي الناصر مدينة سالم القديمة التعتيل بالشفر الأوسط الشرقي، المواجهة لبلد قشتيية (دمرها الله تعالى)، وهي يومئذ خالية مفرقة. وأرسل لذلك غالباً نولاه في جيش جرده معه من الحضرة، وأنفذ العهد إلى قواد الثغر بالاجتماع إليه لسيانها؛ فسارعوا إلى أمره، وبنيت أحسن بناء؛ ونقل إليها البنائون من بلاد الثغر للاختطاط لديارها والرباط بها؛ فتم ذلك في صفر من هذه السنة. وإطمأنت الدار بمن نزلها من المسلمين؛ واكمل بناؤها وعمارتها على مرور الأيام؛ ففتح الله المسلمين بها، وصيرها شجاً في حلق الكافرين. قال: ووافي في إثر كتاب الفائد ابن حدير وابن هاشم كتاب من قبل عامر بن مطرف بن ذى النون إلى الناصر بما فتح الله له في المشركين، وقتله العدد الكثير منهم، وبعثه برووسهم؛ فتمت الفتح، وعمت الفروح، وعزز الإسلام. واستبشر الأنام، وطابت الأيام، بحمد ولي الإنعام، الذي مه يرحى النعام، عز وجهه!

وفيها، كان الفتح الكائن بقرطبة.

وفيها، وصل إلى قرطبة أيوب بن أبي يزيد مخلص بن كيداد اليفرنى الأباضى رسولاً من والده أبي يزيد؛ ففعد له الناصر فعوداً؛ فأوصله إلى نفسه، وكرم لقاءه، وأمر بإنزاله في قصر الرصافة؛ وقد أُعد له فيه من الفرش والوطاء¹⁾ والغطاء والآنية والآلة²⁾ ما يُعدُّ لأمثاله³⁾؛ فأقام هناك تحت نزل واسع وكرامة موصولة.

وفي سنة ٢٢٦، في يوم الجمعة التاسع من المحرم منها، ورد كتاب قد مولى الناصر، الفائد يومئذ بطليطلة، بفتح فتحه الله على يد أعداء الله أهل جليقية؛ ففرى في المسجد الجامع بقرطبة والزهرام؛ وبعث من ذلك برووس وخيل أصيبت³⁾ لأعداء الله.

1) Manque dans A.

2) ما أبعته B. 2-2

3) أخذت B.

وفيها، عزل الناصر عبد الله بن محمد * عن السِّكَّة، وسخط عليه لتفصير P. ٢٢١ ما كان فيه وأمر بسجنه. وقدم عبد الرحمن بن بجي بن إدريس الأصبم، ونقل السِّكَّة من مدينة قرطبة الى الزَّهراء.

وفيها، خرج الكاتب جعفر بن عثمان المصحفي الى ميورقة وذواتها لإصلاح ما فسد من حالها.

وفيها، وصل حميد بن يصل المكناسي الى قرطبة فاصداً الى الناصر من بلن من الغرب؛ فاستقبل بالجيش والزينة؛ وكرم الناصر مؤرده، وأجمل مؤعده.

وفي سنة ٢٢٧، في النصف من المحرم، فعد الناصر بفصر الزَّهراء فعوداً بهياً؛ فدخل اليه حميد بن يصل؛ ثم وصل بعد منصور وأبو العيش، ابنا ابن أبي العافية، ودخل معها حمزة بن إبراهيم، صاحب جزائر بني مزغنا، فوصلهم وكسام، وأذن لهم في الانصراف الى بلادهم.

وفيها، صلب بقرطبة علي بن عشرة، من أهل أشبونة، بعد أن قطعت يده ورجلاه؛ وكان من المفسدين في الأرض يقطع السبل.

وفيها، كانت وقعة أرتيفيرة على العدو (دمره الله).

وفي سنة ٢٢٨، كان قدوم رسل ملك الروم الأكبر صاحب القسطنطينية على الناصر، راغباً منه إيقاع الموائفة واتصال المكابية؛ فنهب الناصر لورودهم عليه، وأمر بتلقيهم في الجيش والعدة؛ وجلس لهم الناصر الجلوس المشهور الذي ما تهباً مثله لملك قبله في جلالة الشأن، وعزة السلطان؛ ووصف ذلك بطول. ودفعوا كتاب ملكهم في رقي مصبوغ سماءي مكتوب بالذهب؛ وكان على الكتاب طابع ذهب، وزنه أربعة مثاقيل، على الوجه الواحد منه صورة المسيح (عليه السلام)، وعلى الآخر صورة قسطنطين الملك وصورة رلده.

وفيها، أمر الناصر أحمد بن يعلى وحميد بن يصل المكناسي بالخروج الى بني محمد الأدارسة الحسينيين أمراء الغرب ففصلاً * بن ضم إليهما من الجيش P. ٢٢٢

الى الخضراء؛ وكان خروجهما من قرطبة للنصف من رجب. وفي عقبه، قدم على الناصر رسول من بعض الحسينيين، يذكر طاعتهم إليه، وانقيادهم لأمره في هدم مدينة بطائون التي أنكر عليهم بناءها؛ فعقد لهم في أول شعبان، وأمر بجاوتهم؛ ثم وصل محمد بن أبي العيش الحسيني الى الناصر من أبيه أبي العيش؛ فأقبل عليه الناصر، وأبلغ في تكريمته؛ ثم ورد الخبر بوفاة أبي العيش، فأوصل الناصر ابنه محمدًا الى نفسه، وعزاه عن والده، وعقد له على عمله، ووصله، وخلع عليه وعلى الوافدين معه، وصرّفهم. فخرج محمد مبادرًا الى عمله بالغرب. وكان عند وفاة أبيه أبي العيش، قصد ابن عمه قنون الى بلده؛ فاحتوى على ماله وأهله. ولما بلغ البربر إقبال محمد بن أبي العيش الى بلده من قبل الناصر، رجعوا الى عيسى بن قنون، وقد خرج عن بيكباس؛ فقطعوا به، وكسروه، وسلوه ما كان أخذه لان عمه، وقتلوا أكثر أصحابه؛ فلم يخلص إلا في سبعة فوارس.

وفيهما، وصل الى قرطبة أحمد بن الاطرابلسي رسول الأوربي بن موسى بن أبي العافية بكتاب يذكر أنه صحّ عنه أن الخير بن محمد بن خزر الزناتي وصل الى ناهرت، فحاربها؛ فاستنصر أهلها بميسور قائد الشيعي؛ فالتفوا؛ فدارت الدائرة على ابن خزر أول نهارم، ثم كانت الكرة لزناتة؛ ودخل الخير أميرم مدينة ناهرت وملكها في غرة ذي القعدة، وأخذ قائد الشيعي أسيرًا في عدة من أصحابه؛ ووقع في يده عبد الله بن بكار اليفرنّي الذي توجه الى الشيعي برأس أيوب بن أبي يزيد؛ فأرسل به الى يعلى بن محمد بن صالح اليفرنّي ليقنله بوالده بعدما كان أخذ كل ما عنده؛ فلم يرص • يعلى بذلك، ولا راه كنفوا لعبد، فكيف لوأله؛ ودفعه المذكور الى رجل من البربر كان قد قتل ابنه، فقتله به. ودخل يعلى بن محمد وهران، فملكها.

1) B. ويعطونه هدم.

وفیہا، جرت قصۃ الولد عبد اللہ بن الناصر التي أراد اللہ بہا ابتلاء ابيه
 فیہ؛ فعجل الوثوب بہ وبأصحابہ آخر هذه السنة، عجل علیہم فیہا بأفزع العقاب؛
 فقتلہم؛ ونانی بابنہ عبد اللہ مدبذبة الى أن طوَّفه الحُسام فی آخر سنة ۴۲۸؛
 وكان المحکم أخوه ذکر عنه أنه یرید القيام علی ابيه؛ فقبِلَ قولہ فیہ. وكان عبدُ
 اللہ من أهل العلم والذکاء والنبل.

وفی سنة ۴۲۹، أخرج الناصر قائده أحمد بن یعلیٰ نحو جلیقین، وجاء فی
 انتهاز فرصة من العدو؛ فأعانه اللہ علیہا، واقتحم علی غفلة؛ فافتتح ثلاثة
 حصون، وسبى نحواً من ألف سبية، وانصرف آخر رجب من السنة.
 وفیہا، ورد الخبر بهلك رُدویر بن اُردون صاحب جلیقین؛ فملکت الجلائقة
 ابنه اُردون، ونازعه أخوه غرسية؛ فجرى بينهم اختلافٌ أظفر اللہ به المسلمین.
 وفیہا، وصل الى قرطبة ابن البوری بن موسى بن أبي العافية أمير الغرب.
 وورد رسول الأمير الخیر أمير زنابة وكبير أمراء الغرب الى الناصر، بذكر ما
 أتاح اللہ له من دخول مدينة ناهرت، وظفره بمیسور وعبد اللہ بن بكار البفرنی
 قواد الشيعی؛ فقرأ كتابه بجامعی قرطبة والزهراء. ثم ورد كتاب عبد الرحمن
 ابن عبد اللہ الزجالی من جهة شدونة، بذكر أن بنی محمد الأدارسة بالغرب
 زحفوا الى حمید بن یصل قائد الناصر، ونزلوا علیہ، والنقوا به؛ فكانت الدائرة
 علی بنی محمد، وانصرفوا مفلوین.

وفی سنة ۴۴۰، كانت للمسلمین غزوات علی الروم، نصرهم اللہ فیہا. منها
 فتح علی يد قائد بطلیسوس بجلیقین، هزمهم أقبیح هزيمة، قتل جملة من حُماهم
 ومقاتلتهم، وسبى من نساءهم وذراریهم نسیفاً علی ثلاثائة رأس؛ ووصل ذلك
 السبي الى قرطبة لثلاث خلون من الحرم؛ وفتح آخر علی یدی أحمد بن یعلیٰ
 قائد الناصر؛ وفتح آخر علی یدی رشیق قائد الناصر علی طلیبيرة؛ وفتح آخر
 علی یدی یحیی بن هاشم النجیبی.

وفي غُرَّة جُمادى الآخرة، وهو الثامن من أُكْتُوبر، هبت بقرطبة ريحٌ عاصفٌ، وتتابع البرق، واشتدَّ الهول. ونزلت صاعقةٌ في دار أحمد بن هاشم ابن عبد العزيز، فقتلت امرأة، وأبطلت أُخرى.

وفي سنة ٢٤١، كان للمسلمين غَزْوٌ في الروم، نصرهم الله فيه، وفتوحات ومُوحات.

وفي آخر جُمادى الأولى. وردت الأخبار بأن زبيري بن مناد الصنهاجى عامل الشيعى على باهْرَت أسر سعيد بن خَزْر زعيم زبانية وكبيرها. وفي هذا الوقت، ورد كتاب ابن تَعَلَى قائد الأُسْطُول بقبضه لرهن محمد ابن إدريس الحسينى كبير أمراء الأدارسة.

وفي آخر جُمادى الآخرة، وصل الى قرطبة فتوح بن الخَيْر بن محمد بن خَزْر كبير أمراء زبانية بأرض الغرب، وإفدًا الى الحضرة، ومعه وجوه أهل باهْرَت ووهْران؛ وأُدخلت بين يديه الرووس التى احتزها للقواد المشاركة ووجوههم من رجال إساعيل الشيعى العبيدى، تقدمها رأسُ ميسور الخصى ورأس محمد بن ميمون وغيرها من رووس أعلام الشيعة، وعشرة من بُنودهم، أُدخلت مَكْسَةً. معها عدَّة من طبولهم؛ فُرُفعت هذه الرووس والبُنود والطبول على باب قصر قرطبة، وأُقيمت له ولمن جاء معه الكرامات الواسعة.

وفي سنة ٢٤٢. قدمت رُسُلٌ هُوُوا^١ ملك الصَفَالِيَّة على الناصر. وفيها. خرج القائد أحمد بن تَعَلَى غازيًا الى جِلِيْفِيَّة؛ فمنحه الله فى الكفار الفتل للرجال، والسبي لنُدْرِيَّة والعيال، وإحراق القرى، وانتساف النعم؛ فقرأ ٢٤٥. كتابه يوم الجمعة لليتئين بفتنا من ربيع الأول بقرطبة؛ وقرأ معه كتاب القائد غالب. يذكر عظيم ما فتح الله عليه ومنحه من نكايه المشركين؛ ثم دخلت الرووس الى قرطبة، ومعها النواقيس والصلبان، فقرت عيون أهل الإسلام.

١) هُوُوا. A. B.

وفي سنة ٢٤٣، ولّى الناصر مدينة طَلَيْطَلَةَ القائد أحمد بن يَعْلَى، وصرف عنها محمد بن عبد الله بن حُدَيْر.

وفيها، فصل القائد حميد بن يَصَل، المستأمن الى الناصر، بالجيش الذى ضمه اليه الى بلاد الغرب، وخرج معه القرشيُّ السُلَيْمانيُّ المستأمن الى الناصر أيضاً، الذى كان أميراً على مدينتي نَسَس^١ وأَرْشُقُول وما بينهما من أرض إفريقية؛ فأخرجه عنها قواد الشيعيِّ. وإسمه على بن يحيى، تنسب الى على بن أبي طالب (رضه). فكان خروجهما من بين يدي الناصر بعد أن خلع عليهما خلع الوداع، بعد خلع نقدت له عليهما بيوم قبل وصولهما من دراربع الديباج والخز وعمائم الشرب المذهبة وغير ذلك. ودفع لحميد سبعة عشر ألفاً للنفقة على الجند، ومن أحمال الكسوة سبعة أحمال.

وفيها، وصل الى قرطبة وقد أزداجه من البربر الذين انحاشوا الى الطاعة؛ فكساهم الناصر ووصلهم. وورد كتاب فتح من حميد بن يَصَل قائد الناصر بالعدوة بما فتح الله عليه من مدينة آسلان وانتشار الدعوة الأموية بنواحيها. وفيها، قدم الحجاج؛ فذكروا أنه وقع بسطاط مصر حريق عظيم احترق فيه ستة عشر ألفاً بين دار ومسكن.

وفي سنة ٢٤٤، وردت قواد الثغور لسبع خلون من ربيع الآخر على الناصر، وفيهم غالب، ومطرف، ومحمد بن يعلى، وعبيد الله بن أحمد بن يعلى. وهذبل ابن هاشم التنجي، ومروان بن رزين، وعامر بن مطرف بن ذى النون، يذكرون أنهم دخلوا الى أرض العدو، وقصدوا حصناً من بلاد قشتيلة؛^٢ فنغابوا على أرباضه، وقتلوا جماعة من أهله، وقتلوا عنه؛ فوافقتهم جموع البصرانية؛ فأيد الله المسلمين، وانهمز المشركون أمامهم مقدار عشرة أميال، بقتلهم كيف شاؤوا؛ فاحصى أنه قتل منهم مقدار عشرة آلاف. وكانت هذه الواقعة بينهم لليلة

^١ تونس. A. et B.

بقيت من ربيع الآخر منها؛ فقرأ كتابهم بهذا الفتح المجليل بقرطبة؛ ثم وردت
الى قرطبة الرووس المحتزة في هذه الهزيمة نحو خمسة آلاف رأس؛ فأمر الناصر
برفعها على الخشب حوالي سور قرطبة.

واسبع خلون من جمادى الأولى، كانت بقرطبة زلزلة عظيمة ظاهرة الهزة؛
وعادت زلزلة أخرى مثلها يوم السبت لإحدى عشرة ليلة خلت منها، وذلك
عند الظهر.

وفيها، ثقف الناصر أمور الخدمة السلطانية، ووزعها بين وزرائه؛ فقلد
الوزير جهور بن أبي عبدة النظر في كتب جميع أهل الخدمة؛ وقلد الوزير عيسى
ابن قُطَيْس النظر في كتب أهل الثُغور والسواحل والأطراف وغير ذلك؛ وقلد
الوزير الكاسب عبد الرحمن الزجالي النظر في تنفيذ كل ما يخرج من العهود
والتوقيعات، وبنفذه الأمر أو الرأي وغير ذلك؛ وقلد الوزير محمد بن حُدَّار
النظر في مطالب الناس وحوادثهم، وناجز التوقيعات لهم. فالتزم القوم ما أُرُوموا؛
فاعتدل بهم ميزان الخدمة، وسهلت مطالب الرعية.

وفيها، ورد كتاب يعلى بن حميد قائد العدو من قبل الناصر بما فتح الله
عليه في قائد الشيعي معد بن إسماعيل صاحب إفريقية من هزيمته له وقتله من
قتل من رجاله وغير ذلك. ووصل الى قرطبة ابن عم حميد بن يصل. ومعه
ستة وثلاثون من وجوه كُتامة وغيرهم من الفباطل المستأينين اليه من عسكر
الشيعي؛ فأمر الناصر بانزالهم، وجلس لهم على سريرته بفصر الزهراء يوم الثلاثاء
ربيع خلون منه؛ فوصلوا إليه؛ فرأوا مقاماً جليلاً، وكلموه، فرد عليهم جميلاً^(١)،
وأحسن موعدهم. وأمر بالخلع عليهم، ووصلوا بصلات جزلات، وأمرُوا بالرجوع
الى القائد حميد بن يصل.

وفيها، أمر الناصر بإطلاق اللعن على ملوك الشيعة بجميع منابر الأندلس،
وإنفاذ كتبه بذلك الى العمال بسائر الأقطار.

وفي سنة ٢٤٥، وَطَىٰ غَالِب، قائدُ أُسْطُولِ الناصر، أرضَ سَوَاحِلِ إفريقيَّة من عملِ الشيعيِّ.

وفيها، قَدِمَ مُحَمَّدُ بنُ حُسَيْنِ رسولاً كان من الناصر الى الطاغية أُردُونَ ابنِ رُدْمِيرِ مَلِكِ جَلِيفِيَّة، ومعه حَسَدَايُ بنُ شَبْرُوطِ اليهوديِّ، بكتابه الى الناصر، راغباً منه في الصلح؛ فأسعفه الناصر في ذلك على اختيارِ وُلده الحكم، واشترط على الطاغية شروطاً؛ وانصرفت رُسله بذلك.

وفيها، قُتِلَ مُحَمَّدُ بنُ أَبِي العَيْشِ الإدرسيُّ أميرُ الغَرْبِ. وفيها، خرج قاسم بن عبد الرحمن الى حَمِيدِ بنِ يَصَلِّ قائدِ الناصر بالغَرْبِ من فرطية بأحد عشر حملاً من المالِ وأحمالِ العُدَّة، نفويةً على الذَّبِّ عن الدولة المروانية بالغَرْبِ، وذلك لخمسِ خَلُونٍ من صَفَرِ منها. ولما كان يوم النصف منه، ورد كتاب حَمِيدٍ بدخوله مدينة تِلِمَسَانَ.

وفي سنة ٢٤٦، قدم الى الناصر أمراءُ بني رَزِينِ ومن التفت إليهم؛ فوصل الى الناصر كبيرهم مروان بن هُدَيْلِ بنِ رَزِينِ النَّائِرُ بالسَّهْمَةِ المنسوبة إليهم؛ فأذِنُوا وأكْرَمُوا.

وفيها، برز القائدُ غالبُ الناصريُّ الى فَحْصِ الشَّرَادِقِ غازياً الى دارِ الحَرْبِ؛ ففَتَحَ عليه في بلادِ المُشْرِكِينَ؛ وفتح الحصون وقتل المقاتلة واكتسح بسِيطِ عَدُوِّ الله غَرْسِيَّةِ بنِ شَانِجِه مَلِكِهِمْ، وخَرَّبَ قُرَاه، ورجع بالمسلمين ظاهرين. وكذلك برز القائدُ أحمدُ بنُ يَعْلَى للغزو * الى بلدِ العَدُوِّ تَائِيًا للقائدِ غالبٍ؛ فورد كتابه P. ٢٢٨ يوم الأحد لخمسِ بقين من ربيعِ الآخرِ بفتح عظيمٍ تهيأ له في غزوه الى جَلِيفِيَّة، وأنه ثخن في قتلهم، وحرَّ من رُووسهم أربعائة، واستاق من الماشية والكُرَاعِ ما فات الإحصاء.

وفي سنة ٢٤٧، أوَّلَ المحَرَّمِ، أمر الناصر صاحبَ الشَّرْطَةِ القائدَ أحمدَ بنِ يَعْلَى بالخروجِ غازياً في الأُسْطُولِ الى بلدِ الشيعيِّ مَعَدَّ بنِ إِسْمَاعِيلِ صاحبِ

إفريقية؛ فبرز ابن بعلَى إلى محنة الرّايض لغزائه هذه يوم الخميس لثمان خلون منه؛ وكان بروزه فحماً، خرج إليه من النظارة من أهل قرطبة رجالهم ونسائهم وأبنائهم وولداتهم خائف لا يُحصيهم إلا خائفهم؛ فانتشروا بأكفاف الرّايض على عادتهم؛ فأخذ السفنة منهم والغواصه بتقاذفون بالحجارة حاكين إصفي الفئال؛ فدخل في عرضهم قوم من الطنجيين من جند السلطان حشوا الضراب بينهم. حتى حسي وطيسه. وقد كتف صنيهم من النظارة الرجال والنساء خائف عظيم. فلم يك إلا ساعة، ودارت بينهم جولة ظهر فيها أحد صنيهم؛ فمالوا على مغلوبهم. وانسطوا عليهم؛ فامتد الطنجيون بغالب شرهم وجهنهم إلى نهب مغلوبهم من الرجال، ونحطوهم إلى من حولهم من النظارة، وانسطوا على النساء؛ فسلبوهن ثيابهن، وفضحو كثيراً منهن؛ فجعل المجرّدات من النساء تتوارسن في الزرع المكنل. حياء من الناس، ورفقياً لوقت نرفقهم. وشرح ذلك بطول.

وفي جهادي الآخرة منها، ورد كتاب قائد الأسطول أحمد بن بعلَى من مدينة سلان من عمل بلبسان، يذكر أن جوهرًا قائد معد بن إسماعيل صاحب إفريقية قتل بعلَى بن محمد بن صالح البقرني صاحب مدينة أفغان غدراً، وأن ابن عمه انتصب مكانه بإقامة من جأته في قومه له، ورجع القائد المذكور إلى قرطبة ومعه والد ابن قرّة، ابن عم بعلَى بن محمد المتقدم الذكر، المقدم بعد في قومه بني بقرن؛ فبواغ في إكرامه.

وفي سنة ٢٤٨، في أول ربيع الآخر منها، خرج علي بن يحيى الحسني إلى شرشل مكانه من العدو قائداً، من انضم إليه من الحشم، لمكافحة أصحاب الشيعي صاحب إفريقية.

وفي أول ذي القعدة منها، أوصل الناصر إلى نفسه حريز بن منذر في جماعة من وجوه الموالي والعرفاء ورجال الجند، يأمرهم جميعاً بالخروج إلى مدينة

سنة من أرض العدو، مع بدر الفتى الكبير صاحب السيف، لتنفيذ العدد فيها من أجل جولان جوهر قائد معدّ الشيعي صاحب الفيروان بأرض العدو؛ فنذروا لأمره، ومكثوا كذلك الى أن أمنت الحادثة؛ فانصرفوا مع القائد بدر، آخر ذى الحجة من السنة.

وفي سنة ٢٤٩، كان ابتداء علة الناصر، وذلك يوم الأربعاء لإحدى عشرة ليلة خلت من صفر، وذلك نصف النهار منه، طرقت أمير المؤمنين الناصر علة الصعبة من الريح الباردة؛ فأرجف به، وخيف عليه. وأكبت الأطباء على معالجه، إلى أن ظهر عليه تخفيف^١؛ فنجشتم^٢ التعود لحاصته في العشر الأول لجُمادى الأولى. فوصل إليه الفتيان الأكابر، وصاحب الطراز، وخواص أكابر العبيد كمظفر وذويه؛ فاستبشر أهل المملكة بما بدا لهم من انحطاط مرضه. وسألوا الله كمال عافيته؛ والقضاء قد سبق به من عاتيه؛ فلم تُفارقهُ، تخفّ حيناً وثقل حيناً، إلى أن قضت عليه في سنة ٥ التي بعد هذه.

بعض أخبار الناصر (رحمه الله) على الجملة.

كان الناصر (رحمه الله) ملكاً أزال^٣ اللأواء؛ وحسّم الأذواء، وقهر الأعداء، وعدل في الحاضر والبادي؛ قد أسس الأسوس؛ وغرس الغروس، P. ٢٤٠ واتخذ المصانع والقصور، وترك أعلاماً باقية الى النفخ في الصور. فأغترب بالزهراء كمّ بها من قصر مشيد، وأثار ملوك صيد؛ قد عادت معايدتها بعدهم^٤ دارسة، وأثارها دونهم طامسة؛ تُسفي الرياح بجسباتها، وتبكي الغيوم على عرصاتها. ولما ولي الناصر لدين الله، اعتز ركن الدين، واحتسب ذمار المسلمين، وقام الجهاد على ساق، وخمدت نار الخلاف والشقاق، ودخل الناس

1) Dozy, *Corr.*, propose تخفيف. 2) Glose marginale dans B.: النجشم: النكلف.

3) A. et B. أدال. 4) B. معاهدم بعدها.

فی طاعته أفواجاً، واستنبروا^۱ الى دعونه أفراداً وأزواجاً. فناهيك من فضل
 أعطاهم، وعدل أكتفهم به وغطاهم، وسكرمة أنالهم إياها، ومسرة أبدى لهم
 محيهاها؛ قد ملك ستة وما يليها من الأقطار، وطرد عنها ملوك الأدارسة طرد
 الليل النهار، وبت عماله وقواده فيها، وطاعت له البرابر في جميع نواحيها،
 واعنصوا بحبه، ولاذوا بفضله وعدله. وكان اصطفى مولا بدرأ، وجعله شمساً
 لملكه وبدرأ، وقلده خطة الحجاب، وجعل له النفي والإيجاب؛ فشد ملكه
 بقوة ساعد^۲، وسعد مساعد^۳؛ ثم قدم موسى بن حدر؛ فكمل به الملك
 وأنفق^۳. وأنفق له من الحد ما أنفق؛ فقاد عسكرياً مجراً، وجر الدنيا جراً.

ومن قول ابن عبد ربه فيه [بسيط]:

قد أوضح الله للإسلام منهاجا والناس قد دخلوا في الدين أفواجا
 وقد تربست الدنيا لساركنها كأنها ألبست وشيا وديباجا
 يا ابن الخلائف إن المزن لو علمت نذاك ما كان منها الماء نجاجا
 والحرب لو علمت بأسا نصول به ما هجت من حبياك الذي اهتاجا
 مات النفاق وأعطى الكفر ذمته وذلت الخيل إجماماً وإسراجا
 وأصبح النصر معنوداً باليوسفة تطوى المراحل نهجيراً وإدلاجا
 إن الخلافة لن سرضى ولا رضىت حتى عقت لها في رأسك الناجا

ومن مناقبه، أنه لم ينق في الفصر الذي هو من مصارع أجداده ومعاليم
 أوليته بنية إلا وله فيها أثر محدث، إما بتجديد أو بتزويد. ومن مناقبه، كثرة
 جوده الذي لم يعرف لأحد قبله من أجواد الجاهلية والإسلام، حتى قبل فيه
 (رحمة الله عليه) [كامل]:

1) B. واستنبروا. 2-2) Manque dans A.

3) A. وأنفق. Ou peut également penser à أنفق.

با ابن الخلائف والعلی للمعنی
نوهت بالخلفاء بل اخلتھم
اذكرت بل انسيت ما ذكر الوری
وانسيت اخرهم وشاؤك فائت
تأبي فعالك ان تعد لاخیر
والمجد يعرف فضله للمفضل
حتى كان نسيانهم لم يسئل
من فعلهم فكأنه لم يفعل
للاخيرين ومدرك لاول
منهم وجودك ان يعد لاول

رغم للناصر (رحمه الله) من غزوات مذكورة، وفتوحات مشهورة، يبقى في
الأعقاب فخرها، ولا يبلى على مرّ الأحقاب أثرها.

وقد نظم ابن عبد ربّه في غزواته أرجوزة من سنة ٢٠١ الى سنة ٢٢٢.
وقد أطال الشعراء في مدحه، وأطنبوا في شكره؛ ^(١) ولولا أن الناس مكثفون بما
في أيديهم منها، لأعدنا هنا ذكرها أو ذكر بعضها؛ ولكن المذهب هنا الاختصار؛
والإيجاز والاختصار ^(١).

حكاية. ومما ذكر من إفضاله، مع بعض عماله، قال حيّان بن خلف:

كان محمد بن سعيد المعروف بابن السليم قد احتجج أموالاً كثيرة بنصرته في
كبار الولايات في المدة الطويلة؛ فعلم ذلك منه الناصر؛ فعرض له مراراً في
أن يسأله فيه عن طيب نفس منه، ^(٢) وهو ملكه، ولو شاء لأخذه منه، ولكن
أبي ذلك كرم طبعه ^(٢). فقال في مجلسه يوماً: «ما بال رجال من خاصتنا
يوسعون في دنيانا، فطفقوا يحنجون الأموال، ويضعون تعمّدنا ^(٣)، وهم يرون
غليظ مؤونتنا في الإنفاق على شؤوننا التي بقدرتنا عليها صلاح أحوالهم ورفاهية
عيشهم. ويعلمون أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (رضه)، فسّطاس ^(٤) الموازين، ^(٥)
فاسم عماله أرباحهم في ^(٥) تجاراتهم؛ فجعلها ^(٥) في بيت المال، وهو من هو، وهم
من هم، والأسوة في فعله!» فسكت ابن السليم عنه وغالطه ^(٦) في تعريضه كأنه

1-1) B. résume ainsi: تركنا ذلك اختصاراً. 2-2) Manque dans B.

3) A. تعمّدنا (Corr. لعبدنا). 4-4) A. فسّطاس من.

5-5) A. عمالاتهم فصيرها. 6) A. وخالطه.

يعنى غيره. فازداد الناصر حنفاً عليه وغيظاً؛ فقال له يوماً في بعض مجالسه الخاصة معه، وقد أخذ الشراب منه. وشق نفاحة بسكين في بكه: «وَدِدْتُ أَنْ اشُقَّ هَاكذَا رَأْسَ مَنْ أُعْرِفُ لَهُ مَالًا كَثِيرًا غَلَّةَ دُونِنَا. وَلَمْ يُسْهِمِ بَيْتَ الْمَالِ مِنْهُ!» فقال عفلُ ابنِ السَّليمِ. وَلَمْ يَخْتَلِجْهُ الشُّكُّ فِي أَنَّهُ الْمَعْنِيُّ بِهِ؛ فَفَاقَ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَقَالَ: «يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ! طَالَ مَا عَرَّضْتَ بِي! فَسَكَتُ؛ بَلَى وَاللَّهِ! إِنْ عِنْدِي مَالًا كَثِيرًا. وَهُوَ دُونَ ظَنِّكَ فِيهِ. حُطَّتْهُ بِالنَّقْتِيرِ. وَأُعِدِدْتُهُ لِلدَّهْرِ الْعَثُورِ، وَلَسْتُ وَاللَّهِ أُعْطِيكَ مِنْهُ دِرْهَمًا. فَمَا نَوَقَهُ، وَرَأَيْتُكَ فِيَّ جَمِيلًا إِلَّا أَنْ اسْتَحَلَّ» (وَأَعُوذُ بِاللَّهِ!) أَنْ تَمُدَّ يَدَكَ إِلَيْهِ بِغَيْرِ جَنَانٍ مَعِيَ عَلَيْكَ! فَإِنَّ الْإِنْسَانَ مُحَضَّرَةٌ الشُّحِّ»¹. قَالَ: فَجَجَلَ النَّاصِرُ وَأَطْرَقَ نَبَلُو قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: «إِنْ يَسْتَلْكُمْ وَهَذَا فَيُحْفِكُمْ تَبَخَّلُوا وَبُخْرَجَ أَضْغَانَكُمْ»². ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى ابْنِ السَّلِيمِ يَوْمَئِذٍ وَيُسَكِّنُ جَائِشَهُ. إِلَى أَنْ اعْتَدَلَ مَجْلِسُهُ؛ فَجَعَلَ يُعِينُ فِي الشُّرْبِ طَلَبًا لِلسُّكْرِ الَّذِي خَامَرَهُ مِنَ الدُّعْرِ. فَقَالَ لَهُ النَّاصِرُ: «خَفِضْ عَلَيْكَ، يَا مُحَمَّدُ؛ فَلَا سَبِيلَ إِلَيْكَ!» فَلَمَّا سَكِرَ ابْنُ السَّلِيمِ. تَهَوَّعَ؛ فَفَذَفَ، وَابْتَدَرَهُ الْوُصْفَاءُ بِالطُّسْتِ وَالْمِنَادِيلِ؛ فَأَقْبَلَ النَّاصِرُ وَأَخَذَ بِرَأْسِهِ بِسَكَّةٍ، وَبَقُولِ لَهُ: «اسْتَبْرِغْ مَا فِي مَعْدَنِكَ وَتَأَنَّ بِنَفْسِكَ!»³. فَانْكَرَ ابْنُ السَّلِيمِ كَلَامَهُ بَيْنَ الْخَدَمِ. وَصَرَفَ إِلَيْهِ رَأْسَهُ، وَإِذَا بِهِ النَّاصِرُ. فَمَا تَمَالَكَ أَنْ خَرَّ إِلَى رِجْلَيْهِ نُقْبِلُهُمَا، وَيَقُولُ: «يَا أَبْنَ الْخُلَائِفِ! إِلَى هُنَا انْتَهَيْتَ مِنْ بَرِي!» وَجَعَلَ يَدْعُو لَهُ، وَبُعْظَمَ شُكْرَهُ؛ فَقَالَ لَهُ النَّاصِرُ: «أَبَيْتَنِي أَخْرَجَ كَفَافًا مِنْ شَأْنِي مَعَكَ اللَّيْلَةَ: نَائِسًا بِإِخَافَةٍ وَإِطَافًا بِجَفْوَةٍ»⁴. ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِكِسْوَةٍ، وَانْقَلَبَ إِلَى أَهْلِهِ. فَكَانَ هَذَا مِمَّا بَعُدَّ مِنْ كَرَمِهِ وَفَضْلِهِ. فَلَمَّا نَضَتْ أَيَّامُهُ، أَرْسَلَ ابْنَ السَّلِيمِ إِلَى النَّاصِرِ بِمِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ دَرَاهِمَ؛ فَقَبِلَهَا النَّاصِرُ، وَشَكَرَ فَضْلَهُ⁴ وَعَوَّضَهُ بِكَبِيرِ الْوَلَايَاتِ، وَصَحَّبَتْهُ مِنْهُ النِّعْمَةُ الْعَرِيضَةُ إِلَى حِينِ وَفَاتِهِ.

حِكَايَةٌ. وَمَا زَحَّ النَّاصِرُ (رَحِمَهُ اللَّهُ) يَوْمًا وَزِيرَهُ أَبَا الْقَاسِمِ لُبَّيًّا؛ فَقَالَ لَهُ:

1) B. تسجبل. 2) Allusion à Coran, IV, 128.

3) Coran, XLVII, 37. 4) B. فعله.

« يا ألب أهج الوزير عبد الملك بن جهور! » فامتنع عليه ؛ فقال لابن جهور:
« فأهجه أنت، إذ أباي هو من هجوك ». فقال: « يا أمير المؤمنين. أسوق عرَضِي
منه. وأصون نفسي عهد! » فقال الناصر: « فأنا أهجوه. » فقال اسريع:

أبُّ أبو الفاسمِ ذو إحيَةٍ طويلاً في طولها مِيلُ

ثم قال لابن جهور: « لا بد لك من مذنب لهذا البيت ؛ فدع الاعتذار. » فقال:

وعرضها ميلانٍ إن كسرتُ والعقلُ ما فونٌ ومدخولُ
لو أنه احتاج إلى غسلها لم يكفه في غسلها النيلُ

فضحك الناصر، وقال لألب: « إنه قد سب لك القول ؛ فقل! » فقال لألب:

قال أمينُ الله في خلقه لي إحيَةٌ أزرى بها الطولُ
وابنُ عيبرٍ قال قولَ الذي ما كوله القُرطيلُ¹⁾ والنولُ
لولا حيائي من إمامِ الهدى نخستُ بالهنخسِ « شو قولُ²⁾ »

فلما بلغ لألب إلى قوله « شو » سكت ؛ فقال له الناصر: « قول ». فأنتم له على
نحو ما أضمر ؛ فقال له: « أنت هجوته. يا مولاي! » فضحك الناصر، وأمر
له بصلاة.

وكان الناصر قد خرج يوماً على فرس أبلق³⁾ في هيئة جليلة³⁾ والوزراء
قد حنوا به ؛ فقال ابن عبد ربه في ذلك مرَّجلاً⁴⁾ اسريع:

بدرٌ بدأ من تحته أبلقُ يحسدُ فيه المغربَ المشرقُ
لو يعلمُ الأبلقُ من فوقه⁵⁾ لا خيالَ من عجبٍ به الأبلقُ
إمامٌ عدلٌ باسطٌ كفه يرزقُ منها الله من يرزقُ
عاد به الدهرُ الذي قد مضى وجدَّ والله⁶⁾ به المخلقُ

1) A. انفرصيل B. انفرطيل.

2) C'est le roman *sū kulo* (= *su culo*).

3-3) Manque dans A.

4) A. من فصيدة.

5) A. B. تحته. La bonne leçon est donnée par C.

6) A. B. وجدَّ الله.

وكان، لما نَرَعَرَ عَ ابْنَهُ الْحَكَمُ بن عبد الرحمن، ولأه العهد من بعدد. وكان له أخ اسمه عبد الله؛ فمسه على ذلك، واجتمع عليه قوم، وأراد قتل أخيه؛ وأنفق مع أصحابه أن يبادروه؛ فافضحوا وقتلوا جميعاً، كما تقدم. وأما الولد عبد الله، فذكر أنه أخرجه أبوه الناصر ثاني يوم عيد الأضحى؛ فدبح بين يديه «(رحمه الله)؛ وكان عالماً فاضلاً».

وكان الناصر أمر ببناء الصومعة العظيمة في سنة ٢٤٠، وشرع في بنائها؛ وهي الشهيرة التي لا صومعة تعد لها. وكان الذي دعاها إلى بنائها..... حدث في القديمة؛ فهدمت إلى قواعدها..... ونبت بصخر الحجارة المنقولة إليها على العجل؛ وجمع لها..... فجاءت فائقة الصنعة. وقد كانت الأولى ذات مَطَلَع واحد؛ فصير هذه مَطَلَعَيْن؛ وفصل بينهما بالبناء؛ فلا يلتقي الراقون فيها إلا بأعلاها. ولكل مَطَلَع منها مائة درجة وسبعة أدرج؛ وطولها ثمانون ذراعاً بالرشاشي إلى وقوف المؤذنين؛ وفي أعلى ذروة المنار ثلاث رُمَانَات تُغشَى السَوَاطِر بشعاعها، وتخطف الأبصار بالنماعات: الأولى مفروغة من الذهب، والوسطى من الفضة، والثالثة من الذهب أيضاً؛ وفوقها سُوسَانَةٌ من الذهب المحض مُسَدَّسَةٌ؛ وفوق السُوسَانَةِ رُمَانَةٌ صغيرة من الذهب؛ ثم طَرَفُ الزُجج، وفيه تَأْرِجُجٌ مكتوب بالذهب. وزنة كل رُمَانَةٍ من الثلاثة المذكورة قنطار واحد فا دونه، ودور كل واحدة ثلاثة أذرع ونصف. وكل بناء الصومعة في جمادى الأولى؛ فذلك ثلاثة عشر شهراً⁽²⁾.

وكان الناصر زاد في المسجد الجامع بقرطبة زيادته المشهورة،⁽³⁾ المتصلة بزيادة ابنه الحكم بعده⁽³⁾، وفيها القبو الكبير الذي بصُطِفَتِ المؤذنون أمامه يوم

1—1) Seulement dans C. 2) Tout le passage qui précède depuis le début de l'alinéa est inédit et ne figure que dans le ms. C, où quelques fins de lignes du début sont à peu près effacées. 3—3) Ce passage d'une importance extrême pour l'étude archéologique de la grande-mosquée de Cordoue est seulement donné par C.

الجمعة للأذان، وهو من أعجب النيان. وإذا قد وقع ذكر المسجد الجامع
بقرطبة؛ فالواجب أن نذكر أول من أحدثه ومن بولى بناءه من ملوك بني أمية.
على سبيل الاختصار؛ فنقول:

ذِكْرُ مَسْجِدِ قُرْطَبَةَ الْأَعْظَمِ

ذكر الرازي عن الفقيه محمد بن عيسى أنه قال: لما افتتح المسلمون الأندلس.
استدلوا بما فعل أبو عبيدة وخالده (رضهما) عن رأي أمير المؤمنين عمر بن
الخطاب (رضه) من مشاطرة الروم في كنائسهم مثل كبسة ديمشق وغيرها مما
أخذوه صلحاً. فشاطر المسلمون أعاجم قرطبة في كنائسهم العظيمة التي كانت
بداخلها. وابتنى المسلمون في ذلك الشطر مسجداً جامعاً. ونفى الشطر الثاني
بأيدي الروم، وهدمت عليهم سائر الكنائس. فلما كثر المسلمون بالأندلس،
وعمرت قرطبة ونزلها أمراء العرب بجيوشهم. ضاق عليهم ذلك المسجد، وجعلوا
يعلقون منه سقائف؛ فقال الناس من الضيق مشقة عظيمة. فلما دخل عبد
الرحمن بن معاوية الأندلس، وسكن قرطبة، نظر في أمر الجامع، * وبوسيعه. ٢٢٥
وإتقان بنائه؛ فأحضر أعاجم قرطبة، وسألهم تباع ما بقي بأيديهم من الكنيسة
المذكورة، وأوسع لهم البذل فيه، وفاء بالعهد الذي صولحوا عليه؛ وأباح لهم بناء
كنائسهم التي كانت هدمت عليهم في وقت النتح بخارج قرطبة. وخرجوا عن الشطر؛
فأخذوا^١ وأدخله في الجامع الأعظم^٢. وكان شروع عبد الرحمن الداخل في هدم
الكنيسة وبناء الجامع سنة ١٦٩؛ وتم بناؤه وكملت بلاطانه. واشتملت أسواره
في سنة ١٧٠؛ فذلك مدة من عام كامل؛ فقيل إن السفينة التي أنفق الإمام
عبد الرحمن بطول هذه السنة في بناء الجامع ثمانون ألفاً بالوازنة. وفي ذلك
يقول البلوي (رحمه الله) اطويل:

١. واحد. ٢. الأعظم. ٣. D. Manque dans A.

وَأَبْرَزَ فِي ذَاتِ الْإِلَهِ وَوَجَّهَهُ
فَأَنْفَقَهَا فِي مَسْجِدِ أَسَى الشُّفَى
سَمَانِينَ أَلْفًا مِنْ أُجَيْنٍ وَعَسَجِدِ
وَمَسْجِدِ دِينِ السَّبِيِّ مُحَمَّدِ

تمَّ زاد الله هشام صومعة. كان ارتفاعها أربعين ذراعاً الى موضع الأذان
وفي آخر المسجد سقائف الصلاة النساء؛ وأمر بناء البيضاة بشرقي الجامع.
وقام الجامع على قبيلته تلك الى أيام عبد الرحمن بن الحكم؛ ثم زاد عبد
الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل الزيادة المنتظمة
بالأرجل، طولها خمسون ذراعاً، وعرضها مائة وخمسون، وعدد سواربها ثمانون
سارية؛ وكان الفراغ من هذه الزيادة في جمادى الأولى سنة ٢٢٤. ثم زاد
الأمير محمد بن عبد الرحمن أن أمر بإيقان طرر الجامع. وسبق نفوسه.
وبإقامة المقصورة. وجعل لها ثلاثة أبواب؛ فلما كمل ما أمر به في الجامع،
دخله وصلى فيه ركعات خضع فيها. فقال في ذلك موسى بن سعيد الطويل:

لَعَبْرِي لَقَدْ نَدَى الْإِمَامُ التَّوَاضُّعَا
فَأَصْبَحَ لِلدُّنْيَا وَالِدِينَ خَاشِعَا
بَنَى مَسْجِدًا لَمْ يَنْ فِي الْأَرْضِ مِثْلُهُ
وَجَلَّى بِهِ شُكْرًا لِذِي الْعَرْشِ رَاكِعَا
فَطُوبَى لِمَنْ كَانَ الْأَمِيرُ مُحَمَّدٌ
لَهُ إِذْ دَعَا فِيهِ إِلَى اللَّهِ شَافِعَا

تمَّ زاد الأمير المنذر بن محمد البيت المعروف سميت المال في الجامع؛ فوضع فيه
الأموال الموقوفة لغياب المسلمين؛ وأمر بتجديد السقاية وإصلاح السقائف.
تمَّ زاد أخوه الأمير عبد الله بن محمد ساباطاً معقوداً على حناباً، أوصل به ما
بين القصر والجامع من جهة الغرب؛ ثم أمر بستارة من آخر هذا الساباط الى
أن أوصلها بالمحراب؛ وفتح إلى المقصورة باباً كان يخرج منه الى الصلاة؛ وهو
أول من اتخذ ذلك من أمراء بني أمية بالأندلس (رحمهم الله).

رجع الخبر الى ذكر الناصر. قيل إنه أتى في صومعة المسجد وفي تعديل

1) B. وشرعته. 2) Vocalisé dans B. 3) A. جامعاً.

4) La correction de Dozy لغيابات semble injustifiée.

المسجد وبنیان الوجء للبلاطات الأحد عشر بلاطاً سبعة أمدد وكيلين ونصف
كبل من الدراهم الفارسية. وجملة ما أنفق عبد الرحمن الناصر في بناء مدينة
الزهراء وقصورها خمسة وعشرون مدياً من الدراهم الفارسية وستة أفضرة وثلاثة
أكيال ونصف.

ذکر بناء مدينة الزهراء بقرطبة (أعادها الله للإسلام بفضلها)

ابتدئ بنائها في أيام الناصر من أول سنة ٢٢٥. وكان يصرف فيها كل
يوم من الصخر المنجور ستة آلاف صخرة سوى التليط في الأسوس؛ وجلب إليها
الرغام من قرطاجنة إفريقية ومن تونس؛ وكان الأمانة الذين جاوره عبد الله بن
تونس. وحسن القرطبي، وعلي بن جعفر الإسكندراني؛ وكان الناصر يصانهم على
كل رخامة ثلاثة دنانير، وعلى كل سارفة ثمانية دنانير بحمامانية. وكان فيها
من السواري أربعة آلاف سارفة وثلاثمائة سارفة وثلاث عشرة سارفة. المجلونة
منها من إفريقية ألف سارفة وثلاث عشرة سارفة. وأهدى إليه ملك الروم مائة
وأربعين سارفة؛ وسائر ذلك من رخام الأندلس. وأما الخوض الغرب الموش
• الذهب بالنمائل، فلا قيمة له، جلبه ربيع الأسقف من القسطنطينية من مكان
الى مكان حتى وصل في البحر؛ ووضعه الناصر في بيت المنام في المجلس الشرقي
المعروف بالمونس؛ وكان عليه اثنا عشر نمالاً من الذهب الأحمر مرصع بالدر
النفيس العالي مما صنعه بدار الصنعة بقصر قرطبة. وكان المتولى لهذا السيان
المذكور ابنه المحكم، لم يتكلم الناصر فيه على أمين غيره. وكان يجيز في اسمه
كل يوم يرسم حيتان البحيرات ثمان مائة خبزة، وهذا من أعظم الأشياء إلى
ما فوق ذلك.

وكان الناصر قد قسم الجباية على ثلاثة أثلاث: ثلث للجند، وثلث للمساء،
وثلث مدخر. وكانت جباية الأندلس يومئذ من الكور والقرى خمسة آلاف ألف

وأربعمائة ألف وثمانين ألف دينار؛ ومن المُستَخْلَص والأسواق سبع مائة ألف دينار وخمسة وستين ألف دينار.

ومما قيل في آثار مدينة قُرْطُبَة وَعِظَمِهَا حين تكامل أمرها في مدة بنى أمية (رحمهم الله تعالى) إِنَّ عِدَّةَ الدُّور التي بداخلها للرعبة دون الوزراء وأكابر أهل الخِدْمَة مائة ألف دار وثلاثة عشر ألف دار؛ ومساجدها ثلاثة آلاف؛ وعِدَّةُ الدُّور التي بقصرها الزَّهْرَاءُ أربعمائة دار، وذلك لسُكْنَى السُّلْطَان وحاشيته وأهل بيته. وَعَدَدُ الفِتْيَانِ الصَّفَالِيَةِ ثلاثة آلاف وسبع مائة وخمسون. وعِدَّةُ النِّسَاءِ بقصر الزَّهْرَاءِ الكِبَارِ والصِّغَارِ وَخَدَمِ الخِدْمَةِ سِتَّةَ آلافٍ وثلاثمائة امرأة؛ وكان لهؤلاء من اللحم ثلاثة عشر ألف رِطْلٍ ينقسم من عشرة أرطال للشخص إلى ما دون ذلك، سوى الدجاج والحجل وصور الطير وضروب الحيتان. ^{٢٤١} وَعَدَدُ حَمَامَاتِهَا ثلاثمائة حمام؛ وقيل إنها المبرزة للنساء ^١. وكان عَدَدُ أرباض قُرْطُبَة (أعادها الله للإسلام) في ذلك الوقت ثمانية وعشرين رِبْضاً، منها مدينتان: الزَّهْرَاءُ والزَّاهِرَة. وأما البنية التي كانت في المَجْلِسِ البَدِيعِ، فإنها كانت من نُحْفِ قَبْصَرِ اليُونَانِي صاحب القُسْطَنْطِينَة. بعث بها للناصر مع تحف كثيرة سنية. فسُبْحَانَ من لا يبید مُلْكُهُ ولا ينفطع عِزُّهُ!

وفي سنة ٢٥٠، نُوفِيَ الناصر (رحمه الله)، وذلك في صدر رمضان منها. ووُجِدَ بِمِخْطَطِهِ تَارِيخٌ قَالَ فِيهِ: «أَيَّامُ السَّرُورِ التي صَفَّتْ لِي دُونَ تَكْدِيرٍ» ^٢ في مدة سُلْطَانِي ^٣ يوم كذا من شهر كذا من سنة كذا. «فَعَدَّتْ تلك الأَيَّامُ؛ فَوُجِدَ فِيهَا أربعة عشر يوماً. فَأُعْجِبُ أَيُّهَا العَاقِلُ ^٣ لهذه الدنيا، وَعَدَمَ صَفَائِهَا. وَبُخْلِهَا» ^٤ بِكَمَالِ الأَحْوَالِ لأَوْلِيَائِهَا. إِنَّ الخَلِيفَةَ الناصر ملك خمسين سنة وسبعة أشهر وثلاثة أيام، ولم يَصْفُ له من الدنيا إلا أربعة عشر يوماً! فسُبْحَانَ ذِي العِزَّةِ العَالِيَةِ، وَالْمَلِكَةِ البَاقِيَةِ. تَبَارَكَ اسْمُهُ وَتَعَالَى جَدُّهُ!

1) للناس. B.

2-2) Manque dans A.

3) العاقل. B.

4) وعملها. A.

وممن رثاه . جعفر بن عثمان المصحفي . فقال اطويل ا :
 ألا إن أئاماً هفت بإمامها لجائرة مشتطّة في اختكإمها
 فلم يؤلم الدنيا عظام خطوبها وأحدائها إلا قلوب عظامها
 تأمل فهل من طالع غير آفل لهن وهل من قاعد لقيامها
 وعاین فهل من عائش برضاها من الناس إلا مئت بفظامها
 كأن نفوس الناس كانت بنفسه فلما سوارى أفسنت بجمامها
 فطاربها بأس الآسى وتفاصرت يد الصبر عن أعوالها واحتدامها

خِلافة الحَكَم بن عبد الرحمن المُسْتَنصِر بالله

نسبه : الحَكَم بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد
 الرحمن بن الحَكَم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل . كُنْيته : أبو المَطَرَف .
 أمه : اسمها مَهْرَجَان . عمه : ثلاث وستون سنة وسبعة أشهر . بُوع بعد موت
 أبيه ثلاث خاؤون لرمضان سنة ٢٥٠ . ونوفي ليلة الأحد ثلاث خاؤون من صفر
 من سنة ٢٦٦ ، فكانت دولته خمس عشرة سنة . وسبعة أشهر . وثلاثه أيام . لقبه :
 المُسْتَنصِر بالله . صفته : أبيض مشرب بجمرة . أعين . أفنى ، جهير الصوت . فصير
 الساقين ، ضخم الجسم . غليظ العنق . عظيم السواعد ، أفقم .
 قضائه : منذر بن سعيد البلوشى قاضى أبيه ، ثم أبو بكر محمد بن السليم .
 نقش خاتمه : الحَكَم قضاء الله راضٍ .

وافتح خلافته بالنظر في الزيادة في المسجد الجامع بقرطبة ، وهو أول عهد
 أنفذه ، وقد ذلك حاجبه وسيف دولته جعفر بن عبد الرحمن الصفلى . وذلك
 لأربع خاؤون لرمضان من السنة ، وهو اليوم الثانى من يوم خلافته . فكان أول
 ما عهد إليه تقديم النظر في سوق الصخور التى هى أس النيان ، فابتدى بانتقالها
 فى رمضان المذكور . وكان فطراً قرطبة قد كثر به الناس ، فضاق الجامع عن

حملهم ، ونالهم التعب في ازدحامهم ؛ فسارع المُسْتَنْصِر الى الزيادة فيه ؛ فخرج لتقديرها ، وتفصيل بيانها ، وأحضر لها الأشياخ والمهندسين ؛ فحدوا هذه الزيادة من قبلة المسجد الى آخر الفضاء ماداً بالطول لأحد عشر بلاطاً . وكان طول الزيادة من الشمال الى الجنوب خمسة وتسعين ذراعاً ؛ وعرضها من الشرق الى الغرب مثل عرض الجامع سواء ؛ وقطع من هذا سباط النصر المتخذ لخروج الخليفة الى الصلاة الى جانب المنبر بداخل المقصورة ؛ فجاءت هذه الزيادة من أحسن ما زيد في المسجد (« قَبْلُ وَأَشَدُّه وَأَتْقَنَهُ ») .

• ذَكَرُ الْحُبْسِ الَّذِي حَبَسَ الْمُسْتَنْصِرَ بِاللَّهِ عَلَى الْجَامِعِ بِقَرْطَبَةَ . لَمَّا كَمَلْتَ زِيَادَتَهُ ، أَحْضَرَ الْفُقَهَاءَ وَالْعُدُولَ الشُّهَدَاءَ وَأَعْيَانَ النَّاسِ • وَوُجُوهُهُمْ وَقَضَاتِهِمْ وَأُمَّتَهُمْ . فَحَمَدَ اللَّهَ ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، وَجَدَّدَ شُكْرَهُ عَلَى تَوْفِيقِهِ ، لِإِجْرَاءِ هَذِهِ الْبِنْيَةِ الْكَرِيمَةِ عَلَى يَدَيْهِ ، وَأَنَّهُ تَلَقَّى هَذِهِ النِّعْمَةَ الْعَظِيمَةَ بِأَنْ حَبَسَ رُبْعَ جَمِيعِ مَا جَرَّهَ إِلَيْهِ الْوَرَاثَةُ عَنْ أَبِيهِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فِي جَمِيعِ كُورِ الْأَنْدَلُسِ وَأَقَالِيمِهَا عَلَى تَغُورِ الْأَنْدَلُسِ كَأَنَّ تَفَرَّقَ عَلَيْهِمْ غِلَاتُ هَذِهِ الضِّيَاعِ عَاماً بَعْدَ عَامٍ عَلَى ضَعْفَانِهِمْ إِلَّا أَنْ تَكُونَ بِقَرْطَبَةَ مَجَاعَةً ، فَتَفَرَّقَ فِيهِمْ إِلَى أَنْ يَجْبُرَهُمُ اللَّهُ . وَجَعَلَ النَّبْضَ وَالنَّظَرَ فِي هَذَا الْحُبْسِ إِلَى حَاجِبِهِ وَسَيْفِ دَوْلَتِهِ جَعْفَرُ ؛ وَجَعَلَ دَفَعَ ذَلِكَ إِلَى وَزِيرِهِ وَكَاسِهِ عَيْسَى بْنِ فُطَيْسٍ . وَأَشْهَدُ الْحَاضِرِينَ عَلَى ذَلِكَ ، وَأَشْهَدُ أَيْضاً بَعَثِي كُلَّ مَمْلُوكٍ لَهُ مِنَ الذُّكْرَانِ ، وَخَرَجَ غَازِيّاً إِلَى بِلَادِ الْمُشْرِكِينَ .

وفي سنة ٢٥١ ، غزا الحَكَمُ المُسْتَنْصِرُ بالله بلاد الروم ؛ ففتح بها حصوناً كثيرةً ومدناً جليلاً ، وسبى وغنم ، وانصرف غانماً ظافراً .
وفيها ، وفد عليه أبو صالح زَمُورَ الْبَرْغَوَاتِيِّ رَسُولاً مِنْ مَلِكِ بَرْغَوَاطَةَ أَبِي مَنْصُورِ عَيْسَى بْنِ أَبِي الْأَنْصَارِ ؛ فَسَأَلَهُ الْحَكَمُ عَنْ أَنْسَابِ بَرْغَوَاطَةَ وَمَدَائِهِمْ ؛ فَأَخْبَرَهُ بِمَا نَقَدَّمُ فِي الْجُزْءِ الْأَوَّلِ .

وكان المحكم قد أنفذ الكتب في محرم من سنة ٢٥١ الى جميع الولاة والقواد
والعمال بأفطار الأندلس. بأمرهم ارباط الخيل، والقيام عليها. والاستعداد
بالعددا والأسلحة والآلات برسم الجهاد في سبيل الله.
وفيها، عزل عبد الله بن بدر عن شرطة المدينة قرطبة. وولاهها محمد بن
جهور، وأنفذ له سجلاً بذلك بخطه.

١٠٢٥١

وفيها، استجيب جعفر الصقلبي الذي الكبير الناصري.
وفيها، وفد على المستنصر بالله رُدون بن إدفونس الأندلسي، من ملوك
الخلافة. المنازع لابن عمه شانجه بن رديمير سابقه الى ولاية ملكهم، فبائع في
إكراهه في خبر طويل. وكان لفصحاء في ذلك مقامات وأشعار بطول الكتاب
بذكرها. فمن قول عبد الملك بن سعيد من قصيدته الكاملة:

مَلِكُ الْخِلاَفَةِ : نَبِيُّ الْإِقْبَالِ	وَسُعُودُهُ مَوْصُولَةٌ شَتَوِي
فَالْمُسْتَمِرُّونَ بَعِزَّةٌ وَسُرْمَعَةٌ	وَالْمُسْرِكُونَ بِنْدَانٌ وَسَدَلِ
أَلْقَتْ أَيْدِيهَا الْأَعَاجِمُ نَجْوَاهُ	مَتَوَقِّعِينَ لِمَوْصُولَةِ الرِّسَالِ
هَذَا مِيرُهُ نَادٍ خَدَا	بِنَهْ أَوَّارَ ذِمَّةٍ وَرِحَالِ

وفيها، وصل قرطبة ارسال شانجه بن رديمير، المنازع الصاغية رُدون ابن
عمه ملك الخلافة، ومعهم عبد الرحمن بن حجاج قاضي نسبية، وأيوب بن
الطويل وغيرها، فتوصلوا كلهم الى المستنصر في ربيع الآخر، وأوصلوا كتاب
شانجه بن رديمير بجواب ما خوطب فيه وبيعته التي عقدتها على نفسه وجميع أهل
ملكته لأمير المؤمنين المستنصر بالله، في خبر طويل.

وفيها، وُلد للخليفة المحكم والد ذكر من حظيته التي سماها جعفر أم ولد،
فسماه عبد الرحمن، وسر به سروراً عظيماً، إذ كان لا يولد له. وقالت في ذلك
الشعراء والأدباء، فأكثروا.

وفيها، ظهر نكتُ الجَلالِفة بكل جهة .
وفيها، كلن المد الطايى بنهر قُرطبة .

وفي سنة ١٢٥٢، كانت غزوة شنت أشتين، غزاها المحكمُ المُستنصر بالله .

وفي سنة ٢٥٢، كانت بقرطبة جماعة عظيمة، فتكفل المحكمُ بضعتها
ومساكنها بما نقيم أرفاههم، وأجرى نفعاه عليهم بكل ربص من أرباص قُرطبة
وبالزَّهراء .

وفيها، قرى بالجامعين: قُرطبة والزَّهراء، فتح ورد من قبل سعد الجعفري
مولى الخليفة المحكم، الفائدة بالجوف، يذكر ما أتاه الله على يديه في أهل
جليفة، وأفاده على المسلمين بسعد إمامهم الزركي .

وفيها، كان ازدحام الناس بالمسجد الجامع بقُرطبة وتضاعفهم حتى كادت
النفوس تتلف؛ فأمر المُستنصر بالله بتوسيعته والزيادة فيه؛ فأتى القاضي منير
ابن سعيد إلى المسجد الجامع، ومعه صاحب الأحباس والنقهاء والعُدول بما
اجتمع قبله من أموال الأحباس؛ فنظروا في الزيادة فيه .

وفيها، أنفذ المُستنصر بالله أحمد بن نصر لبيان مدينة بغير طليطلة،
وتشييدها، ووثيق أمورها؛ وجعل بين يديه أحمال أموال .

وفيها، تحرك المحكم من قُرطبة إلى المريّة توقفاً لما يصدر من صاحب
إفريقية المحاد لأهل الأندلس، ولما بين ما استكملة بها من الحصانة ومطالعة
حال رابطة القبطة ومُشاركة حال الرعايا بتلك الجهة .

وفيها، كان خبر اللص الذي سرق بيت المال الذي للمسيلك بداخل
المسجد الجامع بقُرطبة في شوال .

وفي سنة ٢٥٤، نزل الغيث بقُرطبة؛ فرويّت الأرض، وطاب الحرث،
وسرت النفوس .

وفيها، وُلِدَ هشام بن الحكم. قال ابن حيان: كان الخليفة الحكم شديد الكلف يطلب الولد لعُلُوِّ سِنِّه؛ فبُشِّرَ في بعض خَلْوَاتِه باشتغال أمِّ وُلْدِه على حمل؛ فسُرَّ به، وبقِيَ بترقبه؛ فأنته به أوَّلُ خلافتِه؛ ثمَّ ماتَ طفلاً؛ فأحزته. فلما بُشِّرَ بهذا، فرح به؛ فاستبشَرَ جعفر بن عثمان وزرَّه بُبْرَاه، وأرسل إليه في التهنئة بذلك أيماناً، وهي أوافرا:

هنيئاً للأمام والإمام كريمٌ يستفيدُ على كرام
مُرَجَّى للخلافة وهو ما مأمولٌ لآمالِ عظام
أضاه على كريمته ضيائه فلم تعلمْ بغاشية الظلام
ولم لا يستضاء بجانيها وبين ضلوعها سدرُ التمام

قال: فلما ولدت جارتُه جعفرُ أنها هناماً الملقب المولد، بُشِّرَ الخليفة الحكمُ بطلوعه، وجعفر بن عثمان عنده في خلوة؛ فارتاح لارتياحه؛ فقال على الدية يهنئه المنسرح:

إطلع البدر من حجابهِ وإطرد السيف من فرائدِهِ
وجاءنا وارثُ المعالي ليثبت الملك في نصائبهِ
بشراً سيد السرايا سنعمة الله في كتابهِ
لو كنتُ أعطى البشيرِ نفسِ لم أنقضِ حقاً بما أني به

وفيها. كملت الفنة الممتدة على الجراب في الزيادة بالمسجد. وذلك في شهر جمادى الآخرة منها.

وفيها، شرع في تنزيل السيفساء بالمسجد الجامع؛ وكان ملك الروم بعث بها إلى الخليفة الحكم. وكان الحكم قد كتب له في ذلك. وأمره بتوجيه صاحبها إليه. اقتداء بما فعله الوليد بن عبد الملك في نيبان مسجد دمشق؛ فرجع وقد الحكم بالصانع، ومعه من السيفساء ثلاثمائة وعشرون قطاراً، بعث بها ملك الروم هدية؛ فأمر الحكم بإزالة الصانع، والتوسيع عليه، وربب معه جملة من

مما ليك لتعلم الصناعة؛ فوضعوا أيديهم معه في الفسيفساء الجلوية. وصاروا يعملون معه؛ فأبدعوا، وأزبوا عليه، واستمرؤوا بعد ذلك مُتفردين دون الصانع القادم، إذ صدر راجعاً عند الاستغناء عنه، بعد أن أجزل له المُستنصر الصلّة والكسوة. وتداعى الى هذه البنية كلُّ صانع حاذق من أقطار الأرض. وركب الحكم المُستنصر بالله في العشر الوسط لشؤال من الزهراء الى الجامع، ودخله، ونظر الى الزيادة وما تمّ فيها. وأمر بإفلاق السواري الأربعة التي كانت في عضادة الحِراب القديم الفائقة التي لا نظير لها. وصايتها إلى أن تُوضع في الحِراب الجديد عند إيفان إحكامه وإكماله.

وفي سنة ٢٥٥، في المحرم. أمر بوضع البئر القديم الى جانب الحِراب، وأنصب المنصورة القديمة. وأنصب في قبلة هذه الزيادة منصورة من الخشب، منقوشة الظاهر والباطن، مشرفة الذروة، طولها خمسة وسبعون ذراعاً، وعرضها ثمان وعشرون ذراعاً. وعلوها الى الشرفات ثمانية أذرع. وكان الفراغ من هذه الزيادة وأنصب المنصورة في رجب من السنة.

وفي يوم الجمعة لثمان خلون منه. قرئ كتاب فتح من قبل سعادة الجعفري. القائد بمدينة النرج، بذكر ما فتح الله له وأُتبع على يديه من أعداء الله المشركين. وفي يوم الأربعاء خلون من ربيع الأول منها، نفذت الكتب الى عمال الثغر الأدنى والأقصى في ارباط الخيل، والتكثير منها، وجودة القيام عليها إيماناً يؤمل من الجهاد بعون الله.

وفي يوم الجمعة لثلاث خلون منه، قرئ بقرطبة والزهراء كتاب فتح ورد من قبل الوزير بجبي بن هاشم، وكتاب فتح ورد من قبل سعد الجعفري، وكتاب فتح ورد من قبل حريز بن هابل، يذكرون ما منحهم الله وفتح على أيديهم من قبل أعداء الله المشركين، وأن كل واحد منهم نهض الى ما قبله من بلادهم، فقتل وسبي، واكتسح وأشجى، وانصرف سالماً غانماً.

وفي أول رجب منها، ورد كتاب من قصر أبي دانس على المُستنصر

بالله، يذكر فيه ظُهور أُسْطُولِ المَجُوسِ بِبَحْرِ الغَرْبِ بقرب من هذا المكان،
 واضطرابَ أهل ذلك الساحل كآله لذلك، لتقدم عادتهم بطُروق الأندلس من
 قبَله فبما سلف؛ وكانوا في ثمانية وعشرين مَرَكباً؛ ثم * برادفت الكُتُب من ملك ^{١٠٥٥} ١٠
 السواحل بأخبارهم، وأنهم قد أضروا بها، ووصلوا الى سِيبِطِ أُشْبُونَةَ. فخرج إليهم
 المسلمون، ودارت بينهم حربٌ، استشهد فيها من المسلمين وقُتل فيها من الكافرين.
 وخرجت أُسْطُولُ إِشْبِيلِيَّةٍ؛ فافتحموا عليهم بِوَادِي شَأْبِ، وحطموها عِدَّةً من
 مراكبهم، واستنفذوا من كان فيها من المسلمين. وقتلوا جملةً من المُشْرِكِينَ.
 وانهمزوا إثرَ ذلك خاسرين. ولم تنزل أخبار المَجُوسِ تَصِلُ الى قُرْطُبَةَ في كلِّ
 وقت من ساحل الغَرْبِ. الى أن صرفهم الله تعالى.
 وفيها، أغزى الحَكَمُ الفائدَ غالباً؛ ففتح الله له في المُشْرِكِينَ، وانصرف
 سالماً غانماً.

وفيها، أمر الحَكَمُ لابن فُطَيْسٍ بإقامة الأُسْطُولِ بِنَهْرِ قُرْطُبَةَ. واتخاذ المَرَاكِبِ
 فيها على هَيْئَةِ مَرَاكِبِ المَجُوسِ (أهلكهم الله) تَأْمِيلاً لركوبهم إليها.

وفي سنة ٢٥٦. عهدَ الخليفة الحَكَمُ بِسُخَاطَةِ العُمَالِ بِكُورِ الأندلس. يُعْتَنِيهِمْ
 على جُرَّاتِهِمْ وَيُجَدِّدُهُمْ من سَعْوَتِهِ وَعَقْوَتِهِ، إذ أتصل به أن بعضهم قد استزادوا
 زيادات فاحشات يُعَامِلُونَ بِهَا الرعيَّةَ ظُلماً لهم؛ فانكر ذلك عليهم.

وفيها، كانت غزوات للمسلمين انجلت عن هزائم للمُشْرِكِينَ.

وفيها، ولي أمير المؤمنين الحَكَمُ مُحَمَّدَ بن عبد الله بن أبي عامر ^(١) الذي
 رأسَ بَعْدُ وتلقب بالمنصور ^(١) وكالة أبي الوليد هشام بن الحَكَمِ، وفوض إليه في
 جميع شؤونه؛ فتحرَّكت حاله في الدولة.

وفي النصف من شوال، فقد الخليفة الحَكَمُ على السرير بالزَّهْرَاءِ قُعوداً
 بهياً احتفل فيه، وأوصل الى نفسه رسولين وصلَّاه من أمراء الغَرْبِ الأدارسة؛

1-1) Manque dans B. Il s'agit d'une glose d'un copiste.

فأوصلا كِنَائِهِمْ، يذكرون أَنَّهُمْ عَلَى مَحَبَّةٍ صَادِقَةٍ وَمَوَدَّةٍ مُسْتَحْكِمَةٍ مَعَ التِّزَامِ
المطاعة واعتقادهم للولاية؛ فأدنى رسوالتهم، وألطف جوابيها.

وفي يوم الجمعة لأربع بقين من شَوَّال، قُرِيَ كِتَابٌ فَتَحَ وَرْدٌ مِنْ قِبَلِ
٢٥٦. القائد غالب، يذكر ما هَيَّا اللهُ لَهُ فِي كَفْرَةِ قَسْتِيلَةَ مِنَ الْقَتْلِ وَالْأَسْرِ؛ * فَسَّرَ
الخليفة بذلك ودخلت الرووس قُرْطُبَةَ.

وفي يوم السبت بعد، أُنْفَذَ الْخَلِيفَةُ الْحَكَمَ كُتِبَهُ إِلَى الْقُوَادِ وَالْعُمَّالِ بِأَفْطَارِ
ملكته، بِإِنْكَارِ مَا أُتِّصَلَ بِهِ مِنْ أَنَّ بَعْضَهُمْ اسْفَكَ دِمَاءَ بَعْضِ بِلَا عَهْدٍ وَلَا
مَشُورَةٍ، وَأَنَّ ذَلِكَ عَظُمَ عِنْدَهُ، وَتَبَرَّأَ إِلَى اللَّهِ مِنْ أَقْدَمَ عَلَيْهِ.

وفيها، أُجْرِيَ الْمَاءُ إِلَى سِقَايَاتِ الْجَامِعِ وَالْبَيْضَاتَيْنِ اللَّتَيْنِ مَعَ جَانِبَيْهِ: شَرْفِيَّةَ
وَعَرَبِيَّةَ، مَاءً عَذْبًا جَلِبَهُ مِنْ عَيْنِ بَجِيلِ قُرْطُبَةَ، خَرَقَ لَهُ الْأَرْضَ، وَأَجْرَاهُ فِي قَنَاةٍ
مِنْ حَجَرٍ مُتَّفَنَةِ الْبِنَاءِ، مُحْكَمَةِ الْهَنْدَسَةِ، أَوْدَعَ جَوْفَهَا أَنْبِيْبَ الرِّصَاصِ لِنَحْنُظِهِ
مِنْ كُلِّ دَنَسٍ. وَابْتَدَى جَرِيُّ الْمَاءِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ لِعَشْرِ خَلْوَنَ لَصْفَرٍ مِنَ السَّنَةِ؛
وَفِي جَرَى الْمَاءِ إِلَى قُرْطُبَةَ يَقُولُ مُحَمَّدُ بْنُ شُحَيْبٍ فِي قَصِيدَةٍ لَهُ، مِنْهَا [بَسِطًا]:

وَقَدْ خَرَقْتَ بَطُونَ الْأَرْضِ عَنْ نُظْفٍ مِنْ أَعْدَابِ الْمَاءِ نَحْوَ الْبَيْتِ نُجْرِبِهَا
طَهَّرَ الْجُسُومَ إِذَا زَالَتْ طَهَارَتُهَا رَيُّ الْفُلُوبِ إِذَا حَرَّتْ صَوَادِبِهَا
قَرَنْتَ فَخْرًا بِأَجْرِ قَلِّ مَا أَقْتَرْنَا فِي أُمَّةٍ أَنْتَ رَاعِيهَا وَحَامِيهَا

وابتني بغربي الجامع دار الصدقة، اتخذها¹⁾ معهدًا لتفريق صدقاته²⁾ (رحمه
الله تعالى). ومن "مستحسنات أفعاله وطيبات" أعماله، اتخاذه المؤدبين
بعلِّمون أولاد الضعفاء والمساكين القرآن حوَالِي المسجد الجامع وبكل رَيْضٍ
من أرباض قُرْطُبَةَ؛ وَأَجْرِيَ عَلَيْهِمُ الْمَرْبَاتِ، وَعَهْدَ إِلَيْهِمْ فِي الْاجْتِهَادِ وَالنُّصْحِ،
انغناء وَجْهَ اللَّهِ الْعَظِيمِ؛ وَعَدَدَ هَذِهِ الْمَكَاتِبِ سَبْعَةً وَعِشْرُونَ مَكْتَبًا، مِنْهَا حَوَالِي
المسجد الجامع ثلاثة، وباقيةا في كل رَيْضٍ مِنْ أَرْبَاضِ الْمَدِينَةِ. وَفِي ذَلِكَ
يقول ابن شُحَيْبٍ [بَسِطًا]:

١) محسبات B. ٢) الصدقة. ٣) استعددا B. 1)

وَسَاحَةُ الْمَسْجِدِ الْأَعْلَى مُكَلَّلَةٌ مَكَارِسًا لِلْبَيْتَانِ مِنْ تَوَاحِيهَا
لَوْ مُكِنْتَ سُورَ الْقُرْآنِ مِنْ كَلِمٍ بِأَدْنِكَ تَا خَبَرَ تَالِيهَا وَوَاعِيهَا

وَوُجِدَ بِحِطِّ الْخَلِيفَةِ الْمُسْتَنْصِرِ بِاللَّهِ: «أَبْتَدَى بُيَانُ الْجَامِعِ (صَانَهُ اللَّهُ) يَوْمَ ٢٥٧ هـ
الْأَحَدَ لِأَرْبَعِ خَلْوَنَ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ سَنَةِ ٢٥١، وَكَمَّلَ سَنَةَ ٢٥٥. وَبَلَغَتْ
الْفَقْفَقَةُ فِيهِ إِلَى مَائَتَيْ أَلْفٍ وَأَحَدٍ وَسِتِّينَ أَلْفًا وَخَمْسِمِائَةَ وَسَبْعَةَ وَثَلَاثِينَ دِينَارًا
وَدِرْهَمًا وَنِصْفًا» (وَقَعَ «وَنِصْفٌ» فِي الْأَصْلِ الْمَنْقُولِ مِنْهُ هَذَا. وَقَالَ إِنَّهُ نَقَلَهُ
مُنْدَرِسًا، ثُمَّ إِنَّهُ نَعَرَفَ بَعْدَ ذَلِكَ صِحَّتَهُ مِنَ الثِّقَاتِ أَنَّهُ «وَنِصْفٌ» صَحِيحٌ،
وَكَذَلِكَ قَالَ وَقَعَ بِحِطِّ الْحَكَمِ - (رَحِمَهُ اللَّهُ).

وَفِي سَنَةِ ٢٥٧ هـ. فِي الْعِشْرِ الْآخِرِ مِنْ رَمَضَانَ، احْتَلَّ الْوِزَرَ الْفَائِدَانِ
غَالِبُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ وَسَعِيدُ بْنُ الْحَكَمِ الْجَعْفَرِيُّ بِجِيُوشِ الثَّغْرِ بِالصَّائِفَةِ عَلَى
حِصْنِ قَهْرَةَ، فَأَقَامَا بِسَاحَتِهِ مُدَّةً اسْتَظْهَرَا فِيهَا عَلَى تَمْكِينِ بُيَانِ الْحَرَامِ فِيهِ
وَالزِّيَادَةَ فِي أَرْفَاعِ الْبُرْجِ الثَّامِنِ بِذُرُوبِهِ فَاثْتِهَابًا مِنْ ذَلِكَ إِلَى الْإِرَادَةِ، وَقَفَلَا
بِالْعَسْكَرِ، وَقَدْ وَثِقَا لِلْحِصْنِ بِالْأُمَّةِ.

وَفِي سَنَةِ ٢٦٠ هـ. فِي مُحَرَّمٍ مِنْهَا، قَعَدَ الْخَلِيفَةُ الْمُسْتَنْصِرُ بِاللَّهِ عَلَى السَّرِيرِ بِقَصْرِ
قُرْطُوبَةَ عَلَى جَرَى الْعَادَةِ مِنَ الْإِحْتِفَالِ وَالزِّيْنَةِ، فَأَوْصَلَ إِلَى نَفْسِهِ عَبَسَى بْنُ مُحَمَّدٍ
وَمُحَمَّدُ بْنُ الْعَالِي وَحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ رُسُلَ بَنِي مُحَمَّدٍ الْحُسَيْنِيِّينَ أُمَرَاءَ الْعَرَبِ،
فَأَوْصَلُوا كِتَابَ مُرْسَلِهِمْ، وَذَكَرُوا مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الطَّاعَةِ، وَطَلَبُوا بَعَثَهُ رُمَاةً
نَفْوَةً لَهُمْ لَمَّا تَوَقَّعُونَهُ مِنْ حَرَكَةِ قَائِدِ مَعَدِّ الشَّيْبِيِّ نَحْوَهُمْ، وَتَقَرَّبُوا بِإِهْدَاءِ خَيْلٍ
وَجَمَالٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ، فَقُبِلَتْ مِنْهُمْ.

وَفِي صَدْرِ رَمَضَانَ مِنْهَا، وَقَعَ الْإِرْجَافُ بِتَحْرُكِ الْمَجُوسِ الْأَرْدُمَانِيِّينَ (لَعَنَهُمُ
اللَّهُ)، وَظُهُورِهِمْ فِي الْبَحْرِ، وَرَوَّعَهُمْ سَوَاحِلُ الْأَنْدَلُسِ الْغَرْبِيَّةِ عَلَى عَادَتِهِمْ؛ فَازْعَجَ
السُّلْطَانُ قَائِدَ الْبَحْرِ بِالْخُرُوجِ إِلَى الْعَرَبِيَّةِ، وَالنَّاهِبُ لِرُكُوبِ الْأُسْطُولِ مِنْهَا إِلَى
إِشْبِيلِيَّةِ، وَجَمَعَ الْأَسَاطِيلَ كُلَّهَا لِلرُّكُوبِ إِلَى نَاحِيَةِ الْغَرْبِ.

• ذِكْرُ مَقْتَلِ زَيْرِي بْنِ مَنَادٍ، قَائِدِ الشَّيْعِيِّ عَلَى تَيْبَهَرْتِ . وَفِي يَوْمِ السَّبْتِ،
 P. ٢٥٨ لَانْتَهَى عَشْرَةَ لَيْلَةٍ بَقِيَتْ لَشَهْرِ رَمَضَانَ مِنْهَا، وَرَدَ • الْخَبْرُ عَلَى الْمُسْتَنْصِرِ بِاللَّهِ بِمَقْتَلِ
 زَيْرِي بْنِ مَنَادٍ عَامِلِ مَعَدِّ الشَّيْعِيِّ وَقَائِدِهِ عَلَى الْغَرْبِ، قَتَلَهُ جَعْفَرُ وَبِحَبِي ابْنِ عَلِيٍّ
 الْمَعْرُوفِ بِابْنِ الْأَنْدَلِسِيِّ، الْمُخَالَفَانِ عَلَى مَعَدِّ فِيمَنْ اسْتَظَهَرَا بِهِ عَلَيْهِ مِنْ زَنَانَةِ،
 وَجَدَّوهُ بِنَاحِيَةِ الْغَرْبِ فِي حَرْبٍ دَارَتْ بَيْنَهُمْ شَهَادَهَا بَنُو خَزَرَ وَغَيْرُهُمْ مِنْ رُؤَسَاءِ
 الْقَبَائِلِ الْقَائِمِينَ عَلَى زَيْرِي بِدَعْوَةِ الْحَكَمِ الْمُسْتَنْصِرِ بِاللَّهِ؛ فَفُتِحَ لَهُمْ فِي قَتْلِهِ أَعْظَمُ
 الْفَتْوحِ. وَوَصَلَ عَلَى الْبَغْدَادِيِّ كَاتِبُ جَعْفَرِ الْمَذْكُورِ بِكِتَابِهِ إِلَى الْمُسْتَنْصِرِ وَذَكَرَ
 اهْتِجَاجَ الْحَرْبِ الْعَظِيمِ بَيْنَ أَهْلِ الدَّعْوَتَيْنِ بِالْغَرْبِ.

• ذِكْرُ ١) فِرَاقِ جَعْفَرِ بْنِ عَلِيٍّ الْمَعْرُوفِ بِابْنِ الْأَنْدَلِسِيِّ صَاحِبِ الْمَسِيلَةِ لِمَعَدِّ
 ابْنِ إِسْمَاعِيلِ الشَّيْعِيِّ صَاحِبِ إِفْرِيْقِيَّةَ، وَتَقَرُّبِهِ إِلَى الْحَكَمِ الْمُسْتَنْصِرِ بِانْتِصَامِهِ إِلَى
 زَنَانَةِ الْمُتَحَاشِينَ إِلَى دَعْوَةِ بَنِي أُمَيَّةَ، وَتَأَلُّبِ جَمَاعَتِهِمْ عَلَى زَيْرِي بْنِ مَنَادٍ
 الصَّنَهَاجِيِّ عَامِلِ مَعَدِّ الشَّيْعِيِّ عَلَى حَرْبِ بِلَادِ الْغَرْبِ وَقَتْلِهِمْ لَزَيْرِي عِنْدَ
 انْتِصَاضِهِ عَلَيْهِمْ صَادًّا ٢) لَهُمْ عَنْ طَرِيفِهِمْ، مُتَقَرِّبِينَ بِقَتْلِهِ إِلَى الْحَكَمِ. وَسَبَقَ
 جَعْفَرُ وَبِحَبِي أَخُوهُ وَفَوَّوهُمَا بِالْعُبُورِ ٣) إِلَى الْأَنْدَلُسِ مُهْدِيَيْنِ ٤) رَأْسَ زَيْرِي، خَالِعَيْنِ
 لِلدَّعْوَةِ الشَّيْعِيَّةِ، مُتَقَلِّدِينَ لِلدَّعْوَةِ الْأُمَوِيَّةِ الْجَمَاعِيَّةِ. فَكَانَ لِهَاتَيْنِ فِي ذَلِكَ قَبُولٌ
 وَرِفْعَةٌ عَظِيمَةٌ مِنَ الْخَلِيفَةِ.

وقد ذكر محمد بن يوسف الوراق خبرها؛ قال: وها أبنا علي بن حمدون؛
 وجدُّها الأكبر عبد الحميد كان الداخل إلى الأندلس من الشام، ونزل بكورة
 البيرة؛ ثم تنقل حفيده حمدون، جدُّ جعفر هذا، إلى بجاية، وصحب أباه عبد الله
 الشيعي الداعي، ودخل في مذهبه. فلما تغلب الشيعي على إفريقية، ظهر علي بن
 حمدون؛ ثم ازداد ظهوراً في أيام عبيد الله المهدي وحظوة، وضمه إلى ابنه أبي
 P. ٢٥٩ القاسم ولي عهد؛ فازداد حظوة لديه، وخرج معه إلى أرض الغرب؛ فأمره
 ببناء مدينة المسيلة، وولاه عليها؛ فبنى بها إلى أن هلك في فتنة أبي يزيد،

1) ذكر خبر A.

2) صاد A.

3) بالفوز B.

4) مقدمين B.

سقط من جُرْفِ عالٍ، فاندقت يدها ورجلاه، سنة ٢٢٤. وتولى جَعْفَرُ هذا ابنه
 المَسِيلَةَ من بعده؛ فلم يزل متوالياً لها، رفيع المنزلة عند سلطانها، الى أن قتل
 مُحَمَّدُ بنُ الخَيْرِ بنِ خَزَرِ الزَّنَانِيِّ القائمَ بدعوة بني أمية زيرى بن مناد؛ فخاف
 جَعْفَرُ من صاحب إفريقية؛ فبادر الى الفرار بنفسه مع أخيه مجبي وجميع أهله
 وماله سنة ٢٦٠؛ فصار عند بني خزر أمراء زنانه؛ فشق جَعْفَرُ الصحراء معهم
 قاصدين لزيرى؛ فالتفوا معهم، ودارت بينهم حربٌ صعبةٌ انجالت عن قتل
 زيرى وختي من رجاله؛ واحتوى الزنانيون فيها على جميع عسكر زيرى، وأدركوا
 ثأرهم منهم. ولما أن تم لأمر أمراء زنانه وجعفر بن علي ما أملوه من
 التَّحِيقِ في عدوهم زيرى بن مناد، بادر جعفر بمراسلة الحكم الى الأندلس، ملقياً
 بنفسه عليه، معتبصاً بدعوته؛ ثم أرسل اليه أخاه مجبي؛ ثم سار اليه بنفسه.
 فحُظِيَ عنده.

قال ابن حمّاد: وفي ربيع الآخر من سنة ٢٦٠، التقى يوسف بن زيرى
 الصنهاجي، المشتهر اسمه ببلقين، مع محمد بن الخير أمير زنانه؛ فهزمه بلقين
 ابن زيرى، وقتل جماعة من أهله ورجاله. فلما آيفن محمد بن الخير أن عدوه
 قد أحاط به، أسكأ على سيفه، فذبح به نفسه، أنفةً من أن يلكه بلقين؛ فأتى
 بأمر عظيم سار ذكره بأرض الغرب. وملك بلقين بن زيرى إثر ذلك الغرب،
 وقتل زنانه، وهدم مدينة البصرة^(١) وغيرها من مدن الغرب^(١)، ولم يأن عيناها
 عن مدينة سبته؛ ومنها رجع، وإليها كان انتهأوه؛ وصدرا عجزاً عنها.

وفي ذي القعدة منها، خاطب المُسْتَنْصِرُ بالله قواده وعماله بكور الأندلس
 في استفدام كبارها وأعلام رجالها لمشاهدة دخول مجبي بن علي * بن حمدون
 وبني خزر أمراء زنانه القادمين برأس زيرى بن مناد الصنهاجي قائد معد بن
 إسماعيل الشيعي وبرووس أعيان أصحابه. فلما كان يوم الثلاثاء لإحدى عشرة
 ليلة خلت من ذي القعدة منها، خرج صاحب السكة والمواريث، وقاضي

إشيلية محمد بن أبي عامر لتلقى جعفر بن عليّ وبجبي أخيه، ومعه أربعة من
عناق الخيل وتغلّ أشهب، متفاداً من دواب الخليفة. بسروج الخلافة وأجبتها،
ومعه الأخيّة الدباجية وغير ذلك. فاحتلّ ابن أبي عامر بالمرسى الذي خرج
فيه جعفر وبقرية من مائة. ثمّ وصل بعد ذلك للوافدين خيل وبنغال من قبل
الخليفة، وهوادج وكسوات وعمارات ليعيال جعفر، ثمّ قدموا الى قرطبة بمرور
عظيم، واحتفال لدخولهم جسيم، حتى وصلا الخليفة. وقد ذكرت الشعراء شأن
فراق جعفر وأخيه بجبي لسلطانها معدّ بن إسماعيل ومسيرها الى الخليفة المحكم،
واعترافها بحقه فيما مدحت به الخليفة المحكم وأكثر في ذلك. وقال يوسف
ابن هارون [كامل]:

وَلَقَدْ عَجِبْتُ لِغَفْلَةِ الْمُسْتَنْصِرِ إِذْ أَكْتَفَى الْجَيْشَ اللَّهُامَ إِجْعَفِرِ
وَلَوْ أَنَّ مِنْ أَهْوَاهُ أْبْرَزَ وَجْهَهُ قَامَتْ لَوَاحِظُهُ مَقَامَ الْعَسْكَرِ

وفي يوم السبت لليلتين بيننا من ذى القعدة منها، جلس الخليفة المحكم
فوق السرير جلوساً بهياً، وأوصل الى نفسه أجناد الكور ووجوه أهلها، الذين
استدعاهم لمشاهدة جعفر بن عليّ ومن أتى معه من أمراء زنانه، وأمرهم
بالانصراف الى بلادهم، فانصرف جند دمشق، وهم أهل البيرة، وجند حصص،
وهم أهل كورة إشيلية، وجند قنشرين، وهم أهل جيان، وجند فلسطين،
وهم أهل شدونة، وغير هؤلاء.

وفي سنة ٢٦١، هاجت بالغرب حروب مع حسن بن قنون الحسيني وقواد
الحكم المستنصر بالله.

بعض أخبار حسن بن قنون الحسيني أمير الغرب مع قواد الأندلس في هذه
السنة. كان المستنصر بالله دعا محمد بن قاسم الناظر في الحشم، وأمره بالخروج
الى مدية سنة في رمضان من هذه السنة. فاندأ على من يرضه إليه من طوائف
الأجناد، لندي بدا من نقض حسن بن قنون، وانحرافه الى دعوة معدّ صاحب

إفريقية واستدعائه من دنا منه من أحرابه، مستعيناً بهم فيما اعترم عليه من
 نفاقه على الحكم، وإعلانه بإيقاع الدعاء الشيعي معدّ على منابر عمّته فأوصى
 الحكم قائده محمد بن قاسم باستعماله جدّه وجهده في معاورة ابن قنون،
 وأمره، إن أظهره الله تعالى، أن يأخذ بالعفو والصّح، وإصلاح البلاد،
 واستصلاح الرعيّة؛ وأمره أن يستعين بن دخل في الطاعة الأموية. فكان عبوره
 البحر إلى سبّنة لإحدى عشرة بقية من شوال منها؛ ونكاملات الجيوش والأساطيل
 بسبّنة. وفي يوم السبت لأربع خلون من ذي القعدة ورد كتاب على المستنصر
 بالله بفتح طنجة، فتحها قائده على البحر عبد الله بن رماحس¹، بذكر أنه نازلها
 بالأسطول غرة ذي قعدة، ودعا أهلها إلى الطاعة والعود إلى الجماعة؛ فأسأوا
 الردّ عليه؛ وكان حسن بن قنون داخلها يشدّ عزائمهم؛ فلما كان يوم الخميس،
 خرج حسن لقتال العسكر الخارج إليه من سبّنة إلى تطاون²، وأبرز من طنجة
 عدداً كثيراً من جنه الغربيين وأنصاره؛ فانهزموا أمام جيش الحكم، ووأوا
 مدبرين؛ فلما رأى ذلك حسن، فرّ هارباً في خاصّة من أصحابه، لا يلوى
 على أحد، ولم يعرج على ما كان له ولأصحابه بطنجة من أموال وأخبية وأمنعة؛
 فلما أمعن في فراره، وأسلم أهل طنجة، خرج شيخهم ابن الفاضل إلى القائد
 ابن رماحس مع جماعة وجوه طنجة، وهم: ينادون «الطاعة لله ولأمير المؤمنين P. ٢٦٢
 الحكم» ثم تقدّم ابن الفاضل إلى القائد رماحس وطلب منه الأمان لأهل
 بلده؛ فأعطاه إياه، ودخل طنجة، ونهب ما كان بها إحسن بن قنون وأصحابه؛
 وأنفذ القائد كتابه بالنتج إلى الخليفة.

وورد كتاب القائد محمد بن قاسم على المستنصر بالله لتسع بقين من ذي
 القعدة، يذكر أنه التقى مع حسن بن قنون؛ فدارت بينهما حرب شديدة، أجمت
 عن هزيمته، وقتل كثير من شيعته؛ وفرّ فيمن بنى معه إلى جبل حصين؛ فبعبه

1) B. محاربة. 2) A. B. رماحيف. Il s'agit de l'amiral Ibn Ruma'is, bien
 connu par ailleurs. 3) B. Manque dans B.

الجند، وانفضوا عليه؛ فدارت بينهم حربٌ بسيرة؛ ثم انهزم أيضاً، وخلف أثقاله، وفر، لا يلوى على شيء؛ فصار الجبلُ بأيدي الجند، ونهبوا ما فيه؛ ثم نهضوا في اليوم الثاني الى مدينة دأول¹⁾؛ ففتحها الله لهم. ولحق بهم القائد محمد بن قاسم في العسكر؛ فقصده مدينة آصيّلاً، فدخلها؛ ودخل القائد الى جامعها، فوجد فيه منبراً جديداً موسوماً باسم الشيعيِّ معدِّ بن إسماعيل؛ فأمر بإحراقه بالنار، بعد أن خلع من أعلاه اللوح المنقوش فيه اسم معدِّ، وكان فيه من الغلوِّ ما في ذكره أمرٌ كبيرٌ؛ فأمر باقتلعه، وأرسله مع كتاب الفتح الى المُستنصر. وانصرف العسكر الى مدينة دأول؛ فأمر بهدم أسوارها، وتضريم بيوتها ناراً، وتركها عبثاً. واستولى العسكر على ما كان بها، واستوسعوا في أطعمتها وما ترك فيها حسنَ المذكور.

وفي سنة ٢٦٢، قُتل القائد محمد بن قاسم بنقص مهراًن على يدَي حسن ابن قنُون، يوم الأحد لسبع بقين من ربيع الأول؛ وقُتل في ذلك اليوم جملةٌ من الجند الذين كانوا معه نحو الخمسمائة من الفرسان الأبطال²⁾ الأندلسيين الأتجاد، ومن رجالهم نحو الألف.

وفي غرة جمادى الآخرة، دخل الى قرطبة جمعٌ من مضمودة مهن. كان مع حسن بن قنُون، وهم سبعون رجلاً، نزعوا الى الطاعة. P. ٢٦٢

وفيها، استدعى المُستنصر بالله غالب بن عبد الرحمن، وأمره بحرب حسن ابن قنُون الحسيني عندما تفاقم أمره، وقتل الجند. وورد على المُستنصر بالله كتابٌ فتح من قبل الفواد بمدينة آصيّلاً، أنهم التفلوا مع حسن بن قنُون، فدارت بينهم حربٌ شديدة انهزم فيها حسنٌ وقتل كثيرٌ من حُمانه. وقدم الى قرطبة حنون بن إدريس صاحب مدينة العُدوة الأندلسية من فاس، ورسولُ عبد

1) Vocalisé dans B. C'est sans doute le Zolul de Bakri.

2) Manque dans A.

الكريم صاحب مدينة القرويين من فاس، يرغبان في طاعة أمير المؤمنين
المُستنصر، والقيام بدعوته؛ فكَرَّم رسُولَهُمَا، وأَجْمَلَ موعودَهُمَا.

وفي شعبان منها، خوطب القائدُ غالبٌ بأنَّه بُعِثَ إليه بعشرة آلاف دينار
لِصِلاتِ الحَاجِجِينَ إليه من أصحابِ حَسَنَ بنِ قَسُونِ، يُوزَعُهَا عليهم بحسب
مقاديرهم؛ وقَرِنَ بها من فاخر الكسوة والسيف المجلَّاة عددٌ كثيرٌ للخلع عليهم.
وفيها، أرسل المُستنصر بالله الوزير يحيى بن محمد النُجَيبِيَّ إلى الغُرب
بِعَسْكَرٍ، مَدَدًا للقائد غالب، وجامعاً ليد معه على الخالع للطاعة حَسَنَ بنِ قَسُونِ؛
فكان ذلك في خَبرِ طويل.

وفي أواخر ذى القعدة، ورد على المُستنصر كتابُ القائد غالب بذكرُ صُنعِ
الله تعالى في افتتاحه حصن الكُوم، وهَرَبَ المخدول عنه حَسَنَ بنِ قَسُونِ مع
صهوه صاحب البصرة علي بن خُلف وغيرها.

وفي منتصف ذى الحجة، ورد كتاب صاحب الشرطة، قاضي القضاة
بالغُرب محمد بن أبي عامر، يذكرُ تَعْيِيدَ الناس يوم الخميس، وقيام الخطبة في
المُصَلَّيات هنالك للمُستنصر بالله، وسرور المسلمين بذلك. وابتهاجهم به.

وفيها، كانت حروبٌ مع الحَسَنِيِّين يطول ذِكْرُهَا، انجالت عن مقتل خلق

كثير من * أصحابِ حَسَنَ بنِ قَسُونِ الحَسَنِيِّ؛ وحَزَّ مِنْ رُؤُوسِ مشاهيرهم مائة ٢٦٢^١
رأس؛ وتُرِكَ أَكْثَرُهُمْ صريعاً. وقُتِلَ في الهزيمة محمد بن أبي العيش الكُنَاشِي^١
وكان من حَسَنَ محلاً أخيه تارةً ومحلاً أبيه تارةً أُخرى.

وفي سنة ٢٦٢، افتتح غالبٌ، قائد الحَكَمِ المُستنصر بالله، مدينة البصرة
التي كان انتزى فيها محمد بن حنُونِ الحَسَنِيِّ، وذلك أن أهل البلاد قاموا عليه.
وقتلوا نائبه وخليفته عليهم، وابتدروا لمخاطبة القائد غالب. يستجلبونه إليهم؛
فوصلهم، وملك المدينة، وخاطب الخليفة بجزائها، وأدرج كتاب أهلها طَيِّ
كتابهُ.

وفي يوم الخميس منصرف سنه. ورد كتاب عاب على المنصر. يذكر
منصرفه عن يد نصرة وأخذه رقبته. وذكر أنه قد صار إلى الساعة جميع
هن لغرب وعامة فدان برز. وم يوق فيه غير أخون حسن بن قون. وأنه
قد صار من عبق مرة في غمة. ووعى هن نصرة في قرصة تدفعين
لأمير حسن. تدخين في الساعة.

وفيها. ورد خبر - رعى المنصر - يدان حسن بن قون نحسي.
ودخوله في صاعته. فنيه خبنة: صلاة الجمعة منسوخ جودي الآخرة. فقد
بحر فرصة. وأعم بورر. بحضور حسن بن قون سترى عيه لغرب. وأنه
ورد عيه كتاب غلب ذلك. وأنه بوجه يده عيسى بن حسن المذكور.
وأن خصة ذمت بدعوه في فعة حجر نسر. وسنبر بورر وهنوه. وغصوه
وأعويا بشكرته نعاى وأساءه لخبنة. وأصو في ذلك.

وفي سنة ٢٧٤. قدم على المنصر فائد: عاب بن عبد الرحمن قافلًا من
عدوة لغرب. ومعه حسن بن قون وشيعته نو يدريس نحسيون موث لغرب.
P. 275 المنزليون من معرفتهم في الأسس. ^١ عاب بن يحيى المنصر بنون. وأسمه
محمد بن عيسى. صاحب مدينة الأقاليم. وولاه: ومعه إخوته وسو عه ونوم
ونوم. فأمر بحمل هؤلاء الأشرف من عه. في ظلام ليلة الخميس لأربع
خون من عزم. في الثور التي خبثت في قرصة. وأرسل لغوه مهم يتداهم
من رقباهم وموتهم. حتى ^٢ دهم في - الثور نعدته لم. بعد أن فرشت
مجانها بشيء بصول ذكره.

وفيها. كان اعتلال خبنة نكهم. في ربيع الأول. واحتجب عن جميع
ملك إي أن تخلف وصه. وظهر خاصته يوم الجمعة ليلة نيت من ربيع الآخر
منه. وفي غلب ربيع المذكور. غنق نكهم نحو من مائة رقة من عيد. له

١. أدبهم B. 2-2. 1. Manque dans A.

فيه لبعضهم¹ نديراً، والباقيهم² عتق بئلي وموجل، خلص به جميعهم من الرق؛ وعقدت بذلك وثائق. فكان أول من أوقع شهادته فيها أبو الوليد هشام بن الحكم، ثم النفاهاه³ أهل التورى. ثم العدول.

وفيها، حبس الحكم حوايت السراجين بقرطبة على المعتبين لأولاد الضعفاء.

وفيها، أسقط الحكم سدس جميع البغاريم عن الرعايا بجميع كور الأندلس، شكراً لله على أنظاره له.

وفيها، كان جيشان العدو - خذاه الله - ومنازلته بعض حصون المسلمين.

وفيها، كان الظفر بأبي الأحوص معن بن عماد العزيز النجيبى؛ فقبض عليه رشيق، ونعنه مكولاً الى قرطبة مع عشرة من أصحابه؛ وكان يظاهر المشركين ويدلهم على عورات المسلمين؛ فأخذ الله.

وفي سنة ٢٦٥، خرج من قرطبة جعفر وبجى. ابنا علي بن حمور بن الأندلسى، فائدين الى الغرب من العدو، وبين أيديهما الألوثة والطول مدينتين⁴ للوزير بجى بن محمد بن هاشم.

وفيها، كان الإعلان ببيعة أبي الوليد هشام بن الحكم. وأن يؤخذ له من الخاصة والعامة بقرطبة وسائر كور الأندلس، وما الى طاعته من بلاد⁵ الغرب. وذكره فى الخطبة على المنابر فى الجمعة والأعياد. وذلك مستهل جمادى الآخرة: فقد أمير المؤمنين الحكم بقصره. وافتتح الكلام بما عزم عليه من نقليد ابنه عنده الخلافة من بعده؛ فالتزمت بيعة، وأخرجت نطائر من كتب البيعة ليوقع شهادته كل من التزمها؛ وبولى إعطاءها للناس على مراتب المنصور محمد بن أبى عامر، وهو يومئذ صاحب الشرطة والنوارث، وميسور النقى الجعفرى الكاسب.

١. مزملتى. ٢. مزملتى. ٣. مزملتى. ٤. مزملتى. ٥. مزملتى.

وفيها . خرج الوزير يحيى بن محمد بن هاشم قائداً الى سرقسطة . وبين
يديه الطبول والبود .

وفيها ، بعد عهد الحكم الى الوزير صاحب المديسة جعفر بن عثمان المصطفى
بإطلاق أبي الأحوص النجيبى من سجن المطبق مع أصحابه . فصنح الحكم عنهم .

وفي سنة ٢٦٦ . بوئى أبو عبيد البغدائى . صاحب النوادر . المعروف بالفالى .
منسوب الى قاي قلا من ديار المشرق .

وفيها . مات محمد بن يحيى النحوى . وهو مروان الأديب المرادى . وعهد
الىك بن سعيد . فكانت تسمى سنة الأديب .

وكل عام المسجد سنة ٦٥ . وكان أمير الذي صنع الحكم منخلًا من
عود الصندل الأحمر والأصفر والألوس والعاج والعود اليبس . قام على الحكم
ارحمه الله بحمسة وثلاثين ألف دينار وسبعائة دينار وخمسة دنانير . وكان
نائه في خمسة أعوام .

ووجد بخط المصنف بالله تاريخ وفاد قاضي وقاضي أبيه أمير بن سعيد
السوطى . وانه بوئى يوم الخميس ليلتين بقينا من ذى قعدة من سنة ٥٥ . وكان
ولده سنة ٢١٢ . فكان عمره اثني وثمانين سنة . وكان في هذا القاضي أمير
دعابة يعرض بها وتعرض له بها . فكانت اليه قوم من أهل المهجاة
والضرف اخيف :

قل لقاضي الجماعة السوطى ما ترى في خريدة كالخوط
ناكها لشواب قوم ظراف هل ترى سيدي هذا من سقوط

فوقع لهم في كتابهم : « لا مُتَرَدَّة » . فقال له من حضر : « ما هذا ؟ » .
فقال : « أردت لا أرى ذلك » . فقالوا : « لا سُنَّهم عنك إلا غيرهُ » .
فقال : « كلُّ أجاب على مُعْتَدِه » ! . فكان له (رحمه الله) نوادر مستحسنة .
وغرائب مستملحة .

ذِكْرُ اتِّصَالِ مُحَمَّدَ بْنِ أَبِي عَامِرٍ بِخِدْمَةِ الْحَكَمِ الْمُسْتَنْصِرِ

قال بعض المؤرخين: كان اتصال ابن أبي عامر بالحكم، فيما حدثني به ابن حسين الكاتب والأديب أبو إسحاق بن محمد الأفلحي وغيرهما من المشيخة أن الحاجب جعفر بن عثمان المصحفي، القائم بدولة الحكم، خلا في بعض الأيام بالفاضل محمد بن إسحاق بن السليم؛ فشكا إليه ابن السليم شجوه محمد بن أبي عامر ووصف له حاله. فلما طلب الحكم له وكيلًا لولده عبد الرحمن الدارج في حياته، ذكر له جعفر ابن أبي عامر بخير، ووصف لأم عبد الرحمن جماعة اختارت منهم ابن أبي عامر، وذلك باختيار جعفر له؛ فنصبه الحكم لخدمتها وخدمتها ابنها عبد الرحمن.

فلما مات عبد الرحمن، بقي في خدمة أمه السيدة، وكانت قد ولدت هشام بن الحكم؛ فصرف ابن أبي عامر لوكالته. وكان تقدمه أولاً لوكالة الوالد عبد الرحمن يوم السبت لتسع خلون من ربيع الأول سنة ٢٥٦؛ وأجرى عليه في ذلك الوقت خمسة عشر ديناراً في الشهر مرتباً بالوازنة. فبدأ من نصحه وحسن نظره ما عرف له؛ ثم استأثر الله بعبد الرحمن؛ فصرف إلى وكالة هشام. يوم الأربعاء لأربع خلون لرمضان سنة ٢٥٩. وكان قد تقدم للنظر في أمانة دار السكة يوم السبت لثلاث عشرة ليلة خلت لشوال من سنة ٥٦. كانت

ولابته أولاً لوكالة، وأضاف له الخزانة؛ ثم قدمه على خطة الموارث * يوم ٢٦٠ P. الخبيس لسبع خلون من المحرم سنة ٢٥٨. واستفضاه على كورة إشبيلية وأبلة وأعمالها يوم الأربعاء لإثنتي عشرة ليلة خلت من ذي الحجة سنة ٥٨ المذكورة. وفي سنة ٢٦١، قدم الحكم المستنصر بالله محمد بن أبي عامر على الشرطة الوسطى في جمادى الآخرة، وأهاب به إلى الأمانات بالعدوة؛ فاستصلحها واستمال أهلها؛ وجعله قاضي القضاة بالغرب من العدوة، وأمر عماله وقواده ألا ينفذوا شيئاً دونه، إلا بمشورته؛ ثم أضاف إليه الحكم النظر في الحشم، وهو في عاقبة التي مات فيها بالفالج.

وقيل أيضاً إنَّ سبب ظهوره كان خِدْمَتَهُ للسَّيِّدَةِ صُبْحَ الْبَشْكِيَّةِ. أمَّ
 عبد الرحمن وهشام؛ فكانت أقوى أسبابه في سقيل المُلْكِ عمَّا قِيلَ إليه؛
 فأه استمال هذه المرأة بحُسنِ الخِدْمَةِ، ومُوافَقَةِ المَسْرَةِ، وسَعَةِ المَذَلِّ في باب
 الإِنْعَافِ والمُهاداة، حتَّى استهواها، وغابَ على قلبها؛ وكانت الغالبة على مَولاهَا،
 وابنُ أبي عامر يجتهد في بَرِّها والمُثابرة على مُلاطفتها؛ فيُبدع في ذلك، وبأبيها
 بأشياء لم يُعهد مثلها. حتَّى لقد صاع لها قَصْرًا من فِضَّةٍ وقت ولادته السِّكَّةِ،
 عَمِلَ فيه مَدَّةً. وأفق فيه مالاً جسيماً، فجاءَ بديعاً، لم تَرَ العيونُ أعجَبَ منه؛
 وحِيلَ ظاهرُ الأعيُنِ النَّاسِ من دارِ ابنِ أبي عامر. وشاهدَ النَّاسُ منه منظرًا
 بديعاً. لم تَرَ العيونُ أعجَبَ منه؛ ونجَّدت النَّاسُ شأنه دَقْرًا. ووقع من قلب
 المرأة مَوْفِعاً لا نبيءَ فوقه؛ فتزانت في بَرِّه. ونكفَّت شأنه. حتَّى نَحَدَّتْ
 النَّاسُ بِتَغَفُّها به. وقال الحَكَمُ يوماً لبعضِ يَفاه: «ما الذي السَّطَفَ به قد
 النَّتَّى حُرْمًا حتَّى ملكَ قلوبَهُنَّ، مع اجتماعِ زُخْرَفِ الدنيا عدهنَّ، حتَّى يصرنَ لا
 يَصْنَعْنَ إِلَّا هَدَنَاءُ، ولا تُرَضِينَ إِلَّا ما أَنَاهُ؛ بِهِ لَسَاحِرٌ عَظِيمٌ، أو خادِمٌ لَيْسَ
 ١١٠٢٩. وأتى لحائِثٌ على ما بيده!» ثمَّ سعى به إلى الحَكَمِ، وقيل عنه إنه قد أُسْرِعَ في
 إيلافِ مالِ السِّكَّةِ المَوْقُوفِ قِبلَه؛ فأمره الحَكَمُ بإحضاره ليُشاهدَ سلامته؛
 فأظهِرَ الإسراعَ إلى ذلك. وقد استهلكَ «جنةً من الأموال»؛ فألقى نفسه في
 جَبْرُها على الوزير ابنِ حُدْرٍ في إيلافه إياها؛ وكان صدقاً له؛ فياسرَه فيه.
 وحمل المالَ إليه من وقتِه؛ فتعمَّ به ما قِبلَه، وارتفعت الظَّنَّةُ عنه؛ فأكدت
 الحَكَمُ ما رُفِعَ إليه عنه، وازدادَ عَجَباً به. وقرَّه على حاله؛ فردَّ ابنُ أبي عامر
 المالَ لابنِ حُدْرٍ من حينه، واصقَى بالحَكَمِ، وصار في عدادِ كُفَّاه
 واشتغل قلبُ الحَكَمِ. آخِرُ أَمَامِهِ، بأمرِ العِدْوَةِ ومَن جَرَدَه إليها من عساكره
 لحربِ الأدارسة وغيرهم، واغتمَّ إليها خرج من يدِه في ذلك الوجه من الأموال.

1. Manque dans A. 2. Manque dans A. 3. Manque dans A.

4. وقع. 5. A. 6. B. 7. أكبر. 8. B. 9. B. 10. B.

فقلد ابن أبي عامر قضاء القضاة بالغرب، وجعله عيناً على العسكر، وأوعز إليه في مهامه؛ فسار ابن أبي عامر الى هالك؛ فحيدت سيرته^١، وصحب حينئذ وجوه العسكر وأشباخ القبائل وملوكهم؛ فكانت تلك الحركة أول ظهوره، وبعد رجوعه منها، لم نزل يزداد نبلاً، ويرقى منزلةً، وهو مع ذلك كله يفتدو إلى دار جعفر بن عثمان المصحفي وزير الدولة وبروح، ويختص به. ويدعى نصيحته.

وفي سنة ٢٦٦، توفي الحكم المستنصر بالله بعد اتصال بعنه؛ وجعفر بن عثمان تدبر سلطانه إلى حين وفاته، ليلة الأحد لثلاث خلون لرمضان من السنة المورخة.

خلافة هشام بن الحكم بن عبد الرحمن الناصر والدولة العامرية

تسميه: تقدم في خلافة أبيه وجده^٢. كنيته: أبو الوليد. لقبه: المويد بالله. أمه: صبح البشكنسية. أم وأد. وكان سيدها الحكم بسببها^٣ جعفر، وكانت^٤ مغيبة^١ حضية عنه. وتوفيت في خلافة ابنها هشام. يوبع له يوم الإثنين لأربع خلون من صفر سنة ٦٦ بعهد من أبيه. وهو ابن إحدى عشرة سنة وثمانية أشهر؛ وخلع يوم الأربعاء لثلاث عشرة ليلة نفيت من جمادى الآخرة، سنة ٢٩٩؛ فكانت خلافته الأولى، الى أن قامت الفتنة، ثلاثاً وثلاثين سنة وأربعة أشهر وعشرة أيام. وفي الخلافة الثانية سنتين وعشرة أشهر؛ الجبيع الذي كمل له في المرتين ستة وثلاثون سنة وشهران وعشرة أيام. صفته: أبيض، أشهل، أعين، خفيف العارضين، إحيته الى الحمرة، حسن الجسم، قصير الساقين، مائل الى العبادة والانقباض، مقبل على تلاوة القرآن ودرس العلوم، كثير الصدقات على أهل السئر من الضعفاء والمساكين.

1) آثاره. 2) يدبر. 3-3) Manque dans B. 4) Manque dans B.

قُضَاهُ: مُحَمَّدُ بْنُ السَّلِيمِ، أَلْفَاهُ فَاضِيًا لِأَبِيهِ فَأَقْرَهُ عَلَى وِلَايَتِهِ؛ ثُمَّ أَبُو بَكْرٍ ابْنُ زَرْبٍ؛ ثُمَّ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى النَّبَسِيُّ عُرِفَ بِابْنِ بَرْطَالٍ، وَغَيْرُهُمْ.
نَقَشُ خَاتَمِهِ: «هشام بن الحكم، بالله يعنصم». ونولى عقْدَ الشَّهَادَةِ عَلَى النَّاسِ فِي الْبَيْعَةِ بَيْنَ يَدَيْهِ وَرَكِبَهُ وَصَاحِبُ شُرْطَتِهِ الْوُسْطَى وَالسِّكَّةَ وَالْمَوَارِيثَ أَبُو عَامِرٍ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عَامِرٍ، بَعْدَ مَا كَانَ قَاضِي الْجَمَاعَةِ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ السَّلِيمِ يَأْخُذُهَا عَلَى مَنْ شَهِدَ الْمَجْلِسَ مِنَ الْأَعْمَامِ وَأَبْنَائِهِمُ وَالْوُزَرَاءِ وَطَبِيقَاتِ أَهْلِ الْخِدْمَةِ وَرَجَالَاتِ قُرَيْشٍ وَأَعْلَامِ أَهْلِ الْكُحْضَرَةِ.

فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ السَّبْتِ السَّادِسِ مِنْ جُنُوسِ هِشَامٍ. وَهُوَ الْعَاشِرُ لِصَفَرِ سَنَةِ ٢٦٦. قَدَّ الْخَلِيفَةُ هِشَامُ حِجَابَتَهُ وَزَيَّرَ أَبِيهِ الْأَخَصَّ أَبَا الْحَسَنِ جَعْفَرَ بْنَ عَثْمَانَ الْمُصْحَفِيَّ. وَفِي هَذَا الْيَوْمِ، أَنْهَضَ الْخَلِيفَةُ هِشَامُ مُحَمَّدَ بْنَ أَبِي عَامِرٍ إِلَى خُطْبَةِ الْوِزَارَةِ، نَقَلَهُ إِلَيْهَا عَنْ شُرْطَتِهِ الْوُسْطَى وَأَجْرَاهُ رَسِيلاً لِحَاجَتِهِ جَعْفَرَ فِي تَدْبِيرِ دَوْلَتِهِ؛ فَمَادَهُ مُحَمَّدٌ شَأْوًا، وَجَرَى إِلَى غَايَةِ بَرَزٍ فِيهَا دُونَهُ، سَابِقًا فِي الْخَلِيفَةِ، وَتَخَلَّفَ جَعْفَرَ عَنْ مَدَاهُ.

وَمِنْ أَخْبَارِ جَعْفَرَ بْنِ عَثْمَانَ الْمُصْحَفِيَّ: هُوَ أَبُو الْحَسَنِ جَعْفَرَ بْنَ عَثْمَانَ بْنِ نَصْرِ بْنِ قَوْزِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ كُسَيْبَةَ الْقَيْسِيِّ. كَانَ لَطِيفَ الْمَنْزِلَةِ مِنَ الْحَكَمِ الْمُسْتَنْصِرِ بِاللَّهِ، قَدِيمَ الصُّحْبَةِ، قَرِيبَ الْخَاصَّةِ؛ وَكَانَ أَوَّلُ سَبَبِ ذَلِكَ نَادِيَابَ وَالِدِ عَثْمَانَ بْنِ نَصْرِ الْحَكَمِ فِي صِبَاهِ، وَاسْتَجَدَّمَهُ فِي أَيَّامِ وَالِدِ النَّاصِرِ، وَاسْتَكْتَبَهُ، وَرَفَاهُ إِلَى خُطْبَةِ الشَّرْطَةِ الْوُسْطَى وَالنَّظَرِ فِي عِدَّةٍ مِنَ الْأَعْمَالِ وَالْكُورِ. فَلَمَّا أَفْضَتْ الْخِلَافَةُ إِلَى الْحَكَمِ، قَدَّمَهُ. بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ خِلَافَتِهِ، خُطِبَتِ الْوِزَارَةُ، وَأَمْضَاهُ عَلَى الْكِنَانَةِ الْخَاصَّةِ؛ ثُمَّ جَمَعَ لَهُ الْكِنَانَةَ الْعُلْيَا بِالْخَاصَّةِ، وَوَلَّى أَبِيهِ الْأَعْمَالَ الْكِبَارَ. وَكَانَ جَعْفَرَ مِنْ عَدَانَ أَحَدِ شُعْرَاءِ الْأَنْدَلُسِ الْمُحْسِنِينَ. الْمُنْتَصِرِينَ فِي أَنْوَاعِ الشِّعْرِ مِنَ الْمَدِيحِ وَالنُّوَصَافِ وَالنَّزَلِ، غَاثَةً فِي كُلِّ ذَلِكَ فِي الرِّقَّةِ وَالْإِبْدَاعِ وَالْحُسْنِ. وَقَدْ سَنَدِمَ قَوْلَهُ مُرْتَجِلًا: «هَيْبًا لِلْإِمَامِ وَالْإِمَامِ» وَقَوْلَهُ مُرْتَجِلًا: «طَلَّعَ الْبَدْرُ مِنْ حِجَابِهِ!» وَغَيْرَ ذَلِكَ.

قال ابن بسام: كان جعفر بن عثمان رجلاً بلغ المنتهى، وسوغ برهته من
 دهره ما انتهى، دون مجده نزع من ذوحته، ولا فخر نشأ بين مغداه^١ وروحه.
 فسما دون سابقه، وارنقى الى رسته لم تكن لبيسته^٢ مطابقة، فلم يزل يستقل
 ويضطلع، ويستقل من مطلع الى مطلع، حتى التاح في أفق الخلافة، وارتاح
 إليها بعظمتها كسوان السلافة، وحجب الإمام، وانسكب برأيه ذلك الغمام.
 فأدرك بذلك ما أدرك، ونصب لأمانيه الحائل والشرك، واقتنى وأدخر،
 وأزرى بمن سواه ونخر. واستعطفه محمد بن أبي عامر، وأجهده غاير^٣ لم يسبح^٤
 وسره مكنوم^٥ لم يسبح؛ فما قبل عليه ولا عطف، ولا جأ من رونه دنياه زهرة
 أمل ولا قطف؛ وأقام في تدبير الأندلس، وهو آخري من السعد في ميدان
 رحب، ويكرع من العز في مشرب عذب. وكان له أدب بارع، وخاطر إلى
 نظم المحاسن مسارع. فمن ذلك ما بعنه عليه إنسان دهره وإسعاده، وقاله حين
 ألهته سنهاه وسعاده اطولاً

إعينيك في قلبي على عيون
 لئن كان جسني مخلفاً في يد الهوى
 وبنت خسوعي الشجون فسون
 فحنيك غص في النواد ميصون

وله، وقد أصبح يوماً عاكفاً على حبياه، هالكا بإجابه دياه، مرتسماً ثغور
 الأيس منسباً رياه، والملك يغاربه نظرف عليل، ويبرم من أسه كل تحيل،
 والسعد قد عقد عليه أي إسيل. أصف لون مذهبه. وما يعرف منها دون
 زده؛ فقال [كامل]:

صغره يرق في الرشح فإن سرت
 عبت الزمان بحسبها فتسرت
 في الجسم دبت مثل صل لادع
 عن عينه في ثوب نور سابع
 خفيت^٦ على شربها فكأنها
 تجدون رسا في إساء فرح

واستمر في حجابته، ومر بين سمع الدهر وإجابته، والنوس العلية من ساهي
 حاله متغيرة، وفي تكيف سعد متغيرة. ولم يزل ليجاد تلك الخلافة معتقلاً، وفي

١. خفيته. ٢. لبيته. ٣. غاير. ٤. يسبح. ٥. مكنوم.

مطالعتها مُتَفَلِّحًا، الى أن نُوفِيَ الحَكَمَ، فانقسم عِنْدَهُ المُحَكَّم، وانبرت اليه
 الوائب، وسدّدت له الخطوب بسهامِ صوائب؛ واستولى عليه الكسل، وأسرعت
 اليه الدوايل والأسل، وبعاوره الإديار، وساوره من المكروه ما فيه اعتبار؛
 وانتقل الى المنصور ذلك الأمر، واختصّ به كما اختصّ يزيد أخوه الغمير،
 وأناف في تلك الحلافة كما شبّ قبل اليوم عن طوّقه عمّره؛ فاعتقل بتلك
 اللجاد، واستبدّ به دون أولئك الأمجاد، وانبرى الى المصحف بصدرٍ كان قد
 أوغره. وجدّ سامٍ طال ما استنصره؛ فأباده ونكبه. وسلب جاهد وانتهبه، وانقص
 من تلك الإساءة، وانقص حلفه بكلّ مساءة. وأهب جوانحه حزنًا؛ ونهب له
 مدخرًا ومختزنًا، ودمر عليه ما كان حاط. وأحاط به من مكروهه ما أحاط؛
 فبقي سجين في مهوى النكبة، وجوى تلك الكربة، سقاه المنصور معه في غزوانه،
 وبعثه بين أظفار النضيق أو في لهوانه، وهو يستعطف ويستميل. فلا
 يتحقق له رجاء ولا تأمّل، الى أن مكورت شمسُه. وقاضت بين أنياب المحن
 نفسه؛ فاغتبل في المطبق، ونفذ فيه أمر الله وسق.

بعض أخبار المنصور محمد بن أبي عامر في ابتداءه

نسبه: هو أبو عامر محمد بن أبي حفص عبد الله بن محمد بن عبد الله بن
 عامر بن أبي عامر محمد بن الوليد بن يزيد بن عبد الملك. الداخلى الى
 الأندلس مع طارق؛ وكان له في فتحها أثر جميل؛ وكان في قومه وسيطًا؛ وقد
 ذكره محمد بن حسين الشاعر العالم بأخبار الأندلس في بعض أمداحه للمنصور
 هذا، فقال أطويل:

وَكُلُّ عَدُوٍّ أَنْتَ سَهْدِمُ عَرِشَهُ	وَكُلُّ فُتُوْحٍ عَنكَ يُنْتَحِ بِأَيْهَا
وَإِنَّكَ مِنْ عَبْدِ الْمَلِكِ الَّذِي لَهُ	حُلَى فَنَحِ قَرَطَا جَنَّةٍ وَأَنْتِهَايَا
جَبَّاهَا أَبُو مَرْوَانَ جَدُّكَ قَابِضًا	بِكَفِّ تَلِيدٍ طَعْنُهَا وَضْرَابُهَا
فَإِنْ سَأَحَتْ فِي الشِّرْكِ مِنْ بَعْدِ فَتَحِهِ	فُتُوْحٌ فَمَصْرُوفٌ إِلَيْكَ نَوَابُهَا

• وجدّه عبد الملك هو الذي دخل مع طارق ونزل الجزيرة الخضراء، لأوّل ١٧٤
 الفتح؛ فساد أهلها، وكثّر عَفْبَهُ فيها؛ ونكّرت فيهم النباهة والوجاهة؛ وجاور
 الخلفاء منهم بقرطبة جماعة أحدهم أبو عامر محمد بن الوليد، الذي عُرف آل
 عامر طراً به. وساد بعد ولد عامر. وتقدّم عبد الخلفاء، وولّى الأعمال، ومات
 بقرطبة؛ وبأبيه نَقَشَ مُحَمَّدُ السِّكِّكِ، ورقم الأعلام. وكان عبد الله المُكَنِّي
 بأبي حنّص، والد محمد المنصور، من أهل الدين والزهد في الدنيا والقيود عن
 السلطان؛ سَمِعَ الحديث، وأدّى الفريضة، ومات منصرفاً من حجّة بدمية
 إطرابلس المغرب؛ وأصهر التميميين المعروفين بقرطبة ببي بَرطال؛ فنكح بربيه
 بنت يحيى بن زكرياء؛ فولدت له أبا عامر المنصور، وأخاه يحيى. وكانت أمُّ
 عبد الله، والد المنصور، بنت الوزير يحيى بن إسحاق، وزمير الناصر لدين
 الله وطيبه.

وكان محمد هذا حسن النشأة، ظاهر النجابة، تفرّس فيه السيادة؛ سلك
 سبيل القضاة في أوليته، مفتنياً آثار عمومته وخولته؛ فطلب الحديث في حديثه،
 وقرأ الأدب، وقيد اللغات على أبي عليّ البغدادي، وعلى أبي بكر بن القوطية؛
 وقرأ الحديث على أبي بكر بن معاوية القرشي، راوية النساء، وغيره من رؤساء
 أهل المشرق؛ ويرع بروعاً أدناه، مع نوازع سعد وبوادير حظ، من الحكم
 المستنصر؛ فقرّبه وصرفه في مهمّ الأمانات وأصنافها؛ فاجتهد وبرز في كل ما
 قلده، واضطلع بجميع ما حمّله.

وكان الحكم، لشدة نظره في الحدّثان، يتخيّل في محمد بن أبي عامر أكثر
 الصفات الجنيعة إلى النسب والبلدة. وكان يجد الفائم عليهم^١ من الجزيرة
 الخضراء، أصفر الكفين. فيقول لخاصته: «ألا ترون صفة كفيه؟» فإذا قالوا
 له: «أريح نفسك منه!» يقول: «لو كانت به شجة، لكانت تكلمة صفاه». فكان
 من قدر الله أن حدثت الشجة بمحمد بعد موت الحكم بضرية غالب ٢٠٥.

1) Manque dans A.

الناصري له. وبها تم الأثر فيه؛ كما أن الحكم قد كان وقف في الأثر على البقعة التي بُنيت فيها الزاهرة؛ وكانت ملوك مروانية تخوف ذلك. وكان الهجهم^١ شأنها الخليفة الحكم؛ فنظر في أمرها، وهي البقعة المعروفة بأش (بفتح اللام). وهي بغرب قرصند؛ ووجد انتقال الملك إليها؛ فأمر حاجبه جعفرًا بالسبق إليها والشروع في شأنها طمعاً في مزية سَعْدَهَا، وأن لا يُجْرَج الأمر عن يد ولد؛ وأنفق عليها مالا عظيماً؛ فكان من غريب الأمور أن محمد بن أبي عامر نوى النظر في شأنها مع من نظر فيها، وهو يومئذ في حال التؤدة والاحتياج، ولا يُعلم يومئذ به. فسُبحان من يُوتى ملكه من يشاء.

ثم رُفِعَ^٢ إلى الحكم أن البقعة بغير ذلك الموضع، وأنها شرقي مدينة قرطبة؛ فأنفذ ثقتَه محمد بن نصر بن خالد الوقوف عليها، وانتهى إلى منزل أبي بدر المسبى بأش (مضمومة اللام)، وأصاب هنالك عجوزاً مُسِنَّةً وافقتَه على حدّ الأرياد، وقالت له: «سمعنا قديماً أن مدينة نُبني هنا، ويكون على هذا البئر نزول ملكها». فعاد إليه محمد بن نصر بالحليّة؛ فلم تطُل المدّة حتى بناها ابن أبي عامر، وسُمِّيَ رُجَاءَ ذلك البئر قراره. وكان المنصور على بقعة^٣ من سرعه انتقال الملك إليه، لا يشك في ذلك لأنه تمكن من مطالعة ما كان عند الحكم؛ فوقف على الحليّة.

ولم يرل الحكم مُقدِّم محمدًا ويؤثره، إلى أن ولي العَهْدُ ابنُه هشام؛ فزاد مقدارًا لما صنع بولي العَهْدِ ومكانه من السيدة والدنه؛ فاحتاج الناس إليه وغشوا بآبِه؛ فأنسام من سلف من أصحاب الساطان سعة إسعاف، وكرم لقاء، وسهولة حجاب ورحمة أطلاق، فعرض جاهد، وعُيِّرَ بآبِه. وأسع في بناء داره بالرُصافة، (٧) «وأحد الأكتاب الخلة وانصحب سراء الصحابة. وكانت مائدته موضوعة لمن يتاب داره. ونسبته تراهي إلى وراء ما سانه؛ وهو في هذا كنه يغدو إلى دار جعفر بن عثمان المصطفى ويروج، وتصبح سانه ويخلص به.

١) B. هجهم. ٢) A. و B. رفع. ٣) A. الجهر.

تم انصاف علة الخليفة الحكم من الفاليج، وجعفر أمير سلطانه. ووقع
 إرحاق موت الحكم؛ فأشار محمد بن أبي عامر على جعفر بن عثمان باستركاب
 ولي العهد هشام في ذلك اليوم في الجيش، إرهاباً لأهل الخلاف؛ فنعال وركب
 في الناس ركبته المشهورة، ومحمد بن أبي عامر بين يديه. قد كساه الحر. ونقله
 إلى أكابر أهل الخدمة. وأمر ولي العهد هشام في ذلك اليوم (وهو العاشر لصف
 من سنة 77) بإسقاط ضريبة الزيتون المأخوذة في الزيت بقرطبة، وكانت إلى
 الناس مستكرهة؛ فسروا بذلك أعظم سرور. ونسب شأنها إلى محمد بن أبي
 عامر، وأنه أشار بذلك؛ فأحبوه لذلك. ولم ينزل الهمة تحذمه. والجد بحظيه،
 والفضاء تساعده. والسياسة الحسنة لا تفارقه. حتى قام بتدبير الخلافة. وأقعد
 من كان له فيها إنافة. وساس الأمور أحسن سياسة. وداس الخطوب أحسن
 دياسة؛ فانتظمت له الممالك، وأضحت به المسالك، وانتشر الأمن في كل
 طريق، واستشعر اليمن كل فريق. وأسقط جعفر المصحفي، وعمل فيه ما أراد.
 فأول غزوة فصمها من غزى المملكة غزوة الصقالية الخدم بالناصر بموضع
 الخلاف؛ وكانوا أنهى حبل المملكة، وأخص عددها؛ عبي الخشاء بجمعهم والاستنار
 منهم؛ وكانوا خاصة الناصر والحكم بعد. حتى لقد ظهرت منهم في زمن الحكم أمور
 فيجحة أغضى عنها مع إثارة العدل " وإطراح الجور بالجملة ". وكان يقول:
 « هُم أمانونا وثقاتنا على الحرم؛ فينبغي للرعية أن تلين لهم، وترفق في معاملتهم؛
 تسلّم من معرّتهم، إذ ليس " يمكننا في كل وقت الإنكار عليهم. »

وأما مات الحكم، كان الصقالية أكثر جمعاً وأحد شوكة، يظنون أن لا
 غالب لهم وأن الملك بأيديهم. وكانوا تيفاً على ألف محبوب؛ فحسبك بما تبعهم،
 وكان رأسهم فائق المعروف بالنظامي، صاحب الرد والطرز؛ وسيد صاحبه
 عبود صاحب الصاغة والبيازرة؛ وإيهمما كان أمر العلمان الجول بخارج القصر.
 وكان قد جرى بين فائق وحوذر مع الحاجب جعفر المصحفي إثر موت الحكم

ما أذكره: وذلك أنه لما توفى الحكم، خفي موه على ورثه جعفر وسائر أهل المملكة لظول برده في العتق، وبعد علم ذلك في وقت خادماه الخاصان به: فائق وحوذرة، فاستظهما كتمان ذلك، وبقدا في ضبط الدر، وخلقوا التشاور، وبسبب عزمهم على رد الأمر للمغيرة بن الناصر، أخى مولاها الحكم، خشية من انتشاره على من سبهم، أصغر منه، وإكرار الناس لتقدمه على أن يقر ابن أخيه هشاماً على العتق، فبينا على المغيرة سوق الخلافة إليه، وبينا لمولاها بارتباب كثر والله، ويكون الملك في أيديهما بحاله، وكان رأيا حسبا لو أراد الله به، فبينا أتفا على ذلك، قال حوذرة لفائق: "سبغى أن تحضر جعفر بن عثمان الحاجب، وضرب عنقه، فبذلك يتم أمرنا". فقال له فائق: "سبحان الله يا أخي! أشير بقتل حاجب مولانا وشيخ من متبجنا دون ذنب، ولعله لا يجاننا فيما يريد، مع افتتاحنا الأمر بسفك الدم". فأرسل في جعفر بن عثمان، فحضر، وبعيا إليه الحكم، وعرضا عليه ما أجمعا عليه من الرأي، فقال لهما جعفر: "هذا والله! أسد رأي وأوفق عمل، والأمر أمركا، وأنا وغيرى فيه سبغ لكمما، فاعزما على ما أردنا، واستعينا بخورة المشيخة، فبى اتقى للخلاف، وأنا أسير إلى الباب، فأضبطه بنفسى، وأبدا أمركا إلى ما شئتما". وخرج عنهما، وضبط باب القصر، وقدم في إحضار أصحاب الهاشمية مثل زياد بن أفلح مولى الحكم، وقاسم بن محمد، ومحمد بن أبى عامر، وهشام بن محمد بن عثمان، وأشاههم، واستدعى سى برزال، إذ كانوا بطانته من سائر الخد، واستحضر سائر قواد الأحناد الأحرار، فاجتمع له من هذه الطوائف ما شد ركنه وقوى يده، ومعى لهم الخبيفة، وعرفهم مذهب الصفاية في نكت تبعة هشام، وأقبلت أصحابه، وقال لهم: "إن حببنا الدوانة على هشام، أمما على أنفسنا، وصارت الدنيا في أيدينا، وإن انتقلت إلى المغيرة، استبدل بنا، وطلب شقاء أحفاده". فانتار عليه أصحابه بقتل المغيرة قبل أن يبلغه موت أخيه، فتبكيه الحيلة، فعمل

رأهم : فتوافقوا^١ فيها بينهم النهوض الى قتله ؛ فكفوا وجسوا ؛ فمدرهم محمد بن
 أبي عامر وقال : « ما قوم آتني أخاف فساد أمركم ، ونحن نبيع لهذا الرئيس (وأشار
 الى جعفر) . فبيعي إلا تخدع عليه . وأنا تحمل ذلك عنكم إن أجدني إليه ؛
 فحذروني عليكم ! » فأعجب جعفر وأصحابه ما كان منه . وولود شأنه . وقالوا له :
 « أنت أحق بولي كبره لحاضتك بالحيفة هشام ومحبك من الدولة . » فأرسل
 جعفر معه طائفة من الجند الأحرار . وبقى بهم لذلك .

مقتل المغيرة بن عبد الرحمن الناصر (رحمه الله)

فركب محمد بن أبي عامر الى المغيرة من ساعته . وركب معه تدر القائد
 مولى الناصر في مائة غلام من علمان السلطان ، ووقف لهم خارج باب دار
 المغيرة . وأحاط بيوت من أصحاب محمد بجهازيها ، واقتحم محمد عليه ؛ فوجرت
 مطبنا على غير استعداد ؛ فبقي اليه أخاه الحكم . وعرفه بجلوس ابنه هشام في
 الخلافة ، وأن الوزراء خستوا خلافه . فأنفذوه لامتحان القصة . فاشتد دُغْرُه ؛ ثم
 استرجع عليه ، واستبشر بملك ابن أخيه ، وقال : « أعلمهم آتني سامع مطيع^٢ ؛
 وإف بيعتي ؛ فتوثقوا مني كيف شئتم ! » وأقبل يستلطف ابن أبي عامر . وسانده
 الله في دمه . وسأله المراجعة في أمره . حتى رقى له محمد . وكتب الى جعفر
 بصدقه عنه ويصف له الصورة التي وجد عليها من السلامة والطمأنينة .
 ويستأذنه في شأنه . فرد عليه جعفر يلومه في التأخير . ويعرم عليه في التصميم .
 ويقول له : « غررتنا من نفسك ؛ فأنفذ اشأنك ؛ أو فانصرف ، نرسل سواك . »
 فحين محمد لجوابه . وعرض الرقعة على المغيرة . وجعلها بيده . وزال عن وجهه .
 وأدخل عليه تلك الطبقة ؛ فقتلوه خنفاً في مجلسه . وعلقوا جسده في مخدع ينصل
 بمجلسه . كهيئة المخنق من تلقاء نفسه . وذلك كله بمعاينة حرمة . ثم أشاعوا
 أنه خنق نفسه ، لما أكرهوه على الركوب لابن أخيه ؛ فطاح دمه على هذه الصورة .

١) انفذني . ٢) فتدافعوا .

وكان سنة يوم قُتِلَ سبعمائة وعشرين سنة. ثم قدم محمد باخناء ذلك. وأمرهم بدفنه في مجلسه، وأن يسدوا أبوابهم، فبأمنوا بذلك على ولده وبعيته. وعاد ابن أبي عامر إلى جعفر بالقصة، فطابت نفسه، وصير محمداً إلى جاسه. وشكره. ووصل الحارث على المغيرة إلى جودر وفائق؛ فدعاهما. وسقط في أيديهما. وقال جودر لفائق: «قد نصحتُ لك، فلم تسمع مني!» وكان أكل دعاء منه. فانكفئنا إلى جعفر. فأظهرنا له السلامة والاستبشار بما أنادى والاعتذار مما رأياه. وقالوا له: «إن الجزع أذهلنا عما أرشدك الله إليه. فجزاك الله عن ابن مولانا خيراً، وعن دولتنا وعن المسلمين!» فأظهر لهما بعض القبول. وانغمس جعفر في الشغل بأمر البيعة أناماً، وفي نفسه للصفاينة ما لا يهنيه معه رعيته. وفي أنفسهم له أبرح أوعق.

وأجلس جعفر هشام بن الحكم للبيعة بالخلافة صبيحة يوم الإثنين لأربع خلون من صفر سنة ٢٦٦؛ ودعا الناس ابن أبي عامر للبيعة؛ فلم يجتف عليه اثنان. فكان لابن أبي عامر في أخذها أثر كبير، يذكره الناس، وعلا شأنه ومكانه، وبعد في الناس صيته.

بعض أخبار الصفاينة مع ابن أبي عامر

وذلك أنه لما تكلمت الوحشة ما بين جعفر والصفاينة، تحرموا عهد، وكرهوا ولاية هشام. فأخذ جعفر جذره منهم، وأذكى العيون؛ وبلغ أن جودر وفائقاً يدبران على الدولة. وبدسان في ذلك إلى بعض من في قبادتهما من وجود الغلمان والنحوثة؛ وكان الدخول والخروج إليهما على باب الحديد؛ فأمر الحاجب جعفر المصحفي بسده بالحجر، وصير دخول الناس على باب السدة. فحسب تير الصفاينة، وصيرهم تحت الرقبة. ونظر جعفر في إزالة الغلمان الهجولة عن رسم هذين الصفاينين بمواطاة محمد بن أبي عامر؛ ودس محمداً إلى من طلبهم

تذكرة ١١١

له؛ فنتقم عليهم محمد بن أبي عامر؛ فكان يظن عقيبهم خمسمائة غلام.
فاشتد بهم أزره، وفخم أمره، وقدمهم في الإنزال والعطاء؛ فأحبوا؛ ثم انقلب
بنو بَرزَال إلى محمد بن أبي عامر، وصاروا في قيادته. فاعتزَّ بالطائفتين. وقهر
عدوه، وتبعه سائر الجند. فهان أمر الصقالية عنده.

ثم ان جَوذراً الفتي استأذن السلطان في الخروج إلى داره مستعنياً من
الخِدمة، وهو يظن أنه لا يُجاب إلى ذلك؛ فأذن له في الخروج؛ فاشتدَّ وعيدُ
أصحابه، وزاد كلامهم؛ وكان أجسرم على ذلك دُرَيُّ الفتي الصغير، لِمَا فيه من
النمرد والجهالة؛ فحرك جعفر ابن أبي عامر لإزالته والراحة منه، وقال:
«حاول عليه!»^٢ فدى إلى رعيته سياسة، وأمرهم بالشكوى به وعماله، ووعدهم
العدوى عليه والإراخة من جورهِ؛ فسارعوا إلى ذلك. ورفع الحاجب جعفر قصته
إلى السلطان، وقد أحكم ابن أبي عامر شأن التدبير عليه؛ فخرج التوقيع
بالجمع بين دُرَيِّ وبينهم، والنظر في مصالحهم؛ فاستدعى دُرَيَّ إلى بيت الوزارة؛
فلما أشرف على الدار، ورأى من أعداء فيها. أحسن بالشر؛ فخنس راجعاً؛ فبعده
ابن أبي عامر، وقبض عليه؛ فنجأها؛ فبطش دُرَيَّ بابن أبي عامر. وقبض على
لحيته؛ فصاح محمد بن أبي عامر بن حضر من الجند؛ فاحتشم الأندلسيون دُرَيَّاً،
وأسرع بنو بَرزَال إلى إجابته؛ فقدموا إلى دُرَيَّ، فأوجعوه ضرباً؛ ولحقته ضربة
بصفح السيف، أزالته عقله، وحمل للوقت إلى داره؛ فعوجل من ليلته بالقتل.
وأمر في الوقت فائناً وجماعة من كبارهم بالخروج إلى ديارهم والتزامها؛ فخرجوا
إليها. وانحصدت شوكة الصقالية حينئذ، وفلَّ حدُّهم؛ وتجرَّد ابن أبي عامر
لطلبهم، فاستخرج منهم أموالاً جمة. وآت حال فائق إلى أن صير إلى الخزانة
الشرقية؛ فمات هنالك.

وفي خروج الصقالية من القصر، يقول سعيد الشتريني الشاعر اسرع:

ذكر نكبة الحاجب جعفر بن عثمان

وذلك أنه لما سميت الحال بمحمد بن أبي عامر، واستتب أمره، عمل الحيلة والتدبير في إسقاط جعفر بن عثمان، والانفراد بالدولة، فلم يجد لذلك سبباً أقوى من مظاهرة الوزير أبي تمام غالب الناصري، صاحب مدرسة سائيم، والثغر الأدني، شيخ الموالى قاضية، وفارس الأندلس يومئذ غير مدافع له، وكان بينه وبين الحاجب جعفر بن عثمان عداوة ومنافسة. والنيات حل غالب صدر دولة هشام في سنة ولادته لما ملك جعفر أمرها، وكان نصير غالب في مدفة أعداء الله، وخاف أن يصل أمره إلى الخلاف والمعصية، فأشار ابن أبي عامر في استصلاح ورعي زمامه. ولم يزل ابن أبي عامر يقوم بشأنه، ويجده داخل الدار عند السيدة أم هشام وسائر الحرم، حتى تم مراده فيه كى استعين به على إهلاك المصحفي، فأتهى غالباً إلى خطة الوزراء، وأعد إليه كتاب الخليفة بذلك، وأمره بالاجتماع مع ابن أبي عامر على التدبير على الصوائف، على أن يدبر ابن أبي عامر جيش الحضرة، ويدبر غالب جيش المغرب.

غزوة بن أبي عامر الثانية

وخرج محمد بن أبي عامر بالصائفة يوم الفطر من سنة ٢٦٦، فاجتمع مع غالب بمدرسة مجريط، وأصل معه من النظائر على جعفر ما أضاف به النكبة من قلبه، وأفقاً ووافقاً، وخيم ابن أبي عامر غالباً في سيره هذا خدمة ملك بها نفسه، وقال إليه غالب بكليته، واستمر في غزوها، وافتتح حصن مولد، وظهور فيه على سني كثير، وغنم المسلمون أوسع غنيمة، وكان أكثر الأمر فيها الغلب، فتجافى عنه لابن أبي عامر، وسار معه إلى ثغر، ومنه فارقته، بعد أن أبيع في مواطاة محمد بن أبي عامر على عداوة جعفر بما أراد، وقال غالب لابن أبي

عامر عند وداعه: « سيظهر لك بهذا الفتح إسمٌ عظيمٌ وذكرٌ جليلٌ، يُشغلهم السرور به عن الخوض فيما تُحدثه من قصة. فأياك أن تخرج عن الدار حتى يعزل ابن جعفر عن المدينة وتقلدها دونه! » فاعتقد محمد ذلك.

وخطب غالب الخليفة هشاماً بحسن مناب ابن أبي عامر في هذه الغزوة، ونسب السعي والاجتهاد اليه، وشكره، وشدَّ عَضُدَه عند الخليفة، وعاد محمد ابن أبي عامر الى حضرة قُرطبة منصوراً بالسبي والغنائم. فاستمال محمد بهذا الفتح قلوبَ العامة والخاصة. وعرفوا فيه يُمنَ القيبة، فبعُدَ صيته، وهان عليه أمر جعفر وغيره، وشرع في دمه. فخرج أمر الخليفة يوم وروده بصرف محمد بن جعفر بن عثمان عن المدينة وتقليدها ابن أبي عامر. فخرج محمد نحو كُرسية في هذا اليوم، والحجُّ عليه. ولا عند جعفر عالمٌ بذلك، وكان محمد بن جعفر جالساً في مجلسها في أبيه، إذ صعد ابن أبي عامر نحوه، فولى محمد بن جعفر باكساً على عقه، وأبغى بدابته.

وملك ابن أبي عامر الباب بولاية الشرطية به والحيش يتوكله له؛ والدار اعمامة الحرم به؛ فملك على جعفر بذلك وجوة الحينة، وخلده، ولبس في يد من الأمر إلا قلبه. فضبط محمد المدينة ضبطاً أنسى أهل الحضرة من سفت من أفراد الكفاة وأولى السياسة، وقد كانوا قبله في بلاء عظيم، تتحارسون الليل كله، ويكابدون من روعات طرافه ما لا يكابد أهل الثغور من العدو. فكشف الله ذلك عنهم بمحمد بن أبي عامر وكفائته، وتزهره عما كان يُنسب لابن جعفر. فسد باب الشفاعات، وقمع أهل الفسق والذعارات. حتى اربع اليأس، ومن الناس، وأمنت عادة المنجزمين من حاشية السلطان؛ حتى لقد عثر على ابن « عمِّه له يُعرف بعسقلجة »؛ فاستنصره في مجلس الشرطه وجأده جلدًا بترخا كان فيه حيامه؛ فانصع الشر في أنامه جميلة. واستخف ابن أبي عامر على

المدينة ابن عمه عمرو بن عبد الله بن أبي عامر؛ فسلك في أهل الشَّرِّ سبيله، بل أربي عليه في ذلك.

وكانت جعفر غالباً يستخلصه، ويستميله، ويخطب بنته لابنه؛ فتجددت بينهما ألفة، وجرى عقد في المُنَاكحة. وانكشف ذلك لابن أبي عامر؛ فكانت غالباً يُثدِّه العهد، وألقت أهل الدار * عليه في فسح المصاهرة؛ فكانت في P. ٢١٥ ذلك؛ وانحرف إلى ابن أبي عامر، وحلَّ عُقدة جعفر في نكاحه، وأنكح ابن أبي عامر أسماء بنته؛ فكانت أحظى نساءه.

غزوة ابن أبي عامر الثالثة¹⁾

فلما تمَّ هذا العقد، خرج إليها؛ فدخل على طابطة غرّة صفر من سنة ٢٦٧؛ فاجتمع مع صهره غالب؛ فعظمه وجرى إلى موافقته. ونهضا معاً؛ فافتتحا حصن المال وحصن زنبق²⁾، ودوَّخا مدينة سلمنة وأخذوا أرباضها. وقفل ابن أبي عامر إلى قرطبة بالسبي والغنائم، وبعث عظيم من رؤوس المشركين، إلى أربع وثلاثين يوماً من خروجه؛ فزاد له السلطان في التنويه، وأنهضه إلى خطة الوزارتين، سوى فيها بينه وبين غالب، ورفع راتبه إلى ثمانين ديناراً في الشهر، وهو راتب الحجابة. واستقدم السلطان غالباً لاستهداء أسماء إلى زوجها محمد؛ فبالغ في إكرامه؛ ووقع زفاف أسماء في مشهد بعد العهد بمثله شهرة وجلالة؛ وزفت إليه ليلة النيروز من قصر الخليفة؛ فهو الذي تولى مع حرمة أمرها. وكانت أسماء هنا توصف بجمال بارع وأدب صالح؛ وحظيت عند ابن أبي عامر؛ فلم يفارقها. وقادته الخليفة خطة الحجابة مع جعفر مشتركاً. ثم سخط الخليفة على جعفر بن عثمان المصحفي، وصرفه عن الحجابة يوم الإثنين لثلاث عشرة ليلة خلت من شعبان سنة ٢٦٧؛ وأمر بالقبض عليه وعلى ولده

1) Ce titre manque dans A, qui l'incorpore au texte un peu plus loin.

2) Leçon fournie par B. — A donne زنبق, sans points diacritiques.

وأسيابه. وعلى ابن أخيه هشام؛ وصرفوا عما كان بأيديهم من الأعمال، وطلبوا بالأموال. فتوصل ابن أبي عامر بحاستهم الى استنصاف أموالهم، وانتهاك حرمتهم، وترديد النكبات عليهم، حتى مزقهم كلُّ مَزَقٍ. وسارع الى قتل هشام ابن أخي جعفر في المِطْنَقِ. إذ كان أشدَّ آلِ عثمانِ عداوةً له؛ وأُخْرِجَ الى أهله مَيْتًا. واستمرت النكبة على جعفر سنينَ عدَّة، يُحْبَسُ مرَّةً ويُطْلَقُ أُخْرَى. ومما حُفِظَ له في ابن أبي عامر، مُسْتَعِظًا له / متقاربًا:

عَفَا اللهُ عَنْكَ الْإِرْحَمَةَ ١	أَجُودُ بِعَفْوِكَ إِنْ أَبَدَا
لَنْ جَلَّ ذَنْبٌ وَلَمْ أُعْتَبِدْهُ	فَأَنْتَ أَجَلُّ وَأَعْلَى يَدَا
أَلَمْ يَسِرَّ عَبْدًا عَدَا طَوْرَهُ	وَمَوْلَى عَفَا وَرَشِيدًا هَدَى
وَمُفْسِدًا أَمْرًا تَلَا فَيْتَهُ	فَعَادَ فَاصْلَحَ مَا أَفْسَدَا
أَقْلَبِي أَقَالَكَ مَنْ لَمْ يَزَلْ	بِقَيْكَ وَيَصْرِفُ عَنْكَ الرَّدَى

وكان جعفر بن عثمان في محنته أخوَر النَّاسِ. أَرَامَهُمُ لِلذَّلِّ. وَأَحْبَبَهُمْ فِي الْحَيَاةِ؛ انتهى به الاستحذاء لمحمد بن أبي عامر، والطبع في الحياة. أن كتب إليه يعرض نفسه عليه لتأديب ابنه عبد الله وعبد الملك؛ فقال ابن أبي عامر: «أراد أن يستجھلي ويُسْفِظني عند الناس. وقد عهدوا مني بياحه مؤتملاً؛ ثم برّوه اليومَ يدهليزي معلماً.»

ثم جدَّ ابن أبي عامر في مكروهه، وأدقَّ حسابه، وأمر بإحضاره الى مجلس الوزراء بقصر الخلافة، ليُنَاطَرَ بين أيديهم فيما ادَّعَى عليه من الخيانة؛ فتردَّد الى هذا المجلس مرارًا. وأقبل آخر مرَّة اليه، وواثق الضاغط بزعجه. والبهر والسِّنُّ قد هاضاد، وقصراً خطاه، والموكل به مجذوه ويستحته؛ فيقول له جعفر: «يا بني رفقاً؛ فستدرك ما تريد! وبأيت أن الموت بيع، فأغلى الله سومه!» حتى انتهى به الى المجلس، والوزراء جلوس، فجلس في آخر المجلس دون أن

1) عطفه. B. 2) من قد.

يسلم؛ فسرع اليه الوزير محمد بن حفص بن جابر، وكان من حزب ابن أبي عامر؛ فعنفه، واستجهله، وأنكر عليه ترك التسليم، وجعفر معرض عنه. فلما P. ٢٨٧ أكثر عليه، قال له جعفر: «يا هذا جهلت المبرة، فاستجهلت عالمها وكفرت اليد، فقصرت بسنديها.» فاضطرب ابن جابر من قوله، وقال: «هذا هو البهت بعينه! وأى أياديك الغراء التي مننت بها؟ أيد كذا أم يد كذا»؛ وعداد أشياء؛ فانكرها عليه الحاجب، وقال: «هذا لا يُعرف؛ والمعروف دفعي عن بيناك القطع، وشفاعتي فيها الى الماضي (رحمه الله) حين استخونك في مال كذا!» فأصر ابن جابر على الجحد؛ فقال جعفر: «أشهد الله من له علم بما ذكرت أن يتكلم!» فقال الوزير ابن عباس: «قد كان بعض ما ذكرته؛ وغير هذا أولى بك، يا أبا الحسن!» فقال: «أحرجني الرجل، فقلت.» ثم أقبل الوزير محمد بن جهور على محمد بن جابر، فقال له: «أوما علمت أنه من كان في حخط السلطان، تحامى السلام على أوليائه لأنهم إن ردوا عليه، أسخطوا السلطان لتأمينهم من أخافه؛ وإن تركوا الرد، أسخطوا الله، وتركوا ما أمر به؟ فكان الإمساك أولى! ومثل هذا لا يخفى على أبي الحسن.» فنجل ابن جابر وأسفر وجه جعفر وتهلل. ثم أخذ القوم في مناظرته على المال؛ فقال: «قد والله استنفدت ما عندي من الطارف والتايد، ولا مطمع في في درهم، ولو قطعت إربا إربا!» فصرفت إلى محسه في مطبق الزهراء؛ فكان آخر العهد به. وله، وقد أودعه المنصور المطبق، والشجون تُسرع اليه ونسب، معزياً لنفسه، ومجتزياً في يومه بإسعاد أمسه؛ فقال [متقارب]:

P. ٢٨٨

أجاري الزمان على حاله	مجاراة نفسي لأنفاسها
إذا نفس صاعد شفهها	توارت به بين جلاسيها
وإن عكفت نكبة للزمان	عكفت بصدري على رأسيها

ومن بديع ما حفظ له في نكته، قوله (رحمه الله) يستريح من كربته [طويل]:

صَبَرْتُ عَلَى الْأَيَّامِ لَمَّا تَوَلَّيْتُ
فَبِمَا عَجِبًا لِلْقَلْبِ كَيْفَ اصْطَبَارُهُ
وَمَا النَّفْسُ إِلَّا حَيْثُ يَجْعَلُهَا الْفَتَى
وَكَانَتْ عَلَى الْأَيَّامِ نَفْسِي عَزِيزَةً
وَقُلْتُ لَهَا يَا نَفْسِ مُوتِي كَرِيمَةً
وَأَلْزَمْتُ نَفْسِي صَبْرَهَا فَاسْتَمَرَّتْ
وَالنَّفْسُ بَعْدَ الْعِزِّ كَيْفَ اسْتَدَلَّتْ
فَإِنَّ طَبِيعَتُ تَأَقَّتْ وَإِلَّا تَسَلَّتْ
فَلَمَّا رَأَتْ صَبْرِي عَلَى الذُّلِّ ذَلَّتْ
فَقَدْ كَانَتْ الدُّنْيَا لَنَا نِمْ وَأَلَّتْ

وكان من هلاكه في محبسه هذا على يقين؛ وذلك أنه لما أمر به إلى المطبق، ودع أهله وولده ووداع الفرقة، وقال: «هذا وقت إجابة الدعوة! وأنا أرتقبه منذ أربعين سنة!» فسئل عما ذكره؛ فقال: «رفع على فلان أيام الناصر وسعى به إليه؛ فأشرفت على أعماله؛ فآل أمره إلى ضربه وتغيير نعمته وإطالة حبسه. فبينما أنا نائم ذات ليلة، إذ أتاني آت؛ فقال لي: «أطلق فلاناً؛ فقد أجيبت دعوتك فيك؛ ولهذا أمرت أنت لا بد لأبيه!» فانتبهت مذعوراً، وأحضرت الرجل، وسألته إحلالي؛ فامتنع علي؛ فاستحلفتني على إعلامي بما خصني به من الدعاء؛ فقال: «نعم! دعوت الله أن يبيتك في أضيق السجون كما أعمرتني به حقيقة.» فعلمت أنه قد وحيب دعوتك، وندمت حيث لا ينفع الندم. وأطلقت الرجل؛ ولم أزل أرتقب ذلك في السجن.» فالتك في السجن إلا أياماً، وأخرج مبيتاً، وأسلم إلى أهله. فقيل: قتل خنفاً في البيت المعروف ببيت البراغيت في المطبق؛ وقيل: دس إليه شرنة مسبوقة.

قال محمد بن إسماعيل، كاتب المنصور: «سرت مع محمد بن مسلمة إلى الزهراء لنسليم جسد جعفر إلى أهله وولده، والحضور على إنزاله في ملحق؛ فنظرت إليه ولا أثر فيه، وليس عليه شيء؛ بواربه غير كساء خنق لبعض البوائين، ستره به. فدعا له محمد بن مسلمة بغاسل؛ فغسله (والله!) على قرد باب افتتاح من ناحية الدار، وأنا أعتبر من تصرف الأقدار؛ وخرجنا نغشه إلى قبره، وما معنا إلا إمام المسجد المستدعي للصلاة؛ وما تجاسر أحد على النظر إليه.» ثم قال: «وإن لي في شأنه أخباراً ما سمع بمثله طالب وعظي، ولا وقع في مسمع

ولا تصوّر للحظي؛ وفتت له في طريقه، أيام نهيته وأمره، أروم أن أناوله قصة كانت به مختصة؛ فوالله ما تمكنت من الدنو منه بحيلة، لكثافة موكبه، وكثرة من حفت به؛ وأخذ الناس السكك عليه وأفواه الطرُق، ينظرون إليه ويسلمون عليه، حتى ناولت قصتي بعض كتابه الذين نصّبهم جناحي موكبه لأخذ القصص؛ فانصرفت، وفي نفسي ما فيها من الشرق بحاله والغصص؛ فلم تطل المدّة حتى غضب عليه المنصور، واعتقله، ونقله معه في الغزوات ذليلاً وحمله. وأتفق أن نزلت بجليقية في بعض المنازل إلى جانب خبائه في ليلة نهي فيها المنصور عن وقد النيران ليخفي على العدو أثره، ولا ينكشف له خبره؛ فرأيت - والله! - ابنه عثمان يسفه دقيفاً قد خلطه بماه يُقيم به أوده، ويسك به رمة بضعف حال، وعدم زاد ومال، وسعته يقول [طويل]:

P. ٢٩. تأملت صرف الحادثات فلم أزل أراها توافي عند مقصديها الحرأ
 * فليله أيام مضت لسيلها فإني لا أنسى لها أبداً ذكراً
 تجافت بها عنا الحوادث برهة وأبدت لنا منها الطلاقة والبشراً
 ليالي لم يدر الزمان مكاننا ولا نظرت منا حوائثه الشرراً
 وما هذه الأيام إلا سحائب: على كل أرض تطر الخير والشرأ

وكان مما أُعِين به ابن أبي عامر على جعفر بن عثمان المصحفي مبل حلية¹⁾ الوزراء اليه وإيثارهم له عليه، وسعيم في ترقيه، وأخذهم بالعصية فيه؛ فإنهم، وإن لم تكن لهم حبة أعرابية، فقد كانت سلفية سلطانية، يفتنى القوم فيها آثار سلفهم، ويمنعون بها ابتدال شرفهم؛ غادروها سيرة، وخلفوها عادة أثيرة، تشاخ الخلف فيها تشاخ أهل الديانة، وصانوا بها مراتبهم أعظم صيانة؛ وراوا أن أحداً من التوابع لا يدرك فيها غاية، ولا يلحق لها راية. فلما أحظى المستنصر بالله جعفر بن عثمان واصطنعه، ووضعه من أثرته حيث وضعه، حسدوه وذمّوه، وخصوه بالمطالبة وعموه. وكان أسرع هذه الطائفة إلى مهاودة المنصور عليه، والانحراف

1) Manque dans A.

عنه إليه، آل أبي عبدة وآل شهيد، وآل جهور، وآل فطيس؛ وكانوا في الوقت أزمة الملك وقوام الخدمة، ومصايح الأمة؛ فأحظوا محمد بن أبي عامر مشايعة، ولأسباب المصحفي منازعة، وشادوا بناءه، وقادوا إلى عنصره سناؤه، حتى بلغ الأمل، والتحف بنهائه واشتمل. وعند القيام هذه الأمور لابن أبي عامر، استكان جعفر بن عثمان المعاذنة، وأبقن بالنكبة، وزوال المرتبة، وكفت عن اعتراض محمد وشركته في التدبير، وانقبض الناس عن الرواح إليه والتبكير. واثالوا على ابن أبي عامر؛ فحفت موكبه. وغار من سماء العزة كوكبه، ونوال عليه سعي ابن أبي عامر وطلبه حتى محاد، وهتك ظلالة وأضماه. ومن قوله [كامل]:

لا نأمنن من الزمان سفلباً إن الزمان بأهله ينقلب
ولقد أراني والليوث نهاني وأخافني من بعد ذاك الثعلب
حسب الكريم مهانة ومدلّة ألا يزال إلى لثيم يطلب

وكان قوله هذه الأبيات لما سبق إلى مجلس الوزارة للمحاسنة، وواثق الضابط بزوجه وسنحته. وهو يقول له: «رفقاً بي، يا واثق، فستدرك ما نخبه ونشته، وبرى ما كنت برنجيه!» (1) وقد تقدم ذلك (1).

استبداد ابن أبي عامر بالملك وتغلبه عليه

لما قتل ابن أبي عامر جعفر بن عثمان، انفرد بشأنه، ورى الغرض الأبعد من ضبط السلطان والحجر عليه والاستبداد بالمملكة وأمور الدولة؛ جرى في ذلك مجرى المنغليين على سلطان بني العباس بالمشرق من أمراء الديلم، حتى أورت ذلك عقبه. فأخذ ابن أبي عامر في تغيير سير الخلفاء المرؤانية في استجرار

1—1) Manque dans B.

الأمر لنفسه وسببك الدولة على قلبه؛ فأداه ذلك الى مُضَادَّة (١) ما كانوا عليه؛ فعوضَ باللين غلظةً، وبالسكون حركةً، وبالإنابة بطشةً، بالمُؤادعة مُحَارَبَةً؛ فجعل أهلُ الرأى من مصادرِ أموره ومواردها يقصون بخروجها عن حدِّ الصواب وقانون (١) التدبير لها؛ وربّما فأوضَ جلتهم الرأى؛ فيشرون عليه من الوجه الذى عرفوه، والقانون الذى حيدوه؛ فيعدل عن ذلك الى المذهب الذى شرعه، والطريق الذى نهجه، والخطر الذى لا يجهل اقتحامه؛ فيبهتُ القومَ من حُسن ما يقع له.

قال الفتح بن خاقان «فردّ نأبه على من تقدّمه، وصرّفه واستخدمه؛ فإنه ٢٩٢. كان أمضاهم سناناً، وأذكاهم جناناً، وأتسهم جلالاً، وأعظمهم استقلالاً. قال أمره الى ما آل، وأوهم العقول بذلك المال؛ فإنه كان آية الله فى اتفاق سعديه، وقربيه من الملك بعد بعديه؛ بهر برفعة القدر، واستظهر بالإنابة وسعة الصدر، وتحرك فلاح نجم الهدو، وتملك فما خلق بأرضه لواء عدو، بعد خمول كابد منه غصصاً وشرقاً، وتعذر ما مول طارد فيه سهراً وأرقاً، حتى أنجز له الموعود، وفرّ نَحْسُهُ أمام تلك السعود. فقام بتدبير الخلافة، وأقعد من كان له فيها أنافة؛ وساس الأمور أحسن سياسة، وداس الخطوب بأخشن دياسة؛ فانظمت له الممالك، وأنضحت به المسالك؛ وانتشر الأمن فى كل طريق، واستشعر اليمن كل فريق. وملك الأندلس بضعاً وعشرين حجة، لم تدخض لسعادتها حجة، ولم تزخر لمكروه بها لجة؛ لبست فيها البهاء والإشراق، وتنفست عن مثل أنفاس العراق. وكانت أيامه أحمد أيام، وسهام بأسه أسد سهام. غزا شاتياً وصائفاً، ومضى فيما يروم زاجراً وطائفاً؛ فأوغل فى تلك الشعاب، وتغلغل حتى راع لبث الغاب، ومشى تحت ألويته صيد الفئائل، واستجرت فى ظلّها بيض الظبي وسمر الدوابل؛ وهو يفتضى الأرواح بغير سوم، * وينتضى الصفاح ٢٩٢. P.

1-1) Le ms. B. permet de rétablir ce passage qui, par suite d'une déchirure, est lacunaire dans A.

على كل روم، ويتلف من لا ينساق للخلافة وينقاد، ويختطف منهم كل كوكب وقاد، حتى استبدَّ وانورد. وأيس إلبه من الطاعة ما نفر وشرد. وانتظمت له الأندلس بالعدوة. واجتمعت له اجتماع قرش في دار الندوة؛ ومع هذا، فلم يخلع اسم الحجابية. ولم يدع السمع الخليفة والإجابة، ظاهر بخالنه الباطن، واسم سافره مواقع الحكم والمواطن. وأذل قائل الأندلس بإجازة البربر، وأخمل بهم أولئك الأعلام الأكابر؛ فإنه قاومهم بأضدادهم، واستكثر من أعدادهم، حتى تغلبوا على الجمهور، وسلبوا منهم الظهور، ووثبوا عليهم الوثوب المشهور، الذي أعاد أكثر الأندلس فقراً يباباً، وملاًها وحشاً وذئاباً، وأعراها من الأمان، برهة من الزمان. وعلى هذه الهيئة، فهو وابنه المظفر كانا آخر سعد الأندلس، وحد السرور بها والتأنس. وغزواته فيها شائعة الإثر، رائعة كالسيف ذي الأثر، وحسبه وإفر، ونسبه معارف. ولذا قال ينخر [طويل]:

رَمَيْتُ بِنَفْسِي هَوْلَ كُلِّ كَرِيهَةٍ ^١	وَحَاظَرْتُ وَالْحُرَّ الْكَرِيمُ مُخَاطِرُ
وَمَا صَارِحِي إِلَّا جَنَانٌ مُشْبِعٌ	وَأَسْهَرُ خَطِيٍّ وَأَبْيَضُ بَارِسُ
وَإِنِّي لَزَجَّاهُ الْجَبُوشِ إِلَى الْوَعْيِ	أَسْوَدٌ نُلَاقِيهَا أَسْوَدٌ خَوَادِرُ
لَسُدْتُ بِنَفْسِي أَهْلَ كُلِّ سِيَادَةٍ	وَكَاثَرْتُ حَتَّى لَمْ أَجِدْ مَنْ أَكَاثِرُ
وَمَا شَدْتُ بُنْيَانًا وَلَا كُنَّ زِيَادَةٍ	عَلَى مَا بَنَى عَبْدُ الْمَلِكِ ^٢ وَعَاوِرُ
رَفَعْنَا الْمَعَالِي بِالْعَوَالِي حَدِيثَةً	وَأَوْرَثْنَاهَا فِي الْفَدِيمِ مَعَاوِرُ

P. ٢٦٤ * وكانت أمه تميمية؛ فحاز الشرف من طرفيه؛ والتحف بطرفيه. قال الفسطلي [طويل]:

تَلَاقَتْ عَلَيْهِ مِنْ تَمِيمٍ وَيَعْرَبٍ	شُبُوسٌ تَلَالَا فِي الْعَالِي وَبُدُورُ
مِنَ الْحَمِيرِيِّينَ الَّذِينَ أَكْفُهُمُ	سَحَابٌ تَهَيَّ بِالسَّنْدَى وَبُجُورُ

وتصرف قبل ولايته في شتى الولايات، وجاء من التحدث بمنتهى أمره

1) كريمة. A. 2) عبد العزيز. A. et B.

بايات، حتى صَحَّ زَجْرُهُ، وجاء بصبغه فَجْرُهُ، تَوَثَّرَ عنه في ذلك أخبار، فيها عَجَبٌ واعتبار. وكان أديباً مُحْسِناً. وعالماً مُتَفَنِّئاً. فمن ذلك قوله، يَبْنِي نفسه بِمَلِكِ مِصْرَ وَالْحِجَازِ، وَيَسْتَدْعِي صُدُورَ تِلْكَ الْأَعْجَارِ [خفيف]:

مَنَعَ الْعَيْنَ أَنْ تَذُوقَ الْمَنَامَا حُبُّهَا أَنْ تَرَى الصَّغَا وَالْمَقَامَا
لِي دُونَ الشَّرْقِ عِنْدَ أَنَاسِي قَدْ أَحَلُّوا بِالْمَشْعَرَيْنِ الْحَرَامَا
إِنْ قَضَوْهَا نَالُوا الْأَمَانِي وَإِلَّا جَعَلُوا دُونَهَا رِقَابَا وَهَامَا
عَنْ قَرِيبٍ تَرَى خِيُولَ هِشَامِ يَسْلُغُ النَّيْلَ خَطُومَهَا ١) وَالشَامَا

وفي سنة ٢٦٨، أمر المنصور بن أبي عامر ببناء قصره المعروف بالزاهرة، وذلك عند ما استفحل أمره، وأتقد جمعه، وظهر استبداده، وكثر حساده، وخاف على نفسه في الدخول إلى قصر السلطان، وخشى أن يقع في أشطان. فتوثق لنفسه، وكشف له ما ستر عنه في أمسه، من الاعتزاز عليه؛ ورفع الاستناد إليه؛ وسما إلى ما سمعت إليه الملوك من اختراع قصر ينزل فيه، ويحمله بأهله وذويه، ويضم إليه رياسته، ويتم به تديره وسياسته، ويجمع فيه فتياه وغلمانه. فارتاد موضع مدينته المعروفة بالزاهرة، الموصوفة بالقصور الباهرة. * وأقامها بطرف البلد على نهر قرظبة الأعظم، ونسق فيها كل اقتدار معجز ٢٩٥. ونظم. وشرع في بنائها في هذه السنة المؤرخة، وحشد إليها الصناعات والفعلة، وجلب إليها الآلات الجليلة، وسرّب لها بهاء يرد العيون كليله؛ وتوسع في اختطاطها، وتولع بانتشارها في البسيطة وانبساطها، وبالغ في رفع أسوارها، وثابر على تسوية أنجادهما وأشوارها. فأتسعت هذه المدينة في المدّة القريبة، وصار من الأنباء الغربية. وبني معظمها في عامين.

وفي سنة ٢٧٠، انتقل المنصور بن أبي عامر إليها، ونزلها بخاصته وعامته؛ فتوّاها وشحنها بجميع أسلحته، وأمواله وأمنعته، وأخذ فيها الدواوين والأعمال،

١) وطمومها B.

وعمل داخلها الأفراء، وأطلق بساحتها الأزحام. ثم أقطع ما حولها لوزرائه
وكُتَّابِه، وقُوَّاده وحُجَّابِه؛ فافتنوا بأكافها كبار الدور، وجلبلات القصور،
وأتخذوا خلالها المستغلات البفيدة، والمنازة المشيدة. وقامت بها الأسواق،
وكثر فيها الأرفاق؛ وتنافس الناس في النزول بأكافها، والحلول بأطرافها،
للدنو من صاحب الدوله، وتناهي الغلو في البناء حوله، حتى اتصلت أرباضها
بأرباض قرطبة، وكثرت بحوزتها العارة، واستقرت في مجبوحتها الإمارة. وأفرد
الخليفة من كل شيء إلا من الإسم الخلفي، وصبر ذلك هو الرسم العارفي. ورتب
فيها جلوس وزرائه، ورووس أمرائه، وندب إليها كل ذي خطة بحطته. ونصب
على بابها كرسي شُرطته، وأجاس عليه والياً على رسم كرسي الخليفة، وفي صفة
نلك الرتبة الميعة. وندب الى الأقطار بالأندلس والعِدوة بأن تُحمل الى مدينته
نلك أموال الحبايات، ونقصدها أصحاب الولايات، ويتابها طلاب الحوائج،
وحذر أن يعوج عنها الى باب الخليفة عائج. فاقضيت لديها اللبانات والأوطار،
وانحشد الناس اليها من جميع الأقطار. وثم لمحمد بن أبي عامر ما أراد، وانتظم
بليّة أمانيه المراد؛ وعطل قصر الخليفة من جميعه، وصيره بمنزل من سامعه
ومطبعه، وسد باب قصره عليه، وجدّ في خبر ألا يصل إليه، وجعل فيه ثقة
من صناعه يضبط القصر، ويبسط فيه النهي والأمر، ويشرف منه على كل داخل،
ويمنع ما يجدره من الدواخل؛ ورتب عليه الحراس والبوابين، والسماز والمتابين،
بلازمون حراسة من فيه ليلاً ونهاراً، ويراقبون حركاتهم سرّاً وجهاراً؛ وقد حجر
على الخليفة كل تدبير، ومنعه من تملك قبيل أو دبير. وأقام الخليفة هشام مهجور
الفناء، محجور الغناء، خفي الذكر، عليل الفكر، مسدود الباب، محبوب الشخص
عن الأحباب، لا يراه خاص ولا عام، ولا يخاف له بأس ولا يرجي منه إنعام،
ولا يُعهد منه إلا الإسم السلطاني في السكّة والدعوة، وقد نسخه ولبس أهته،
وطس بهجته. وأغنى الناس عنه، وأزال أطاعهم منه، وصبرم لا يعرفونه،
وأمرم أنهم لا يذكرونه.

واشند ملك محمد بن أبي عامر منذ نزل قصر الزاهرة، وتوسع مع الأيام في تشييد أبينتها، حتى كملت أحسن كمال، وجاءت في نهاية الجمال، نقاوة بناء، وسعة فناء، واعتدال هواء رقيق أديبه، (1) وصفالة جوارع نسيهه (1)، ونضرة بستان، وبهجة للنفوس فيها افتتان. وفيها يقول صاعد اللغوي [بسيط]:

يا أيها الملك المنصور من بين
بغزوة في قلوب الشرك راتعة
أما ترى العين تجرى فوق مرمرها
أجريتها فطما الزاهي بجزيتها
نخال فيه جنود الماء رافلة
تحفها من فنون الأيك زاهرة
بدية الملك ما ينفك ناظرها
لا يحسن الدهر أن ينشئ لها مثلاً

والبنتى نسيه غير الذي انسابا
بين المنايا ناعى السمر والفضا
زهوا فتجري على أحسابها الطربا
كما طموت فسدت العجم والعربا
مستلهمات تريك الدرغ واللبا
قد أورقت فضة إذ أثمرت ذهبا
يتلوا على السمع منها آية عجا
وأسرعت فيها نفسه طلبا

ودخل عليه عمرو بن أبي الحباب في بعض قصوره من المنية المعروفة بالعامرية، والروض قد تنفتحت أنواره، وتوشحت بجاده وأغوارده، وتصرف فيها الدهر متواضعا، ووقف بها السعد خاضعا؛ فقال [بسيط]:

لا يوم كاليوم في أيامك الأول
هواؤها في جميع الدهر معتدل
ما إن يبالي الذي يحتل ساحتها
بالسعد الأتحل الشمس بالحمل

بالعامرية ذات الماء (1) والظلل
طيباً وإن حل فصل غير معتدل

وما زالت هذه المدينة رائقة، والسعود بلتها متناسفة، تراوحها الفتوح ونغاديبها، ونجلب إليها منكسرة أعاديبها، لا ترحف منها راية إلا إلى فتح، ولا يصدر عنها تدير إلا إلى نجح، إلى أن حان يومها العصيب، وقبض لها من المكروه أوفر نصيب. فتولت فقيدة، وخلت من بهجتها كل عقيدة.

الظلل. B. 2) وصفاله جوارع نسيهه. B. 1-1)

وأشاع ابن أبي عامر أنّ السلطان فوّض إليه النظر في أمر الملك، وتخلّى
 P. ٢٧٨ له عنه لعبادة ربه. وأثبت ذلك في الرعية حتى اطمانوا اليه، مع قوّة ضبطه
 وسُرعة بطشه. فانتظم له ذلك كله وأكثر منه، بعد أن حصّن قصر الخليفة في
 هذا الوقت بالسور الذي أدار حوله، وعمل الخندق المطيف به من جانيه،
 والأبواب الوثيقة بالأحراس والسُّمّار الذين وضعهم بأنفابه. ومنع الخليفة من
 الظهور، ووكل بأبوابه من يمنع وصول خبر اليه أو أمرٍ من الأمور إلا عن إذنه؛
 وإن عُثِرَ على أحد من الناس في تجاوز هذا الحدِّ، عاجَّه ونكَّل به. والأخبار
 عنه في هذا المعنى واسعة جداً، غير أنّ الاختصار في ذلك أنّ ابن أبي عامر
 بلغ من ذلك مبلغاً لم يبلغه قطُّ مُتغلبٍ على خليفة، لأنّه احتوى على الملك كله،
 وصير الخليفة قبضةً في يده، حتى أنّه لم يكن يُنفذ له أمرٌ في داره ولا حرّمه إلا
 عن إذنه وعلمه. وجعل متولّي قصره من قبله من يثقُ به، وصبره عيناً على
 السلطان، لا يخفى عليه شيء من حركاته وأخباره.

ولما ترقى ابن أبي عامر الى هذا القدر، عمل في مكروه الفائد الكبير غالب
 الناصري صهره، والتوسطه لأسباب هدمه. فرأى أن يبني عليه ضدّاً له من
 أصحاب السيوف والحراية المشهورين، لأنّ غالباً كان يستطيل على ابن أبي عامر
 بأسباب الفروسية، ويأبى به (بمعاني الشجاعة، ويعلموه من هذه الجهة التي لم يتفهم
 لابن أبي عامر بها معرفة. فلم يجد لذلك مثل جعفر بن علي بن حمدون
 المعروف بابن الأندلسي شدة بأس، وربط جاش، ونباهة ذكر، وجلالة قدر.
 فجاء في استجلابه، وهو مُقيم بالعدوة. وآل علي من أطاع الخليفة هشاماً من
 زناتة، فبعث ابن أبي عامر اليه، وتواترت كتبه إليه، فأسلم العمل الى أخيه
 P. ٢٧٩ يحيى، وعبر الى الأندلس بجيشه؛ فنزل قصر العقاب، بعد أن أعد له ما يصلح
 فيه. فاستوزره أبي عامر؛ فعظم شأنه²⁾، وأحلّه محلّ الأخ في الثقة، وقدمه على
 الكفاة³⁾؛ فوجد عند ما أحبه. وفوق ما قدره؛ فاعتدل بالبرابرة أمره، وقوى

1) أ. وبقائه.

2) منابه، corrigé en مناه. أ.

3) الكفة. B.

ظَهْرُهُ؛ وكانت هذه القطعة من البربر نحو الستمائة. وما زال بعد ذلك يستدعيهم وينصن الإحسان إليهم، والتوسعة عليهم، إلى أن أسرعوا إلى الأندلس، وانثالوا على ابن أبي عامر، وما زالوا يتلاحفون، وفرسانهم يتوانرون، يحيى الرجل منهم بلباس الخلق على الأعجم، فيبدل له بلباس الخزر الطرازي وغيره، ويركب الجواد العتيق، ويسكن قصرًا لم يتصور له في منامه مثله، حتى صاروا أكثر أجناد الأندلس. ولم تنزل طائفة البربر خاصة ابن أبي عامر وبطانته، وهم أظهر الجند نعمة، وأعلام منزلة.

ولمّا علم غالب بإذناء جعفر، علم الغرض فيه؛ ففسد ما بينهما. ووقع بينهما معارك وقتن كان الظفر فيها لابن أبي عامر على غالب. ومات، وهو يقارنهُ مع النصارى؛ وكان قد استجلبهم إليه في خبر طويل. فوجد غالب مقتولاً في مجال الخيل، وابن أبي عامر كاد أن ينهزم له. فقبل إن قربوس سرجه قتله. وقيل غير ذلك. فكان ذلك أكبر سعد ابن أبي عامر؛ ولم يبق له بعد ذلك من يخاف منه.

ولمّا فرغ ابن أبي عامر من غالب، دبر الحيلة في حتف جعفر بن علي، الذي أقامه أكثر معين في أمر غالب؛ فواطأ على قتله أبا الأحوص معن بن عبد العزيز النجيبى فارس العرب، في طائفة من أصحابه الأندلسيين؛ فقتلوه غيلة؛ ثم قتل ابن أبي عامر بعد ذلك أبا الأحوص، وانفرد وحده.

وفي سنة ٢٧١، تسمى ابن أبي عامر بالمنصور، ودعى له على المنابر به، استيفاء لرسوم الملوك؛ فكانت الكتب تُنفذ عنه: من *الحاجب المنصور أبي عامر* محمد بن أبي عامر إلى فلان. وأخذ الوزراء بتفيل يد؛ ثم تابعهم على ذلك وجوه بنى أمية؛ فكان من يدخل عليه من الوزراء وغيرهم يقبلون يد، ويؤولونه عند كلامه ومخاطبته. فانقاد لذلك كبيرهم وصغيرهم؛ وإذا بدأ لأبصارهم طفل من ولد، قاموا إليه، فاستبقوا ليد تفيلاً، وعموا أطرافه أثنياً. فساوى محمد بن أبي عامر الخليفة في هذه المراتب، وشاركه في تلك المذاهب. ولم يجعل فرقاً بينه

وبينه إلا في الاسم وخذته في تصدير الكُتُب عنه، حتى تنامت حاله في الجلالة،
وبلغ غاية العز والقدرة.

قال حيان بن خلف: وقرأت في بعض الكُتُب أن محمد بن أبي عامر، لما
حجب هشاماً عن الناس واستبد بالأمير دونه، ظهرت فيهم بقُرْطُبَة أقوال مُعْرِضَة
أفسوا بينهم فيها ألياناً فاحشة. فن ذلك ما قيل على لسان هشام الخليفة في
شكواه لم [وافر]:

أَلَيْسَ مِنَ الْعَجَائِبِ أَنْ يَثْلِي يَرَى مَا قَلَّ مُنْبَعاً عَلَيْهِ
وَتُؤَلِّكُ¹⁾ بِأَسْمِهِ الدُّنْيَا جَمِيعاً وَمَا مِنْ ذَاكَ شَيْءٌ فِي يَدَيْهِ

ومما قيل في تقديم هشام، وهو صغير لم يبلغ الحلم، وفي قاضيه ابن
السَّيِّم [سريع]:

اقْتَرَبَ الْوَعْدُ وَحَانَ الْهَلَاكُ وَكُلُّ مَا نَكَرَهُ قَدْ آتَاكَ
خَلِيفَةٌ يَحْضُرُ²⁾ فِي مَكْتَبِ وَأُمُّهُ حَبْلِي وَقَاضِي بِنَاكَ

يريد بذلك شَغَفَ أُمِّ هِشَامِ بَابِنِ أَبِي عَامِرٍ، لِأَنَّهَا كَانَتْ تَتَّهَمُ بِهِ، وَهِيَ
أَوْصَلَتْهُ إِلَى حَيْثُ وَصَلَ مِنَ الْحَالِ الَّتِي لَمْ يَتِمَكَّنْ لِأَحَدٍ قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ مِثْلَهَا؛
فَسَلَبَ هِشَاماً مَلِكَةً وَجُنْدَهُ وَمَالَهُ.

وفي سنة ٤٧٢، قُتِلَ جَعْفَرُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ حَمْدُونَ الْمَعْرُوفُ بَابِنِ الْأَنْدَلُسِيِّ؛
وَذَلِكَ أَنَّ الْمَنْصُورَ عَزَمَ - بِرِزْعِهِ - عَلَى إِكْرَامِ جَعْفَرِ الْمَذْكُورِ لَيْلَةَ الْأَحَدِ اثْنَلَاثِ
P. ٢٠١ * خَلُونَ مِنْ شَعْبَانَ مِنْ السَّنَةِ، مَكْرَماً مِنْهُ، وَحَيَاةً لِقْتَلِهِ؛ فَانْتَخِبَهُ سَاقِي الْمَجْلِسِ
بِكَأْسٍ؛ فَقَالَ لَهُ ابْنُ أَبِي عَامِرٍ: «اسْقِهَا أَعَزَّ النَّاسِ عَلَيَّ». فَأَمْسَكَ السَّاقِي حَيْرَةً
لِكَثْرَةِ مَنْ ضَمَّ الْمَجْلِسَ مِنَ الْعَلِيَّةِ؛ فَزَجَرَهُ ابْنُ أَبِي عَامِرٍ وَقَالَ: «نَاوِلْهَا الْوَزِيرَ
أَبَا أَحْمَدَ! عَلَيْكَ لَعْنَةُ اللَّهِ!» فَقَامَ جَعْفَرٌ؛ فَتَنَاوَلَهَا عَلَى قَدَمِهِ، وَاسْتَخَفَّه الطَّرَبُ
حَتَّى قَامَ يَرْقُصُ؛ فَلَمْ يَبْقَ أَحَدٌ بِالْمَجْلِسِ إِلَّا فَعَلَ كِفْعَلَهُ، وَأُمِيلَتْ إِلَيْهِ الْكُؤُوسُ

1) B. وتوكل. 2) يلعب. A.

حتى ثقل وانصرف في جوف الليل مع بعض غلمانه؛ فخرج اليه معن وأصحابه؛ فلم يكن فيه امتناع لهما كان عليه من السكر؛ فأخذته السيوف حتى برد، وحز رأسه ويده اليمنى، وحملوا الى ابن أبي عامر سرًا. فأظهر ابن أبي عامر الحزن عليه.

وفي سنة ٢٧٥، جهز المنصور جيشاً كثيفاً، وبعثه الى العدو؛ فحاصر حسن ابن قنون الشريف المحسني. وكان حاول الخروج من الدعوة المروانية؛ واجتمع اليه خلق من أهل الغرب، وظهر أمره؛ فوصله الجيش العرمم^(١)؛ فلم يجد ملجأ إلا الاستسلام للأمان. فأمنه قائد الجيش، وحمله الى قرطبة مرقباً. فلم يرض ابن أبي عامر أمانه، وأمر بقتله ليلاً في الطريق بغياً وتعدياً، لأن أمان قائد أمانه؛ فقال من شاهد قتله أن هبت عليهم ريح عاصف في تلك الليلة التي قتل فيها غدرًا ذلك الشريف؛ صبتهم على وجوههم، وسلبتهم أثوابهم، واحتملت رداء حسن المقتول؛ فلم يجدوه، وأظلم عليهم الأفق حتى خافوا على أنفسهم. وفيها تفرق بنو إدريس في البلاد، وملك ابن أبي عامر الغرب، وأخرج منه من كان بقي به من الأدارسة. فقبل في ذلك [كامل]:

فِيمَا أَرَى عَجَبٌ لِمَنْ يَتَعَجَّبُ جَلْتُ مُصِيبَتَنَا وَضَاقَ الْمَذْهَبُ
إِنِّي لَا كَذِبُ مُفَلَّتِي فِيمَا أَرَى حَتَّى أَقُولَ غَلَطْتُ فِيمَا أَحْسَبُ
• أَيْكُونُ (٢) حَيًّا مِنْ أُمِّيَّةٍ وَاحِدٌ وَيَسُوسُ صَخَمَ الْمَلِكِ هَذَا الْأَخَذَبُ
تَمَشِي عَسَاكِرُهُمْ حَوَالِي هَوْدَجٍ أَعْوَادُهُ فِيبِهِنَ قِرْدٌ أَشْهَبُ
أَبْنِ أُمِّيَّةٍ أَبْنِ أَقْمَارِ الدُّجَى مِنْكُمْ وَمَا لَوْجُوهَا تَنْغَيْبُ

ثم قام بعد ذلك في الغرب على ابن أبي عامر زيري بن عطية المغراوي، ونكك طاعته بعد الحب الشديد والولاء الأكيد؛ وطعن على ابن أبي عامر تغلبه

1) Manque dans A, 2—2) Leçon fournie par la *Hulla* d'Ibn al-Abbar.

A et B.: من أبناء. Dans le ms. B, le second et le troisième vers sont intervertis.

على هشام وسلبه ملكه. فأنذ له ابن أبي عامر وإضحاً الفتى في جيش كثيف؛ فقاومه بالغرب؛ ودارت بينهم حروب عظيمة. ثم أردفه ابن أبي عامر بولده عبد الملك، وهبط ابن أبي عامر إلى الجزيرة الخضراء، يدمم بالقواد والأجناد. وسار عبد الملك بن أبي عامر من طنجة إلى زيري بن عطية؛ ودارت بينهم حرب، لم يسمع بثلاثها قط. ثم انهزم زيري ومن معه، ونجا مئخناً بالجراح. وملك ابن أبي عامر بلاد الغرب إلى سنة ٢٩٧.

«وكان أول من ملك سبته من بني أمية وملك منها الغرب» عبد الرحمن الناصر؛ «وسبب ذلك أنه» وجه إليها أسطولاً. فلما حلت بسبته، أعلن أهلها بدعونه، وبادروا إلى طاعته، يوم الجمعة صدر ربيع الأول من سنة ٢١٩. ثم تابعت البلاد بالطاعة؛ ثم تكاثر ورود وفودها عليه وعلى الحكم ابنه؛ ثم التائت طاعتها على ابن أبي عامر؛ فوجه وإضحاً فتاه؛ فسكن في جبل أبي حبيب عاماً في الأخبية؛ ثم وجه بابنه عبد الملك إليها؛ فالتقى بزيري وهزمه، وغدره ابن عمه الخير بن مقاتل؛ فطعنه برمح في قفاه وهرب. ومات بعد ذلك زيري من الجرح بعد ما لقي جموع صنهاجة، أصحاب إفريقية، وهزمهم.

وانصرف عبد الملك بعد ما استقامت له الطاعة بالغرب؛ فوجد أباه في غزاه بلاد البشركنة منصرفاً عنها. والتقى به بسرقسطة؛ وهي التي تسمى بغزاة P. ٢٠٥ - البيضاء. سنة ٢٧٩.

وفي سنة ٢٧٩. قتل المنصور بن أبي عامر عبد الرحمن بن مطرف صاحب سرقسطة والثغر الأعلى؛ وسبب ذلك أنه. لما فكر عبد الرحمن في شأن من أنقله ابن أبي عامر من كبار رجال الدولة، علم أنه لم يبق غيره، وخشى أن تلحقه بالجماعة. فسؤل له القدر المتاح التدبير على محمد؛ وقرب عليه مأخذه ولده عبد الله بن المنصور.

1-1) A-A. وكان سبب ذلك بني أمية مغرب العدو أن. 2-2) Manque dans A.

ذكر تدبير عبد الرحمن بن مُطَرِّف مع عبد الله بن المنصور في القيام عليه

وذلك أنَّ عبد الله بن محمد بن أبي عامر كان مقيماً بسرقسطة عند عبد الرحمن، متغيِّراً النفس على أبيه لإحباطه عبد الملك أخيه. وكان عبد الله يرى أنَّه أشجع وأفهم وأرجل وأفرس من أخيه عبد الملك، وأنَّ أباه عين الظالم له في النسوية بعبد الملك؛ فكيف في تقديمه عليه. فكان في قلبه على أبيه سعيُّ نار، أذكاها عبد الرحمن بن مُطَرِّف وأضرمها. فتَوَطَّأ على الوثوب بالمنصور في أوَّل فُرصة، على أن يفعا بملك الأندلس: فالحضرة لعبد الله، والثغر لعبد الرحمن. وشرعاً في إحكام سبيل ذلك والناس وجهه؛ وساعدتها عليه جماعة من وجوه أهل قرطبة من الجند والمخدِّمة وغيرهم، فيهم الوزير عبد الله بن عبد العزيز المرواني صاحب طليطلة. فانبثت أراجيف شبيعة تحقِّق المنصور صحتها، ولم يشكَّ فيها؛ فاستدعى ابنه عبد الله من سرقسطة، واستأنف له كثيراً من التقديم والمبرة، خديعة ومغالطة؛ وصرف المرواني عن طليطلة صرفاً جميلاً؛ ثمَّ صرفه عن الوزارة بعد مديدة، وألزمه داره. ثمَّ خرج ابن أبي عامر غازياً إلى قشتيلة؛ فتوافقت إليه أمداد الثغور، فيهم عبد الرحمن بن مُطَرِّف ورجال سرقسطة؛ فلما صاروا بوادي الحجارة، أطبق أهل الثغور على الشكوى بعبد الرحمن، بدريسة من ابن أبي عامر لم في ذلك، * حيلة منه؛ وذكروا أنه يجتسب أرزاقهم، P. ٣٠٤ ويعتجن لنفسه. فصرفه المنصور عن سرقسطة منسلخ صفر من سنة ٧٩ المذكورة، وقلدها مكانه (1) ابن أخيه عبد الرحمن بن يحيى (2) الملقب بسماجة، إطاءً لقومه التُّجيبين في المحافظة. ولبت عبد الرحمن في العسكر متردداً إلى أن قبض عليه يوم الثلاثاء لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول. وسخط عليه المنصور، وأمر بحسابه؛ ثمَّ قتل بعد ذلك بالزاهرة بين يدي المنصور.

ابن عبد الرحمن يحيى A. (1-1)

واستدعى المنصورُ ابنه عبد الله الى عسكره خوفَ أن يُحدِثَ حَدَنًا بآفته؛ فوافى العسكرَ فرفق به أبوه، وأمل استصلاحه، وقد نبأ ذلك عليه لسقم سربرته وشدةِ حقدِهِ. ونازل المنصورُ أثناء ذلك مدينةَ شنتِ أَشْتِيينَ؛ فلما اشتغل المسلمون بالقتال، فرَّ عبد الله بن المنصور من العسكر في سنة نهر من غلماه؛ فلاحق بعدوَّ الله غَرَسِيَّةَ بن فرذانَد صاحب آلِبة؛ فقبله وأجاره على أبيه؛ فتحرك المنصور لغزو غَرَسِيَّةَ ومُطالِبته بإسلام ابنه إليه. وأقسم له أنه لا يفتح عنه حتى يُبيِّنَه من ولدك. وأصرَّ غَرَسِيَّةَ على الامتناع من ذلك؛ فهزم المنصورُ غَرَسِيَّةَ، وفضَّ جمعه، واشتقَّ بلد آلِبة، وافتتح حصنَ وَخْشِيَّةَ عموةً، أسكنه المسلمين؛ فصرع غَرَسِيَّةَ في مُسالمته على ما شاء من شروطه في عبد الله وغيره؛ فعقد له المنصورُ على ذلك؛ فوكلَّ غَرَسِيَّةَ بعبد الله جماعةً من العُلُوجِ؛ وحمل عبدُ الله وأصحابُه على البغال. وخرج سعدُ الخادِمِ يستقبل عبد الله؛ فدنا من سعد وهو على بَعْلِ فارِهِ. مُرْتَفِعِ الحَليَّةِ، عليه ثوبٌ وثني عَجِيب الصنعة، وهو مَطْلُوقٌ، قَوِيُّ الرِجاءِ في الإقالة. فقبلَ سعدُ يَدَهُ. وأأسه، وهونَ عليه المَخْطَبُ؛ ثم تخلف عنه بقرب الوادِي الجورِفِي. ووكلَّ به من قتلته؛ فحفتَّ به الموكِّنون وأعلموه بموته

ذكر مقتل عبد الله بن المنصور

ولما أعلموه بأن حلَّ به ما كان يجذره، أمروه بالنزول؛ فلم يمتنع لهم. وترجل، ومشى الى السيف مُنْطَلِقًا؛ فظهرت منه عند الموت صرامةٌ، عجب لها من شأهده؛ ونقدَّم إليه ابن خفيف الشُّرُضِيُّ؛ فضرب عنقه صبراً عند غروب الشمس من يوم الأربعاء لأربع عشرة ليلة خلت من جمادى الآخرة سنة ٢٨٠. وأخذ المنصور رأس ابنه الى الخليفة مع كتاب الفتح؛ ودُفِنَ جسده في الموضع الذي قُتِلَ فيه. وكان سنُّه يومَ قُتِلَ ثلاثاً وعشرين سنة، وذلك في غزوه الخامسة والأربعين. ثم إنَّ ابنَ أبي عامر استقلَّ سعدًا وابنَ خفيف، ولم يزل

حافداً عليهما، حتى قتلها بعد الامتناع. وأزداد ابنُ أبي عامر بما فعله بابنه هيبةً، ومِلَّتْ قلوبُ الناسِ منه ذعراً.

ومما حكى في أمر عبد الله المفتول، قال الوزير أبو عمر بن عبد العزيز: لما قتل المنصور ابنه، ارتاع الناس لذلك، وأوحشهم فعله؛ فتكلموا في ذلك كثيراً، ورجحوا فيه الظنون، ولم يتوجه لأحد فيه سبب يقضى بقتله. ثم تحرك المنصور إثر ذلك في بعض غزواته، فلما احتل بقلعة رباح؛ قال المخير: دُعِينَا إِلَى الطَّعَامِ؛ فَلَمَّا كُنَّا فِي وَسْطِ الطَّعَامِ، وَقَدْ اسْتَفَاضَ الْحَدِيثُ فِي عَبْدِ اللَّهِ الْمَفْتُولِ، فَقَالَ مِنْ حَضَرَ عَلَى لِسَانِ وَاحِدٍ: أَبَدَ اللَّهُ الْمَنْصُورَ! لَقَدْ صِرْتَ مِنْ قَتْلِهِ فِي غَايَةِ بَعْدِ الصَّبْرِ فِي مِثْلِهَا. فَمَا سَبَبَ ذَلِكَ؟» قَالَ: «لَا أَعْلَمُ لَهُ سَبَبًا إِلَّا أَنِّي لَمَّا عَرِضْتُ أُمَّهُ، عَلَّقْتُ بِهَا. وَتَمَكَّنَ مِنْ قَلْبِي حُبُّهَا تَمَكُّنًا لَمْ أَقْدِرْ أَنْ أَسْلُوَ عَنْهُ. فَاثْبَغْتُهَا، فَتَجَاوَزَ النَّهْيَةَ فِي ثَمَنِهَا، وَجَعَلْتُهَا عِنْدَ قَرْيَةٍ لِي. وَكُنْتُ أَكُلُ يَوْمَ خَضِرٍ ٢٠٦ عَلَيْهَا أَتَعْرِفُ اسْتِبْرَاءَهَا؛ فَلَمَّا أَحْسَسْتُ بِحُبِّي لَهَا، وَكَلَّفَنِي بِهَا. تَوَخَّتُ رِضَائِي. وَذَكَرْتُ لِي أَنَّهَا قَدْ اسْتَبْرَأَتْ، وَهِيَ كَاذِبَةٌ فِي ذَلِكَ، تَرِيدُ بِذَلِكَ مُوَافَقَةَ مَسَارِي وَأَسْتَعْجَالَ مُرَادِي؛ فَدَخَلْتُ بِهَا. وَهِيَ لَمْ تَسْتَبْرَأْ؛ فَكُنْتُ شَاكِكًا فِيهِ.» وَكَانَ مَوْلَهُ سَنَةَ ٢٥٨.

حكاية زطرزون البربري مع المنصور. - وجرت للمنصور غيب ذلك مع رجل من أعيان البربر اسمه زطرزون بن زرار البرزالي نادرة؛ وذلك أنه قال يوماً، وقد بسطه في بعض المجالس: «يا مولاي إيم قنلت عبد الله ابنك؟» ورصف شجاعته وخصاله؛ فقال له المنصور: «لا يسوك ذلك! فلو لم أفعل لقتلني. ما كان من ولدي! وبهذا اتهمت أمه وكانت أمة سوء. وقد قالوا إن الأرحام الرديئة تُفسد الذرية.» فقال الجاهل زطرزون: «كنا يا مولاي؟» «فحرام أمه وحرم أبيه 1»؛ فنجل المنصور وقال: «شقيناً بهذا الملعون في حياته وبعد موته!» وعلم ما كان عليه زطرزون من الجهالة؛ فأعرض 2 عنه. وصارت كلمته ماثورة في الناس مدة طويلة.

1- محرامه وحرام أبيه. B. 1-1

2- فتغافل. B.

وكان المنصور آية من آيات فاطرة دهاء ومكرًا وسياسة: عدا بالصاحفة على الصفارية حتى قتلهم وأذلهم؛ ثم عدا بغالب الناصري على الصاحفة حتى قتلهم وأبادهم؛ ثم عدا بجعفر بن الأندلسي على غالب حتى قتلته؛ ثم عدا بنفسه على جعفر وقتله؛ ثم انفرد بنفسه وصار يُنادى صُرُوفَ الدَّهْرِ: «هَلْ مِنْ مَبَارِزِهِ؟» فلما لم يجده، حمل الدهر على حكمه؛ فانقاد له وساعده؛ فاستقام أمره، منفردًا P. ٢٠٧ مملكة لا سَافَ له فيها. ومن أَوْضَحَ الدلائل على سَعْدِ أَنَّهُ لَمْ يُكَبِّ قَطُّ فِي حَرْبٍ شَهِدَهَا، وما توجَّهت قَطُّ عليه هزيمة، وما انصرف عن موطن إلا قاهرًا غالبًا، على كثرة ما زاول من الحروب، ومارس من الأعداء، وواجه من الأمم. وإنها لخاصة ما أحسبُ شرکه فيها أحدٌ من الملوك الإسلامية. ومن أعظم ما أُعِين به، مع قُوَّةِ سَعْدِهِ، وَتَمَكُّنِ جَدِّهِ، سَعَةُ جُودِهِ وَكثْرَةُ بَذَلِهِ؛ فقد كان في ذلك أُعْجُوبَةُ الزمان؛ وَأَوَّلُ ما أَتَكَأُ على أرائكِ المُلُوكِ وارتفق، وانتشر عليه لواء السعد وخنق؛ حطَّ صاحِبُهُ المُصْحَفِيُّ، وأثار له كَامِنَ حِفْدِهِ الخَفِيُّ، حتى أصاره للهِموم لَيْبِسا، وفي غيابات السجون حَيْسًا؛ فكتب إليه يستعطفه [بسيط]:

هَنِيَّ أَسَاتُ فَايِنَ العَفْوِ وَالكَرَمِ إِذْ قَادَنِي نَعْوِكَ الإذْعَانُ وَالنَّدَمُ
يا خَيْرَ مَنْ مَدَّتْ الأيْدِي إِليهِ أَمَّا تَرْتِي لِشَيْخِ نَعَاهُ عِنْدَكَ القَلَمُ
بَالغَتِ فِي السَّخَطِ فَاصْفَحْ صَفْحَ مُقَدِّرِ إِنَّ المُلُوكَ إِذَا ما اسْتُرْجِحُوا رَحِمُوا

فما زاده ذلك إلا حنفاً وحنفاً، ولا أفادته الأبيات إلا تضرماً ووقفاً. فراجعه بما أياسه، وأراه مَرَمَسَهُ، وأطبق عليه مَحْبَسَهُ، وضيق⁽¹⁾ تروحه من المحنة وتنفسه⁽²⁾:

الآن يَا جَاهِلًا زَلَّتْ بِكَ القَدَمُ تَبِغِي النُّكْرُمَ لِمَا فَاتَكَ الكَرَمُ
أَغْرَيْتَ⁽²⁾ بِي مَلِيضًا لَوْلَا تَشْبُتُهُ مَا جَاَزَ لِي عِنْدَهُ نَطَقٌ وَلَا كَلِمُ
فَايَأْسُ مِنَ العَيْشِ إِذْ قَدْ صِرْتَ فِي طَبَقِ إِنَّ المُلُوكَ إِذَا ما اسْتُنْفِئُوا نَقَبُوا
نَفْسِي إِذَا سَخَطْتَ لَبِستُ بِرَاضِيَةٍ وَلَوْ تَشَفَّعَ فِيكَ العَرَبُ وَالعَجَمُ

1-1) B. مَخْنَفُهُ وَمَتْنَفُهُ. 2) أ. غَرِيبٌ.

وكان من اخبار المنصور الداخلة في أبواب البرِّ والقربة، ببناء المسجد الجامع والزيادة فيه سنة ٢٧٧. وذلك أنه، لما زاد الناس * بقرطبة، وانجلب P. ٢٠١ إليها قبائل البربر من العدو وإفريقية، ونهاى حالها في الجلالة، ضاقت الأرباض وغيرها، وضاقت المسجد الجامع عن حمل الناس؛ فشرع المنصور في الزيادة بشرقيته حيث يتمكن الزيادة لا تتصل الجانب الغربي بقصر الخلافة. فبدأ ابن أبي عامر هذه الزيادة على بلاطات تمتد طويلاً من أول المسجد الى آخره؛ وقصد ابن أبي عامر في هذه الزيادة المبالغ في الإنفاق والوثاقه دون الترخفة. ولم يقصر مع هذا عن سائر الزيادات جودة ما عدا زيادة الحكم. أول ما عمله ابن أبي عامر تطيب نفوس أرباب الدور والمستغلات الذين اشترت منهم للهدم هذه الزيادة، بإنصافهم من الثمن أو بمعاوضة. وصنع في صحته الجب العظيم قدره، الواسع فناؤه. وابن أبي عامر رتب إحراق الشمع في المسجد الجامع زيادة للزيت؛ فنطابق بذلك الثوران. وكان عدد سوارى الجامع، الحاملة لسمائه واللاصقة بمبانيه وقبابه ومناره، ما بين كبيرة وصغيرة، ألف سارية وأربعمائة سارية وسبع عشرة سارية. وعدد ثريات الجامع، ما بين كبيرة وصغيرة، مائتان وثمانون ثرية؛ وعدد الكؤوس سبعة آلاف كأس وأربعمائة كأس وخمس وعشرون كأساً. وزنة مشاكي الرصاص للكؤوس عشرة أرباع أو نحوها؛ وزنة ما يحتاج إليه من الكنان للفتائل في كل شهر رمضان ثلاثة أرباع الفنتار؛ وجميع ما يحتاج إليه الجامع من الزيت في السنة خمسمائة ربيع أو نحوها، يصرف منه في رمضان خاصة نحو نصف العدد. ومما كان يختص بربضان المعظم ثلاثة قناطير من الشمع، وثلاثة أرباع الفنتار من الكنان المقصر¹⁾، لإقامة الشمع المذكور؛ والكبيرة من الشمع تُوقد بجانب الإمام يكون وزنها من خمسين إلى ستين رطلاً، P. ٢٠٩ يحترق * بعضها بطول الشهر، ويعم الحرق لجميعها ليلة الحنمة. وكان يخدم الجامع المذكور بقرطبة في دولة ابن أبي عامر وينصرف فيه من أئمة، ومقرئين،

1) المنظن A. 1)

وأمناء، وموذنين، وسدنة، وموقدين وغيرهم من المنصرفين مائة وتسعة وخمسون شخصاً. ويوقد من البخور ليلة الختمه أربع أواق من العنبر الأشهب وثنائي أواق من العود الرطب.

ومن ذلك: بيان قنطرة على نهر قرطبة الأعظم. ابتداء المنصور ببيانها سنة ٢٨٧، وفرغ منها في النصف من سنة ١٩٩؛ وانتهت النفقة عليها الى مائة ألف دينار وأربعين ألف دينار؛ فعظمت بها المنفعة، وصارت صدراً في مناقبه الجليلة. وكانت قطعة أرض لشيخ من العامة، ولم يكن للقنطرة عدول عنها؛ فأمر المنصور أمناءه بإرضائه فيها؛ فحضر الشيخ عندهم، وأخذ حذره منهم؛ فساوموه بالقطعة وعرفوه وجه الحاجة إليها، وأن المنصور لا يريد إلا إينصافه فيها. فرماه الشيخ بالفرض الأقصى عند (فيما ظنه^١) ألا يخرج عنه بأقل من عشرة دنانير ذهباً، كانت عند أقصى الأمانة، وشرطها صحاحاً. فاغتم الأمناء غنلته، ونقدوه الثمن، وأشهدوا عليه؛ ثم أخبروا المنصور بخبره؛ فضحك من جهالته، وأنف من غيبه، وأمر أن يعطى عشرة أمثال ما سأل، وتُدفع له صحاحاً كما قال. فقبض الشيخ مائة دينار ذهباً؛ فكاد أن يخرج عن عقله وأن يجن عند قبضها من الفرح؛ وجاء محتفلاً في شكر المنصور. وصارت قصته خبراً سائراً.

ومن ذلك أيضاً: بيان قنطرة على نهر إسبجة، وهو نهر شيبيل؛ فتجشم لها أعظم مؤنة. وسهل الطرُق الوعرة والشعاب الصعبة.

ومن ذلك: إنه خطَّ بيده مصحفاً كان بحمله معه في أسفاره، يدرس فيه P. ٢١٠ * ويتبرك به. ومن قوة رجائه، إنه اعتنى بجمع^٢ ما علق بوجهه من الغبار في غزواته ومواطن جهاده؛ فكان الخدم يأخذونه عنه بالمناديل في كل منزل من منازلهم، حتى اجتمع له منه صرة ضخمة عهد بتصويره في حنوطه عند موته؛ وكان بحمله حيث ما سار مع أكفانه، توقفاً لحلول منيته؛ وقد كان اتخذ الأكفان من أطيب مكسبه من الضبعة الموروثة عن أبيه، وغزل بنائه. وكان يسأل الله تعالى أن يتوفاه في طريق الجهاد؛ فكان كذلك.

1) Manque dans B. 2) A. et B. بجمع.

وكان المنصور منسباً بصحة باطنه، واعترافه بذنوبه، وخوفه من ربه، وكثرة جهاده. وإذا ذكر بالله ذكر، وإذا خوف من عقابه ازدرج. ولم ينزل منزلاً عن كل ما يفتن به الملوك سوى الخمر؛ ليكسده أفلح عنها قبل موته بستين. وكان عدل المنصور في الخاصة والعامة. وإطراحه المفاودة، وبسطه الحق على الأقرب فالأقرب من خاصته وحاشيته، أمراً مضروباً به المثل.

ومن عدله أنه وقف عليه رجل من العامة يوماً يجلسه؛ فناداه: «يا ناصر الحق! إن لي مظلمة عند ذلك الوصيف الذي على رأسك!» وأشار إلى النبي صاحب الدرقة، وكان له فضل محل عند ابن أبي عامر؛ ثم قال: «وقد دعوتني إلى الحاكم؛ فلم يأت!» فقال المنصور: «أوعيد الرحمن بن قطيس بهذه المظلمة من العجز والمهانة، وكنا نضنه أمضى من ذلك؛ اذكر مظلمتك، يا هذا!» فذكر الرجل معاملة كانت جارية بينهما قطعها من غير نصف؛ فقال المنصور: «ما أعظم بليتنا بهذه الحاشية!» ثم نظر إلى الصفياني، وهو قد ذهل عقله؛ فقال: «ادفع الدرقة إلى فلان، وانزل صاغراً، وسار خصمك في مقامه. إن حتى برفعك الحق أو يضعك!» ففعل، ومثّل بين يديه؛ ثم قال لصاحب شرطته الخاص به: «خذ بيد هذا الظالم الفاسق، وقدمه مع خصمه إلى صاحب المظالم لينفذ عليه حكمه بأغلظ ما بوجه الحق من سجن أو غيره!» ففعل ذلك، وعاد الرجل إليه شاكرًا؛ فقال له المنصور: «قد انتصفت أنت؛ فاذهب لسيلك. وفي انتصافي أنا ممن تهاون بمنزلتى.» فتناول الصفياني بأنواع من المدانة، وأبعد عن الخدمة.

ومن ذلك، قصة فناء الكبير المعروف بالبيورقي مع التاجر البغدادي؛ فإنيها تنازعا في خصومة توجهت فيها اليهين على الفتى المذكور، وهو يومئذ أكبر خدام المنصور، وإليه أمر داره وحرمة؛ فدافع الحاكم، وظن أن جأسه يمنع من إحلافه. فصرخ التاجر بالمنصور في طريقه إلى الجامع منظرًا من النبي؛

فَوَكَّلَ بِهِ فِي الْوَقْتِ مَنْ حَمَلَهُ إِلَى الْحَاكِمِ؛ فَأَنْصَفَهُ مِنْهُ، وَسَخَطَ عَلَيْهِ الْمَنْصُورَ، وَقَبَضَ
بِعَيْنِهِ مِنْهُ وَنَفَّاهُ.

وَمِنْ ذَلِكَ، قِصَّةُ مُحَمَّدٍ، فَصَادَ الْمَنْصُورُ وَخَادِمَهُ وَأَمِينَهُ عَلَى نَفْسِهِ؛ فَإِنَّ
الْمَنْصُورَ أَحْتَاجَهُ يَوْمًا إِلَى الْفَصْدِ، وَكَانَ كَثِيرَ التَّعَهُدِ لَهُ؛ فَأَتَاهُ رَسُولُهُ إِلَى مُحَمَّدٍ؛
فَأَلْفَاهُ الرَّسُولَ مَحْبُوسًا فِي سِجْنِ الْفَاضِي مُحَمَّدِ بْنِ زَرْبٍ، إِحْيَافٍ ظَهَرَ مِنْهُ عَلَى
أَمْرَانِهِ. قَدَّرَ أَنْ سَيَّلَهُ مِنَ الْخِدْمَةِ يُجِيبُهُ مِنَ الْعُقُوبَةِ. فَلَمَّا عَادَ الرَّسُولُ إِلَى
الْمَنْصُورِ بِقِصَّتِهِ، أَمَرَ بِإِخْرَاجِهِ مِنَ السِّجْنِ مَعَ رَقِيبٍ مِنْ رُقَبَاءِ السِّجْنِ، يَلْزِمُهُ
إِلَى أَنْ يَفْرَغَ مِنْ عَمَلِهِ، ثُمَّ يُعِيدَهُ إِلَى مَحْبَسِهِ. ففَعَلَ ذَلِكَ عَلَى مَا رَسِمَهُ، وَذَهَبَ
الْفَاصِدُ إِلَى شَكْوَى مَا نَالَ؛ فَفَطَعَ عَلَيْهِ الْمَنْصُورَ، وَقَالَ لَهُ: «يَا مُحَمَّدُ، إِنَّهُ الْفَاضِي
وَهُوَ فِي عَدَاةٍ، وَلَوْ أَخَذَنِي الْحَقُّ، مَا أَطَّقْتُ الْإِمْتِنَاعَ مِنْهُ! عُدُّ إِلَى مَحْبَسِكَ أَوْ
اعْتَرَفْ بِالْحَقِّ؛ فَهُوَ الَّذِي يُطْلِقُكَ.» فَاثْبَغَ الْحَاجِمُ، وَزَالَ عَنْهُ رِيحُ الْعِنَايَةِ.
وَبَلَغَتْ قِصَّتُهُ لِلْفَاضِي؛ فَصَالَحَهُ مَعَ زَوْجِهِ، وَزَادَ الْفَاضِي شِدَّةً فِي أَحْكَامِهِ.

وَمِنْ دَهَائِهِ، قَالَ ابْنُ حَيَّانَ: كَانَ جَالِسًا فِي بَعْضِ اللَّيَالِي، وَكَانَتْ لِبَانَةٌ
شَدِيدَةُ الْبَرْدِ وَالرَّيْحِ وَالْمَطَرِ؛ فَدَعَا بِأَحَدِ الْفُرْسَانِ، وَقَالَ لَهُ: «انْهَضْ إِلَى فَجِّ
طَلْيَارِشٍ وَأَقِمْ فِيهِ؛ فَأَوَّلُ خَاطِرٍ يَخْطُرُ عَلَيْكَ، سُقِّهِ إِلَيَّ.» قَالَ: فَتَهَضَّ
الْفَارِسُ، وَبَقِيَ فِي الْفَجِّ فِي الْبَرْدِ وَالرَّيْحِ وَالْمَطَرِ وَاقْفًا عَلَى فَرَسِهِ، إِذْ وَقَفَ عَلَيْهِ
قُرْبَ الْفَجْرِ شَيْخٌ هَرِمٌ عَلَى حِمَارٍ لَهُ، وَمَعَهُ آلَةُ الْخَطْبِ؛ فَقَالَ لَهُ الْفَارِسُ: «إِلَى
أَيْنَ تَذْهَبُ، يَا شَيْخُ؟» فَقَالَ: «وَرَاءَ حَطْبٍ.» فَقَالَ الْفَارِسُ فِي نَفْسِهِ:
«هَذَا شَيْخٌ مَسْكِينٌ تَهَضَّ إِلَى الْجَبَلِ بِسُوقِ حَطْبٍ. فَمَا عَسَى أَنْ يَرِيدَ الْمَنْصُورُ
مِنْهُ؟» قَالَ: فَتَرَكْتُهُ. فَسَارَ عَنِّي قَلِيلًا؛ ثُمَّ فَكَّرْتُ فِي قَوْلِ الْمَنْصُورِ، وَخَفْتُ
سَطْوَتَهُ؛ فَتَهَضَّتُ إِلَى الشَّيْخِ، وَقُلْتُ لَهُ: «ارْجِعْ إِلَى مَوْلَانَا الْمَنْصُورِ.» فَقَالَ:
وَمَا عَسَى أَنْ يَرِيدَ الْمَنْصُورُ مِنْ شَيْخٍ مِثْلِي؟ سَأَلْتُكَ بِاللَّهِ أَنْ تَتْرَكَنِي لِطَلْبِ
مَعِيشَتِي!» فَقَالَ لَهُ الْفَارِسُ: «لَا أَفْعَلُ.» ثُمَّ قَدِمَ بِهِ عَلَى الْمَنْصُورِ، وَمِثْلُهُ بَيْنَ
يَدَيْهِ، وَهُوَ جَالِسٌ، لَمْ يَنْمُ لَيْلَتَهُ تِلْكَ. فَقَالَ الْمَنْصُورُ لِلصَّقَالِيَّةِ: «فَتَشَوْهُ!» فَتَشَّاهُ؛

فلم يوجد عنده شيء، فقال: «فَنَسُوا بَرْدَةَ حَمَارِد!» فوجدوا داخلها كتاباً من نصارى كانوا قد نزحوا الى المنصور، بخدمون^١ عنده الى اصحابهم من النصارى ليقتلوا ويضربوا في إحدى النواحي المعلومه. فلما اتلج الصبح، أمر بإخراج أولئك النصارى الى باب الزاهرة؛ فضربت أعناقهم، وضربت رقبة الشيخ معهم.

ومن ذلك قصة الجوهري^{*} التاجر؛ وذلك أن رجلاً جوهرتياً من تجار مدينة المشرق قصد المنصور من مدينة عدن بجوهر كبير، وأحجار نفيسة؛ فأخذ المنصور من ذلك ما استحسنته، ودفع الى الجوهري التاجر ضربته، وكانت قطعة يمانية. فأخذ التاجر في انصرافه طريق الرملة على شط النهر؛ فلما توسطها، واليوم فائظ، وعرقه منصّب. دنته نفسه الى الترد في النهر؛ فوضع ثيابه وسك الصرة على الشط؛ فمّرت حدأة، فاختمت الصرة، تخسبها لحماً، وصاعدت في الأفق بها ذاهبة؛ فقطعت الأفق الذي نظر اليه عين التاجر؛ فقامت قيامته، وعلم أنه لا يقدر أن يستدفع ذلك بعدوى ولا بحيلة؛ فأسّر الخزن في نفسه. ولحقته لأجل ذلك علة اضطرب فيها. وحضر الدفع الى التجار؛ فحضر الرجل لذلك بنفسه؛ فاستبان له ما به من المهانة والكآبة، وفقد ما كان عنده من النشاط وشدة العارضة. فسأله المنصور عن شأنه؛ فأعلمه بقصته؛ فقال له: «هَلَّا آتَيْتَ إِلَيْنَا بِحَدَثَانِ وَقُوعِ الْأَمْرِ؟ فَكُنَّا نَسْتَنْظِرُ عَلَى الْحِيلَةِ؛ فَهَلْ هُدَيْتَ إِلَى النَّاحِيَةِ الَّتِي أَخَذَ الطَّائِرُ الْبِهَامَ؟» قال: «مَرَّ مُشْرِقاً عَلَى سَمْتِ هَذَا الْجَبَانِ الَّذِي يَلِي قَصْرَكَ!» يعني الرملة؛ فدعا المنصور شرطيه الخاص به؛ فقال له: «جِئْنِي بِمَشْبِخَةِ أَهْلِ الرَّمْلَةِ السَّاعَةِ»؛ فمضى، وجاء بهم سريعاً؛ فأمرهم بالبحث عن غير حال الإقلال منهم سريعاً، وانتقل عن الإضافة دون تدرج؛ فتناظروا في ذلك، ثم قالوا: «يا مولانا! ما نعلم إلا رجلاً من ضعفائنا كان يعمل هو وأولاده بأيديهم، ويتناولون السقي^٢ بأقدامهم عجزاً عن شراء دابة؛ فابتاع

١) بخدمون. ٢) يتناولون السبق. B. السبق. A. السبق.

P. ٣١٤ اليوم دابة، واكنسى هو وولد كسوة متوسطة. « فأمر بإحضاره من الغد، وأمر
التاجر بالغدو الى الباب، فحضر الرجل بعينه بين يدي المنصور، فاستدناه،
والتاجر حاضر، وقال له: « سبب ضاع منا وسقط إليك: ما فعلت به؟ » فقال:
« هو ذا يا مولاي؟ » وضرب يده الى حجة سراويله، فأخرج الصرة بعينها،
فصاح التاجر طرباً، وكاد يطير فرحاً، فقال له المنصور: « صفت لي حديثها. »
قال: « نعم! بينا أنا أعمل في جناني تحت نخلة، إذ سقطت أمامي، فأخذتها.
وراقني منظرها، فقلت إن الطائر اختلسها من قصرك لتقرب الجوار، فاحترزت
بها، ودعنتني فاقتي الى أخذ عشرة مثاقيل عيوناً كانت معها مصرورة، وقلت:
أقل ما يكون في كرم مولاي أن يسمح لي بها. » فأعجب المنصور ما كان منه،
وقال للتاجر: « خذ صررك، وانظرها، واصدقني عن عديها. » ففعل وقال:
« وحق رأسك، يا مولاي، ما ضاع منها شيء سوى الدنانير التي ذكرها. وقد
وهبت لها. » فقال له المنصور: « نحن أولى بذلك منك، ولا ننقص عليك
فرحتك. ولولا جمع بين « الإقرار والإنكار »، لكان ثوابه موقوراً عليه. »
ثم أمر للتاجر بعشرة دنانير عوضاً من دنانيره، والمجان بعشرة دنانير ثواباً
لثأريه عن إفساد ما وقع بيده، وقال: « لو بدأنا بالاعتراف قبل البحث،
لأوسعناه جزاء! » قال: فأخذ التاجر في الثناء على المنصور، وقد عاوده نشاطه،
وقال: « والله! لأبأن في الأقطار عظيم ملكك، ولأبين أنك تسلك طير عمالك
كما تسلك إنسها! » فلا تعنصم منك ولا تؤذي جارك! » فضحك المنصور،
وقال: « اقصد في قولك! يغفر الله لك! » فعجب الناس من تلطف المنصور
في أمره، وحيثه في نهرج كرتيه.

P. ٣١٥ وكان المنصور أشد الناس في التغير على من علم³ عنده شيء من الفلسفة
والمجدل في الاعتقاد، والتكلم في شيء من قضايا النجوم وأدلتها، والاستخفاف
بشيء من أمور الشريعة. وأحرق ما كان في خزائن المحكم من كتب الدهرية

1-1) A. الإصوار والإقرار.

2) B. بشرها.

3) Manque dans A.

والفلاسفة، بحضور كبار العلماء، منهم الأصبلي وابن ذكوان والزبيدي وغيرهم، واستولى على (1) حرق جميعها (2) بيده.

ومن أوقع به المنصور في مثل هذه المعاني المستكرة: محمد بن أبي جعفر، بلغه عنه قول من الإرجاف في القطع على انقراض دولته؛ فقطع لسانه، ثم قتله وصلبه؛ فخرست ألسن جميعهم لذلك؛ وكذلك أيضاً عبد العزيز بن الخطيب الشاعر، وكان أرفع أهل هذه الطبقة منزلة؛ وكان مقدماً في أصحاب المنصور. حتى فسد ضميره عنه، وبقي مدة يلتبس غرّة منه، حتى قال في بعض أبيات من شعره أفرط فيها [كامل]:

مَا شِئْتَ لَا مَا شَاءَتِ الْأَقْدَارُ فَاخْتَكُمُ فَنَأْتِ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ
فَكَأَنَّهَا أَنْتَ النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ وَكَأَنَّهَا أَنْصَارُكَ الْأَنْصَارُ

فأمر بضربه خمسمائة سوط، وتودى عليه باستخفافه؛ ثم حبسه. ونفاه بعد عن الأندلس.

وفي سنة ٢٨١، رشح المنصور ولده عبد الملك للولاية. وقدم أخاه عبد الرحمن للوزارة. وترك اسم الحجابة، واقتصر على التسمي بالمنصور، وأن يكتب: «من المنصور أبي عامر (وقفه الله) إلى فلان». بحذف اسم الحجابة، ويذكر اسم والده عبد الملك بخط الحجابة والقيادة العليا وسائر خطط المنصور، سلم فيها لابنه عبد الملك، وصعد له الحجابة من يومئذ. وبعد هذا، استبدل المنصور جند الأندلس بالبربر؛ فأقام لنفسه جنداً اختصم باستصناعه، واسترقهم بإحسانه، نسخ بهم في المدة القريبة جند الخليفة الحكم (رحمه الله)، كما فعله في سائر أمور.

واتفق* في ذلك الوقت أن تحرك بلقين بن زيري الصنهاجي إلى المغرب P. ٢١٧

في جموعه، وأوقع بقبائل زناتة طالبا ثار أبيه زيري؛ فهربوا أمامه كلهم إلى سبتة، وضائق عليهم أرض العدو؛ فقبل لابن أبي عامر: «قد أمكك الله

1-1) A. جميع حرفها. 2) A. باستخفافه.

من اصطناع فرسان زانية . واعتقاد الهنة عليهم . فأرسل إليهم ، بأبوك يراعاً ؛
 فيجد إحسانك إليهم مكاناً ؛» . فعزل ابن أبي عامر على ذلك ، وأنفذ كتبه الى
 قبائل العذمة يستدعيهم ، وينصن الإحسان إليهم ، والنويعة عليهم ، حتى كثروا
 بالأندلس ؛ فحسبت أحوالهم . وكثرت أموالهم . وما زالوا خاصته وبطانته إلى أن
 هنك ، وانقضت الدولة العامرية . وقد صار بالأندلس منهم القبائل بأسرها ،
 وكأروهم حتى « أنفذ قضاة الله عليهم بأيديهم .

وفي سنة ٢٨٦ ، عهد المنصور أن يخص بنسوبه من بين سائر الناس كافة
 في المحاطبات ، وأن يرفع ذلك عن سائر أهل الدولة مع الاقتصاد في مراتب
 الأديعة ؛ فنذ الكتب بذلك ، وجرى العمل عليه بنية حياته ؛ وخوطب هذا
 الوقت بالملك الكريم ؛ واستبليغ في كرمه وتعظيمه .

غزوة شنت ياقوب على سبيل الاختصار

وعد بناهي المنصور ابن أبي عامر في هذا الوقت على الاقتدار ، والنصر
 على المنوك الطاغية (دمرها الله) . سما الى مدينة شنت ياقوب قاصية غليسية .
 من عظم مشاهد النصارى الكائنة ببلاد الأندلس وما يتصل بها من الأرض
 الكبيرة . وكانت كنيستها عندهم بمنزلة الكعبة عندنا ؛ فيها مجنون وإبها بججون
 من أقصى بلاد رومة وما وراءها ؛ ويزعمون أن القبر المزور فيها قبر ياقوب
 الحواري أحد الإثنى عشر (رحمهم الله) ؛ وكان أخصمهم بعيسى (عليه السلام) ، وهم
 يسبونه أخاه لزوميد إباد . وقد زعم جماعة منهم أنه ابن يوسف النجار . وشنت
 ياقوب هي مدفن ياقوب ؛ فبهم يسبونه أبا الرب (تعالى الله عن قولهم علوا
 كبيراً) . وياقوب نسايتهم تعقوب ؛ وكان أسقفاً ببيت المقدس ؛ فجعل يستقري
 الأرضين داعياً لمن فيها ؛ فجاز الى الأندلس حتى انتهى الى هذه القاصية ؛ ثم عاد

الى ارض الشام؛ فقتلَ بها، وله مائة وعشرون سنة شمسية. فاحتمل أصحابه رمته، فدفنوها بهذه الكنيسة التي كانت أقصى أثره. ولم يطمع أحد من ملوك الإسلام في قصدها، ولا الوصول إليها، لصعوبة مدخلها وخشونة مكانها، وبعد شقتها.

فخرج المنصور إليها من قرطبة غازياً بالصائفة يوم السبت است بقين من جمادى الآخرة سنة ٢٨٧، وهي غزوته الثامنة والاربعون. ودخل على مدينة قورية. فلما وصل المنصور الى مدينة غليسية، وافاه عددٌ عظيم من القوامس المتسكين بالطاعة، في رجالهم، وعلى أتم احتفالهم؛ فصاروا في عسكر المسلمين، وركبوا في المغاورة سيلهم. وقد كان المنصور تقدم في إنشاء أسطول كبير في الموضع المعروف بقصر أبي دانس من ساحل غرب الأندلس، وجهزه برجاله البحريين وصنوف المترجلين، وحمل الأقوات والأطعمة والعدد والأسلحة، استظهاراً على نفوذ العزبة، الى أن خرج بموضع برنقال على نهر دوبرة؛ فدخل في النهر الى المكان الذي عمل المنصور على العبور منه؛ فعقد هناك من هذا الأسطول جسراً يقرب الحصن الذي هناك. ووزع المنصور ما كان فيه من الميرة على الجند؛ فتوسعوا في التزوّد منه إلى ارض العدو.

ثم نهض يريد شنت ياقوب؛ فقطع أرضين متباعدة الأقطار. وقطع بالعبور عدة أنهار كبار وخلصان يهدّها البحر الأخضر. ثم أفضى العسكر بعد ذلك الى بسائط جليانة من بلاد فلطارش ومياسبطة^١ والدير وما يتصل بها؛ ثم أفضى الى جبل شامخ شديد الوعر، لا مسلك فيه، ولا طريق له يهتد الأديلة الى^٢ سواه. فقدم المنصور الفعلة بالحديد لتوسعة شعابه وتسهيل مسالكه؛ فقطعه العسكر وعبروا بعد وادي منيه؛ وانسط المسلمون بعد ذلك في بسائط عريضة وأرضين أريضة، وانتهت مغيرتهم الى دبر قسطن وسبط لبيوط^٣ على البحر المحيط، وفتحوا حصن شنت بلايه، وغنموه، وعبروا سبأخه الى جزيرة من

١. بيلوة. B. ك. ميسبطة. B. ٢.

البحر المُحيط لجأ إليها خائقٌ عظيمٌ من أهل تلك النواحي؛ فسبوا من فيها ممن لجأ إليها. وانتهى العسكر إلى جبلٍ مراسية¹ المتصل من أكثر جهاته بالبحر المُحيط؛ فتخننوا أقطاره، واستخرجوا من كان فيه، وحازوا غنائمه. ثم أجاز المسلمون بعد هذا خليج لورفي في معرّين أرشد الأدلاء إليهما؛ ثم نهر ابلة؛ ثم فُضوا إلى بسائط واسعة العبارة، كثيرة الفائدة، منها بسط أوّنة وقرّ جِبْطَة ودَسْر شنت برّنة². ثم انتهوا إلى خليج ابايا؛ وهو من مشاهد ياقوب أيضاً صاحب القبر. يتوّ مشهد قبره عند النصارى في الفضل، بقصد نساكهم له من قاصي بلادهم ومن بلاد القبط والنوبة وغيرها. فغادره المسلمون فارغاً. وكان النزول بعد على مدنة شنت ياقوب البائسة، وذلك يوم الأربعاء المئتين خلّنا من شعبان؛ فوجدها المسلمون خالية من أهلها؛ فحاز المسلمون غنائمها، وهدموا مصانعها وأسوارها وكنيستها، وعنوا آثارها. ووكل المصور بقبر ياقوب من بحفظه وبدفع الأذى عنه؛ وكانت مصانعها بدبعة مُحَكَمَة؛ فغودرت هَشِيمًا، كأن لم تَعْن بِالْأَمْس، وذلك يوم الإثنين أو الثلاثاء بعد. وانتسفت نُعُونُهُ بعد ذلك سائر البسائط، وانتهت إلى جزيرة شنت مانكش³ مُنْقَطَع هذا الصقع على البحر المُحيط، وهي غاية لم يبلغها قبْلهم مسلمٌ، ولا وَطِئَهَا لغير أهلها. قدّم فلم يكن بعدها للخيل مجالٌ، ولا وراءها انتقالٌ.

وانكنا المصور عن باب شنت ياقوب، وقد بلغ غاية لم يبلغها مسلمٌ قبله. فجعل في طريقه القصد على عمل برمئد بن أزدون ليستقر به عائلاً ومُنْسِداً، حتى وقع في عمل القوامس المعاهدين الذين في عسكره؛ فأمر بالكفت عنها، ومَرَّ مجازاً حتى خرج إلى حصن مليفه من افتتاحه. فأجاز هناك القوامس مجملتهم على أقدارهم، وكسامهم، وكسا رجالهم، وصرفهم إلى بلادهم. وكتب بالفتح من مليفه. وكان مبلّغ من أكساه ابن أبي عامر في غزاه هذه من ملوك الروم ولمن حسن

1) B. مرامية. 2) Les vocalisations de ces noms géographiques sont reproduites d'après B. 3) B. فَرْكَنْشَر.

عناؤه من المسلمين النّين ومائتين وخمسةً وثمانين شقّة من صنوف الخَزّ الطّرازي، وإحدى وعشرين كساء من صوف البجر، وكسائين عثريين، وأحد عشر سفلاطوناً، وخمس عشرة مريشات، وسبعة أنماط ديباج، وثوبى ديباج رومي، وفروي فك. ووافى جميع العسكر قافلاً الى قرطبة سالماً غانماً، وعظمت النعمة والمنة على المسلمين. والحمد لله.

ولم يجد المنصور بشئت باقوب إلا شيخاً من الرّهبان جالساً على الفبر؛ فسأله عن مقامه؛ فقال: «أوانس يعقوب». فأمر المنصور بالكفت عنه.

قال الفتح بن خاقان: وتمرس المنصور ببلاد الشّرك أعظم تمرس، ومحا من طواغيتها كلّ تعجرف وتغطرس؛ وغادرهم صرعى البقاع. وبركهم أذل من ويد بقاع؛ ووالى على بلادهم الوقائع، وسدّد الى أكبادهم سهام الفجائع؛ وأغصّ بالحمام أرواحهم، ونغص بتلك الآلام بكورهم ورواحهم. ومن أوضح الأمور هنالك؛ وأفصح الأخبار فى ذلك؛ أنّ أحد رؤسائه كان كثير الانتياب، لذلك

الجناب؛ فسار فى بعض مسيراته الى غرسيّة صاحب البشكيش؛ فصادفه فى يوم فصّح؛ فوالى فى إكرامه، وتناهى فى برّه واهتمامه؛ فطالت مدّته فلا متبزه إلاّ مرّ عليه متفرّجاً، ولا موضع إلاّ سار إليه معرّجاً؛ فحلّ فى ذلك أكثر الكنائس هنالك؛ فبينما هو يجول فى ساحتها، ويجبل العين فى مساحتها؛ إذ عرضت له امرأة قديمة الأسر؛ قوية على طول الكسر؛ فكلّمته. وعرفته بنفسها وأعلمته، وقالت له: «أيرضى المنصور أن ينسى بتنعّمه بوسّها، ويتبتّع بلبوس العافية وقد قصّت لبوسها؟» وزعمت أنّ لها عدّة من الجبين بتلك الكنيسة مخبّسة. وبكلّ ذلّ وصغار ملبّسة، وناشدته الله فى إنهاء قصتها، وإبراء غصتها. واستحلفتها بأغلظ الأيمان، وأخذت عليه فى ذلك أوكد موثيق الرحمان. فلما وصل الى المنصور، عرفه بما يجب تعريفه به وإعلامه، وهو مُصعّر إليه حتى تمّ كلامه. فلما فرغ، قال له المنصور: «هلّ وثقت هنالك على أمير أنكرته، أم لم يفت على غير ما ذكرته؟» فأعلمه بقصة المرأة، وما خرجت عنه إليه، وبالموئيق التى

أخذت عليه؛ فعتبه ولامه، على أن لم يبدأ بها كلامه؛ ثم أخذ في الجهاد من فوره، وعرض من من الأجناد في تجده وغوره؛ وأصبح غازياً على سرجه، مهابياً مروان يوم مرجه، حتى وافى ابن شائجه في جمعه؛ فأخذت مهابته ببصره وسَمِعَهُ؛ فبادر بالكتاب إليه يتعرف ما هي الحنية، ويخلف له بأعظم آية، ما جنا ذنباً؛ ولا نيا عن مَضَجِ الطاعة جنياً. فعنف أرساله. وقال لهم: «كان قد عاهدني الأبيقي بأرضه مأسورة ولا مأسور، ولو حملته في حواصليها النسور؛ وقد بلغني * بعد مقام فلانة المسلمة¹ بتلك الكيسة. والله! لا أنتهي عن أرضه حتى أكتسحها!» فأرسل إليه المرأة في إثنين معها، وأقسم له أنه ما أبصرهن، ولا سمع بهن. وأعلمه أن الكيسة التي أشار بعلمها، قد بالغ في هدها، تحقياً لقوله، وتضرع له في الأخذ بطوله. فاستجبي منه، وصرف الجيش عنه، وأوصل المرأة إلى نيسه، وألحق نوحشها بأنسه، وغير سوء حالها، وعاد سواكب نعباد على جذبها وإعمالها، وحملها إلى قومها. وكحلها بما كان شرد من نومهها.

وحدث شُعْلَةَ، قال: قلت للمنصور ليلة طال فيها سهره: «قد أفرط مولانا في السهر، وبدنه يحتاج إلى أكثر من هذا النوم؛ وهو يعلم ما يحركه عدم النوم من علة العصب!» فقال لي: «يا شعلة، إن الملك لا ينام إذا نامت الرعية؛ ولو استوفيت نومي، لَمَا كان في دور هذا البلد العظيم عين نائمة!» وكان المنصور يزرع في كل سنة ألف ألف مدي من الشعير قصبلاً لدوابه الخاصة به؛ إذا قدم من كل غزوة من غزواته، لا يجل عن نفسه حتى يدعو صاحب الخيل، فيعلمه ما مات منها وما عاش، وصاحب الأبيبة، فيعلمه ما وقى من أسواره ومبانيه وقصوره ودوره. وكان له دخالة في كل يوم إثني عشر ألف رطل من اللحم، حاشي الصيد والطير والحيتان. وكان يصنع في كل عام إثني عشر ألف نرس عامرية لنصرى الزاهرة والزهران. وابنتي المنصور على

1) A. المسئلة.

2) Ici prend fin le ms. A et le texte édité par Dozy.

طريق البهاة والضخامة مدينة الزاهرة^١ ذات القصور، والمنزهات المخترة
كذات الواديين. ومنية السرور، وأرطانية، وغيرها من منشأه البديعة.

قال ابن حزم: كنا مع المنصور، في يوم صفيح الجوّ، في الزورق، في النهر
الذي بين يدي الزاهرة، في نفر من وزرائه، ومنظر يقين بأمامه وورائه،
ونحن على موازنة قد امتدّ طيبها، وأرشف بها لعس المسرة وشبهها، وانحسر
إليها أهو الدنيا وأعجبها، وهو يستبدع ذلك النشيد، وينطاع منها إلى المزخرف
والشيد، ويصوب نظره ويصعده في قصوره المشرقة. ومصانعه الموقنة، وقد
قيدت الألفاظ جمالاً، وجددت في الحياة آمالاً. فقال المنصور: «ويها لك!
يا زاهرة الحسن. لقد حسن مرءك، وعين ثراك، وراق منظرِك، وفاق مخبرِك،
وطاب نربك، وعذب شربك! فليت شعري من المرید الذي يعدك، ويوهن
ركنك ويهدمك، ويخل مبدتك، ويضوي قصصك وأفنانك! فبوساً له إذ
لا يروقه حسنك. فيكف عن تغييرك! ألا نسبه بهجة منظرِك. فكيف عن
محو أثرِك!» قال: فاستعظمتنا ذلك منه، وأنكرنا ما صدر عنه، وظننا أن
الراح غلبت عليه، وخيلت ذلك عليه، فأفرط الكلُّ مما في استنكار ما جاء
به، وفاه بأمره وسببه، فقال: «والله! كأنكم لا تعلمون ذلك! نعم! سيظهر
عليها عدونا في أقرب مدة، فيهدم هذا كانه ويعدمه. وكأني بحجارتها في هذا
النهر!» فأخذنا به طريق النسكين والنهدين، وعجبتنا لما ذكره من ذلك
النبا المبين.

وعند فراغه من ابتناء الزاهرة، غزا غزوة أبعد فيها الإيغال، وغال فيها
من عظماء الروم من غال، وحل من أرضهم ما لم يطرق، وراع منهم ما لم سرع
قط ولم يفرق، وصدر صدراً أسى به على كل حسناء عقيلة، وجللاً به كل صنعة
للحسن صقيلة، ودخل قرطبة دخولاً لم يعهد، وشهد له فيه يوم لم يشهد. وكان
ابن شويد من خلفاً عن هذه الغزوة لنفيس عداة عائده، وجفاه منجعه ورائده.

وَابْنُ شُهَيْدٍ هَذَا أَحَدُ حُجَّابِ النَّاصِرِ، وَابْنُ عَلِيٍّ ابْنُ أَبِي عَامِرٍ أَيْدِي مُحْكِمَةِ الْأَوَاصِرِ.
وَكَانَ كَثِيرًا مَّا يُتَّخَفُهُ، وَيَصَلُّهُ وَيَلَطُّهُ. فَلَمَّا صَدَرَ الْمَنْصُورُ مِنْ غَزْوَتِهِ هَذِهِ، نَسِيَ
مُتَاحِفَتَهُ، وَأَغْفَلَ مُلَاطِفَتَهُ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ [خَفِيفًا]:

أَنَا شَيْخٌ وَالشَّيْخُ يَهْوَى الصَّبَابَا بِالنَّفْسِ تَفِيكَ صَرَفَ الرَّزَابَا
وَرَسُولُ الْإِلَهِ أَسْهَمَ فِي الْفَى لِمَنْ لَمْ يُخِبْ فِيهَا الْمَطَابَا
فَأَجَعَلَنِي (فَدَيْتَ!) أَنْكِحُ مَعْرُو فَكَ وَأَبَعْتَ بِهَا عَذَابَ الثَّنَابَا
هُوَ عُرْفٌ فَإِنْ تَحَوَّلَ صَهْرًا كَانَ وَاللَّهِ آيَةً فِي الْبَرَابَا

فَبَعَثَ إِلَيْهِ بِعَقِيلَةٍ مِنْ عَقَائِلِ الرُّومِ، يَكْتُمُهَا ثَلَاثَ جَوَارٍ كَأَنَّهُنَّ نَجُومُ سَرَابِ،
وَكَتَبَ [خَفِيفًا]:

قَدْ بَعَثْنَا بِهَا كَشَسِ النَّهَارِ فِي ثَلَاثٍ مِنَ الْمَهَى أَبْكَارِ
فَأَجْتَهَدُ وَأَتَيْدُ فَإِنَّكَ شَيْخٌ خَفِيَ اللَّيْلُ عَنْ بَيَاضِ النَّهَارِ
صَانَكَ اللَّهُ عَنْ كَلَالِكَ فِيهَا فَمِنْ الْعَارِ كَلَّةُ الْمِسْمَارِ

فَأَفْتَضَهُنَّ جَمِيعًا فِي لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ، وَكَتَبَ إِلَيْهِ [خَفِيفًا]:

قَدْ فَضَضْنَا خِتَامَ ذَاكَ السِّوَارِ وَاصْطَبَغْنَا مِنَ النَّجِيعِ الْحَارِ
وَنَعَمْنَا فِي ظِلِّ أَنْعَمِ لَيْلِ وَأَهْوَنَا بِالْبَدْرِ ثُمَّ الدَّرَارِ
وَقَضَى الشَّيْخُ مَا قَضَى بِحُسَامِ ذِي مَضَاءٍ عَضِبَ الظُّبَى بَتَارِ
فَاصْطَبَغْنِي فَلَسْتُ أَجْزِيكَ كُفْرًا وَاتَّخَذَنِي سَيْفًا عَلَى الْكُفَّارِ

قَالَ حَيَّانُ بْنُ خَلْفٍ: وَجَدَ بِالْمَنْصُورِ عَزْمٌ أَرْعَجَهُ الْغَزْوُ بَعْضَ الْبُرُوجِ
الْمُهَيْمَةِ، فَأَبْرَزَ أَمْوَالًا عَظِيمَةً، وَتَقَدَّمَ إِلَى النَّاسِ فِي الْبُكُورِ لِلزَّاهِرَةِ، فَاسْتَبَقُوا،
وَقَدَّ طَرَفَهُ فِي لَيْلَتِهِ وَجَعَّ حِمَاهُ عَنِ الْعَمَضِ؛ فَلَمْ يَمْنَعَهُ مِنْ إِنْفَازِ عَزِيمَتِهِ، وَقَعَدَ
لِلنَّظَرِ فِي شَأْنِهِ بِأَعْلَى مُنْبِتَةِ الْمُسَامَاءِ بِاللُّوْلُوَّةِ، وَقَدَّ صَحَّ عَلَى الْكَتَى عَزْمُهُ، وَكَانَ
أَقْرَبَ أَبْوَابِ الرَّاحَةِ مِنْهُ؛ فَأَقْبَلَ بِوَجْهِهِ عَلَى مَنْ تَحْتَهُ، بَقَرَى النَّرِيَّ فِي شَأْنِهِمْ؛
وَقَدْ نَاولَ الطَّيِّبُ فِي خِلَالِ ذَلِكَ رِجَالِيَهُمْ، فَحَمَلَ عَلَيْهَا عِدَّةَ كَيْبَاتٍ، ثُمَّ أَمَالَ

شأنه نحوه . وأمكنه من يديه معاً واحدة بعد أخرى ، وما زوى وجهه . ولا فقد نصحاً له كلامه ، بل كان يتناول أوامره من وعده ووَعِيدِكَ بأنذ من الإشفى ، ويحفظهم من وروده على الأوفى فالأوفى ، وإن نثن لحمه المكوئ لِيَبْتَكُ فيهم آخذاً بخواشيبيهم ، وهم لا يعلمون .

وفي سنة ٢٩٢ ، تُوَفِّي المنصور ابن أبي عامر (رحمه الله) ليلة الإثنين لثلاث بقين لرمضان المعظم ، وهو ابن خمس وستين سنة وعشرة أشهر ؛ كان له من الولد الذكور يوم وفاته إثنان ، وهما عبد الملك وعبد الرحمن الناصر ؛ فكانت مدة قيامه بالدولة منذ نقذ الحجابة الى أن تُوَفِّي خمساً وعشرين سنة ، وأربعة وأربعين يوماً . وبرك من الأموال الناضئة بالزاهرة أربعة وخمسين بيتاً . وكان عدد الفرسان المرزوقين بحضرته ونواحيها ، الذين حارب بهم الحروب ، عشرة آلاف وخمسمائة ، وأجناد التغور قريباً من ذلك .

ولله درُّ الفائل فيه / كامل :

أثارة نبيك عن أحماره حتى كأنك بالعيون تراه
نالله ما ملك الجزيرة مثله حقاً ولا قواد الجيوش سواه

وذكر أن هذين البيتين قد نُقِشا في رُخامة على قبره (رحمه الله) . وكانت عدّة غزواته سبعا وخمسين غزوة ، باشرها كلها بنفسه ، وهو في أكثرها يشكو علة القرس - عفا الله تعالى عنا وعننا !

كَمَلِ السَّفَرُ الْأَوَّلُ بِحَمْدِ اللَّهِ تَعَالَى

وَحُسْنِ عَوْنِهِ وَتَوْفِيقِهِ وَبُيُوتِهِ . صَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ

نَبِيِّهِ وَعَبْدِهِ .

HISTOIRE DE L'AFRIQUE DU NORD
ET DE L'ESPAGNE MUSULMANE
INTITULÉE
KITĀB AL-BAYĀN AL-MUGHRIB

HISTOIRE DE L'AFRIQUE DU NORD
ET DE L'ESPAGNE MUSULMANE

INTITULÉE

KITĀB

AL-BAYĀN AL-MUGHĀRIB

PAR

IBN IDHĀRĪ AL-MARRĀKUSHĪ

ET

FRAGMENTS DE LA CHRONIQUE DE CARIB

NOUVELLE ÉDITION PUBLIÉE

D'APRÈS L'ÉDITION DE 1848—1851 DE

R. DOZY

ET DE NOUVEAUX MANUSCRITS

TOME II

HISTOIRE DE L'ESPAGNE MUSULMANE
DE LA CONQUÊTE AU XI^E SIÈCLE

PAR

G. S. COLIN & É. LÉVI-PROVENÇAL



DAR ASSAKAFA

BEYROUTH - LIBAN.